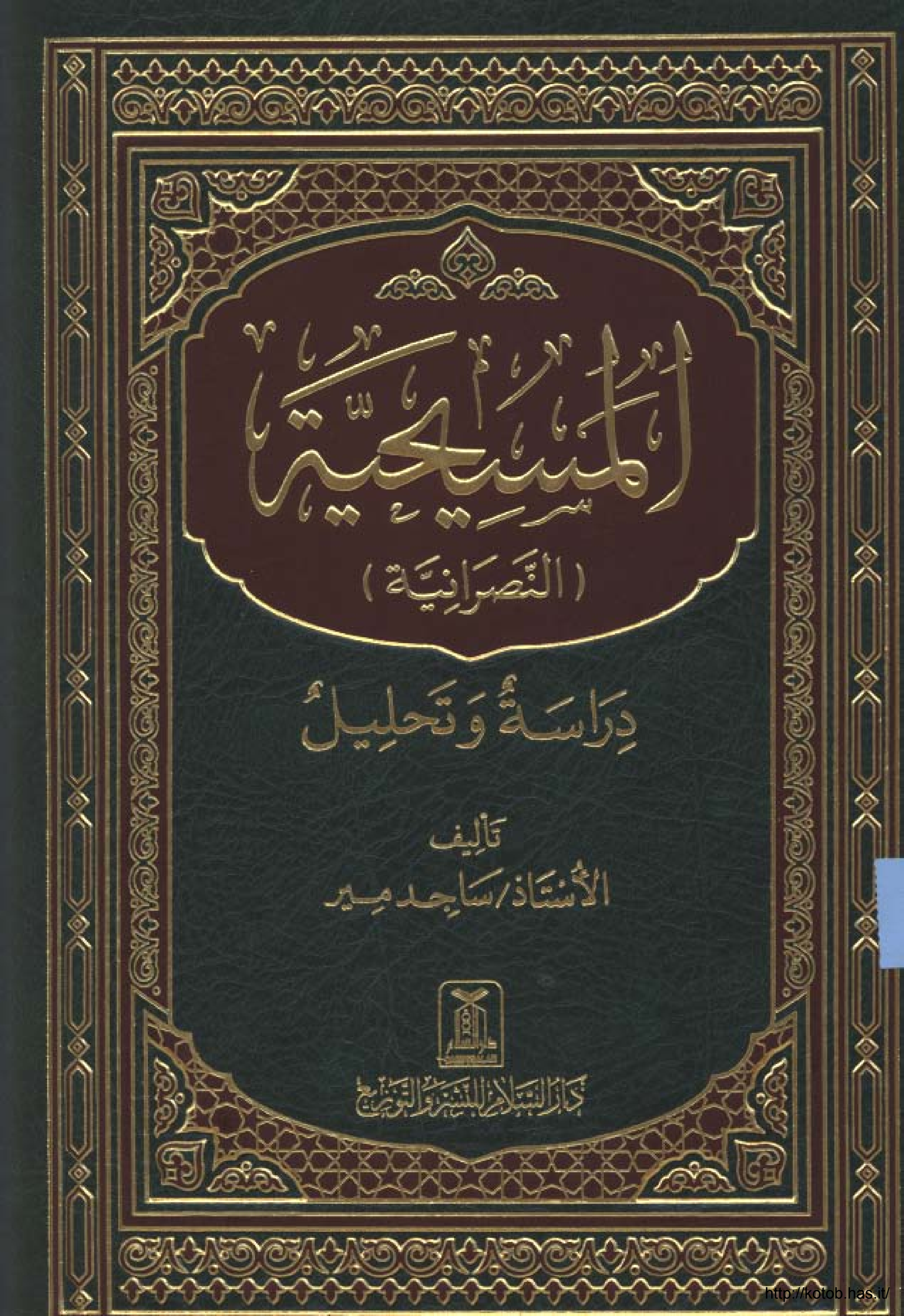
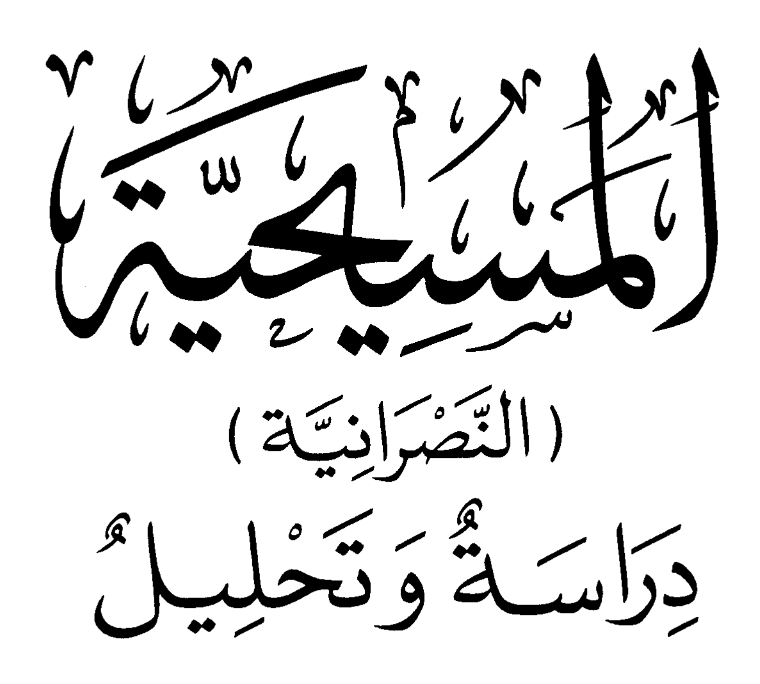

المسيحية
(النصرانية)
دراسة وتحليل
تأليف
الأستاذ/ ساجد مير
دار السلام للنشر والتوزيع
http://kotob.has.it/



تأليف
الأستاذ/ ساجد مير

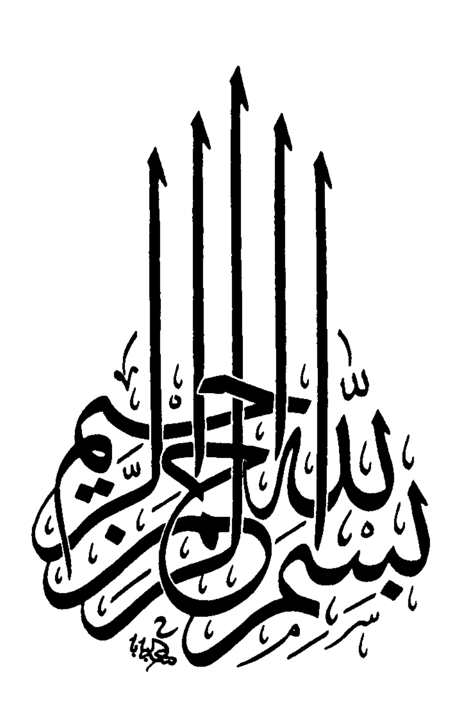


دار السلام للنشر والتوزيع
بالرياض

07-ATW-9307

http://kotob.has.it/

SRLF
YRL
09/524654



http://kotob.has.it/

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا. والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد سيد الرسل وخاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه الذين هم أصفى الأصفياء وخير الأولياء، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة من عباده الصلحاء.

أما بعد:

فإن مما شرف الله به دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض أن وفقها للقيام بخدمة الكتاب والسنة وما إليهما من المعاني والعلوم، خدمة متواضعة، تتمثل في الترجمة والتحقيق، والاختصار والتلخيص ونشر المؤلفات الإسلامية بلغات شتى في العقيدة، والعبادات والأخلاق والمعاملات، والتاريخ والسير وغيرها من الموضوعات للكبار والصغار، والنساء، والمسلمين الجدد وغير المسلمين.

وننتقل الآن إلى موضوع آخر وهو مقارنة الأديان والمذاهب القديمة والحديثة ويسعدنا أن نقدم لقرائنا الأفاضل تحقيقًا جديدًا وكتابًا فريدًا في المذهب المحرَّف للنصارىٰ باسم **«المسيحية: دراسة وتحليل»** ألفه العالم المعروف في باكستان والبلاد الإسلامية، المفكر، والقائد السياسي والديني الأستاذ/ ساجد مير حفظه الله، رئيس الجمعية المركزية لأهل الحديث بباكستان .

واختار المؤلف في إعداد هذا الكتاب أسلوبًا تحقيقيًا عاليًا، ورتبه بعد الاطلاع على كثير من الكتب المؤلفة في المسيحية باللغات المختلفة من العربية والإنجليزية والأردية وغيرها. فصار الكتاب جامعًا لدراسة المسيحية وتحليلها مشتملاً على أدلة محكمة.

ومما لا شك فيه أن هناك كتبًا كثيرة حول المسيحية في الأسواق والمكتبات، إلا أننا نستطيع القول وبلا تردد، أن هذا الكتاب فريد في تحقيقه حول الموضوع، حيث إن المواد التحقيقية فيه مأخوذة من المراجع المعتمدة للمسيحية، ومن الكتب الأخرى المتداولة، مما

http://kotob.has.it/

يغني الباحث بفضل الله تعالى عن حقيقة المسيحية عن كتب كثيرة.

ونظرًا لأهمية الكتاب وعِظم قدره قررنا طبعه حاليًا باللغات الثلاث: العربية والإنجليزية والأردية، كما سيتم طبعه في القريب العاجل بعدة لغات أخرى إن شاء الله تعالى.

وختامًا أسأل الله تعالى أن ينفع القارئ بما فيه من توضيح الحقيقة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

خادم الكتاب والسنة

عبدالمالك مجاهد

المدير المسئول

غرة ربيع الأول ١٤٢٣هـ-١٣ مايو ٢٠٠٢م

http://kotob.has.it/

مقدمة المؤلف

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن النصارى المخلصين يوقنون كما يوقن عامة متبعي الأديان الأخرى في العالم، أن دينهم حق، وأنه يضمن لهم النجاة والفوز في الدنيا والآخرة، وإنهم يعتقدون أنه دين سماوي ومُلْهَم من الله تعالى، وأن كتابهم المقدس «الإنجيل» وحي من الله تعالى. وهم يتبعون الكتب المقدسة لليهود، ويرون أن الإنجيل الذي هو عهد الله الجديد لعباده والكتب المقدسة لليهود التي هي عهد الله القديم، هما جزءان مهمان من أجزاء الكتاب المقدس، وأنهما مُلْهَمان من الله، ومحفوظان من التحريف والتبديل.

ويعتقد النصارى أن مرجع جميع معتقداتهم وأفكارهم هو شخصية عيسى عليه السلام وتعليماته. ونحن المسلمين نعترف بعلو قدر عيسى عليه السلام وعِظم شأنه، ونُقِرُّ بأنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، إلا أن النصارى يعتقدون فيه أنه ابن الله، بل هو الله - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا - ويرون أنه عاش في المعمورة في صورة الإنسان، وأنه ضحّى بنفسه ليحرر البشرية من أعباء الإثم الأزلي الدائم، الذي حصل من أبيهم آدم عليه السلام، ومهّد لهم طريق النجاة. ويدّعون أن الدين النصراني دين عالمي، وتعاليمه عامة وشاملة، وهو الأساس في تهذيب الإنسانية وتثقيفها ورفع قدرها ومنزلتها.

وماهي الحقيقة؟ هل النصارى يتبعون حقيقة الدين والتعاليم التي جاء بها عيسىٰ عليه السلام وعرضها على الناس؟ وهل النصرانية الموجودة في الواقع عبارة عن أقواله وتعاليمه عليه السلام أم حصل فيها تحريف أساسي وتبديل جوهري؟ وعلى هذا هل يمكن أن يعتبر عيسى عليه السلام مؤسسًا للنصرانية الموجودة، أم نال هذا «الشرف» أحد غيره؟ وكم تلاعب الحكام والعلماء في أدوار مختلفة بعقائد النصرانية وأفكارها؟ وهل يعتبر عيسى عليه

http://kotob.has.it/

السلام في ضوء أقواله وأقوال الأنبياء السابقين، والأدلة الأخرى إلٰهًا، أم رسولاً من الله؟ وهل أرشد الناس للنجاة إلى سبيل غير سبيل الأنبياء السابقين وهو العمل والتوبة؟ وهل الكتاب المقدس كتاب منزل من الله بالكامل أم شاركت في تصنيفه وإعداده الأيدي الإنسانية؟ هل هو موجود في الدنيا بصورته الأصلية أم أتاه تبديل وتحريف وتضاد؟

وماهو الأثر العملي والاجتماعي والخُلُقي على النصارى لتعاليم الكتاب المقدس الموجود؟ وما هي صورة المجتمعات والقيم التي أنشئت بهذا التعليم؟ وهل هذه التعاليم والقيم عالمية في الحقيقة؟ وما أثرت هذه الأفكار والمعتقدات على حياة زعماء المسيحية وأساطينها؟

ولقد حاولت بجدية في هذا الكتاب لإيجاد أجوبة مقرونة بالدلائل عن هذه الأسئلة، وسوف يعرف من يقرأ هذا الكتاب أنني بحثتُ عن الأجوبة في عدة كتب أُلّفت في المسيحية بالعربية والإنجليزية والأردية وغيرها من اللغات، حيث إن القارىء سيجد أثناء قراءة الكتاب مئات من الاقتباسات من الكتاب المقدس، والمصادر الأساسية المعتمدة لدى النصارى التي توجد في مكتبات أوروبا وآسيا وأمريكا وإفريقيا.

ولقد طالعت النصرانية أثناء إقامتي بإفريقيا عدة سنوات، كما جرى بيني وبين علماء المسيحية تبادل الآراء ومكالمات. ثم في أسفار متعددة إلى بلاد أوروبا وأمريكا وبريطانيا استفدت من المكتبات هناك والتي من أهمها المكتبة البريطانية ومكتبة كاثوليك المركزية، كما استفدت من بعض المكتبات في باكستان وفي بعض الدول العربية.

ولا يمنعني أن أعترف بأن الأستاذ العلامة إحسان إلهي ظهير كان محركًا في تدوين هذه المواد وترتيبها. وكان رحمه الله قد عمل في السنوات الأخيرة من حياته على الفرق والمذاهب عملاً قيمًا ثمينًا محققًا، حيث ألف فيها عدة كتب نافعة، وكان يود أن نحقق المزيد سويًّا بهذا المجال. فإعداد كتاب محقق في «المسيحية» أو النصرانية كان أول قدم في المشروع المشترك بيني وبينه. وكان عليَّ أن أعرض عليه مسودَّة الكتاب وهو يقوم بمراجعته. وفعلاً تحقق هذا الإنجاز في حياته، فرآه وقرأه وقدم اقتراحات مفيدة لإحكام العمل وإتقانه. ولو عاش قليلاً لطبع الكتاب في حياته، ولكن عاجلته المنية قبل إتمام هذا العمل.

ثم بعد وفاته حدثت ظروف متوالية مسببة لتأخير طبع الكتاب، واستمر الحال على

http://kotob.has.it/

ذلك، وكان التأخير الطويل محرجًا لي إلا أنني تمكنت في فترة التأخير من إكمال عمل تأليف الكتاب وتصحيحه. وأشكر الله شكر من يستزيده ويتضرع إليه على أنه قد قرب أوان طبع هذا الكتاب الآن.

وإن كان طلاب العلم يجدون كتبًا كثيرة قيمةً في المسيحية، ولكنني أرجو أن يكون هذا الكتاب إضافة مفيدة ومنفردة في هذا الميدان بإذن الله تعالى، حيث يشتمل على نواحٍ من التحقيقات في هذا الموضوع لا توجد في الكتب الأخرى؛ وأما النقاط التي بحث عنها في الكتب الأخرى فقد حاولنا عرضها في صورة أخرى واضحة.

وأخيرًا أشكر الشيخ إنعام الحق غازي الأستاذ بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، والدكتور الفاضل/ سمير عبدالحميد إبراهيم الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كما أشكر أعضاء لجنة البحث والإعداد العلمي بدار السلام على قيامهم بتعريب وتصحيح هذا الكتاب، كما أشكر أخي الكريم عبدالمالك مجاهد والقائمين على دار السلام للعناية الخاصة بطبع هذا الكتاب وإخراجه بشكل أنيق وفي ثوب قشيب.

أسأل الله الكريم أن ينفع به من التمس الحق والصدق والاطلاع الواقعي على المسيحية ومعتقداتها، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ساجد مير

http://kotob.has.it/

الباب الأول

أفكار المسيحية ومعتقداتها

http://kotob.has.it/

الباب الأول

أفكار المسيحية ومعتقداتها

التعريف بالمسيحية :

ما المسيحية؟ للوصول إلى إجابة على هذا السؤال نلجأ، بادىء ذي بدء، إلى تعريفات العلماء المسيحيين أنفسهم، المتناثرة في مؤلفاتهم الموثقة ومصادرهم المعتمدة، لنرى ماذا يقولون في ذلك ؟

وردت تعريفات عديدة للمسيحية تتباين صيغتها في المصادر المختلفة، لكن التعريف الذي تقدّمه دائرة المعارف الأمريكية، يتميّز بالإيجاز والشمول، حيث يوضّح أسس المسيحية وعناصرها حسب وجهة نظر المسيحيين، فـ

"Christianity: The religion founded by Jesus of Nazareth in the first century A.D. and centering in His life, mission and message".

«المسيحية هي الديانة التي أسّست في القرن الأول الميلادي على يد المسيح الناصري، والتي تدور حول هدف حياته ورسالته»[1].

ورغم أننا سنوضح ـ فيما بعد ـ أن المسيح عليه السلام ليس مؤسسًا للنصرانية السائدة اليوم، لكن الأمر الذي نود أن نقرره هنا هو أن الديانة المسيحية فعلاً تدور حول حياة المسيح المزعومة وهدف حياته ورسالته المحرّفة.

بعد هذا التعريف الموجز يقول كاتب المقال جيمزماس تيلر (James Masteller) :

"Despite its various forms, Christianity can be recognised by several concepts almost universally accepted: a belief in God as Creator, in the Bible as God's word, and Jesus as God's son and the final revelation of God to man in his perfect humanity, sacrificial death and miraculous resurrection and in his ability by his sacrifice and exaltation to mediate

---

(١) The American People's Encyclopaedia, Chicago, 1960, vol.5, p.435.

http://kotob.has.it/

forgiveness, salvation and immortality to all those who come unto God by him".

«إن المسيحية، رغم اتجاهاتها وأشكالها المتنوعة، تمتاز بعقائد وتصورات عديدة يؤمن بها المسيحيون على المستوى العالمي وهي: الإيمان بالله الخالق البارىء، والإيمان بالإنجيل كلام الله، وبالمسيح ابن الله، وبأنه آخر رسالة مجسّمة من الله، وإلى جانب ذلك، الإيمان ببشرية المسيح الكاملة، وبصلبه فداءً عن الخليقة، وبقيامه بعد صلبه معجزة، والإيمان بقدرته ـ بفضل فدائه وارتفاعه إلى السماء ـ على تحقيق الغفران والخلاص والخلود للذين يتوسلون به إلى الله»[١].

(١) المرجع السابق ص: ٤٣٥ .

http://kotob.has.it/

عقائد المسيحية

اتضح مما سبق أن النصارى يؤمنون بشخصية المسيح المزدوجة (اللاهوتية والناسوتية) ويزعمون أن فداءه وسيلة لنجاتهم.

ولكن ما هو تصورهم الحقيقي للإله الذي يدّعون أنهم يؤمنون بأنه خالق كل شيء؟ وإلى أي مدى يؤمنون بألوهية المسيح؟ وما أهمية فدائه وموته المزعوم عندهم؟ فالإجابة على هذه التساؤلات وغيرها، تتطلب منّا أن نطّلع على عقائدهم الأساسية التي سميت بالعقائد العالمية الثلاثة، وهي التي تُعرف بقوانين الإيمان المسيحي الثلاثة المسكونية[١].

العقيدة الأساسية الأولى: العقيدة الرسولية:

تعتبر العقيدة الرسولية، أو قانون الإيمان المسيحي المنسوب إلى الرسل الاثني عشر، أهمّ المبادىء التي تقوم عليها المسيحية. تقول دائرة المعارف البريطانية:

"We may say that in the Apostles' Creed we have a convenient summary of what the early Church believed about Christ".

«يمكننا القول: إنه يوجد لدينا ـ في صورة العقيدة الرسولية ـ تلخيص لا بأس به عن العقائد التي تبنّتها الكنيسة عن المسيح في أدوارها الأولى»[٢].

وقد أورد هوستون سمت (Huston Smith) وكيلي (Kelly) ـ وهما من علماء مقارنة الأديان المسيحيين ـ هذه العقيدة بالعبارة التالية:

"I believe in God, the Father Almighty, Maker of heaven and earth, and in Jesus Christ our Lord, who was conceived by the Holy Ghost, born of virgin Mary, suffered under Pontius Pilate, was crucified, died and was buried".

«أومن بالله الرب العلي القدرة، خالق الأرض والسماء، وأومن بسيدنا يسوع

---

(١) Adolf Harnack: History of Dogma (English Translation, London, 1898), vol.4, p.136.

(٢) دائرة المعارف البريطانية (١٩٦٢م) ج ١٣ ص٢٠ ـ والجدير بالملاحظة أن الأدوار الأولى لا تعني عصر المسيح أو حتى عصر الحواريين؛ وذلك لأن العقيدة الرسولية والعقائد المسيحية المتداولة الأخرى لم تظهر إلا بعد سنة ٣٢٥م. انظر: نفس الدائرة ج ٦ ص ٦٥٦.

http://kotob.has.it/

المسيح الذي ولد من مريم العذراء بقدرة روح القدس، والذي عُذِّب بأمر ملك الرومان بونطيس بيلاطس، وصلب فمات ودفن»[١].

وقد ذكرت هذه العقيدة بصورتها الكاملة في أحد كتب عقائد المسيحيين الأساسية الذي يسمى بـ «العقائد» والذي دونه المسيحيون الألمان ـ بالإضافة إلى ذكرها في المصادر المسيحية الأخرى ـ فجاء في ترجمته الإنجليزية إبراز أهمية هذه العقيدة الرسولية:

"In the Catholic Church and in many other Christian Churches, the Apostles' Creed has remained the most usual profession of faith".

«ظلت العقيدة الرسولية هي الأكثر انتشارًا في الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأخرى الكثيرة»[٢].

يقول كيلي في كتابه القيِّم موضحًا أهمية هذه العقيدة وانتشارها بين الفِرَق المسيحية: إن العقيدة الرسولية مقدسة لدى زعماء البروتستانت أمثال لوثر (Luther) وكالوين (Calvin) ـ إلى جانب قدسيتها لدى المسيحيين الكاثوليكيين الرومان ـ، وتظهر أهميتها في كنيسة إنجلترا (English Church) حيث تُتلى مرّتين على الأقل في الأدعية الصباحية والمسائية، وأمّا في الكنيسة الشرقية فانتشارها فيها يرجع إلى عصر غير قريب[٣]. والكتاب السابق الذكر الذي دوّنه العلماء المسيحيون الألمان "Credo" يفصّل القول في الجوانب الأخرى لهذه العقيدة إلى جانب إبراز أهميتها الأساسية، والجدير بالإشارة هنا أن هوستون سمت (Huston Smith) اكتفى بكلمة «سيِّدنا» عند ذكره المسيح، ولكن العلماء الألمان في كتابهم المذكور آنفًا، الذي يحظى بالثقة والاعتناء عند كنيسة ويست منستر (West - minster) بإنجلترا، أضافوا إلى ذلك «ابن الله الوحيد»[٤] ـ وجاء فيه ذكر عيسى عليه السلام بالعبارة التالية:

"The third day he rose again from the dead. He ascended into heaven, sitteth at the right hand of God the Almighty Father; from thence he shall come to judge the living and the dead".

---

(١) Huston Smith: The Religions of Man, New York, 1965, p.327; J.N.D. Kelly: Early Christian Creeds (London, 1972), p.369.

(٢) Credo: A Catholic Catechism, by the German Catechetical Association (London, 1984), p. 61.

(٣) J.N.D. kelly: op. cit., pp.419,420.

(٤) Credo, p.81.

http://kotob.has.it/

«في اليوم الثالث بُعِث حيًا، وقام من بين الموتى وارتفع إلى السماء وتمكن من الجلوس إلى يمين الله الأب العَلّي القدرة، وسينزل من هناك لإقامة العدل بين الأحياء والأموات»(١).

العقيدة الأساسية الثانية : العقيدة النيقية:

ثمة عقيدتان أخريان أساسيتان للمسيحية تدور حولهما مبادئها الدينية ومباحثها الفلسفية وهما: عقيدة المجمع النيقي أو العقيدة النيقية، والعقيدة الأثناسية، (وهما في الحقيقة تلعبان دورًا لتوضيح العقيدة الرسولية الأساسية الأولى إلى جانب إضافات جديدة). تقول دائرة المعارف البريطانية:

"Of special importance is the creed of the first ecumenical synod of Nicaea (325) which was formulated in defence against Arianism. It was: We believe in one God, the Almighty Father, Creator of all things visible and invisible. And in one Lord Jesus Christ, the only son of God, who alone was begotten of the Father (that is of the substance of the Father). God of God, Light of Light (very God of very God, begotten, not made, of one substance with the Father) through whom all was made that is in the heaven and on earth, who for us men and for our salvation came down and became flesh, became man, suffered and rose on the third day, is ascended to heaven and will come to judge the living and dead. And in the Holy Spirit.... who is God and Giver of Life and is worshipped and honoured with the Father and the Son."

«لعقيدة المجمع الكنسي العالمي الأول أهمية خاصة، والذي انعقد في نيقية سنة ٣٢٥م دفاعًا عن أفكار آريوس(٢)، وحيث تقول: نحن نؤمن بالله الواحد الأب العلي القدرة، خالق الأشياء المرئية وغير المرئية، كما نؤمن بالرّب يسوع المسيح

---

(١) المرجع السابق ص: ٩٥ وما بعدها.

(٢) كان آريوس من علماء المسيحية وزعمائها في القرن الثالث ولم يكن يؤمن بألوهية المسيح الكاملة، فأعلنت الكنيسة براءتها عنه واعتبرته مبتدعًا خارجًا عن الدين. انظر:
A.L.Moore: Dictionary of the Christian Church, Oxford, 1985, p.4.

http://kotob.has.it/

ابن الله الوحيد. وهو الذي وُلد فقط من الأب [أي من جوهر الأب نفسه][1] الإله من الإله، النور من النور [عين الإله من عين الإله لم يصنعه الإله بل ولد من جوهره، وخُلِق جميع مافي السماء والأرض بوسيلته، ونزل إلى الأرض في صورة البشر لنجاتنا نحن بني آدم، وتألَّمَ وعُذِّب، وقام في اليوم الثالث بعد الموت وارتفع إلى السماء، وسوف ينزل لإقامة العدل بين الموتى والأحياء، وكذلك نؤمن بروح القدس، الإله الواهب الحياة، والذي يُقدس ويُعبد مثل الابن والأب»[2].

العقيدة الأساسية الثالثة : العقيدة الأثناسية :

العقيدة الأساسية الثالثة للمسيحية تسمى بالعقيدة الأثناسية أو عقيدة أثناسيوس[3]، ولها أهمية بالغة في الكنائس، لا سيما في الكنيسة الشرقية ونحن هنا نكتفي بتلخيصها ـ نظرًا إلى طولها غير العادي ـ مركِّزين على عنصرين أساسيين لها، ولن نقدِّم هذا التلخيص من عندنا بل نرجع في ذلك إلى دائرة المعارف البريطانية حيث تقول:

"Athanasian Creed----is a compendium, compiled in forty theses, of the doctrines of the Trinity and the Incarnation".

«إن العقيدة الأثناسية المدونة في أربعين جزءًا، موجز واف لمبدأي التثليث والتجسد»[4].

فما حقيقة هذين المبدأين، أي التثليث والتجسّد اللذين ألحقا بالعقيدة الأساسية الثالثة للمسيحية؟ فلنعد إلى المصادر المسيحية المعتمدة الأخرى لمعرفة كنههما.

فجاء التفسير الموجز لمبدأ التثليث في «قاموس الكتاب المقدس» المشهور لهاستنجز (Hastings) كما يلي:

---

(١) العبارات الموضحة الموجودة بين الأقواس المربعة ليست من عندنا بل هي جزء من العبارات الرسمية المعتمدة عند الكنائس المسيحية.

(٢) دائرة المعارف البريطانية (١٩٦٢م) ج: ٦ ص:٦٥٧، وقاموس الكتاب، ايف ـ اس خير الله، لاهور ١٩٨٤م، ص: ٦٤٧ ـ وكيلي كتابه المذكور ص:٢١٥ .

(٣) كان أثناسيوس أسقف الإسكندرية في القرن الثالث، وكان من خصوم أريوس المذكور آنفًا، ويمكن أن يكون قد أسهم في وضع العقيدة النيقية، ولكن العقيدة الأثناسية نسبت إليه خطأ، انظر: قاموس الكنيسة لمور ص:٥ ودائرة المعارف البريطانية (١٩٦٢م) ٦ : ٦٥٨ .

(٤) دائرة المعارف البريطانية (١٩٦٢م) ٦ : ٦٥٩ .

http://kotob.has.it/

"Trinity:The Christian doctrine of God as existing in three persons and one substance".

«التثليث هو العقيدة المسيحية تجاه الإله، وهو يوجد في الأقانيم الثلاثة بجوهر واحد»[١].

ويقول هوستون سمت موضحًا ذلك:

"It holds that while God is fully one, He is also three ......From the stand-point of Christian orthodoxy, it is important not to water down the Trinity by interpreting it as referring to three roles of a single person, as a man may simultaneously be a son, a husband, and a father. As the Athanasian Creed put the matter, we worship one God in Trinity and Trinity in Unity, neither confounding the persons nor dividing the substance".

«تقول هذه العقيدة: إن الله واحد. وفي حالة كونه واحدًا هو ثلاثة أيضًا... ومن وجهة نظر المسيحية التقليدية المألوفة (الأرثوذكسية) لا يجوز أن يفسّر التثليث بأنه مثل شخص واحد أو أقنوم واحد وله وظائف ثلاثة يقوم بها في وقت واحد، مثل أن يكون ذلك الشخص ابنًا وأبًا وزوجًا في وقت واحد ـ وكما جاء في العقيدة الأثناسية: نحن نعبد إلهًا واحدًا في التثليث، ونعبد التثليث في التوحيد، ولا نخلط بين الأقانيم ولا نقسّم الجوهر»[٢].

فهذه هي عقيدة التثليث حسب زعم المسيحيين. (وسوف يأتي التعليق والنقد عليها في باب مستقل إن شاء الله)[٣]. والآن نأخذ العنصر الأساسي الثاني لعقيدة أثناسيوس وهو مبدأ التجسّد، ولهذا الغرض نرجع أولاً إلى «قاموس الكتاب المقدس» لهاستنجز (Hastings) حيث يقول:

"Incarnation: The word is a non-Biblical theological term to state the Christian conviction that in Jesus Christ, God has visited and redeemed His people".

«التجسّد مصطلح ديني غير إنجيلي[٤] ويوضح هذا المصطلح العقيدة المسيحية

---

(١) James Hastings: Dictionary of the Bible (Edinburgh, 1963), p.1015.

(٢) Huston Somith: op. cit., p.33.

(٣) انظر: الباب الخامس من هذا الكتاب.

(٤) أي هذا المصطلح لم يرد في الإنجيل.

http://kotob.has.it/

التي تقول: إن الله نزل إلى الدنيا في صورة المسيح ليخلّص النّاس من خطيئاتهم»[١].

ويقول «هوستون سمت» مبيّنًا عقيدة التجسّد: «يمكننا أن نبدأ - ونحن نشرح العقائد المسيحية - ببيان عقيدة التجسّد والتي تعني أن الله اتخذ شكل الإنسان في صورة المسيح، وتؤكد أن المسيح كان «إلهًا، إنسانًا» أي كان إلهًا تامًّا وبشرًا كاملاً في وقت واحد، فإن قلنا: إن التناقض في العبارة السابقة شيءٌ ظاهري فقط؛ فإنه لن يكون متمشيًا مع العقل؛ ذلك لأنه تناقض حقيقي واضح جلي، فإن كانت العقيدة تقول: إن المسيح نصفه إله ونصفه بشر، أو إنه إله في جوانب معينة وإنسان في جوانب معينة أخرى لقبلتها عقولنا دون تردّد، ولكن العقيدة ترفض أن توفر لنا هذا السير، والعبارة التي تتضمنها «عقيدة خلقيدونية»[٢] تصرِّح بأن يسوع المسيح كان تامًّا وكاملاً في الألوهية وكاملاً في الإنسانية معًا، فكان متحد الجوهر مع الأب في كونه إلهًا، ومتحد الجوهر معنا في كونه إنسانًا مثلنا تمامًا من جميع الجوانب، ماعدا اقتراف الذنوب»[٣].

فاتضح مما سبق أن عقيدة تجسد الإله في الكيان البشري متناقضة حتى في رأي العلماء المسيحيين أنفسهم، ويُعلِّل هذا بأن الهدف من التجسد الإلهي كان تخليص الناس[٤]. فللخلاص والكفارة من هذه الناحية، أهمية بارزة، إلى جانب التثليث والتجسُّد في العقيدة الأساسية الثالثة للمسيحية وهي عقيدة أثناسيوس؛ فلنرىٰ ماذا يُقصد بالخلاص والكفارة، أو بعبارة أدق: «الخلاص عن طريق الكفارة» لدى المسيحيين. يقدّم هوستون سمت (Huston Smith) في كتابه موجزًا لا بأس به عن اعتقاد المسيحيين في الكفارة حيث يقول:

> "Turning to the doctrine of Atonement, we find that its root meaning, of course, is reconciliation, the recovery of at-one-ment. Christians were convinced that Christ's life and death had effected an unparalelled 'rapprochement' between God and man .... By voluntarily disobeying God's order not to eat of the forbidden fruit in Eden, Adam sinned. As his sin was directed squarely against God, it was of infinite proportions. Sins

---

(١) Hastings: Dictionary of the Bible, p. 414.

(٢) تعني «عقيدة خلقيدونية» ما تبناه المجمع الكنسي الذي انعقد في مدينة خلقيدون القديمة بآسيا الصغرى سنة ٤٥١ م من عقائد ومبادىء. انظر: قاموس الكنيسة المسيحية لمور، ص:١٣.

(٣) Huston Smith: op., p.325.

(٤) راجع في هذا الصدد ما مضى من قاموس الإنجيل لهاستنجز.

http://kotob.has.it/

must be compensated for, otherwise God's Justice is outraged. An infinite sin demands infinite recompense, and this could only be effected by God's vicarious assumption of our guilt, and payment of ultimate penalty it required, namely death".

«عندما نعود إلى عقيدة الكفارة نجد أن معناها الأساسي، طبعًا، هو الصلح والتوفيق. حيث كان المسيحيون يعتقدون أن حياة عيسى عليه السلام وموته تمثل أسمى صور المصالحة بين الإله والإنسان. فكان آدم قد عصى أمر ربه بإرادته عندما أكل من الشجرة المحرّمة في جنة عدن، وارتكب خطيئة كبيرة. ولابد من تكفير الخطايا، وإلا أسيء إلى تصور العدل الإلهي. والخطيئة الكبيرة تتطلب تعويضًا أو تكفيرًا مساويًا لها. فما كان ذلك ممكنًا إلا أن يأتي الإله بنفسه وينوب عنا في تحمل الخطيئة والتكفير عنها في صورة الموت»[(١)].

فهذه هي أركان عقيدة الكفارة لدى المسيحيين وهي شديدة الوضوح بحيث لا تحتاج إلى تفسير، فهي مبنية على نظرية التجسّد والاتحاد الجوهري بين الإله والمسيح أو يمكن أن نقول: إن كلاًّ منهما ـ أي عقيدة الكفارة، وعقيدة تجسد المسيح والاتحاد الجوهري ـ يتّكل على الآخر، ولذلك نجد العلماء المسلمين، منذ زمن مبكر، يهتمون بردّ عقيدة التجسّد أو الأوتار (أي نزول الإله إلى العالم الدنيوي بجسد إنساني)، وعقيدة الاتحاد (كون الخالق والمخلوق أصلاً واحدًا) إلى جانب اهتمامهم برد عقيدة الكفارة[(٢)].

خلاصة العقائد المسيحية:

بعد ذكر ما سبق من تعريفات للمسيحية، وبيان معتقداتها الأساسية يمكننا أن نستخلص الملامح المميزة لهذه الديانة فيما يلي:

١ـ فكرة التثليث (Trinity) أي: الإيمان بألوهية المسيح وروح القدس إلى جانب الإيمان بالله الخالق (انظر تعريف المسيحية والعقيدة النيقية والعقيدة الأثناسية).

٢ـ فكرة التجسّد (Incarnation) أي: الاعتقاد بأن الله تجسد في المسيح عليه السلام ونزل إلى الأرض وقضى حياة إنسانية بشرية (العقيدة الأثناسية).

---

(١) Huston Smith: op. cit., p.328.

(٢) انظر مثلاً: ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط ـ القاهرة ١٣١٧هـ ١: ٥٣ وما بعدها. وأيضًا: الملل والنحل للشهرستاني، لندن ١٨٤٦م، ١: ١٣٢.

http://kotob.has.it/

٣ـ فكرة الابن (Sonship) أي: الإيمان بالمسيح أنه ابن الله إلى جانب الإيمان بألوهيته وكونه مظهرًا لله (العقيدة النيقية).

٤ـ فكرة الكفارة (Atonement) أي: أن المسيح صلب فداءً للخليقة ثم ارتفع إلى السماء، وبهذا تمكن الإنسان من الخلاص وعفي عن خطئه الأول (الأزلي) (العقيدة الأثناسية ـ تعريف المسيحية ـ العقيدة الرسولية).

٥ـ فكرة النزول مرّة ثانية (Second Coming) أي: الإيمان بمجيء المسيح مرة ثانية (العقيدة الرسولية والعقيدة النيقية).

٦ـ فكرة الكتاب أي: الإيمان بالإنجيل المتداول الآن وبأنه كلام الله (راجع تعريف المسيحية). وفي الأبواب التالية سوف نحلّل هذه الأفكار والمعتقدات تحليلاً علميًا، ونرى إلى أي مدى تصح نسبتها إلى المسيح والإنجيل، كما أننا نستعرض مراحل نشأتها وتطورها؛ ولكن الأمر الذي نرى توضيحه لازمًا هنا، هو أن العقائد المسيحية دائمًا تنسب إلى تعاليم المسيح الأصلية رغم أن الأسماء التي تنسب إليها هذه العقائد والأفكار ليس لها دور في معظم الأحوال. يقول «هارنيك» أحد العلماء الألمان:

"The Apostolic Creed did not originate with the Apostles ...... The Nicean- Constantinopolitan Creed (was developed) neither in Nicea nor in Constantinople..... The Athanasian Creed is not the work of Athanasius".

«العقيدة الرسولية لم تنشأ على يد الرسل، والعقيدة النيقية القسطنطينية لم تتطور في نيقية ولا في قسطنطينية، والعقيدة الأثناسية ليست من إبداع أثناسيوس»[١].

(١) A. Harnack: History of Dogma, 4:136.

http://kotob.has.it/

الباب الثاني

عيسى عليه السلام والمسيحية

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب الثاني

عيسى عليه السلام والمسيحية

المسيحية، كما تدل عليها تسميتها، تنسب إلى المسيح الناصري. وهناك كتابات مطولة كثيرة عن حياة المسيح وتعاليمه، ورغم ذلك تنعدم المصادر الموثقة التي يمكن الاعتماد عليها في هذا الصدد. يقول صاحب مقالة يسوع المسيح(Jesus Christ) في دائرة المعارف البريطانية:

"Any attempt to write a "Life of Jesus" should be frankly abandoned. The material for it certainly does not exist. It has been calculated that the total number of days in His life regarding which we have any record does not exceed 50".

«يجب أن نترك سعينا وراء كتابة «سيرة يسوع»؛ ذلك لأن المادة الموثقة والمعتمدة لهذا الغرض لا توجد. أمّا ما يوجد لدينا من وثائق عن حياته التي يمكن الاعتماد عليها، فهي لا تزيد عن بيان سيرته لخمسين يومًا فقط»[١]

يقول دين إنجي (Dean Inge)، وهو أحد القسيسين الإنجليز:

"No real biography of Jesus can ever be written".

«لا يمكن أن تكتب سيرة المسيح الحقيقية أبدًا، وكتابتها أمر مستحيل للغاية»[٢].

ومهما يكن من أمر فإن المصدر الرئيس لسيرة المسيح، وفق اعتقاد المسيحيين، هو العهد الجديد (New Testament) من الكتاب المقدّس[٣] الذي يشتمل على الأناجيل الأربعة (إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا) وعلى أعمال الرسل المسيحيين، وكتبهم ورسائلهم، ورسائل أصحابهم، وعلى رؤيا يوحنا اللاهوتي[٤].

---

(١) Encyclopaedia Britannica (1958), vol.13, pp.16-17.

(٢) W.R. Inge: Christian Ethics and Modern Problems (London, 1930), p.43.

(٣) للكتاب المقدس جزءان كبيران، الجزء الأول وهو ما يسمى بالعهد القديم، والذي يؤمن به كل من النصارى واليهود، والذي يحتوي على أحوال بني إسرائيل وأنبيائهم وما شابه ذلك. وأما الجزء الثاني وهو العهد الجديد فهو يحتوي على أحوال عيسى وعلى العقائد المسيحية وما شابه ذلك. قاموس الكتاب، لاهور، ص: ١٢١ . وانظر الباب السابع من هذا الكتاب للتفصيل.

(٤) قاموس الكتاب ص: ١٢٣ .

http://kotob.has.it/

وإلى جانب ذلك هناك مصادر أخرى يرجع تاريخها إلى عصر المسيح مثل: كتب المؤرخين المعاصرين والأدب المسيحي غير الملهم، وبالتالي فهو غير موثوق به، وهذه المراجع ليست بمحل ثقة عند المسيحيين أنفسهم[١]. والقرآن الكريم أيضًا ذَكَرَ في مواضع عديدة ولادة المسيح ومعجزاته ومغزى رسالته، وخاصة في سورة آل عمران والمائدة ومريم.

ورد في كتاب «يسوع في عصره»ـ وهو ترجمة حياة المسيح ويحظى بالشهرة والتداول، وقد طبع بخمس عشرة لغة من اللغات العالمية السائدة ـ أن اسم عيسىٰ الحقيقي يشوع أو يوشع (Jeshua or Joshua) [٢] وولد في العصر الذي كان بنو إسرائيل يعانون فيه من الدمار والحروب التي كانت تحدث بين البابليين والأشوريين، كما أنهم ـ أي بني إسرائيل ـ كانوا قد أخرجوا من وطنهم[٣]. ورغم عودتهم إلى وطنهم بسبب عطف الملك الإيراني سائريس لم ينعموا بالأمن والسلام، فظلوا معذبين من قبل الإسكندر الأعظم، والمصريين، والشاميين، يعيشون أرقاء لهؤلاء الناس[٤] لدرجة أن الرومان احتلوا عاصمتهم «أورشليم» عام ٦٣ ق. م، وأخذوا يجبرونهم على مساعدة الحاكم المحلي المشهور بالقسوة والظلم وهو هيرودوس[٥] (Herod). فتلك كانت ظروفهم، وكانوا ينتظرون شخصًا ينقذهم من الرق والاضطهاد، ويعيد لهم العزة والسعادة، ويرتقي بمستوى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية[٦].

كان اليهود ينتظرون أن يكون المخلّص المنتظر مؤيدًا من الله ومباركًا فيه؛ ولذلك أُطلق عليه كلمة «مسيح»، وفي العبرانية مسيحا (Messiah)، والآرامية مشيحا (Meshiah)، وفي الإغريقية كرائستس أو خرستس (Christ) [٧]. وعندما جاء يحيى عليه السلام والذي سُمي

---

(١) قاموس الكتاب ص: ١١٣٨.

(٢) Jesus in His Time, by Daniel-Rops (English Translation by R.W. Millar), London 1956, p.83.
ويدل معنى يسوع، يشوع أو يوشع على أن الإله نجاه أي أن الله إياه ينجي. وكان هذا الاسم من الأسماء اليهودية المتداولة آنذاك. انظر: قاموس الكتاب المقدس لديويس، لندن ١٩٧٢م، ص: ٤٠١، ٤٠٢.

(٣) In Search of Historic Jesus, by L.Roddy and C.E. Sellier (New York, 1979), p.24.

(٤) نفس المرجع.

(٥) نفس المرجع.

(٦) المرجع السابق ص: ٢٤-٢٥.

(٧) المعنى اللغوي لكلمة مسيح هو الممسوح أو المدهون (Anointed)، وكان من تقاليد اليهود أنهم =

http://kotob.has.it/

بيوحنا المعمدان[١] (John the Baptist) أرسل إليه زعماء يهود أورشليم، كهنةً ليسألوه عمّا إذا كان هو المسيح المنتظر[٢]؟ فقال لهم: إنه ليس المسيح الذي ينتظرونه، بل إنه جاء ليقّوم طريق الرب[٣].

وقبل ذلك بحوالي خمسة وثلاثين عامًا وفي سنة تقع بين عامي ٨ ق.م و ٤ ق.م، وُلد عيسى عليه السلام[٤]، وفي أيام هيرودوس (Herod) مَلك اليهودية - كما يقول إنجيل لوقا - أُرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينةٍ من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم[٥]، فبشّر الملاك يوسف، كما في إنجيل متى[٦]، ومريم كما في إنجيل لوقا[٧] بولادة الابن المبارك وكان الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس[٨].

وفي تلك الأيام صدر أمرٌ من أوغسطس (Augustus) قيصر بأن يُحصى عدد السكان فصعد يوسف ومريم لهذا الغرض من مدينة الناصرة إلى مدينة بيت لحم، وولدت مريم ابنها هناك[٩]. (جاء في إنجيل متى دون الأناجيل الأخرى): «عندما كان المسيح صبيًّا جاء مجوسٌ إليه ليسجدوا له تعظيمًا لجلالة شأنه، ولما سمع هيرودوس الملك من هؤلاء المجوس أن المولود هو ملك اليهود، اضطرب وبدأ يبحث بجد عن الصبي، ولما انصرف المجوس عنه دون أن يخبروه بمكان المولود، قتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين وما دون ذلك، ولكن يوسف ومريم كانا قد لجآ إلى مصر قبل ذلك بفضل

= كانوا يمسحون رأس الملك أو الزعيم الديني بالزيت المقدس؛ وكان ذلك يدل على أن الشخص الممسوح رأسه من خيرة الناس اصطفاه الله لهدايتهم. انظر: المرجع السابق ص: ٣.

(١) إنجيل متى ٣: ١.

(٢) إنجيل يوحنا ١: ١٩-٢٠.

(٣) إنجيل يوحنا ١: ٢٣.

(٤) Jesus in His Time, p. 104
والجدير بالملاحظة هنا أن خطأ قد حصل في تعيين بداية السنة الميلادية، وذلك نتيجة لخطأ في تعيين ولادة عيسى. انظر: In Search of Historic Jesus, pp. 32-33.

(٥) إنجيل لوقا ١: ٥ و ٢٦-٢٨. وتعني كلمة مريم: المرأة الصالحة أو المقرّبة إلى الله. انظر: Jesus in His Time, p.90

(٦) إنجيل متى ١: ٢٠، ٢١.

(٧) إنجيل لوقا ١: ٣٠، ٣١.

(٨) إنجيل متى ١: ٢٠.

(٩) إنجيل لوقا ٢: ١-٧.

http://kotob.has.it/

ما أوحي إليهما في حلم، ومكثا هناك حتى موت هيرودوس»(١).

نكاد لا نعرف شيئًا ذا بال عن طفولة عيسى وشبابه في الأناجيل والمصادر المسيحية الأخرى، وكل ما فيها إشارات لا تلقي ضوءًا ولا تمدنا بما يمكن أن نعتبره معلومات كافية. يقول لوقا: «لما تمت أيام تطهير مريم بعد ولادة المسيح صعدوا به إلى أورشليم(٢). ولما بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة صعدوا به إلى هيكل أورشليم حيث جلس في وسط المعلمين يستمع إليهم ويسألهم(٣)، والجميع الذين سمعوه تعجبوا من فهمه وأجوبته(٤). ولم يأت لوقا بتفصيل عن الفترة التي تتراوح بين الثانية عشرة، والثلاثين من سن المسيح بل اكتفى بقوله: «وكان يسوع يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس»(٥).

بدأ يوحنا المعمدان الاصطباغي يعلّم الناس ويعمدهم في عهد طيباريوس(Tiberias) قيصر؛ إذ كان بيلاطُس البنطيّ واليًا على اليهودية وهيرودوس رئيسًا على الجليل(٦). ولما ابتدأ المسيح يعلم ويبشّر بعد أن عمّده يوحنا المعمدان في سن الثلاثين نزل عليه روح القدس ـ كما يقول لوقا ـ بهَيئة جسمية في صورة حمامة(٧). وبعد نزول روح القدس عليه قضى المسيح أربعين يومًا في البرّية، نازعه إبليس أثناء هذه المدَّة، فظل ثابت الجنان وفيًا لربّه(٨). بعد ذلك اتخذ المسيح منطقة الجليل مركزًا لدعوته وتعليمه حيث كان يتردّد على المجامع اليهودية(٩)، ويعلّم الناس في مدينة الناصرة، ومدينة كفرناحوم، وفي المعابد والمجامع المختلفة لمنطقة الجليل(١٠). وظهرت أثناء ذلك على يده معجزات مثل شفاء المرضى من المجانين والمصروعين والمفلوجين وغيرهم(١١)، فذاعت شهرته وتبعته

---

(١) متى ٢: ٦ـ ١٨.
(٢) لوقا ٢: ٢٢.
(٣) لوقا ٢: ٤١ـ ٤٦.
(٤) لوقا ٢: ٤٧.
(٥) إنجيل لوقا ٢: ٥٢.
(٦) إنجيل لوقا ٣: ١ـ٢.
(٧) لوقا ٣: ٢١، ٢٢.
(٨) متى ٤: ١ـ١١ ومرقس ١: ١٢ـ١٣، لوقا ٤: ١ـ١٣.
(٩) لوقا ٤: ١٤ـ١٦.
(١٠) مرقس ١: ٢١، ومتى ٤: ٢٣، ولوقا ٤: ٢١ـ٤٤.
(١١) لوقا٤: ٤٠ـ٤١، ٥: ١٢ـ١٣و١٨ـ٢٥، ومرقس١: ٢٤ـ٢٥و٤٠ـ٤٢و٢: ٣ـ١٤ ومتى٤: ٢٤و٩: ٢٧ـ٣٣.

http://kotob.has.it/

جموع كثيرة[١]، وقد ذكر القرآن الكريم معجزة ولادة المسيح دون أن يمسّ مريم بشرٌ [٢] وذكر باقي معجزاته مصدِّقًا لها[٣]. فاختار المسيح من بين أتباعه اثني عشر تلميذًا وخصّهم به[٤]، وقد سمّاهم القرآن الحواريين، وأنصار المسيح إلى الله، بينما يرد ذكر هؤلاء في المصادر المسيحية باسم «رسل المسيح»[٥]، فذاع خبر المسيح بفضل معجزاته، وشهرته في الجليل كلّه[٦]، ووصلت شهرته بين الناس إلى ذروتها عندما أشبع ـ بفضل معجزته ـ خمسة آلاف رجل ببضعة أرغفة[٧]، وفهم اليهود من هذه المعجزات أن المسيح هو المخلّص الذي كانوا ينتظرونه؛ ولذلك حاولوا أن يجعلوه ملكًا عليهم ولكنّه رفض ذلك، لأنه جاء للإصلاح الروحي، فاعتزل الناس لمدّة حتى يتخلّص من هذه المحاولات[٨]. ومن هنا رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه[٩]؛ لأنه بدلاً من أن يخلّصهم من الولاة الظالمين والحكام المستعمرين الجبابرة كان يركز على النجاة الأبدية والإصلاح الروحي[١٠]، فتضايق اليهود من تعاليمه ومواعظه لدرجة أنهم حاولوا أن يرجموه[١١]. وكان من أسباب هذا التضايق أن أخطأ اليهود في فهم كلام المسيح المجازي عن ملكوت الله وعن الأب والابن[١٢].

وأثناء ذلك شُفي جمع كثير من عرج وعمي وخرس وشل وآخرون كثيرون على يد المسيح، كما أنه أشبع حوالي أربعة آلاف رجل بطعام قليل[١٣]، وأحيا شيخًا ميّتًا اسمه لعازر (Lazarus) وبنتًا ميّتة[١٤]، فزادت شهرته بسبب هذه الخوارق، ولكن كهنة اليهود

---

(١) متى ٤: ٢٥.

(٢) القرآن الكريم ٢١: ٩١، ٦٦: ١٢، ١٩: ١٦-٢٩.

(٣) القرآن الكريم ٣: ٤٩، ٥: ١١٠.

(٤) القرآن الكريم ٣: ٥٢، ٦١: ١٤.

(٥) متى ١٠: ١-٤، لوقا ٦: ١٣-١٦.

(٦) لوقا ٤: ٤٢، ٥: ١٥، ٦: ١٧.

(٧) متى ١٤: ١٦-٢١، مرقس ٦: ٣٦-٤٤، لوقا ٩: ١٢-١٧، يوحنا ٦: ٥-١٣.

(٨) يوحنا ٦: ١٤-١٥، ١٠: ٢٤-٢٨.

(٩) يوحنا ٦: ٦٦.

(١٠) يوحنا ٦: ٣٣-٣٧.

(١١) يوحنا ١٠: ٣٠.

(١٢) يوحنا ١٠: ٣٠-٣٩.

(١٣) متى ١٥: ٢٩-٣٩.

(١٤) يوحنا ١١: ١١-٤٤، لوقا ٨: ٤٩-٥٦، مرقس ٥: ٣٥-٤٣، متى ٩: ٢٣-٢٦.

http://kotob.has.it/

اشتدت عداوتهم وبغضهم له، فبدأوا يدبرون لقتله[١]، كما أنهم أزمعوا على قتل لعازر الذي أحياه المسيح؛ لأن هذه الخارقة جعلت جموعًا كثيرة من الناس يتبعونه[٢]، ولكن الروايات تقول لنا: إن لعازر ظل حيًا ثلاثين سنة بعد أن أحياه المسيح من موته[٣].

بعد أن اشتد عدوان اليهود ليسوع بدأ يبتعد عنهم، فلم يكن يمشي بينهم علانية بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرّيّة، حيث مكث مع تلاميذه[٤]. فأصدر رؤساء اليهود وأحبارهم أمرًا «بأن من يعرف مكانه فليخبرهم بذلك لكي يلقوا القبض عليه»[٥] وبعد صدور هذا الأمر ذهب واحد من تلاميذه الاثنى عشر يُدعى يهوذا الإسْخَرْيُوطي (Judas Iscariot) إلى رؤساء اليهود وأخذ منهم ثلاثين درهمًا على أن يُسلِّم المسيح لهم، وأخذ يتحين الفرصة ليفعل ذلك[٦].

بعد مدة من اختباء يسوع وعند حلول عيد الفصح لدى اليهود[٧]، دخل أورشليم علانية حيث استقبله الناس استقبالاً حارًا، فتنبَّه إلى ذلك رؤساء اليهود[٨]. وأمّا يسوع فقد أخرج الذين كانوا يشتغلون بالبيع والشراء في فناء الهيكل على أنه بيت الصلاة والدعاء، فزاد غضب الكهنة اليهود عليه[٩].

والخطبة التي ألقاها المسيح عندئذ ضد الكتبة والفريسِّيين المرائين صبّت الزيت على النار، فزاد الحقد والحسد في قلوبهم[١٠]. بعد هذا الحادث مضى المسيح مع تلاميذه إلى مكان اسمه جَثْسيماني[١١] وكان حزينًا كئيبًا ـ كما يقول متى ولوقا ـ، وخرّ على وجهه،

---

(١) يوحنا ١١: ٤٧ـ٥٣ .
(٢) يوحنا ١٢: ١٠ـ١١ .
(٣) F.W.Farrar. Life of Christ, London, p.522.
(٤) يوحنا ١١: ٥٤ .
(٥) يوحنا ١١: ٥٧ .
(٦) متى ٢٦: ١٤ـ١٦، لوقا ٢٢: ٣ـ٦ .
(٧) يوحنا ١٢: ١٢ـ ١٩، مرقس ١١: ٩ـ١٠. والفِصْحُ في العبرانية تعني «المرور والمضي»؛ ويحتفل اليهود بعيد الفصح بمناسبة خروج بني إسرائيل من مصر في أيام موسى عليه السلام. انظر: الكلام المقدس (الكتاب المقدس الكاثوليكي)، هيئة سانت بال، روما، ١٩٥٨م، ص: ض .
(٨) يوحنا ١٢: ١٩ .
(٩) متى ٤١: ١٢ـ١٣، لوقا ١٩: ٤٠ـ٤٦ .
(١٠) متى ٢٣: ١ـ٩، لوقا ٢: ٤٥ـ٤٧ .
(١١) وكان هذا بستان التين حيث كان عيسى يقيم مع تلاميذه ـ انظر: F.W.Farrar: op. cit., p. 637.

http://kotob.has.it/

وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فَلْتَعبر عني هذه الكأس (كأس الموت)[١]، وكان يكرر هذا الدعاء؛ وأمَّا التلاميذ فظلوا نيامًا[٢]. وبينما المسيح هكذا إذ قدم يهوذا تلميذه الغادر ومعه كثيرٌ من الجنود فأمسكوه، فتركه التلاميذ وفروا هاربين[٣]. ذهب الجنود بالمسيح إلى رؤساء الكهنة[٤]، ثم ذهبوا به إلى مشيخة الشعب المعروفة بالسَّنْهَدرين[٥]. وقد سبق أن ذكرنا أن كهنة اليهود كانوا يكرهون المسيح، ولكن المسيح لم يبال بأسئلتهم ولم يُظهر الاهتمام بها[٦]. فأخذوه إلى الحاكم الرومي بيلاطُس وسلّموه إليه ليقتله[٧]؛ ذلك لأنه (كما قالوا) لا يجوز لهم أن يقتلوا أحدًا[٨].

وأما بيلاطس فكان متردّدًا في قتله؛ لأنه أدرك أن الكهنة اليهود أسلموه حسدًا[٩]، ولكنهم حاولوا أن يقنعوه بقولهم إنه يمنع الناس من دفع الجزية لقيصر، ويَدّعي أنه ملك[١٠]، ولكن بيلاطس لم يقتنع بذلك. ولمَّا علم أن المسيح من منطقة الجليل أرسله إلى حاكمه هيرودوس[١١]، فاستهزأ به هو وجنوده، ثم ردّه إلى بيلاطس ليقتله[١٢]، ولكن بيلاطس لم يكن يجد دافعًا لذلك، وقال لرؤساء الكهنة والعظماء: «لم أجد في هذا الإنسان علّة مما تشتكون»[١٣] وقال أيضًا: «لم يصدر عنه شيء يستحق به القتل»[١٤].

ولكنهم ظلوا يلحّون على قتله ولم يقبلوا اقتراح بيلاطس بإطلاق المسيح احترامًا

(١) متى ٢٦: ٣٦ـ ٣٩، لوقا ١٤: ٣٢ـ٤٢.
(٢) متى ٢٦: ٤٠ـ٤٥، لوقا ٢٢: ٣٩ـ٤٦.
(٣) متى ٢٦: ٤٧ـ٥٦، لوقا ٢٢: ٥٤.
(٤) يوحنا ١٨: ١٣، ١٨: ٢٤، لوقا ٢٢: ٥٤.
(٥) لوقا ٢٢: ٦٦.
(٦) لوقا ٤٢: ٧٠، يوحنا ١٨: ٢٠ـ٢١، متى ٢٦: ٦٢ـ٦٣.
(٧) متى ٢٧: ٢.
(٨) يوحنا ١٨: ٣١.
(٩) متى ٢٧: ١٨.
(١٠) لوقا ٢٣: ٢.
(١١) لوقا ٢٣: ٧٦.
(١٢) لوقا ٢٣: ١١.
(١٣) لوقا ٢٣: ١٤.
(١٤) لوقا ٢٣: ١٥.

http://kotob.has.it/

للفِصح، وكان من عادته إطلاق أحد السجناء في هذه المناسبة(١)، وقبلوا أن يُطلق بَرْأَبّا (Barabba) الذي أحدث فتنةً في المدينة وقتل أناسًا، وأمّا المسيح فلا(٢). وفي الأخير سَلَّم بيلاطس المسيحَ إلى جنوده ليصلبوه(٣)، فذهبوا به إلى موضع يقال له جُلْجُثة ـ ومعناها اللغوي موضع الجمجمة ـ وصُلب هناك بعد أن استهزىء به وعذّب(٤).

وَصَرخ المسيح بصوت عظيم: إلهي إلهي، لماذا تركتني؟ ثم مات وأسلم الروح(٥).

وقد أنكر القرآن الكريم صلب المسيح إنكارًا شديدًا، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾(٦) وقال أيضًا: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾(٧).

والأناجيل والروايات المسيحية الأخرى أيضًا تقرر أن المسيح عليه السلام رفع إلى السماء(٨) ولكن بعد صلبه ودفنه في قبر في بستان أو في صخرة، وبعد قيامه من الموت(٩).

وسوف نلقي الضوء على حقيقة صلب عيسى ثم قيامه من الموت في أحد الأبواب التالية إن شاء الله تعالى.

تعاليم عيسى عليه السلام:

سوف نحلل الأفكار والعقائد المسيحية المتداولة تحليلاً وافيًا (والتي عرضنا تصورها في الباب الأول)، ونرى مدى علاقتها وصلتها بتعاليم عيسى الحقيقية، ولكننا هنا نودّ أن نوجز القول في تعاليم عيسى الأساسية، كما أننا نود أن نلفت الأنظار إلى مدى صحة نسبة المسيحية الحالية إليه، وهل يمكن أن نعتبر المسيح مؤسسها؟

فقد دعا المسيح الناس، مثل كافة الأنبياء والمرسلين، إلى

---

(١) يوحنا ١٨: ٣٩ـ٤٠.
(٢) لوقا ٢٣: ١٨ـ١٩، يوحنا ١٨: ٤٠.
(٣) لوقا ٢٣: ٢٥، متى ٢٧: ٢٦.
(٤) متى ٢٧: ٣٢ـ٤٤، مرقس ١٥: ١٦ـ٢٦، لوقا ٢٣: ٢٦ـ٣٨، يوحنا: ١٩: ١ـ٢٤.
(٥) متى ٢٧: ٤٦، مرقس ١٥: ٣٤.
(٦) القرآن الكريم: ٤: ١٥٧.
(٧) القرآن الكريم: ٤: ١٥٨.
(٨) يوحنا ٢٠: ١٧.
(٩) يوحنا ١٩: ٤١ـ٤٢، لوقا ٢٣: ٥٣ وما بعدها، مرقس ١٥: ٤٦ـ٤٧، ١٦: ١ـ٨، متى ٢٧: ٥٧ـ٦٠، ٢٨: ١ـ٧.

http://kotob.has.it/

التوحيد[١]، وصدّق تعاليم موسى وسائر أنبياء بني إسرائيل، وقال: «اسمع ياإسرائيل! إنَّ الربَّ إلٰهنا ربٌ واحدٌ»[٢] وقال أيضًا: «إلهكَ تسجد وإيَّاه وحده تعبد»[٣] وقد صدق القرآن الكريم تعليم الإنجيل الأصلي هذا قائلاً: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[٤] وقال أيضًا: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[٥].

فأحدثت العقائد المسيحية الأساسية الثلاثة المتداولة (راجع الباب الأول) تغييرًا جذريًا في تعاليم التوحيد الخالص، وحوّلته إلى نظرية التثليث التي لم يكن لها وجود في أيام عيسىٰ ولا عند تلاميذه وأنصاره، والتي ظهرت في عصر متأخرٍ جدًّا. وفي ذلك تقول دائرة المعارف الجديدة الكاثوليكية:

"The formulation "one God in three persons" was not solidly established, certainly not fully assimilated, into Christian life and its profession of faith, prior to the end of the 4th century".

«إن القاعدة التي تقول: إن الإله واحد في ثلاثة أقانيم لم تكن مستقرة في الحياة المسيحية وفي اعتقاداتها حتى نهاية القرن الرابع»[٦].

وقد دعا عيسىٰ إلى الإيمان بالآخرة إلى جانب عقيدة التوحيد، وقد أشرنا في بداية هذا الباب إلى أن اليهود كانوا ينتظرون، قبل ظهور عيسى عليه السلام، زعيمًا يخلّصهم من الظلمة الجبابرة ويكون ملكًا لهم. ولكن عيسى عليه السلام حين جاء، ألحّ على ملكوت الله[٧] وملكوت السماوات[٨] بدلاً من ملكوت الأرض، ووضّح هذه الفكرة بأمثلة عديدة، فالحصاد الجيد في الآخرة بحاجة إلى زرع جيد، وإبعاد الزُّؤان

---

(١) القرآن الكريم: ٢١: ٢٥.
(٢) مرقس ١٢: ٢٨، ٢٩.
(٣) متى ٤: ١٠.
(٤) القرآن الكريم: ٥: ٧٢.
(٥) القرآن الكريم: ٥: ٧٣.
(٦) The New Catholic Encyclopaedia (1967), vol.14, p.299.
(٧) مرقس ١: ١٥، لوقا ١٣: ١٥.
(٨) متى ٥: ٣، ٢٥: ١، وفي أماكن أخرى.

http://kotob.has.it/

منه[١]، ويُشبه ملكوت السموات كنزًا يجب أن يشتريه الإنسان حتى لو اضطر إلى بيع كل ما كان عنده في سبيل ذلك[٢]؛ فلذلك ينبغي أن نحرص على الآخرة ونطمع فيها، ونجمع كنز السماوات الذي ليست له نهاية[٣].

وعندما يأتي ملكوت السماوات تُميَّز الأسماك الجيدة من الرديئة، أي سيخرج الملائكة ويميزون الأشرار من بين الأبرار ويطرحونهم في أتُون النّار؛ هناك يكون البكاءُ وصرير الأسنان[٤].

وللفوز في الآخرة والحصول على ملكوت السماوات، أكد عيسى على ضرورة التوبة وفضلها[٥]، وحذّر من التظاهر وحبّه، وعلّم الفضائل الأخلاقية الحقيقية مثل نقاء القلب وصفائه، والصدق والخير والتراحم والتسامح والإصلاح الروحي[٦] والعدل وحبّ الله[٧]، كما أنه منع من الرياء[٨].

ليس الهدف في هذا الباب أن نبيّن الفرق الشاسع بين تعاليم عيسى الأصلية، وبين الأفكار والعقائد المسيحية المتداولة ـ فسوف نفرد لكل منها مبحثاً مستقلاً في الأبواب الآتية ـ ولكننا نرى من اللازم هنا أن نقول: إن ما أصاب عقيدة التوحيد من تحريف وتبديل أصاب كذلك عقيدة الآخرة والتعاليم الأخلاقية، فتحوّلت إلى الخطيئة الأولى والكفارة[٩]. وشتان ما بين هذه العقائد الموضوعة وتعليم عيسى الحقيقي، وحتى ما بينها وبين النظريات المسيحية التي وجدت في زمن مبكّر بعد المسيح، فلم يكن لها أي أثر في القرون الأولى للميلاد. تقول دائرة المعارف البريطانية موضحةً ذلك:

---

(١) متى ١٣ : ٢٤ ومابعدها .
(٢) متى ١٣ : ٤٥ـ٤٦ .
(٣) لوقا ١٢ : ٢٢ـ٣٤، متى ٦ : ١٩ـ٢١ .
(٤) متى ١٣ : ٤٧ـ٥٠ . وراجع الإصحاح الرابع والعشرين والخامس والعشرين من إنجيل متى لمزيد من التفاصيل لعقيدة الآخرة .
(٥) يوجد ثلاثة أمثال بارعة في أهمية التوبة وفضلها عند الله في لوقا ١٥ :٣-٣٢.
(٦) راجع في ذلك «موعظة الجبل» للمسيح في إنجيل متى، الإصحاحين: الخامس والسابع، وإنجيل لوقا ٦ : ٢٠ـ٤٢ ومتى ١٨ .
(٧) لوقا ١١ : ٤٢ .
(٨) متى : ٢٣ .
(٩) انظر الباب الأول: العقيدتين الرسولية والأثناسية .

http://kotob.has.it/

"It is remarkable that in the earliest centuries of Christian thought, there is only the most slender support for theories of the atonement which became widely current at a later time. The early fathers did not regard the sufferings of Christ as a vicarious satisfaction of God's wrath, where he underwent punishment done to us and his obedience is imputed to us".

«الجدير بالذكر أن الأفكار التي تدور حول عقيدة الكفارة والتي عمّت في العصور المتأخرة تكاد لا توجد في القرون الأولى للفكر المسيحي؛ فلم يكن يعتقد آباء الكنيسة الأوائل أن الآلام التي تحمّلها عيسى (صلبه) كانت سببًا لإرضاء الله وإزالة غيظه، (ولم يعتقدوا كذلك) أن المسيح عوقب نيابةً عنّا، وأن طاعته يمكن أن تنسب إلينا»(١).

الحقيقة أن هدف تعليم المسيح الوحيد ودعوته كان إصلاح بني إسرائيل(٢)؛ ولذلك لم يدّع بأنه جاء بدين جديد أو شريعة جديدة(٣)، ولم يؤسّس هيكلاً مستقلاً وكنيسة مستقلة، بل ظَل في حياته يصلّي ويدعو في المعابد اليهودية(٤). وقد ثبت أن الحواريين أيضًا ـ بعد صعود المسيح إلى السماء ـ كانوا يذهبون إلى معابد اليهود، مثل ذهاب بطرس ويوحنا إلى الهيكل للدعاء(٥)، ولم يخطر ببالهم أن يؤسسوا ديانة جديدة مختلفة عن اليهودية(٦). تقول دائرة المعارف البريطانية في ذلك:

"The life of the early Jewish disciples, so far as can be judged from our very meagre resources, was very much the same as their fellows. They continued faithful to the established synagogue and temple worship, and did not think of founding a new sect or seperating from the household of Israel".

---

(١) Encyclo. Brit. (1962), 5:634.

(٢) متى ١٠ : ٦ .

(٣) متى ٥ : ١٧ـ١٩ .

(٤) مرقس ١١ : ١٥ـ١٧، لوقا ٦ : ١٢ .

(٥) أعمال الرسل ٣ : ١، ١٥ـ١٧ . وانظر أيضًا:
Will Durant: The Story of Civilization, New York, 1972, vol. 3 p.575.

(٦) أعمال الرسل ١٥ : ٥، ٢١ : ١٧ـ ٢٦ .

http://kotob.has.it/

«كانت حياة أتباع عيسى عليه السلام من اليهود (بعده) - كما تلقي معلوماتنا القليلة عنهم ضوءًا على ذلك - تشبه إلى حدّ كبير حياة اليهود الآخرين، فظلوا متمسكين بالهيكل والمعابد اليهودية، ولم يخطر ببالهم تأسيس فرقة جديدة أو الاعتزال عن بيت بني إسرائيل»(١).

ومما يستحق النظر والملاحظة ما جاء في دائرة المعارف البريطانية بصدد أحوال المسيحيين بعد ذهاب المسيح من الدنيا، وقبل التحريفات البولسية، حيث يقول أحد كتّاب مقالاتها:

"Within Judaism a new sect appeared, followers of Jesus of Nazareth, whom they affirmed to be Messiah and themselves to be the new and true Israel of God".

«كانت قد ظهرت فرقة جديدة في داخل اليهودية نفسها، وأصحاب هذه الفرقة كانوا يتبعون يسوع الناصري ويعتبرونه مسيحًا (مخلِّصًا)، ويعدون أنفسهم من المقرّبين إلى الله، والصادقين الجدد من بني إسرائيل»(٢).

وكذلك يقول رينان (Renan): - وهو أحد كتّاب سيرة عيسى البارزين -.

"The faithful of Jesus observed all the Jewish customs, praying at the appointed hours, and observing all the precepts of the law. They were Jews, only differing from others in their belief that the Messiah had already come".

«كان المخلصون من أتباع يسوع يلتزمون بجميع العادات والتقاليد اليهودية، حيث كانوا يؤدّون صلواتهم في المواعيد المحددة (لدى اليهود)، ويتبعون القوانين والأحكام (اليهودية)؛ فكانوا يهودًا تمامًا إلا أنهم اعتقدوا أن المسيح (أي المنتظر الموعود) قد جاء»(٣).

وقد تبنى العالم الألماني هارنيك (Harnack) هذا الرأي في كتابه المطوّل «تاريخ العقيدة»(٤).

وكم ابتعد المسيحيون المتأخرون والمعاصرون عن الدين الذي جاء به عيسى والذي

---

(١) Encyclo. Brit. (1962), 5:676.

(٢) Encyclo. Brit. (1973), 17:470.

(٣) Ernest Renan: Life of Jesus (English Translation), London, 1875.

(٤) Adolf Harnack: History of Dogma, vol. 1. p.78.

http://kotob.has.it/

اتبعه الحواريون؟ يظهر ذلك من الرأيين التاليين للعالمين المسيحيين:

"All Christians claim that their beliefs stem from something that Jesus said or did, even though Christians of all sects believe many things of which Jesus himself never heard or spoke".

«يدّعي جميع المسيحيين أن عقائدهم كلها مستمدة من أقوال المسيح أو أعماله، ورغم ذلك يؤمن أتباع جميع الفرق المسيحية بأشياء لم يقل فيها المسيح كلمة ولم يسمع منها شيء»(١).

ويقول العالم الثاني:

"There is great difference .... between the Christian religion and Christ's religion, between the structure of dogma erected by Greek philosophy on a Jewish soil, and the faith held by Christ himself".

«هناك فرق شاسع بين الديانة المسيحية، ودين المسيح؛ فالديانة المسيحية مجموعة من العقائد التي نسجت بالفلسفة الإغريقية على الأسس اليهودية، وأما دين المسيح فهو العقيدة (السمحة السهلة) التي تمسَّك بها هو نفسه»(٢).

وما أنسب ما قاله أحد علماء الكتاب المقدس وهو الدكتور هيوشون فيلد (Dr. Hugh Schonfield):

"Christianity today is about as far from the teachings of Jesus as from those of Hinduism".

«المسيحية المتداولة بعيدة عن تعاليم المسيح بُعدها عن الديانة الهندوسية»(٣).

وما قاله ول ديورانت (Will Durant) ـ عالم التاريخ والفلسفة المشهور ـ يعبر عن الحقيقة الواقعة:

"Christianity did not destroy paganism, it adopted it".

«المسيحية المتداولة لم تقض على الديانات الوثنية القديمة، بل امتصَّتها بداخلها»(٤).

---

(١) Floyd H. Ross and Tynette Hills: Great Religions By Which Men Live, New York, 1966, p.139.

(٢) Adolf Harnack: Christianity And History, Introductory Note to the English Translation by Bally Saunders (London, 1912), p.15.

(٣) The Daily "Today" London, March28, 1986, p.14.

(٤) Will Durant: op. cit., vol.3, p.595.

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

البـــاب الثـالـــث

المؤسس الحقيقي للمسيحية الحالية

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب الثالث

المؤسس الحقيقي للمسيحية الحالية

قد أشرنا في الباب السابق إلى بُعد المسيحية الحالية عن تعاليم عيسى الحقيقية. ولم يظهر هذا الفرق فجأة بل كان نتيجة تدريجية لعبت فيها عوامل كثيرة دورها، الأمر الذي سنتناوله بالدراسة والمناقشة في الباب الآتي. ولكن بداية هذه العملية، أي عملية التغيير والتبديل في العقائد والأفكار المسيحية، تمت على يد شخصية عرفت في تاريخ النصرانية باسم بولس (St.Paul). يقول فلايدروس (Floyd Ross) ومسزهلز (Mrs. Tynette Hills) ـ وهما من علماء مقارنة الأديان المتمكنين ـ:

"Of all the people associated with the beginnings of Christianity, Paul was the most responsible for the turn its beliefs took. He added a new note that determined its future course".

«كان بولس من أهم أتباع الديانة المسيحية الأوائل وأكثرهم مسئولية عن التغيير الذي أصابها في عقائدها، فقد أضاف إليها أشياء جذرية رسمت مستقبل طريق المسيحية»[(١)].

والطريق الذي ابتكره بولس لم يكن مستمدًا من أصول تعليم عيسى ولا من نظريات الحواريين وأفكارهم. يقول البروفيسور آرنولدميير (Arnold Meyer) ـ وهو من علماء المسيحية الأفاضل في جامعة زيورخ:

"As one asks: Whence did St. Paul derive his teaching? The simplest answer would seem to be: By tradition from Jesus through the instrumentality of original apostles. But the answer given by St. Paul himself is quite different: I received my Gospel not from men, but by revelation of Jesus Christ. This means that all dependence upon any human tradition, even that of the primitive apostles, is denied".

«إذا طرح سؤال وقيل: من أين أخذ بولس نظرياته وتعليمه؟ الجواب الأسهل لهذا

---

(١) Floyd. H. Ross. and Tynette Hills: op. cit., p.137.

http://kotob.has.it/

السؤال يجب أن يكون: من الروايات التي وصلت إليه من الرسل والحواريين الأصليين؛ ولكن جواب بولس نفسه مختلف عن ذلك تمامًا (فهو يجيب قائلاً): لم آخذ إنجيلي من الناس بل أخذته عن طريق الإلهام من يسوع المسيح، معنى هذا القول أنه أنكر جميع الروايات التي رواها الناس مطلقًا، ومنها ما رواه الحواريون»[١].

هذا القول لبولس، الذي أشار إليه «آرنولد» يَرد بألفاظه هو كما يلي: «وأعرِّفكم أيها الإخوة بأن الإنجيل الذي بُشِّرت به ليس عن طريق إنسان ما؛ لأني لم آخذه من إنسان ولا عُلِّمته من إنسان، بل بإلهام من يسوع المسيح»[٢].

وهكذا تحت شعار «الإلهام» (والذي سنناقشه) أدخل بولس الفلسفة الإغريقية ودقائقها، والديانة الوثنية وأوهامها في الدين المسيحي. وقد أقرّ العلماء المتخصصون في دراسة المسيحية بذلك قائلين: «إن بولس مدين بالفلسفة الإغريقية وأفكارها»[٣]. و

"There are traces of this (Greek philosophy and Platonism) in the epistles of St. Paul".

«هناك آثار واضحة لها (للفلسفة اليونانية الأفلاطونية) في رسائل بولس»[٤].

سيرة بولس وأحواله :

من هو بولس الذي أنشأ ديانة مختلفة عن دين عيسى باسم المسيحية؟ التفاصيل التي تتوافر عن حياته وعمله معظمها غير موثوق بها[٥]. ورغم ذلك يمكننا أن نرسم صورة لحياته من خلال المعلومات الموجودة لدينا.

كان اسمه الأصلي بالعبرانية شَاوُل أو ساؤل (Saul) ومعناه اللغوي «المطلوب من الله»[٦]، أمّا (بولس) فكان اسمَه الرومي ومعناه قصير القامة[٧]. وبما أنه كان إسرائيليًا[٨] فقد كان ينتمي إلى الطبقة الرومية التي عاش أفرادها كرقيق في سلطة الرومان، ولكنه كان

---

(١) Arnold Meyer: "Jesus or Paul?", English Translation by J.Wilkinton (London & New York, 1909), p.40.

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١ : ١١-١٢ .

(٣) Hastings: Dictionary of the Bible (5 vols.), Clark, London, 5:150.

(٤) Hammerton: Universal History of the World, vol. 4, p. 2330.

(٥) W.M.Ramsay: Saint Paul The Traveller, London, 1907, p.30

(٦) دائرة المعارف البريطانية، (١٩٧٣م)، ١٧ : ٤٦٩ - قاموس الكتاب ص: ٢٠٠ .

(٧) Hastings' Dictionary of the Bible, 1903, p.687.

(٨) رسالة بولس إلى أهل رومة ١١ : ١، ورسالته إلى فليبي ٣ : ٥ .

http://kotob.has.it/

يتمتع بجميع الحقوق المدنية للرومان، فاستغل هذه المكانة أثناء دعوته وتبشيره مستعملاً اسمه الرومي[١]؛ ولذلك ذكر اسمه الرومي أي بولس في «أعمال الرسل» بعد الإصحاح الثالث عشر الآية رقم ٩ . وفي البداية كان يعتبر ـ لكونه يهوديًا ـ أتباع عيسى من الضالين عن الصراط المستقيم، والمعروف أن اليهود كانوا يضطهدون المسيحيين اضطهادًا كبيرًا، فكان بولس يشاركهم في ذلك، بل إنه كان يدخل البيوت ويجرُّ رجالاً ونساءً ويسلمهم لمن يودعهم السجن[٢]. وهنا نرى من اللازم، أن نوضّح مرة أخرى سبب عداوته للمسيحيين في هذه الأيام، لم يكن لأنهم يتبنّون ديانة جديدة، فكان يعلم ـ كما يقول أحد كتاب سيرته الألمان : أن

"Jesus himself established no new cult".

«يسوع نفسه لم يؤسس ديانة جديدة»[٣] .

بل كان سبب ذلك إيمان المسيحيين بأن عيسى هو المسيح المنتظر .

"He attacked Christians not so much for being Christinans, as for being bad Jews".

«ولم يهاجم بولس المسيحيين لأنهم مسيحيون، بل فعل ذلك لأنهم كانوا اليهود السوء»[٤] .

وفي سبيل ذلك تقدّم إلى رئيس الكهنة في أورشليم، وطلب منه السماح له بإلقاء القبض على الأصفياء الكبار من المسيحيين بدمشق والإتيان بهم إلى أورشليم[٥]. وأثناء سفره إلى دمشق حدث أن أبرق حوله نورٌ من السماء بغتةً ـ كما يدّعي ـ فسقط على الأرض، وسمع صوتًا يقول له: ياشَاوُل ياشاوُل لماذا تضطهدني؟ . . . ثم قيل له: «أنا يسوع الذي تضطهده. واختير «شاهدًا»[٦]. والجدير بالتنويه أن الذين كانوا معه لم يسمعوا هذا الصوت، وإن كان بولس يدّعي أنهم رأوا النور[٧] (ولنا تعليق في الباب الثامن على

---

(١) قاموس الكتاب ص : ٢٠٠ .

(٢) أعمال الرسل ٧:٥٨، ٨:١، ٢٦:٩ـ١٢، ٨:٣ .

(٣) Adolf Deisman: Paul- A Study in Social And Religious History, English Translation by W.E. Wilson (London, 1926), p.123.

(٤) J.A.Ziesler: Pauline Christianity, New York, 1983, p.24.
وانظر أيضًا: Encyclo. Brit. (1973), 17:470

(٥) أعمال الرسل ٩:٢، ٢٢:٥، ٢٦:١٢ .

(٦) أعمال الرسل ٩:٣ـ٩، ٢٢:٦ـ١٠، ٢٦:١٣ـ١٩ .

(٧) أعمال الرسل ٩:٧، ٢٢:٩ .

http://kotob.has.it/

التناقضات الكامنة في هذه الادّعاءات).

لُقّب بولس في الأدب المسيحي الديني «بالرسول» وكذلك الحواريين[١]، وإن كان اللفظ المترجم عنه هذا اللقب يعني مندوبًا أي (Delegate) ولا يعني رسولاً أي (Messenger) [٢].

ومهما يكن من أمر فإن بولس لم يكن من الرسل أو الحواريين الذين اختارهم عيسى في حياته[٣]، وبالإضافة إلى ذلك فإنه لم يكن يستوفي الشروط التي وضعها الحواريون لكون الشخص رسولاً بعد خيانة يهوذا الإسخريوطي وخداعه، وهو أن يكون الرجل قد صحب المسيح طول حياته[٤].

ولكن بولس اختار هذا اللقب لنفسه بعد الإلهام المذكور آنفًا[٥]؛ ليس هذا فقط بل إنه لم يبال بمن سبقه من الرسل مطلقًا، فلم يذهب إليهم للتعلّم والفهم، بل اتجه بعد هذا الحادث إلى العربية[٦]. ومما يدل على عدم اهتمامه بالرسل أيضًا أن اللقاء الأول بينه وبين بعض الرسل تم بعد مضي ثلاث سنوات من هذا التحول[٧]، وهو يصرّح بذلك قائلاً: «لم أحصِّل من هؤلاء المعتبرين شيئًا ولم أشاور اللّحم والدّم، ولم ألجأ إلى الذين كانوا رسلاً قبلي في أورشليم»[٨] ولذلك أنكر الناس رسالته في البداية، تقول دائرة المعارف الدينية والأخلاقية:

> "They denied his apostleship, which it is true, rested on no formal nomination by other apostles".

> «أعرض عنه الناس وأنكروا رسالته في البداية، والحق أنه لم يكن مؤيدًا (حسب المعتاد) من قبل الرسل السابقين»[٩].

يقول هاستنجز (Hastings):

---

(١) Hastings' Dictionary of the Bible (1909), p.44.

(٢) نفس المرجع.

(٣) متى ١٠: ٢-٤، مرقس ٣: ١٦-١٩، لوقا ٦: ١٣-١٦.

(٤) أعمال الرسل ١: ٢١، ٢٢.

(٥) رسائل بولس إلى أهل رومة ١: ١، كورنثوس ١: ١، غلاطية ١: ١ وغيرها.

(٦) غلاطية ١: ١٧. والمراد بالعربية في أغلب الظن، شبه جزيرة سيناء (Sinaitic Peninsula). انظر: قاموس الكتاب المقدس لهاستنجز (ط ١٩٠٩م)، ص: ٦٨٧.

(٧) غلاطية ١: ١٨-١٩.

(٨) غلاطية ٢: ٦، ١: ١٦-١٧.

(٩) Encyclopaedia of Religion And Ethics, Edinburgh (1917), vol. 9, p.690.

http://kotob.has.it/

"His Apostolic title was bitterly contested".

«خالفه الناس مخالفة شديدة وطعنوا في رسالته»[١].

وحين حاول بولس أن يختلط بالرسل امتنعوا عن ذلك، لأنهم كانوا يخافونه غير مصدقين أفكاره. ولكن برنابا، والذي كان يُعَّد مخلصًا لديهم[٢]، أخذه معه وأحضره إليهم، فسمحوا له أن يدخل ويخرج معهم في أورشليم ويجاهر باسم يسوع[٣].

وعلى أية حال فإنه لم يستمد إنجيله أو «بشارته» من تعاليم التلاميذ بل استمده من إلهاماته[٤]، علمًا بأنه بعد «إلهامه» الأوّل جعل كل قوله أساسًا للدين المسيحي وحجة وبرهانًا بدعوى إن المسيح سيظهر عليه بعد ذلك أيضًا[٥].

إلهامات بولس :

يظن عامة المسيحيين أن ما حدث له من «إلهامه الأول» ثم ما ترتب عليه من تحوّل في عقائده وأفكاره كان فجأة حقيقة واقعة، ولكن العلماء المحققين منهم أثبتوا أن هذا التحول لم يكن مفاجأة. تقول دائرة المعارف البريطانية :

"What appears to be sudden conversion had no doubt been the last stage of a long preparatory process".

«الشيء الذي يبدو تحوّلاً مفاجئًا كان في الحقيقة المرحلة الأخيرة لعملية تم التمهيد لها طويلاً»[٦].

وقد أوردت دائرة المعارف المذكورة وكاتب سيرة بولس ـ وهو ديويدسمت (David Smith) ـ أسبابًا لعبت دورًا كبيرًا في هذا التحوّل؛ ومن ذلك مثلاً أنه تأثر تأثرًا عميقًا بصبر المسيحيين المظلومين وتمسكهم بالدين، (لا سيما صبر ستيفان الذي يعتبر أوّل شهيد في المسيحية). وبالإضافة إلى ذلك، كان يفكر في طرق التخلص من شدة الشريعة اليهودية

---

(١) J.Hastings' Dictionary of the Bible (1909), p.44.

(٢) أعمال الرسل ٤ : ٣٦، ٣٧. وانظر أيضًا: ٩ : ٢٦، ٢٧ .

(٣) A.C.Macgiffert: A History of Christianity in the Apostolic Age, London, 1897, p.425.

(٤) غلاطية ١ : ١٢، ٢- تيموثاوس ٢ : ٨ـ ٩ .

(٥) أعمال الرسل ٢٦ : ١٦ .

(٦) Encyclo. Brit. (1973), 17:470.

http://kotob.has.it/

وقسوتها[١].

يقول كاتب آخر من كُتَّاب سيرته:

"His passionate desire was to keep the law, but his desire outran his capacity. Paul found himself torn between the ideal and the actual".

«كان يتمنى أن يعمل بالشريعة كما ينبغي، ولكنّه وجد ذلك فوق طاقته وهكذا كان يحسّ بالضيق لأنه لم يقدر على التوفيق بين الخيال والحقيقة»[٢].

فما حقيقة المكاشفات والإلهامات التي أسس عليها ديانته، والتي تخلّص بها من قسوة الديانة اليهودية، وبشّر الناس بها أيضًا؟

يقول بولس عن إلهاماته: «وَلئلاَّ أغتر بفرط الإلهامات أعطيتُ شَوْكةً في الجسد وكانت لطمة من الشيطان لِئلاَّ أرتفعَ»[٣] أي أرسل عليه الشيطان ليلطمه ويصيبه بالشوكة حتى لا يغترّ بفرط الإلهامات.

أليس يكون من الحق أن الشيطان هو الذي كان يمدّه بالإلهامات؟ يقول القرآن الكريم ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾[٤]، تقول دائرة المعارف البريطانية عن شوكة الجسد التي ذكرها بولس:

"Variously interpreted to mean epilepsy, malarial fever, erysipelas or ophthalmia, was certainly a recurring illness".

«فُسِّر هذا بطرق عديدة، من ذلك مثلاً: الصَّرْع، الملاريا، التهاب الجلد أو التهاب العين، وكان المرض الأخير يتردّد عليه كثيرًا»[٥].

يقول مؤلف قاموس الكتاب تحت عنوان «أمراض الكتاب المقدس»: «يقول الأطباء الإخصائيون في أمراض العين: إن شوكة جسد بولس الرسول كان مرض التراخوما (Trachoma ـ التهاب العين)... ففي مرض التراخوما يتورّم غشاء المقلة، وتشعر العين

---

(١) Encyclo. Brit. (1973), 17:470; Encyclo. Brit. (1962), 5:670; David Smith: Life and Letters of Saint Paul (London, 1919), pp. 47,49.

(٢) Encyclo. Brit. (1973), 17:472.

(٣) كورنثوس ١٢ : ٧ .

(٤) القرآن الكريم ٦ : ١٢١ .

(٥) Encyclo. Brit. (1973), 17:472.

http://kotob.has.it/

بألم شديد وبالحِكَّة، وتخرج منها الرطوبة الغليظة وتتجمع حول جفونها، وعندما تجفّ الرطوبة تلتصق الجفون بعضها مع بعض. ونحن نقرأ في ترجمة بولس الرسول أنه فقد بصره أثناء سفره إلى دمشق، وعاد البصر إليه بعد أن وضع حنانيًا على يديه ووقع من عينيه شيء مثل القشور (أعمال الرسل ٩ : ١٨). وكان بولس يُملي رسائله على شخص آخر، وكان تريتس كاتبه للرومان (١٦ : ٤٢)، وأمَّا الآداب فكان يسطرها بولس بنفسه ولكن بحروف كبيرة، وذلك لمرض في العين (غلاطية ٦ : ١٢). وذات مرة لم يعرف بولس رئيس الكهنة فاعتذر إليه لذلك (أعمال ٢٣ : ٤ـ٥)، وربما كان على صلة به ولكن لم يعرفه بسبب التهاب العين[١] الذي سُمي في الكتاب السابق بالتراخوما: «مرض التهاب العين»، مع أن المراد في الحقيقة بالتراخوما الصرع[٢]. وعلى أية حال فإن بولس كان مصابًا بالتهاب العين أيضًا. وقد ذكرت دائرة المعارف البريطانية ذلك قائلة: امتزج هذا المرض بالتهاب العين. . . فكان بولس يعاني من صعوبات في البصر كما يدل على ذلك عدم قدرته على كتابة الرسائل بنفسه وعدم معرفته للأفراد المشهورين، بالإضافة إلى الصَّرْع الذي يسلب وعي المريض[٣]؛ وفي أحيانٍ كثيرة تصبح حالة المصاب العقلية غير مستقرة حيث يشعر بأنه غير مصاب في السمع والبصر والشمِّ أو التذوق، تلك الحالة التي تسمى بالهَلْوَسَة[٤] (Hallucination).

هذا، وإن اعتبار أتباع بولس وتلاميذه الإلهامات المزعومة للشخص المصاب بضعف البصر والصَّرع والهَلوَسة أساسًا لدينهم، يدل على سذاجتهم واعتقادهم الأعمى، فإنهم آمنوا بأنه عرف حياة المسيح ورسالته الحقيقية بإلهام سري منه، فكلامه «كلام الله»[٥]. وبهذا يمكن أن تعتبر «إلهامات» بولس انتصارًا عظيمًا للشيطان على الدين الخالص والعقيدة الصحيحة في تاريخ الأديان.

تعاليم بولس :

سنعرض فيما يلي مدى ابتعاد عقائد المسيحية الحاضرة ونظرياتها عن تعاليم عيسى

---

(١) قاموس الكتاب، ط ـ لاهور، ص: ٨٧، ٨٨ .

(٢) New Medical Dictionary by Dr. Masood Hafeez Rifaee, Lahore, p.20.

(٣) Dorland's Medical Dictionary, 24th edition, p. 501.

(٤) Medicine by G.E Beaumont, 8th edition, London, pp. 349-350.

(٥) أفسس ٣ : ٣ـ٤، تسالونيكي ٢ : ١٣ .

http://kotob.has.it/

ومدى اعتمادها على نظريات بولس.

ذكرنا في الباب السابق أن تعاليم عيسى كانت تتضمن عقيدة التوحيد وعقيدة الآخرة، وتدعو إلى الإصلاح الأخلاقي العملي والتسامح والتراحم. ولكن بولس عكس ذلك، فقد أقحم في المسيحية عقيدة ألوهية المسيح وبنوته، وعقيدة الكفارة، كما أنه غرس فيها البذور التي أبعدت الناس عن العمل بالشريعة اليهودية. ولم يعتمد في ذلك على دعوته الشفهية فحسب، بل كتب رسائل تبشيرية إلى الكنائس وزعماء المسيحيين في المدن المختلفة، وضُمت هذه الرسائل ـ فيما بعد ـ إلى الكتاب المقدس، واتخذتها الكنيسة أساسًا لعقائدها وأفكارها، وسميت بـ «روح العلم الإلهي»(١).

فتح بولس باب ألوهية المسيح متسترًا وراء أقواله المتصوفة الباطنية، وفيما يلي نماذج من أقواله:

«هو صورة الله غير المنظور خليقة، لأن فيه خُلِق كلّ ما في السموات وما على الأرض» وهو قبل كل شيء وفيه يقوم كلّ شيء»، و «فإنه فيه يحلّ كلّ مِلْءِ اللاَّهوتِ جَسَديًا»(٢). «ومن كان على صورة الله، فهو مكافىء لله، ولكنه ظهر بشكل إنسان»(٣). «المسيح ـ الذي هو صورة الله»، و «فإننا لسنا ندعو إلى أنفسنا بل إلى المسيح يسوع ربًّا»(٤). وذات مرة ذكر بولس المسيح بألفاظ صريحة قائلاً: الله العظيم (Great God)، وسمَّاه «ابن الله»(٥). وهكذا أشرك بولس المسيح في ألوهية الله الذي لا شريك له، بقوله «نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربِّنا»(٦). وهو الذي يمنح «الرسالة» والقوة ويُنعم ويتفضل على الروح.

وأعلن بولس عن نفسه أنه «عبدالمسيح»(٧)، ثم مهد الطريق للأقنوم الثالث من أقانيم

---

(١) قاموس الكتاب ص: ٢٠٨.
(٢) كولوسي ١: ١٦ـ١٧، ٢: ٩.
(٣) فليبي ٢: ٦ـ٨.
(٤) كورنثوس (٢) ٤: ٤-٥، تسالونيكي ٢: ١٥، ٣: ٦.
(٥) كورنثوس (١) ١: ١٩ رومة ١: ٤ أفسس ٤: ١٣. وفي تسالونيكي (١) ١: ١٠ سمي المسيح «ابن الله»، وفي تيطس ٢: ١٣ سمي «الله العظيم».
(٦) تيموثاوس (١) ١: ٢ والثانية ١: ٢ وكورنثوس (١) ١: ٣ وغيرها.
(٧) تيموثاوس (١) ١: ١٢ وفليمون ١: ٢٥ ورومة ١: ١.

http://kotob.has.it/

التثليث وهو الروح ليدخله في الألوهية ويصيّره شريكًا لها، وفعل ذلك بإعطائه شخصية مستقلة[١]، وجعل الربّ والرّوح متحدين في المعنى[٢]. وبالإضافة إلى هذا التحريف في عقيدة التوحيد الخالصة، والتي دعا إليها جميع أنبياء بني إسرائيل (وعيسى عليه السلام منهم) زيّف بولس عقيدة الآخرة والإصلاح العملي بإضافة نظرية الكفارة إليها ـ وسوف نناقش بالتفصيل هذه النظرية مع النظريات المسيحية الأخرى ـ ولكن الشيء الذي نود أن نقرره هنا هو أن بولس هو الذي غرس بذور هذه العقيدة (عقيدة الكفارة) في العقائد المسيحية، فهو في الإصحاح الخامس من رسالته إلى الرومية يقول: إن موت المسيح (المزعوم) كان كفارة لخطيئة آدم، ثم يعلّل ذلك تعليلاً عجيبًا حيث يقول: «فكما أنه بمعصية الإنسان الواحد يُجْعَلُ الكثيرون مخطئين هكذا أيضًا بطاعة الإنسان الواحد سيُجعَلُ الكثيرون أبرارًا»[٣]. ويضيف إلى ذلك في هذه الرسالة نفسها: «جعل الله تضحية المسيح كفارة لمن آمن بها»[٤]. ويقول أيضًا: قد كنا عصاة فصرنا أبرارًا بصلب المسيح ونحن الآن أبرارًا، فأجدر بنا أن ننجوا من غضب الرب[٥].

ونكتفي بهذه النماذج من أقواله وأفكاره ـ خوفًا من الإطالة ـ ورغم أنه يدعو إلى عقيدة الكفارة بأشد من هذا، وفي أماكن متعددة، وأساليب متنوعة[٦].

ومن التغيرات الجذرية التي أحدثها بولس في تعاليم النصرانية الأصلية، أنه ألغى أهمية العمل بالشريعة وألحّ على الإيمان فقط بالعقائد التي اصطنعها هو، وجعلها محورًا للديانة المسيحية. يقول على سبيل المثال: «إن الشريعة لا تبرِّرُ أحدًا عند الله . . . إن الشريعة ليست من الإيمان»[٧]، و «أن الإنسان لا ينجو بأعمال الناموس بل بإيمانه بيسوع المسيح»[٨]. و «قد ابتعدتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس، وحرمتم من

---

(١) تيموثاوس (١) ٤ : ١ .
(٢) كورنثوس (٢) ٣ : ١٧ .
(٣) رومة ٥ : ١٩ .
(٤) رومة ٣ : ٢٥ .
(٥) رومة ٥ : ٨ـ ٩ .
(٦) انظر مثلاً: غلاطية ١ : ٤، كولوسي ١ : ٢٠، أفسس ١ : ٧، ٢ : ١٣، العبرانيين ١ : ٣، كورنثوس (٢) ٥ : ١٤، ١٥، كورنثوس (١) ١٥ : ٣، أعمال الرسل ١٣ : ٣٨ .
(٧) غلاطية ٣ : ١١ـ١٢ .
(٨) غلاطية ٢ : ١٦ .

http://kotob.has.it/

فضله»[١]، و«ونَقضَ حائطَ . . . أي العداوة مبطلاً بجسده (المسيح) ناموسَ الوصَايا»[٢]. واعتبر بولس الشريعة «عداوة»[٣] «ولعنةً» وشيئًا يجلب «الغضب والتعدي»[٤]، كما أنه عدَّها شيئًا ناقصًا[٥] مُبطلاً العمل بها؛ «وأما ما عتق وشاخ فهو قريبٌ من الاضمحلال»[٦]. وعيسى يقول رغم هذه الأفكار كما في الإنجيل: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض، بل لأكمل، فإني أقول لكم الحق إلى أن تزول السماء والأرض: لا يزول حرفٌ واحدٌ أو نقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلّم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات. وأما من عمل وعلَّم فهذا يدعى عظيمًا في ملكوت السموات»[٧].

مخالفة بولس :

رأينا فيما مضى كيف زيف بولس تعاليم المسيحية الحقيقية وغير هويتها الأصلية، وهنا سؤال يطرح نفسه وهو: هل سكت الحواريون والمسيحيون المخلصون أمام ذلك، ولم يحاول أحدهم مقاومته؟ الجواب كما في الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة بالنفي فهناك معارضات ضد أفكاره. وقد اعتمد بولس في نشر معتقداته عن شخصية المسيح على حبّه البالغ له، وولعه به، وعلى أسلوبه الصوفي الرمزي الذي تحتمل فيه كل كلمة أكثر من دلالة[٨]. ولذلك لم يدرك عامة الناس الفروق الجذرية الدقيقة بين تعاليم عيسى وتحريفات بولس وأهدافها، وأما الحواريون فقد ظل بولس بعيدًا عنهم، قليل الاتصال بهم[٩]. رغم كل ذلك واجهته معارضة شديدة في هذه المسائل التي انفرد بها؛ لدرجة أنه اضطر إلى أن يكتب إلى أصحاب كنيسة غلاطية: «أعود فأقول إن كان أحدٌ يبشركم بغير ما قبلتم فليكن ملعونًا»[١٠]. وَسَمَّى

---

(١) غلاطية ٥ : ٤ .
(٢) أفسس ٢ : ١٥ .
(٣) غلاطية ٣ : ١٣ .
(٤) رومة ٤ : ١٥ .
(٥) العبرانيين ٨ : ٧ .
(٦) المرجع السابق ٨ : ١٣ .
(٧) متى ٥ : ١٧ـ ١٩ .
(٨) انظر: دائرة المعارف البريطانية، ١٩٧٣م، ج ١٧ ص ٤٧٥ .
(٩) غلاطية ١ : ١٦ـ ١٩، ٢ : ١ .
(١٠) غلاطية ١ : ٩ .

http://kotob.has.it/

أفكار مخالفيه وتعاليمهم «كلامًا باطلاً»[١] وقال لتيموثاوس «الابن الصادق الصريح في الإيمان» ناصحًا له: «احفظ[٢] الوديعة مُعرضًا عن الكلام الباطل الدَّنس ومخالفات العلم الكاذب، الذي إذا تظاهر به قومٌ زاغ إيمانهم»[٣].

إن محاولة بولس لتقليل أهمية الشريعة والناموس الموسوي، بل إبطاله من ناحية، وسعيه لنشر عقائده ونظرياته الخاصة في اليهود وغيرهم من ناحية أخرى، تُعبِّران كلتاهما عن عقلية واحدة، وتنبئان عن شيء أساسي واحد. ولكن الناموس الشرعي والعمل يكون شيئًا أكثر حسّيًا لدى الناس من العقائد، فلذلك واجه مقاومة شديدة في قضية تقليل أهمية الشريعة وإبطالها. فلما رآه اليهود في الهيكل بأورشليم «هيجوا كل الجمع»، وصرخوا قائلين: «هذا هو الرجل الذي يعلّم الجميع في كل مكان ما يخالف الشعب والناموس وهذا الموضع، حتى أدخل يونانيين أيضًا إلى الهيكل، ودنّس بهم هذا الموضع المقدس»[٤]. وأُحضِر بولس إلى محكمة لرؤساء الكهنة اليهود، لكنه عندما أدرك أنهم ينتمون إلى مدارس فكرية متباينة (صدُّوقيين وفريسِّيين) أثار فيهم خلافاتهم الداخلية، «فحدثت منازعة بينهم وانشقت جماعتهم»، واستطاع بولس بذلك أن ينجو منهم مؤقّتًا[٥]. ولما جيء به بين يدي الحاكم الرومي فيلكس تظاهر باتباع طريق آبائه وأسلافه قائلاً: إنه يعبد إله آبائه، ويؤمن بكل ماهو مكتوب في التوراة وصحف الأنبياء، ويؤمن بيوم القيامة، وبذلك استطاع أن يتخلّص من العقوبة[٦]. وأمّا الخطبة التي ألقاها أمام الملك أغريباس فتماشى فيها كلامه عن نظرياته المتفردة في المسيح والشريعة، واكتفى بذكر ظهور المسيح له وإلحاحه على ضرورة «التوبة والرجوع إلى الله»[٧].

وهكذا حاول عامة الناس مخالفة بولس وأفكاره التي كانت تهدم الشريعة. وأما الرسل

---

(١) تيموثاوس (١) ١: ٦، ٧ .
(٢) المرجع السابق ١: ٢ .
(٣) المرجع السابق ٦: ٢٠-٢١ وتيموثاوس (٢) ٤: ١٥، وفيها يذكر الذين قاوموا تعاليمه مقاومة شديدة.
(٤) أعمال الرسل ٢١: ٢٧-٢٨ .
(٥) أعمال الرسل ٢٣: ٦-١٠ .
وانظر الهامش رقم ٥ ص ٢٩٧ في الباب التاسع لإيضاح الكلمتين (صدُّوقيين وفريسِّيين).
(٦) المرجع السابق ٢٤: ١٤، ١٥ .
(٧) المرجع السابق ٢٦: ١٣-٢٠ .

http://kotob.has.it/

الأتباع في أورشليم فهم أيضًا دخلوا في مناقشات حادة حول هذه القضية، وخرجوا منها إلى أنه لا يمكن إلغاء الشريعة بأكملها لغير اليهود. وذلك «لأنه وجد في كل بلد منذ زمن قديم، من دعا إلى كتاب موسى «التوراة» يُقرأ في المجامع كل سبت»[١]؛ ولذا قرَّروا أن يلتزم غير اليهود بالواجبات، وهي: «أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام، والزنا، والمخنوق، والدم»[٢]. يقول البروفيسور آرنولد ميئر (Arnold Meyer) مبيِّنًا معارضة الحواريين والنصارى الأوائل للأفكار البولسية:

> "The first Christians, indeed, regarded St. Paul's mission to the gentiles, together with his liberal attitude towards the law, as an innovation; as such they either tolerated or attacked it, and St. Paul himself does not judge of it otherwise; he is, indeed, proud of the fact that here he goes his own way in the power of divine revelation. In Antioch he demonstrates even to St. Peter that he, the "pillar - apostle", did not yet comprehend the liberty of the Gospel and the significance of Christ".

> «كان المسيحيون الأوائل يعتبرون موقف بولس المتحرر من الشريعة، وتبشيره للطبقات غير اليهودية، شيئًا مبتدعًا منه، فكانوا يسامحونه (أحيانًا مضطرين إلى ذلك وبتحفظ شديد)، وأحيانًا كانوا يهاجمونه. وأما بولس القديس نفسه فلم تكن نظرته مختلفة (أي كان أيضًا يراه طريقًا مبتكرًا ومخترعًا)، وكان يفتخر بأنه أوجد طريقه بنفسه بتأييد من الإلهام الإلهي. وفي أنطاكية عبّر لبطرس القديس عن أفكاره قائلاً: إنه رغم كونه أعظم الحواريين لم يستطع أن يدرك كنه التحرر (من الشريعة اليهودية) الوارد في الإنجيل، كما أنه لم يستوعب مهمة المسيح الحقيقية»[٣].

وهكذا هاجم بولس الذين خالفوه وطعن فيهم، وأما المسيحيون المخلصون فقد اعتبروه عدوًّا وخائنًا[٤]. وقد ذكر بولس نفسه ذلك الجدال الذي جرى بينه وبين بُطرس في أنطاكية -

---

(١) أعمال الرسل ١٥: ٢١.

(٢) المرجع السابق ١٥: ١٩، ٢٠ و ٢٨، ٢٩.

(٣) Arnold Meyer: Jesus or Paul? (English Translation), p.98.

(٤) Maurice Bucaille: The Bible, The Qur'an And Science, Paris, p.68 (with reference to old Judeo - Christian documents).

http://kotob.has.it/

كما سبقت الإشارة إليه آنفًا ـ، واتهم فيه بُطرس وبرنابا «بالرياء»، وسمى بطرس «إلومًا»[١]. وفي نهاية الأمر افترق بولس عن بقية الحواريين، كما فارق برنابا بعد أن حصل بينهما خلاف شديد حول اصطحاب يوحنا مرقس معهما في الرحلات التبشيرية[٢].

وأما بطرس فقد أهمل ذكرَه كُتّابُ السّير المسيحيون الذين تأثروا بتعاليم بولس، وألقوه في غياهب النسيان. يقول مؤلف قاموس الكتاب في سيرة بُطرس: عندما توسعت دائرة النجاة للشعوب غير اليهودية وانتشرت المسيحية، بدأ بطرس يغيب عن ساحة التاريخ ويبرز بولس رسولاً لهذه الشعوب. وفي كتاب الأعمال يرد ذكر بطرس آخر مرة بمناسبة مجمع أور[٣]. وكذلك تقول دائرة المعارف البريطانية:

"Peter's last appearance in Acts is in connection with the Council of Jerusalem".

«جاء ذكر بطرس في كتاب الأعمال آخر مرة بمناسبة مجمع أورشليم»[٤].

كان يعقوب (James) ـ الذي سمّي أخا المسيح أي ابن يوسف النجار[٥] ـ ويوحنا (John) من أبرز الرسل والحواريين في ذلك العصر، وكانا يحتلان مكانة محترمة بينهم، ويُعتبران ـ مع بطرس ـ من أعمدة الكنيسة[٦]. وقد اعتنى بولس بيعقوب وبطرس من بين الرسل والحواريين جميعهم، وذلك بعد ثلاث سنوات من إلهامه الأول[٧]. وكان يعقوب رئيسًا للمجمع الديني الذي انعقد في أور والذي اتخذ فيه القرار بوجوب الالتزام الجزئي بالشريعة اليهودية للشعوب غير اليهودية من المسيحيين (Gentiles)[٨]، ولكنه رغم ذلك ظل متمسكًا بالشريعة اليهودية بعد ذلك أيضًا؛ بل طلب من بولس أن يشرح موقفه إزاء الالتزام بالنّاموس بين الناس حتى يزول من أذهانهم أنكَ تعلِّم الارتداد عن

---

(١) غلاطية ٢: ١١ـ١٣ .
(٢) أعمال الرسل ١٥: ٣٩ .
(٣) قاموس الكتاب ص: ١٩٢ .
(٤) Encyclopaedia Britannica (1962), 17:636.
(٥) متى ١٣: ٥٥، غلاطية ١: ١٩ .
(٦) قاموس الكتاب ص: ١١٦٠، غلاطية ٢: ٩ .
(٧) غلاطية ١: ١٨ـ ١٩ .
(٨) أعمال الرسل ١٥: ١٢ وما بعدها. وانظر لمصطلح Gentiles : الكتاب المقدس الكاثوليكي بالأردية ص (ص).

http://kotob.has.it/

موسى[١]. وأما يوحنا فلم يذكره بولس في رسائله إلا مرة واحدة[٢]، فما بال بقية الحواريين؟

فالخلاف بين بولس وبين الحواريين والمشايخ الآخرين المسيحيين لم يكن هينًا بل كان عميقًا، مما أدى إلى تفرق واختلاف الناس؛ ويدل قول بولس على ذلك، يقول: «أيها الإخوة أسألكم بوسيلة اسم إلٰهنا يسوع المسيح ألا تقولوا إلا قولاً واحدًا ولا تتفرقوا، كونوا قلبًا واحدًا وجسدًا واحدًا لتكملوا، لأنه بلغني من أهل بيت خلو أنكم تقتتلون فيما بينكم، أعني أنكم تختلفون فبعضكم يقول: أنا من أصحاب بولس وبعضكم يقول: أنا من أصحاب أبلوس، ومن يقول أنا من أصحاب كيفا[٣] والبعض الآخر يقول: أنا من أصحاب المسيح[٤]».

أسباب نجاح بولس:

فكيف نجح بولس في نشر نظرياته وإقحامها في العقائد المسيحية رغم المخالفة الشديدة من قبل الحواريين الحقيقيين والرهبان المسيحيين؟ والجواب لهذا السؤال يكمن في شخصية بولس المتميزة. وقد ذكرنا ضمن سيرته، في بداية هذا الباب، أنه لم يكن يهوديًا فحسب، بل كان يتمتع بجميع الحقوق المدنية في إمبراطورية الروم[٥]، وكان بالإضافة إلى ذلك من أبرز زعماء اليهود الذين شاركوا في تعذيب المسيحيين وإيذائهم[٦]. فحين أعلن عن إلهاماته، واعتنق المسيحية، وأصبح داعية كبيرًا لها كان من الطبيعي أن يلتفت إليه الناس وينصتوا له[٧].

وفي مقابل ذلك كان الحواريون أمثال بطرس ويوحنا من صيَّادي السمك[٨].

وحين استغل بولس شخصيته القوية وخلفيته الثقافية والاجتماعية وحماسته في دعوته نال المكانة التي كان يتمتع بها قبل دخول المسيحية، بل اكتسب شأنًا أكبر من ذلك بكثير، يقول

---

(١) أعمال الرسل ٢١: ١٧-٢٤ وما بعدها.
(٢) قاموس الكتاب ص: ١١٦٠.
(٣) كيفا: اسم آخر لبطرس، وكيفا: كلمة أرامية، وبطرس كلمة يونانية. انظر: قاموس الكتاب ص: ١٩١.
(٤) كورنثوس (١) ١: ١٠-١٢.
(٥) أعمال الرسل ٢٢: ٣، ٢٣: ٦، ٢٦: ٤-٥.
(٦) أعمال الرسل ٧: ٥٨ وما بعدها، ٢٦: ١٠-١١، ٨: ٣.
(٧) المرجع السابق ٩: ٢٠-٢٢، وغلاطية ١: ٢٢-٢٤.
(٨) مرقس ١: ١٦-٢٠.

http://kotob.has.it/

أحد كتّاب سيرته:

"Paul was now a Christian, and judging from his temprament, he might be expected to be as zealous in propagating the new faith as he was in trying to destroy it".

«صار بولس مسيحيًا الآن، ونظرًا إلى طبيعته، كان من المتوقع أن يتحمس للدعوة إلى العقيدة الجديدة تمامًا، مثلما كان يحاول تدميرها من قبل»(١).

ولم تكن المسيحية، في رأي الحواريين، دينًا جديدًا مستقلاً عن اليهودية، بل كانوا يرونها حركة إصلاح في داخل اليهودية، وبالتالي فهي موجهة لليهود فقط دون غيرهم، ولكن دعوة بولس وجهوده غلبت على وجهة نظرهم،

"The disciple Peter was among those who insisted upon keeping the movement exclusively Jewish. But, later, when Paul became a Christian, he persuaded Peter and others to admit gentiles into the group".

«كان بطرس الحواري من الذين ألحوا على أن تكون التعاليم المسيحية خالصة لليهود، فحين اعتنق بولس المسيحية استطاع أن يقنع بطرس والناس الآخرين أن يسمح للشعوب غير اليهودية بالدخول في هذه الجماعة»(٢).

في الحقيقة لم يقدر الحواريون، لسذاجتهم، أن يدركوا المستوى الفكري لدى المسيح إدراكًا كاملاً، كما أنهم لم يقدروا على فهم ادعاءات بولس المعقّدة. يقول كاتب ومؤرخ شهير وهو هـ.ج ويلز (H.G.Wells) بهذا الصدد:

"The story of the early beginnings of Christianity is the story of the struggle between the real teachings and spirit of Jesus of Nezareth and the limitations, amplifications and misunderstandings of the very inferior men who had loved and followed him from Galilee".

«تتلخص قصة البداية المبكرة للمسيحية المعاصرة في الصراع الكائن بين التعاليم الحقيقية والروحية للمسيح الناصري وبين المستوى الفكري لدى أتباعه وتفسيرهم، وسوء الفهم عند هؤلاء الذين أحبوا المسيح من مدينة الجليل»(٣).

---

(١) Leon Levison: Life of Saint Paul, p. 37.

(٢) Ross and Hills: Great Religions By Which Men Live, p. 137.

(٣) H.G. Wells: The Outline of History, London, 1956, p.536.

http://kotob.has.it/

وعندما قُبض على المسيح لتعذيبه وصلبه «تركه التلاميذ كلهم وهربوا»(١)، فاهتز إيمانهم وعقيدتهم بعد موته المزعوم؛ ذلك لأنهم كانوا يؤمنون بما جاء في التوراة من أن «المصلوب ـ الذي يموت شنقًا ـ ملعون من الله»(٢)، وإن كانوا يجدون ما يطمئنهم في تفسيرهم لهذا الموت، وهو عودة المسيح مرة أخرى. ولكن التفسير الذي قدمه بولس لصلب المسيح ووفاته (في زعمهم) بهذه الصورة كان أشد نفوذًا وأقوى تأثيرًا من كل ما فسره به التلاميذ؛ ولذلك تأثروا به تأثرًا شديدًا، ولم يقدروا ـ كما يقول الباحثون المسيحيون ـ على مقاومته بالقوة.

وعن التفسير الذي جاء به بولس ومدى أثره في الناس، يقول هـ.ج ويلز:

"His (Paul's) mind was saturated by an idea which does not appear at all prominently in the reported sayings and teachings of Jesus, the idea of sacrificial person who is offered up to God as an atonement for sin. Paul came to the Nazerenes with this overwhelming force because he came to them with this completely satisfactory explanation of the crucifiction. It was a brilliant elucidation of what had been utterly perplexing".

«كان عقله (بولس) مُشربًا بالفكر الذي لم يكن يمت بأي صلة إلى أقوال المسيح المروية وتعاليمه الموثقة، أي تصور شخص قدّم إلى الذات الإلهية تكفيرًا للخطيئة الأزلية. سرَّ نجاحه أنه استطاع أن يفسر صلب المسيح تفسيرًا اطمأنت إليه النفوس، وكان شيئًا قد حيَّر الأذهان من قبل»(٣).

فعندما هرب تلاميذ عيسى كلهم وتركوه ظانين أنه صُلب، وقعوا في صراع نفسي؛ لأنهم كانوا يؤمنون بما جاء في التوراة من أن المصلوب ملعون، فما استطاعوا أن يوفقوا بين الصلب وهذه المقولة؛ ومن هنا يبرز دور بولس الذي قال لهم: «إن المسيح لم يمت ملعونًا، بل قدَّم نفسه تكفيرًا للخطيئة حتى ينقذ الإنسانية كلها من العذاب والعقاب». فزالت أزمتهم النفسية بهذا التفسير، وبدأ بولس يَلقَى قبولاً حسنًا في أوساط المسيحيين.

ومن أسباب نجاح بولس الباهر أنه لم يكن يتورع عن الكذب والانتهازية في نشر أفكاره.

---

(١) متى ٢٦:٥٦ .

(٢) التثنية ٢١:٢٣ .

(٣) H.G.Wells: op. cit., p.537.

http://kotob.has.it/

يقول: «فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا يحكم علي كخاطىء»؛ «ولم لا نفعل السيئات لكي تأتي الخيرات»[١]. وكان يؤمن بالتقية ـ الكذب للمصالح ـ لدرجة أنه رغم مخالفته الشديدة للناموس والتوراة أقر بإيمانه بهما أمام حاكم رومي فيلكس حتى ينجو من العقاب، حيث قال: «أنا أؤمن بكل ما في التوراة وصحف الأنبياء»[٢]. وَ «صِرْتُ لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت النَّاموس، لأربح الذين تحت الناموس؛ وللذين بلا ناموسٍ، كأني بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح، لأربح الذين بلا ناموس؛ صرت للضعفاء كضعيف، لأربح الضعفاء؛ صرت للكلّ كلّ شيء لأكسب على كل حال قومًا»[٣].

رسائل بولس والأناجيل الأربعة:

يصرّ بعض العلماء المسيحيين على أن بولس لم يقل شيئًا جديدًا، والأفكار والعقائد التي نشرها لها جذور في الأناجيل الأربعة. فعلى سبيل المثال يقول بولس: إن المسيح ابن الله، فهو لم يختلف في ذلك عن إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا فهما أيضًا يسميانه «بابن الله»[٤]، وعقيدة التجسد (أي ظهور الإله في الجسد الإنساني) يوجد في إنجيل يوحنا، كما أن عقيدة الكفارة أسست على ما ورد في إنجيل متى وإنجيل مرقس[٥].

والجدير بالملاحظة هنا أن بولس يشرح في رسائله هذه العقائد وغيرها بكل تفاصيلها، الأمر الذي ينعدم في الأناجيل؛ بل إن ما يوجد في الأناجيل ولا سيما الأناجيل المتشابهة (Synoptic Gospels) أي إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا (وسبب هذه التسمية التشابه الكبير بينها في المحتوى والترتيب) ـ يثبت بطلان أفكاره وعقائده كما اتضح في الباب السابق وفي هذا الباب من المقارنة بين تعاليم عيسى وأفكار بولس، وسوف يتضح أكثر عندما نناقش بالتفصيل كل فكرة من أفكاره على حدة.

والشيء الثاني والأهم أن الأناجيل الأربعة ليست من تأليف أحدٍ من الحواريين (سنبين

---

(١) رومة ٣: ٧ـ ٨ .

(٢) أعمال الرسل ٢٤: ١٤ .

(٣) كورنثوس (١) ٩: ٢٠ـ٢٢ .

(٤) مرقس ١: ١١، يوحنا ١: ١، ١: ١٤، ٣: ١٦ .

(٥) متى ٢٦: ٢٨، مرقس ١٠: ٤٥ .

http://kotob.has.it/

ذلك في الباب الذي يعالج موضوع الإنجيل)، وأكثر من هذا أنها كتبت بعد رسائل بولس. فإن ما ضمت هذه الأناجيل في دفتيها من دلالة على ألوهية المسيح ونبوته أو عقيدة الكفارة وما شابه ذلك نتيجة تأثير أتباع بولس ومناصيره. وقد صرح بذلك كثير من المحققين المسيحيين، وفيما يلي أمثلة لما قاله هؤلاء القوم:

"All his (Paul's) epistles were written before the earliest manuscripts of the Gospels and Acts appeared. It is doubtful also if he even saw the pre-gospel collections of the teachings, parables, and healing miracles of Jesus - documents supposed to have been the sources, in part at least, of the four canonical Gospels".

«كتبت جميع رسائل بولس قبل ظهور المخطوطات القديمة للأناجيل والأعمال. وكونه قد اطلع على مجموعة من الأوراق والوثائق - قبل ظهور الأناجيل - والتي احتوت على تعاليم يسوع وأمثاله ومعجزاته والتي تعتبر مصدرًا جزئيًا، للأناجيل الأربعة المعترف بها، أمر مشكوك فيه»[1]. و

"These epistles were written before any of the other books in the New Testament".

«كتبت هذه الرسائل قبل كل سِفر من أسفار العهد الجديد»[2].

"The epistles of Paul ..... the earliest of them were written before any of our present Gospels were compiled".

«رسائل بولس . . . كتب أقدمها قبل تدوين أي إنجيل من الأناجيل التي لدينا»[3].

"Paul's letters are earlier than the Gospels, and earlier than most of the literary sources of the Gospels".

«رسائل بولس أقدم من الأناجيل، بل إنها أقدم من معظم المصادر التي اعتمدت عليها الأناجيل»[4].

---

(١) C.F. Potter: The Lost Years of Jesus Revealed, 1959, p.115.
(٢) Irene Allen: The Early Church and the New Testament, London, 1951, p.79.
(٣) Bernard M.Allen: The Story Behind the Gospels, London, 1936, p. 478.
(٤) Hastings' Dictionary of the Bible, 1963, p.478.

http://kotob.has.it/

في ضوء هذه البراهين فلا يمكن الادعاء بأن أفكار بولس والتغييرات التي أحدثها في العقائد المسيحية مؤسسة على الأناجيل، ويمكن أن يقال العكس وهو أن ما يوجد في الأناجيل من البدع البولسية كان نتيجة لدعوته ورسائله.

الدين الجديد:

وهكذا أسس بولس دينًا جديدًا ـ هو المسيحية الحالية ـ على رسائله وبشارته التي اختلفت عن تعاليم عيسى اختلافًا جذريًا:

"In his hands Christianity became a new religion".

«ظهرت المسيحية في صورة ديانة جديدة على يده»(١).

ويسمي دعوته دون تردّد: «بشارتي» أو «إنجيلي»(٢) مستغنيًا فيها عن تعاليم عيسى نفسه وعما يرويه الحواريون عنه، يقول مؤلف كتاب «المسيحية البولسية» (Pauline Christianity) البروفيسور جون زيسلر (John Ziesler):

"He betrays astonishingly little knowledge of, or even interest in, the traditions of Jesus".

«هو (بولس) يُظهر قلّة علمه وعدم اهتمامه بما يروى عن عيسى بطريقة مدهشة»(٣).

وقد ألف البروفيسور جون زيسلر كتابه باعتباره مسيحيًا متمسكًا، ولكنه اضطرّ أن يقر بالحقيقة قائلاً:

"Whether by design or accident, the teaching and the deeds of Jesus of Nazereth are virtually ignored".

«وقد أُهمِل عمليًا تعليم يسوع الناصري وأعماله، سواء أكان ذلك عمدًا أم صدفة»(٤).

ويقول محقق مسيحي مشهور ألبرت شوتزر:

"Paul never appealed to the sayings and commands of theMaster".

---

(١) Encyclo. Brit. (1962), 5:676 (Article on Church History).

(٢) رومة ١٦: ٢٥، تيموثاوس(٢) ٢: ٨.

(٣) John Ziesler: Pauline Christianity, p.19.

(٤) Ibid., p.22.

http://kotob.has.it/

«لم يلجأ بولس إلى أقوال المسيح وأحكامه قط»(١).

ويقول هربرت مولر (Herbert Muller) في هذا الصدد:

"Everything he sacrificed gladly to his lord, the resurrected Christ. And first of all he sacrificed the historic Jesus .... whereas Jesus had proclaimed a kingdom of God that men can earn simply by repentance and righteousness, Paul taught that salvation was through Christ, and Christ alone".

«ضحى بكلِّ شيءٍ لأجل ربّه المسيح الذي قام من بين الموتى، وأول تضحية تقدم بها هو المسيح نفسه (شخصية المسيح الحقيقية) . . . فالمسيح أعلن عن ملكوت الله الذي يمكن أن يحصل عليه الناس عن طريق التوبة والإخلاص، ولكن بولس علّمهم بأن النجاة طريقها المسيح فقط دون غيره»(٢).

وفي نهاية هذه المناقشة نودّ أن نورد اقتباسًا طويلاً بعض الشيء من كتاب آرنولد ميئر «يسوع أو بولس ـ Jesus or Paul». والجدير بالتنبيه أن الكاتب لا يعد من مخالفي بولس، بل إنه معجب بشخصيته وأعماله (كما هو ظاهر في الباب الأخير من كتابه هذا):

"If by Christianity we understand faith in Christ as the heavenly son of God, who did not belong to earthly humanity, but who lived in the divine likeness and glory, who came down from heaven to earth, who entered into humanity and took upon Himself a human form that He might make propitiation for men's sin by His own blood upon the cross, who was then awakened from death and raised to the right hand of God as the Lord of His own people, who now intercedes for those who believe in Him, hears their prayers, guards and leads them, who, moreover, dewells and works personally in each of those who believe in Him, who will come again with clouds of heaven to judge the world, who will cast down all the foes of God, but will bring His own people with Him into the home of heavenly light so that they may become like unto His glorified body. If this is Christianity, then such Christianity was founded principally by St. Paul and not by our Lord".

---

(١) Albert Schweitzer: Paul And His Interpreters, London, p. 198.

(٢) Herbert Muller: Uses of the Past (New York, 1959), pp. 156-157.

http://kotob.has.it/

«إن كان فهمنا للمسيحية يعني الإيمان بالمسيح باعتباره ابنًا سماويًا لم يكن ينتمي إلى الناس على الأرض، بل كان يعيش في الصورة الإلهية والسعادة السماوية؛ (ثم) نزل من السماء إلى الأرض، واتخذ شكلاً إنسانيًا لكي يقدم كفارة عن خطيئة الناس بدمه، وبُعث بعد ذلك من الموت، ورفع إلى السماء، وأجلس على الجانب الأيمن من الله سيدًا للمؤمنين به، ويشفع لهم بنفسه، ويسمع دعواتهم ويحميهم ويهديهم، ويُقيم شخصيًا في كل من يؤمن به ويعمل فيه، وسينزل مع سحاب السماء مرة أخرى؛ لكي يقيم العدل في الدنيا ويدمر أعداء الله جميعًا، وسوف يأخذ أتباعه معه إلى بيت السماء المنورة حتى يصبحوا مثل جسده المعظم. إن كان هذا هو مفهوم المسيحية فإنها أسست على يد بولس المقدس، وليست على يد سيدنا المسيح»[1].

مصادر الدين البولسي :

من بين المصادر التي استفاد منها بولس في وضع العقائد حول شخصية المسيح، بعض الديانات ـ إلى جانب الفلسفة الإغريقية ـ الوثنية المعاصرة له :

"The new idea came from popular"mystery cult" religions that abounded in the Mediterranian lands. The "mystery" applied to a mystical,symbolic union with a God who lived in human form,died, but came to life again... There were a number of mystery cults with different gods.But all of them emphasized the salvation resulting from dedication to a dying-rising Lord.It is interesting that the word'Kyrios'(Lord) which the Greeks applied to dying-rising God,was used by Paul to apply to Jesus".

«جاءت النظرية الجديدة (نظرية بولس) من الأديان السرّية الغامضة التي انتشرت بكثرة في بلاد البحر الأبيض المتوسط، وكان المراد «بالسرّ» في هذه الديانات، الاتحاد الصوفي الرمزي في إله عاش في شكل إنسان، ومات ثم أصبح حيًا. . . ، كانت هناك ديانات سرّية عديدة، وكان لدى كل ديانة منها إله خاص بها؛ ولكنها جميعًا كانت تشترك في هذه الظاهرة أي وجود إله مات ثم أصبح حيًا، وهو الوسيلة للنجاة. والجدير بالذكر أن الكلمة التي أطلقها بولس على يسوع وهي

---

(١) Arnold Meyer: Jesus or Paul? pp. 122-123.

http://kotob.has.it/

«خرسس» (أي السيد المسيح) كانت تستخدم عند الإغريق لإله مات ثم قام من الموت»(١).

ومن أهم هذه الديانات: الديانة المثراوية (Mithraism) والتي نشأت عند الفرس، وأتباعها كانوا يعتبرون أن إلهَهم مثرا (Mithras).

"Mithras was a young hero-god who helped common people with their troubles, who was translated to heaven, where he looked out for the interests of his followers, and whence he was expected to descend at his second coming".

«كان بطلاً شابًا وإلَهًا، ساعد عامة الناس في حل مشكلاتهم، والذي نقل إلى السماء، ومن هناك كان يُراعي أمور أتباعه؛ ومجيئه مرة ثانية كان من اعتقاداتهم»(٢).

"Mithraism in particular was similar to early Christianity in many ways. Its followers formed secret societies and called themselves brothers ...., They celebrated their sabbath on Sunday, and annual festival on 25 December,.... their god Mithras had made a sacrifice which saved the human race, and he was a mediator between the supreme God and man".

«وكانت المثراوية قوية الشبه بالمسيحية المبكرة في نواح عديدة، فكان أتباعها يسمون أنفسهم «الإخوة» (مثل المسيحيين) فيما بينهم وفي اللقاءات السرّية، وكانوا يحتفلون أسبتهم يوم الأحد، ويقيمون حفلهم السنوي في ٢٥ ديسمبر . . . ، وإلَههم مثرا (في زعمهم) ضحى بنفسه لأجل نجاة الإنسانية كلها، وكان وسيطًا بين الإنسان والرّب الأعلى»(٣).

والحفل المسيحي المعروف بالعشاء الرباني، أو القربان المقدس، أو العشاء

---

(١) Ross and Hills: op. cit., p. 137.
ولمزيد من التفاصيل عن الصلات الوثيقة بين المسيحية البولسية والديانات السرية انظر: قصة الحضارة ج: ١١ ص: ٢٤٩، ٢٥٠ ـ والطبعة الإنجليزية (Will Durant's Strory of Civilization) ج ٣ ص ٥٧٩ـ ٥٨٨ و ٥٨٩. وانظر أيضًا:
Crane Brinton: Civilization in the West (New Jersey, 1973), p. 109.

(٢) C.F. Potter: The Faiths Men Live By, Surrey, 1913, p. 117.

(٣) Herbert Muller: op. cit., p. 156, footnote.

http://kotob.has.it/

الإلهي[١] أُخذ أصلاً من أتباع مثرا الذين كانوا يتبركون بالخبز والماء عند العبادة، كما يفعل المسيحيون اليوم[٢]. يقول هـ.ج ويلز (H.G.Wells) متحدثًا عن مصادر الفكر البولسي:

"He was well-versed in the Hellenic theologies of Alexandria .... he uses phrases curiously like Mithraistic phrases".

«كان ملمًّا بعلم الإلهيات الموجودة في الإسكندرية . . . ، وهو يستعمل عبارات وتعبيرات تشبه عبارات أهل الديانة المثراوية»[٣].

وهكذا أقحم بولس الأفكار والعقائد التي استقاها من الديانات الأخرى في المسيحية؛ ولا شك أن شخصيته القوية وخلفيته المتميزة وثقافته العميقة لعبت دورًا كبيرًا في ذلك. يؤكد على ذلك ويلز مضيفًا إلى ما سبق:

"He found the Nazarenes with a spirit and hope, and left them with the beginning of a creed".

«أوجد لدى النصرانيين حماسًا وأملاً، وتركهم بعد تأسيس عقيدة واضحة لهم»[٤].

وسمَّاه المفكر الألماني المشهور نيتشه (Nietzsche) «مبدع المسيحية»[٥]، وسماه كاتب ألماني آخر وهو (Heinz Zahrnt) «مُحرِّف إنجيل يسوع»[٦] وقد قال ورد (W.Werde) ـ ومفكرون آخرون أنه:

"Founder of ecclesiastical Christianity as distinct from the Christianity of Jesus".

«مؤسس المسيحية الكنسية التي تختلف عن نصرانية عيسى»[٧].

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك الحفل في الباب السادس تحت عنوان جانبي: «عقيدة الكفارة وأهميتها في المسيحية».

(٢) Edward Carpenter: Pagan And Christian Creeds, London, p.65f.

(٣) H.G. Wells: op.cit., pp.536-537.

(٤) Ibid., p.537.

(٥) A.S. Peake and R. G. Parsons (editors): Outline of Christianity: The Story of Our Civilization, London, vol.1, p.258.

(٦) J.Lehman: The Jesus Report (London, 1972), p. 126.

(٧) Encyclo. Brit. (1962), vol. 17, p. 395; J. Lehman: op. cit., p.127.

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب الرابع

تطور المسيحية الحالية ومراحلها

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب الرابع

تطور المسيحية الحالية ومراحلها

الفرق المسيحية المختلفة وزعماؤها :

كانت الأفكار البولسية مختلفة تمامًا عن المسيحية الأصلية؛ ولذلك واجهت معارضة في حياة بولس وبعده أيضًا. يقول البروفيسور جون زيسلر (John Zeisler) :

"Paul's version of Christianity faced opposition in the early Church and has done so spordically ever since".

«واجهت المسيحية البولسية معارضة من قبل الكنيسة القديمة، واستمرت هذه المعارضة بين الحين والآخر على مرّ العصور»(١).

ورغم ذلك كلّه نجح بولس، بفضل رحلاته التبشيرية ورسائله، في نشر نظرياته في الأقطار البعيدة. والسبب في ذلك أن الديانة المسيحية وصلت إلى كثير من الناس عن طريقه، فاعتنقوها باعتبارها أنها حقيقية. يقول الكاتب المذكور آنفًا في بداية كتابه :

"A Church receiving a letter from him probably had no other Christian writing, and as it was far removed from Palestine and from memories of the followers of Jesus, it probably knew little of his deeds and words".

«الكنائس التي وصلت إليها رسائله لم تكن لديها نصوص مسيحية غيرها، ثم إنها كانت بعيدة عن فلسطين وتلاميذ عيسى؛ ولذلك لم تطلع على أفعال عيسى وأقواله»(٢).

وبالإضافة إلى ذلك لعب أناس (علماء وحكّامًا) دورًا في القرون المتأخرة، قوّى النزعة البولسية، ووقعت حوادث أدّت إلى السيطرة الكاملة والتغلب الأبدي للأفكار البولسية على المسيحية، وكما يقول ورد (Werde) :

"The Pauline heresy became the foundation of Christian orthodoxy and the legitimate Church was disowned as heretical".

---

(١) John Zeisler: Pauline Christianity, p. 140.

(٢) Ibid., p. 2.

http://kotob.has.it/

«اعتُبِرَتْ البدعة البولسية أساسًا صحيحًا للعقيدة المسيحية الحقة، واعتُبِرَتْ الكنيسة الأصلية ملحدةً، وأنكر الناس الاعتراف بها»[١].

ونستعرض في هذا الباب الأفكار البولسية والأفكار المعارضة لها، مع الإلمام بأهم الفرق المسيحية وقيادتها، والصراع الكائن بينها.

ومن الفرق التي ظلّت تعارض الأفكار البولسية بعد وفاة صاحبها فرقة عُرفت في تاريخ المسيحية بالإبيونية (Ebionites)، رفضت أن تتخذ رسائل بولس أساسًا للدين، ودعت إلى ضرورة الالتزام بالناموس الموسوي؛ ولم تعتبر هذه الفرقة عيسى إلَهًا ولا ابن الله، بل اعتبرته إنسانًا ورسولاً عظيمًا[٢].

كان المسيحيون يُدعون نصرانيين أو ناصريين[٣] في العصور الأولى بعد وفاة المسيح، وكانت نظريات «الإبيونيين» وأفكارهم تشبه إلى حدّ كبير عقائد النصرانية المبكرة[٤]، وبالتالي كانت أقرب إلى المسيحية الخالصة التي خلت من تأثيرات بولس وتزييفاته[٥].

وثمة فرقة أخرى قاومت العقائد البولسية مقاومة شديدة في العصور الأولى، وهي التي تعرف بالفرقة الدوسيتية (Docetists) أو المتحيلة. أنكر أصحابها صلب عيسى، وقالوا: إن الله سلّمه من الصلب، والذي صلب مكانه هو ذلك الحواري الخائن يهوذا الإسخريوطي، أو حامل الصليب شمعون كريني (Simon of Cyrene) [٦].

وفي هذا العصر، بعد بولس، انتشرت وثيقة «تعليم الرسل» بين المسيحيين؛ إذ كانت تعتبر كتابًا مقدّسًا، ولم تكن أدعية هذه الوثيقة تحتوي على كفارة المسيح أو على موته المخلّص[٧]. وكذلك الكتاب الذي ألّفه أحد الرهبان ـ وهو هِرمس (Hermas) ـ في القرن الأول باسم «الرّاعي» كان يركز على تعليم التوحيد أكثر من تركيزه على ألوهية المسيح، وكان هذا الكتاب من الكتب التي ظلت تعدّ نصوصًا مقدّسة زمنًا طويلاً»[٨].

---

(١) J.Lehman: op. cit., p.128.

(٢) The Oxford Dictionary of the Christian Church, London, 1950, p.433; Edward Gibbon: Decline And Fall of the Roman Empire (London, 1879), vol.2, p.338.

(٣) أعمال الرسل ٢٤ : ٥ .

(٤) The Oxford Dictionary of the Church, p.941.

(٥) John Toland: The Nazarenes, London, 1718, p.76.

(٦) Oxford Dictionary of the Church, p.409.

(٧) Henry Chadwick: The Early Church (Penguin Books), 1984, pp. 46-47; J.C. Berkouwer: Faith and Justification, Michigan, 1960, p.74.

(٨) =John Toland: op. cit., p.75; E.J. Goodspeed: The Apostolic Fathers, London, 1950; Encyclopaedia

http://kotob.has.it/

كادت أن تتغلب هذه الفرق وتلك الحركات على العقائد البولسية، أو تقلل من آثارها، إلا أن الحركة البولسية حظيت في القرن الثاني بأفراد وأتباع متحمسين لعبوا دورًا مهمًّا في نشرها. والغريب أن الأفراد والفرق الدينية ـ التي تبرأت منها الكنيسة نفسها واعتبرتها مبتدعة ـ أسهمت في تقوية الأفكار البولسية على نحو غير مباشر، ومن بينها، مثلاً، معتقدات الفرقة الغنوصية (Gnostics)، (أو مذهب العرفان) القائلة بأن وسيلة النجاة والخلاص هو المسيح، والداعية إلى ترك العهد القديم، وتبنّي العهد الجديد فقط، فهذه الأفكار أيدت الحركة البولسية رغم اختلافها معها في جوانب أخرى كثيرة[١].

ومن الأفراد البارزين الذين أيدوا الأفكار البولسية يوستين (Justin) (ت ـ ١٦٥م)، وكان معجبًا مثل أصحاب الغنوصية، بالفلسفة الأفلاطونية[٢]. ففي منتصف القرن الثاني أثار يوستين قضية نجاة الفرق المسيحية المتمسكة بالناموس الموسوي (أي النصرانيين والإبيونيين)[٣]، فدارت المناقشات حولها إلى أن أعلن أن الفرق المتبعة للشريعة الموسوية ملحدة ومبتدعة[٤].

وأشد ما فعله يوستين متأثرًا بالفلسفة اليونانية، أنه قال: إن اللوجوس الإلهي ـ وهي صفة الله الكلامية، ويُراد بها في الفلسفة الإغريقية قوّته أو حكمته[٥] (لاسيما حكمته) ـ في الحقيقة إله آخر ومظهره عيسى[٦]، وأضاف، إلى ذلك في شرح هذه المقولة قائلاً:

"Other, I mean, in number, not in will".

«إن المقصود من «إله آخر» إله في العدد وليس في المشيئة»[٧].

وكان مرقيون (Marcion) (ت/ ١٦٠م) من أشدّ مؤيدي بولس تحمّسًا، وإن كانت الكنيسة أخرجته من دائرة المسيحية نتيجة لبعض نظرياته المتطرفة[٨]، مثل اعتماده على إنجيل لوقا فقط من بين جميع الأناجيل (وذلك بعد تطهيره من «الآثار اليهودية»). ورغم ذلك ظل يلقى

= Biblica, London, 1899, c.1831.

(١) H. Chadwick: op. cit., pp. 37-38.

(٢) John Foster: The First Advance (Church History 1), London, 1975, p.41.

(٣) Edward Gibbon: op. cit., vol 2, p.10.

(٤) Hans Leitzman: The Beginnings of the Christian Church (London, 1955), p.183.

(٥) D.C. Somervell: A Short History of Our Religion (London, 1922), p.188.

(٦) H.Chadwick: op. cit., p.85.

(٧) Ibid., p. 86.

(٨) óJohn Foster: op. cit., p.56.

http://kotob.has.it/

الاحترام بين عامة الناس لحبّه الشديد لبولس، وكان يقول: إن الحواريين والناس الآخرين لم يفهموا المسيحية، ولكن أدركها بولس وأدرك كنهها وحقيقتها، فالذي علّمه بولس هو الدين الحق(١). ويمكن أن يلاحظ تأثيره في الشعب، رغم اختلافه الشديد مع بعض كبار الكنيسة، وتأثيره يتمثل في وجود كنائس مرقيونية لمدة مائة وخمسين سنة ظلت تنشر نظرياته(٢).

رفض أتباع مرقيون كتاب اليهود المعروف بالعهد القديم رفضًا باتًّا، وألحوا على الالتزام بالعهد الجديد فقط؛ ونتيجة لجهود هؤلاء وإلحاحهم المستمر دوّنت الكنيسة كتابهم الجديد وأعطت ـ تحت تأثيرهم ـ أهمية بالغة لرسائل بولس(٣).

انتشار الأفكار الإغريقية :

كان من نتائج المزج بين النظريات البولسية والأفكار الإغريقية وسيطرتها ـ وكان الفلاسفة والمفكرون في المراكز الحضارية وقتئذٍ مثل الإسكندرية والقيصرية وأنطاكية متأثرين جدًّا بالفكر الأفلاطوني والفلسفة الأفلاطونية الجديدة(٤) ـ تداول إنجيل يوحنا (وهو نموذج لهذا المزج) بين الناس في النصف الثاني من القرن الثاني، وبالتالي أثر في جميع المفكرين والفلاسفة المتأخرين(٥).

وفي نهاية القرن الثاني، تحت تأثير هذا الفكر المختلط، وضع إيريناوس (Irenaeus) (ت ـ ٢٠٠م) وترتليان (Tertullian) (ت/ ٢٢٠م) «قاعدة الإيمان» التي عُدّت مفتاحًا لفهم الإنجيل، وكان فيها تأكيد شديد على أن المسيح ابن الله، وأنه هو المخلّص، وعلى عظمة روح القدس(٦).

تسرّبت هذه النظريات إلى المسيحية، وانتشرت بين أتباعها، إلى أن قرر مجمع نيقية (٣٢٥م) اتخاذها وتبنيها، وكان هذا القرار في عمومه يحمل ملامح الفكر الإغريقي(٧).

"Through the efforts of Paul and the early Christian Fathers..... Christianity was so Hellenized as to make it palatable to Greeks".

---

(١) The Oxford Dictionary of the Church, p.854.

(٢) John Foster: op. cit., p.56.

(٣) D.C.Somervell: op. cit., pp. 116-117: "To him we almost certainly owe the great preponderence of St. Paul's Epistles in the later part of the book".

(٤) J.W. Sweetman: Islam And Christian Theology, London, 1945, vol. 1,pp.46-50.

(٥) Henry Chadwick: op. cit., pp.87.

(٦) Ibid., pp. 44-45.

(٧) Encyclo. Brit. (1962), vol. 5,p. 633.

http://kotob.has.it/

«وهكذا امتزجت المسيحية بالفكر الإغريقي بفضل جهود بولس وآباء الكنيسة الأولين، وأصبحت محط إعجاب لدى اليونانيين»[١].

تطور الحركة البولسية:

أسهمت عوامل عديدة في تطور الحركة البولسية، ومنها أنها اتّسمت ـ إلى جانب تأثير المفكرين، أمثال يوستين ومرقيون، وتأثير النظريات الإغريقية ـ بسمات شعبية؛ فأخذ حماس عامة الناس يزداد تجاهها رويدًا رويدًا، وبدأوا يُعجبون بكل من يُبالغ في شخصية عيسى، مهما تعارضت هذه المبالغة مع تعاليم عيسى نفسه. وأصبحت مقاومة الغلو بالعقلانية أو بالنصوص الموثقة صعبة جدًّا، واعتبرت معارضة عقيدة «اللوجوس» محاولة للتقليل من شأن المسيح وعظمته[٢].

وكل ما هنالك أن رجال الدين كانوا يحاولون الإتيان بعقيدة أخرى تخفف من شدّة الغلو في الجوانب الأخرى. فعندما نادت الفرقة السابلية (Sabellians) في القرن الثالث بعقيدة الحلول الإلهي وتجسّده في عيسى، ونزوله بنفسه على الأرض ليخلّص الإنسان، وصلبه لأجل ذلك، وبأن الأب والابن وروح القدس أسماء ثلاثة لشيءٍ واحد في الوجود[٣]؛ فعندما نادوا بهذه العقيدة لم يستطع فلاسفة مدرسة الإسكندرية ردَّها إلا في جزئية واحدة، وهي اعتبار عيسى والإله شيئًا واحدًا في الوجود والذات، فهم كانوا يؤمنون بعقيدة اللوجوس الإلهي القائلة بأن المسيح مظهر متجسّم لحكمة الله وكلمته[٤].

ظهرت الفرقة الملكية[٥] (Monarchians) لمقاومة هذه النظرية، أي النظرية التي تعتبر عيسى مظهرًا لحكمة الله وإلهًا ثانيًا وسيطًا لخلق الخليقة كلّها؛ ولكنهم أيضًا ما استطاعوا أن يقولوا أكثر من أن الأب والابن وروح القدس ليسوا أقانيم للتثليث، بل إنهم أشكال ثلاثة لجوهر واحد، وإن كان البعض منهم اجترأ على القول بأن المسيح كان إنسانًا مقدّسًا[٦].

---

(١) Philip.K. Hitti: Syria - A Short History (New York, 1961), p. 88

(٢) Adolf Harnack: History of Dogma, vol. 3, p.8.

(٣) Hans Leitzmann: From Constantine to Julian (London, 1955), p. 95; A. Harnack: op. cit., p.84.

(٤) Hans Leitzmann: op. cit., p.95

(٥) جاءت هذه التسمية من معارضها ترتليان؛ وذلك لأن أصحاب هذه الفرقة كانوا يؤمنون بوحدانية الله إلى حد ما، وكانوا يعتبرونه معبودًا وملكًا (Monarch). تاريخ الكنيسة المسيحية دبليو واكر، ايدنبرا، ١٩٤٩م، ص: ٧٢ .

(٦) Henry Chadwick: op. cit., pp. 87,113.

http://kotob.has.it/

ولكن أوريجنس (Origen) (ت١٥٤م) وتلاميذه خالفوا الحركة الملكية مخالفة شديدة قائلين: إن الأب والابن، رغم كونهما موحَّدين في القوة والمشيئة، إلا أنهما حقيقتان مستقلتان[١].

ليس لنا، على أية حال، أن نستنتج مما سبق أن المفكرين المسيحيين البارزين في القرنين الثاني والثالث أمثال إيريناوس وترتليان ويوستين لم يجدوا أي صعوبة في نشر أفكارهم البولسية المتأثرة بالفلسفة الإغريقية؛ فالحقيقة أن الناس كانوا متحفظين في قبولها، ولا سيما اعتبار عيسى أقنومًا من الأقانيم الثلاثة، أو اعتباره مظهرًا مجسمًا لكلمة الله وحكمته. ولذلك يقول البروفيسور ولستن واكر (Williston Walker) في كتابه «تاريخ الكنيسة المسيحية»:

> "Logos Christology... was not wholly regarded with sympathy by the rank and file of believers. Tertullian says significantly of his own time (213-218 A.C): the majority of believers are startled at the dispensation of the three in one, on the ground that their very rule of faith withdraws them from the world's plurality of gods to the one only true God".

> «لم يكن عامة المؤمنين (المسيحيين) متعاطفين مع عقيدة اللوجوس الإلهي عن عيسى، وقد سجل ترتليان (٢١٣ـ ٢١٨م) حقيقة مهمة عن عصره، وهي أن معظم المؤمنين (بالمسيحية) يدهش عند سماعهم لنظرية الثلاثة في واحد، وذلك لأن إيمانهم يخرجهم من تعدد الآلهة إلى التوحيد وتصور الإله الحقيقي»[٢].

ومن الذين خالفوا نظرية اللوجوس الإلهي في عيسى في القرن الثالث مخالفة شديدة هو بولس سميساطي (Paul of Samosata) الذي عُين أسقفًا لأنطاكية سنة ٢٦٠م؛ وقد رويت أفكاره بطرق مختلفة، حيث كان ينكر أن عيسى مظهر لحكمة الله وكلمته، وكان متحفظًا في قبول نظرية التثليث أيضًا، وكان يعتبر عيسى بشرًا ملهمًا فريدًا. فكانت النتيجة أن أخرج من الكنيسة واعتبر ملحدًا[٣].

لكن الكنيسة كانت قد اكتسبت قوة في ذلك الوقت، ولم يكن زعماؤها يقبلون أي فكر يخالف نظريات بولس ويوستين وإيريناوس وترتليان، مهما كان هذا الفكر مستمدًا من

---

(١) Ibid., p. 113.
(٢) W.Walker: A History of the Christian Church (Edinburgh, 1949), p.71.
(٣) Hans Leitzmann: From Constantine to Julian, pp. 101-102.

http://kotob.has.it/

نصوص الأناجيل مباشرة. ولذلك نرى أنهم حرفوا أنظارهم عن تعاليم واضحة للأناجيل المتشابهة[١]، واطمأنوا إلى معتقدات المفكرين المذكورين آنفًا متحمسين لنشرها، وكانت هذه المعتقدات ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ مؤسسة على الفلسفة الإغريقية وفكرها الرمزي، ولا سيما عقيدة تجسّم اللوجوس الإلهي، وفكرة الوساطة، أي كون عيسى وسيطًا بين الله وخلق الكون وما فيه. فهذه الأفكار مستمدة من أفكار فلاسفة اليونان أمثال بطليموس، وفيثاغورس، وأفلاطون وغيرهم[٢].

وكان أوريجنس (Origen) ، الذي له جهود مع تلاميذه في إدخال الأفكار اليونانية إلى المسيحية، ينتمي فكريًا، إلى الرواقيين والفيثاغورسيين والأفلاطونيين الجدد والغنوصيين (Gnostic) في الوقت نفسه[٣].

مناقشات القرن الرابع والقرن الخامس :

ظهرت فرقة ميليثية (Meletian) منسوبة إلى صاحبها الأسقف ميليثاس (Meletius) (ت ٣٨١م) لمصر الجنوبية في القرن الرابع، وطوّرت عقيدة اللوجوس قائلة بأن اللوجوس الإلهي (حكمة الله وكلمته) الذي تجسد في يسوع كان أزليًا مثل الإله أي الأب[٤].

وإلى جانب ذلك ظلت المناقشات دائرة في القرنين الرابع والخامس بين المفكرين المسيحيين حول ثلاثة موضوعات:

١ـ التثليث لا سيما في العلاقة المتبادلة بين «الأب والابن» (الله والمسيح).

٢ـ حقيقة يسوع وطبيعته.

٣ـ الكفارة والخطيئة والخلاص[٥].

ومن الأفكار المثيرة ـ ضمن المناقشات حول الموضوع الأول ـ ما قاله أحد قسّيسي الإسكندرية وهو آريوس (Arius) (ت ـ٣٣٦م)، في مناقشته لهذا الموضوع سنة ٣١٨م تقريبًا، أنه فرّق بين رتبة الأب (الله) والابن (يسوع)؛ فالأول أعلى درجة من الثاني كما أن

---

(١) انظر لتوضيح «الأناجيل المتشابهة» الموجز: الباب الثالث، تحت عنوان جانبي «رسائل بولس والأناجيل الأربعة».

(٢) Will Durant: Story of Civilization, Chap. 27, Section 3 (Arabic Translation 11:274-276, English Edition, vol. 3,pp. 584f).

(٣) Ibid., 11:311 (Chap. 28, Section 4).

(٤) H.Leitzmann: op. cit., p.103.

(٥) J.L.Hurlburt: The Story of the Christian Church (Toronto, 1933), pp. 86-87.

http://kotob.has.it/

«الابن» لم يكن أزليًا؛ إذ لم يكن له وجود في وقت[١]. فاستطاع آريوس بقوة براهينه، وبراعة خطابته، أن يؤثر في كثير من الناس[٢] ولكنه واجه معارضة شديدة أيضًا. وكان من أبرز معارضيه الإسكندر أسقف الإسكندرية، وأثناسيوس (Athanasius) اللذان أيّدا فكرة اللوجوس، أي كون المسيح مظهرًا مجسّمًا لحكمة الإله، وعقيدة أزلية المسيح وألوهيته[٣]. والملاحظ أن كتابات أثناسيوس نفسه تدل بوضوح على أنه لم يكن يدرك كنه ما قدمه من أفكار وعمقها الحقيقي في موضوع اللوجوس. «قلما أدرك أفكاره الغزيرة إدراكًا»[٤]، أما الموضوع الثاني فأثاره أسقف شامي وهو أبو لينيريس (Apollinaris) في العقد السادس من القرن الرابع قائلاً بأن ماهية يسوع وحقيقته لم تكن ناسوتية، بل كانت لاهوتية، وبعبارة أخرى كان يسوع إلهاً في الشكل الإنساني الذي عاش حياة أرضية. ولكن معظم الأساقفة كانوا يرون أن الناسوتية واللاهوتية اندمجتا في ذات المسيح واتحدتا فيها[٥].

والمناقشة حول الموضوع الثالث بدأت على يد راهب اسمه بيلاجيوس (Pelagius) الذي أنكر عقيدة أساسية للمسيحية المتداولة وهي عقيدة الكفارة عن «الخطيئة الأزلية»[٦] وقال: إن انتقال خطيئة آدم إلى ذريته بالوراثة أمر غير معقول[٧]، وأما ميلنا إلى الخطايا فلم نرثه من آدم، بل إن الإرادة الإنسانية الحرَّة تختار أحد الطريقين: طريق الشر أو طريق البر[٨].

خالف هذه الأفكار فيلسوف مسيحي مشهور يدعى أوغسطين (Augustine) وأتباعه، وقالوا: إن المولود يولد مخطئًا بسبب خطيئة آدم، فإن مات هذا المولود دون تعميده[٩] فإنه يظل محرومًا من الخلاص[١٠].

---

(١) H.C. Wickersham: A History of the Church, Moundsville (U.S.A), 1900, p. 112; J.N.D. Kelly: Early Christian Creeds, p. 233; Crane Brinton: Civilization in the West, p.119; Edward Gibbon: op. cit., vol. 2, p. 345.

(٢) A.P. Stanley: Lectures on the History of the Eastern Church (London, 1883), p. 94.

(٣) H.M.Gwatkin: The Arian Controversey, London, 1920, pp. 28-29.

(٤) Edward Gibbon: op. cit., vol.2, p. 340.

(٥) J.L. Hurlburt: op. cit., p.87

(٦) انظر تفصيلها في الباب السادس.

(٧) Henry Chadwick: op. cit., p.277.

(٨) J.L.Hurlburt: op. cit., p.87.

(٩) المراد بالتعميد غمر شخص في الماء، أو صب الماء أو رشه عليه لغرض تنصيره رسميًا، وتزيل هذه العملية، حسب العقيدة المسيحية، أثر الخطيئة الأزلية عن الإنسان. انظر: American People's Encyclopaedia, vol. 3, p. 38.

(١٠) D.C. Somervell: op. cit., pp. 150-151.

http://kotob.has.it/

الملوك والمجامع «الصانعة المسيحية»:

من نهاية القرن الأول إلى بداية القرن الرابع الميلاديين كانت المسيحية وأصحابها في أزمة شديدة، حيث كانت تعاني من ظلم ملوك الرومان واضطهادهم، إلى أن مال الإمبراطور قسطنطين (Constantine) إلى المسيحيين، وأصدر سنة ٣١٣م أمرًا بالتسامح معهم(١).

وإن كان دخول قسطنطين في المسيحية لم يتم إلا في الأيام الأخيرة من حياته، إلا أنه كان مهتمًا قبل ذلك أيضًا بأمور المسيحية وأتباعها ومساعدتهم(٢). فازدهرت المسيحية بعد توقف الظلم والاضطهاد، وبمساعدة قسطنطين وورثته. ولكن هذا الازدهار جاء بشيئين بالغي الأهمية: أحدهما، حدّة المناقشات والمجادلات بين العلماء المسيحيين، وثانيهما، تدخل الملوك والحكام في هذه المناقشات؛ وهؤلاء كانوا غير ملمين بالدين والعلم على الإطلاق، فكان همّهم الأول والأخير إقامة الأمن والسلام في الدولة، وكانوا يراعون ذلك أثناء تدخلاتهم في هذه المجادلات دون مراعاة الأدلة والبراهين وأثرها في حل المنازعات الدينية(٣).

وأما زعماء المسيحية ورجالها المختلفون فيما بينهم فقد بدأوا أيضًا يجرون وراء البحث عن تأييد الملوك لأفكارهم بدلاً من اعتمادهم على الحجة والعقلانية؛ وأحيانًا كانوا يقدمون الرشوة لهذا الغرض، كما سيتضح مما يأتي بعد قليل.

فاختُرِعَت، بموافقة الملوك وزعماء الدين معًا، طريقة غريبة للغاية، وهي حق التغيير والتبديل في الأمور الدينية للأساقفة في اجتماعاتهم ومجامعهم، وإدخال ما يرونه ملائمًا، وإخراج ما يقررون إخراجه من الدين، حتى وإن كان الإنجيل المحرَّف لم يسمح لهم بذلك.

يقال في قصة اعتناق قسطنطين المسيحية: أنه رأى في السماء علامة صليب براق واعتبر ذلك بشارة لانتصاراته في الحروب(٤). ولكن الحقيقة التاريخية تثبت أنه لشدّة ولوعه بالحكم والملك قتل ابنه الأكبر كريسباس (Crispus)، ثم قتل رابَّتَه في تهمة قتلها إيّاه، وندم على كل ما فعله، وأراد أن يتوب. ولكنه علم أن التوبة مستحيلة في الديانة الرومانية،

---

(١) Ibid., p.11.
(٢) Ibid., p.74.
(٣) H. Leitzmann: op. cit., p. 82; J.L. Hurlburt: op. cit., p.85.
(٤) Encyclo. Brit. (1962), 6:299f.

http://kotob.has.it/

فمال إلى المسيحية ورغب فيها[١].

وبالإضافة إلى ذلك كان قد فطن إلى أن إيقاف الظلم عن المسيحيين واتحاد الكنيسة المسيحية وتعاونها معه من أمسّ الحاجات السياسية للدولة.

"He had hoped that Christianity would help the unity of the Empire".

«كان يرى أن اتحاد المسيحيين سوف يؤدي إلى اتحاد الإمبراطورية كلها»[٢].

وكان يقلق من أن يرى:

"The ministers of God were wrangling amongst themselves like ordinary litigants".

«أن الكهنة الممثلين للإله يتضاربون فيما بينهم مثل عامة الشعب»[٣].

فكانت صراعاتهم العنيفة تؤثر في أمن الدولة، فقرر عقد مجمع للعلماء المسيحيين. وقبل ذلك أرسل إليهم الخطابات والرسل لإنهاء الخلافات فيما بينهم، يقول في إحدى رسائله أن:

"Restore me then my quiet days and untroubled nights that I may retain my joy, the gladness of peaceful life".

«أصلحوا فيما بينكم، وأعيدوا إليّ أيامي الهادئة وليالي الآمنة؛ حتى أستطيع أن أعيش حياة سعيدة آمنة»[٤].

وكان المجمع ينعقد في أنقره، ولكن قسطنطين أمر بنقله من هناك إلى مكان قريب من قسطنطينة واسمه نيقية (Nicaea).

"So that he would personally control the proceedings".

«حتى يتابع بنفسه حضور المجمع وأحداثه»[٥].

ويعرف هذا المجمع في تاريخ المسيحية «بالمجمع العالمي الأول»، وقد سجّل أحد مشاركيه البارزين وهو أوسابيوس نيكوميديا (Eusebius of Nicomedia) أحداثه - يقول

---

(١) J.B. Firth: Constantine The Great (London, 1890), p.196.

(٢) John Foster: op. cit., p. 139.

(٣) W.H. Frend: The Donatist Church, London, a later 18th. century publication, p. 153.

(٤) J. Kaye: The Council of Nicea (London, 1853), p. 25.

(٥) Henry Chadwick: op. cit., p. 130.

http://kotob.has.it/

البروفيسور ليتزمان (Leitzmann) ناقلاً عن كتاب أوسابيوس الأصلي:

"He (the Emperor) not only listened attentively and gave signs of his agreement or disagreement but took part in the discussions in order to guide them to the desired goal of peace".

«لم يكن (الإمبراطور) ينصت ويبدي رأيه بالموافقة أو بالاختلاف فحسب، بل كان يشارك بتوجيهاته في المناقشات حتى يرشد المشاركين إلى الوصول إلى الهدف المنشود وهو تحقيق الأمن والوحدة»(١).

وكانت نظريات آريوس (Arius) وأتباعه أهمّ الموضوعات التي نوقشت في المجمع، فهؤلاء كانوا يقولون:

"The son of God was not eternal, but created by the Father".

«إن الابن ليس أزليًا، بل هو من خلق الأب»(٢).

وكان معارضو هذه الفكرة يلحون على أزلية المسيح(٣). وقبل انعقاد المجمع وجد عدد كبير من مؤيدي أفكار آريوس في الكنيسة، مع ملاحظة الصراعات العنيفة بينهم وبين الآخرين(٤).

فاتُّخذ القرار، بتوجيه من الإمبراطور، في حق المعارضين، وأغرب من ذلك أن القرار جاء أكثر مما كانوا يطلبونه، أي قرَّر المجمع أن «الابن والأب» من جوهر واحد، وأن يسوع إله كامل وإنسان تام»(٥). يقول البروفيسور ليتزمان في تاريخه المفصّل عن الكنيسة:

"It is quite astonishing that the Emperor should have placed great emphasis on introducing into the creed a term that hitherto neither of the parties had put forward, the term 'homousios".

«والشيء المدهش أن الملك أصَرَّ على إدخال مصطلح لم يقدمه أحدٌ من الجانبين أي اتحاد الجوهر»(٦).

---

(١) H. Leitzmann: From Constantine to Julian, p. 118.
(٢) Oxford Dictionary of the Church. p. 80.
(٣) H. Leitzmann: op. cit., p. 86.
(٤) L.Dechesne: Early History of the Christian Church, London, 1933, vol. 2, pp. 99,127.
(٥) John Foster: op. cit. (The First Advance), p. 140.
(٦) H. Leitzmann: op. cit., pp. 118-119.

http://kotob.has.it/

يعني ذلك أن القرار الذي قتل على أساسه آلاف من الناس ودُمّروا وأحرقوا، لم يعتمد مطلقًا على أقوال عيسى أو على الأناجيل أو حتى على الإنجيل المحرّف؛ ولذلك يقول المحققون المسيحيون المنصفون بصراحة:

"Its key phrase - of one essence with - nowhere appears in the Scripture".

«ألفاظها (هذه العقيدة) الأساسية ـ من جوهر واحد معًا ـ غير موجودة في الكتاب المقدس»[١].

فكانت هذه الألفاظ تعبّر عن آمال الإمبراطور وأفكاره، والعجيب أنه عندما قدَّم هذه الأفكار في المجمع، وأخذ موافقة الأساقفة المشاركين عليها لم يكن قد دخل في المسيحية، فسلوكه لم يكن دينيًا[٢].

"Thus the amateurish theology of the Emperor,supported by the immeasurable prestige due to his status, became interwoven with modes of thought which were responsible for the furthering of learned speculation".

«وقد لعب الفكر اللاهوتي غير الناضج لدى الإمبراطور بالإضافة إلى سلطته دورًا حاسمًا في تكوين أفكار الأساقفة المشاركين في مناقشات المجمع العلمية»[٣].

فكانت النتيجة حسب مشيئته، وكما قيل:

"The disagreement about the faith had been ended in accordance with the Emperor's ideas".

«انتهى الخلاف في العقيدة وفق أفكار الملك»[٤].

---

(١) H. Muller: op. cit. (Uses of the Past), p. 167.

(٢) J.L. Hurlburt: op. cit., p. 74; Encyclo. Brit. (1962), vol. 5, p. 676.
وقد اهتم ابن تيمية أحد علماء الإسلام في عصره بتوضيح طرق تكوين العقائد لدى كبار المسيحيين، رغم عدم توافر المصادر المسيحية التاريخية والدينية في عصره. يقول في أحد المواضع: إن ما وضعه المجمع، بتوجيه الملك قسطنطين من العقائد مثل التثليث وروح القدس وكون المسيح ابن الله وكونه من جوهر الرب، ينعدم ذكرها في أقوال الأنبياء السابقين، وحتى في أقوال عيسى. انظر كتاب الإمام الجليل: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ج ١ ص ١٨ و ج ٣ ص١٤٣ .

(٣) H. Leitzmann: op. cit., p. 119.

(٤) Ibid., p. 121.

http://kotob.has.it/

وإن كان بعض العلماء المشاركين ـ من غير أتباع آريوس (Arian) ـ غير راضين عن الطريقة وعن الألفاظ التي اختارها المجمع بتوجيه من الإمبراطور، ولكنهم اضطروا إلى الموافقة رغم أنفهم ـ وكان أوسابيوس قيصر (Eusebius of Caesarea) «الذي اعتبر عديم المثال من بين العلماء المسيحيين في العصر القديم» من الذين وقعوا على قرارات المجمع رغم عدم رضاهم[١].

"They could not help what they did, and they hoped that the achievement of peace within the Church would justify the dubious means".

«لم يكونوا (أي أعضاء المجمع) قادرين على أكثر مما فعلوه، وكانوا يرجون من كل ذلك تحقيق الأمن والوحدة في الكنيسة؛ فإذا تحقق ذلك فسوف يبرّر (تلقائيًا) تلك الوسائل المشكوك فيها، والتي اتُّخِذَتْ لهذا الغرض»[٢].

وهكذا أُزيل هذا العائق الأخير في طريق «الأمن والوحدة» بنفي آريوس ومؤيديه من البلد[٣]، وصارت «العقيدة النيقية» أساسًا لعقائد الكنيسة كلّها. وحين تضايق آريوس من النفي والغربة ومشكلاتهما، صادق على وثيقة العقيدة بعد عدد من تعليقات شخصية[٤].

ولكن بعد وفاة قسطنطين (٣٣٧م) بدأ أتباع آريوس ينشطون مرّة أخرى، كما أن الخلافات بين الكنيسة اليونانية والكنيسة الرومانية (الشرقية والغربية) أخذت تفرض نفسها وتظهر بقوة[٥]. وفي سنة ٣٤١م انعقد مجمع كنسي لقسيسي اليونان في أنطاكية، واحتجوا على سيطرة الكنيسة الرومانية ورئيسها يوليوس (Julius) (٣٣٧م ـ ٣٥٢م)، ولاموه؛ لأنه استقبل في الروم مُلحدًا منفيًّا وهو مارسلياس (Marcellas)[٦]، وكانت «جريمته» أنه:

"wanted a strictly Biblical theology, based on texts, not on Plato or Origen".

---

(١) Lectures on the Lives and Times of the Christian Fathers: Lecture by M.Gwatkin (London, 1896), pp. 331-334.

(٢) Henry Chadwick: op. cit., p. 120; Encyclo. Brit. (1962), vol.2, p.527.

(٣) Ibid.

(٤) H.Chadwick: op. cit., p. 134; Will Durant: op. cit. (Arabic, 12:19; English Edition: vol.4, pt.1).

(٥) H.Chadwick: op. cit., pp. 137-138.

(٦) Ibid.

http://kotob.has.it/

«كان صارمًا وملتزمًا باتخاذ النصوص الإنجيلية أساسًا للعقائد والإلهيات المسيحية بدلاً من أفكار أفلاطون أو نظريات أوريجن».

وإلى جانب ذلك كان «يرى أن الأب والابن وروح القدس أحوال ثلاثة لفعالية الإلٰه الواحد، وليسوا أشخاصًا مختلفين»[١].

فالقضية الآن لم تعد قضية اعتماد العقائد والأفكار الدينية على تعاليم عيسىٰ أو حتى على الإنجيل المحرَّف أو نظريات بولس، بل إنها أخذت سمة أخرى. فإذا أعجب آباء الكنيسة بفكر فيلسوف مسيحي أو بفلسفة إغريقية، وأرادوا الإفادة منها في عقائدهم ـ أو نشرها ـ كانوا يحتاجون فقط إلى شيء واحد وهو تأييد الملك، وأيضًا العكس، فإذا أراد أحد الآباء معارضة هذا الفكر فكان في أمسّ الحاجة إلى الشيء نفسه (تأييد الملك)، ولذلك نرى الازدهار في انتشار النظريات الآريوسية بعد موت قسطنطين. والسبب في ذلك أن أحد خلفائه وهو قسطنتيوس (Constantius) تأثّر بقسّيس آريوسي وهو والينس (Valens) أثناء إقامته في كنيسته للسكون الروحاني، وذلك خلال محاربته أعداءه. فدبّر والينس الأمر حتى يصل نبأ الانتصار إليه قبل وصوله إلى قسطنتيوس، ونجح في ذلك، فعندما وصله هذا الخبر دخل على الملك وقال: إن ملكًا بشّره بالفوز والانتصار على الأعداء. . .

"Constantius never forgot his services , and from that moment made Valens his confidant".

«فمنذ هذه اللحظة أدخله قسطنتيوس في ندمائه وقرّبه إليه، ولم ينس خدماته طول حياته»[٢].

وعقد الملك، بإشارة من والينس، مجمعًا كنسيًّا في ميلان (Milan) سنة ٣٥٥م، وحين عرضت فيه العقيدة النيقية للموافقة، مُنع المندوبون من ذلك؛ وأمروا بعقد الجلسات في القصر الملكي بدلاً من الكنيسة، كما أنهم أمروا بذمّ أثناسيوس أحد مخالفي الآريوسية البارزين دون الخوض في تفاصيل العقائد. و

"Constantius secretly listened to the speeches. He increased the pressure on the bishops in order to attain his end of condeming Athanasius".

---

(١) Ibid., p. 135.
(٢) H. Leitzmann: op. cit., pp. 212-213.

http://kotob.has.it/

«ظل الملك يستمع إلى الخطب خلف الستار، ويؤثر في القسيسين المشاركين إلى أن اتفق أغلبية المجمع على ذمّ أثناسيوس»(١).

وقد جدت في هذا العصر ثلاث نظريات عن ماهيّة عيسى ومكانته وهي:

١) فكرة مجمع نيقية، وهي أنه هو و «الرب الأب» من جوهر واحد.

٢) فكرة معظم الأساقفة اليونانيين، وهي أن طبيعته وماهيته مثل الأب.

٣) الابن مختلف عن الأب وهو خلق مستقل عنه.

وكانت فكرة الثانية تعتبر معتدلة من بين هذه الأفكار، وكان والينس ينوي نشرها مع التركيز على هذه الكلمات فقط «مثل الأب» دون الغوص في مناقشات عن جوهر عيسى وماهيته.

فأمر الملك سنة ٣٥٩م عقد مجمعين، أحدهما للكنيسة الشرقية، وثانيهما للغربية، وعيَّن عليهما مراقبين، وكلّفهم بألا يسمحوا للقسيسين بالانصراف إلى البيوت حتى يؤيدوا العقيدة المعدّلة مكان العقيدة النيقية. وحاول آباء الكنيسة الغربية مقاومة هذا الأمر دون فائدة، فعندما اشتدت الحالة ولم يسمح لهم بالخروج من شهر مايو إلى شهر أكتوبر استسلموا وحققوا بغية الإمبراطور؛ فكانت النتيجة كما يقول عالم مسيحي مشهور وهو سانت جيروم: «بدأ العالم يتأوّه تحت سيطرة الحركة الآريوسية»(٢).

فبدأت العقائد، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، تقرّر على أساس القوة وتأييد الملوك والحكومات؛ فحين مال الإمبراطور قسطنطين إلى نظريات أثناسيوس ونصرها، معارضًا لأفكار آريوس وحركته اتبعه المجمع النيقي الأول في ذلك، وتبنى العقيدة التي أعجبت الإمبراطور، وهي أن المسيح والإله «متحدان في الأصل»، وهما أزليان من «جوهر واحد»، فاعتبرت هذه العقائد صحيحة آنذاك؛ ولكن عندما تولى قسطنتيوس الحكم ورغب في أفكار أريوس، جمع عددًا من الأساقفة ونجح بوسيلتهم أن يغيّر في هذه العقيدة حسب رغبته، وهي أن المسيح ليس أزليًا ولا متّحدًا مع الإله، كما أنهما ليسا من جوهر واحد، بل إن المسيح «مثل الإله» لا أكثر ولا أقل من ذلك. فأصبحت المسيحية وعقائدها

---

(١) Ibid., p. 215.

(٢) انظر تفصيل ذلك في:

H. Chadwick: op. cit., pp. 141-143; H.Leitzmann: op. cit., pp. 225-232; A.C. Macgiffert: A History of Christianity in the Apostolic Age, London, 1897.

http://kotob.has.it/

لعبة في أيدي الملوك والأساقفة، يلعبون بها كما يشاؤون، ويتصرفون فيها حسب حاجاتهم.

بدأت الحركة الأريوسية تتطور وتزدهر تحت رعاية الملك قسطنتيوس وظهر مفكر مسيحي هو ميسي دونيوس (Macedonious)، وأنكر ألوهية روح القدس وكونه أقنومًا من الأقانيم الثلاثة[١]. ولكن الظروف تغيّرت بعد موت قسطنتيوس مرّة أخرى، وظهرت أفكار وحركات تؤيد بقوة العقائد النيقية والأثناسية، فادّعى أبالي نيريس (Apollinaris) وأتباعه أن المسيح إلٰه في طبيعته، وأنه يخلو من الطبيعة الإنسانية كليّةً[٢].

لم تكن الأفكار الآريوسية تعجب عامّة الناس لكونها غير مفرطة نسبيًا في شخص المسيح؛ فظلّ الشعب المسيحي يميل إلى العقائد الأثناسية حتى في عصر الإمبراطور قسطنتيوس[٣]. وقد كان الإمبراطور ثيودوسيوس الأوّل (Theodosious I) نفسه من مؤيدي العقائد النيقية، وعقد سنة ٣٨١م المجمع العالمي القسطنطيني، وحذّر قبل انعقاده الكنيسة الشرقية (اليونانية) من معارضة ما يريده من تصديق العقائد النيقية (وكانت المعارضة متوقعة منها)، كما أنه طلب من أساقفة الكنيسة الشرقية أن يخضعوا لرئاسة أسقف الإسكندر بطرس (Peter)، الذي عُيّن خليفة لأثناسيوس بعد وفاته[٤].

وفوق ذلك عيّن أحد مؤيدي عقيدة التجسّد وفكرة اللوجوس وهو ميليثيوس (Meletius) رئيسًا لهذا المجمع، وبهذا أصبحت رغبة الملك أوضح من الشمس[٥]. فأثمرت كل هذه الجهود، واتفق المجمع على العبارة الأساسية للعقيدة النيقية، وهي «جوهر واحد»، كما أنه اتفق على أن المسيح إلٰه وإنسان معًا، وأن «روح القدس انبثق من الأب»[٦]. ومن هنا مُهّد الطريق لاعتبار روح القدس ركنًا أو أقنومًا من التثليث، يقول البروفيسور ليتزمان في كتاب له عن تاريخ الكنيسة:

"At Nicea, homoousia had only been affirmed with reference to the father and the son, but now and for the first time, it was expressly asserted that prayer could be addressed with equal propriety to the Holy Spirit. This was one way of formulating the theology of the Trinity".

---

(١) H. Chadwick: op. cit., p. 146.
(٢) J.L.Hurlburt: op. cit., p. 86; H.Chadwick: op. cit., p. 148.
(٣) H.Chadwick: op. cit., pp.141-142.
(٤) Ibid., pp. 150-151.
(٥) Ibid.
(٦) Ibid.

http://kotob.has.it/

«كان قرار اتحاد الأصل عن الأب والابن فقط في نيقية (مجمع نيقية)، ولكن الآن ولأول مرة جاء التأكيد الواضح بأن توجيه الأدعية جائز إلى روح القدس، (مثلما توجه إلى الأب والابن)، فهذا كان أحد الأساليب لتكوين إلهيات التثليث»(١).

وهكذا اتخذت القرارات في هذا المجمع على أساس المناقشات الكلامية بين الأساقفة من جانب، وعلى أساس محاولة تحقيق رغبات الملك من جانب آخر، يقول البروفيسور شادوك:

"Throughout this period the attitude of the Emperor was again of the first importance".

«خلال هذه الفترة كان سلوك الإمبراطور أهم شيء»(٢).

مع أن هذه القرارات، وبالأخص القرار الذي اتخذ عن روح القدس، لم تكن تستند إلى الأدلة النقلية ولا العقلية، أو حتى إلى القرارات والقوانين الكنسية السابقة(٣).

وانتصار العقيدة النيقية وتغلبها مرة أخرى أدّى إلى سيطرة عقائد التثليث وألوهية المسيح وبنوته على العالم المسيحي كله، وإن كانت المناقشات الفلسفية والخلافات الجزئية ظلّت مستمرة، لكن الاتجاه الغالب كان اتخاذ القرار الموافق لما يؤيده الملك.

نرى المثال الثاني لهذا الوضع المضحك والمؤسف في الوقت نفسه، في عصر ثيودوسيوس الثاني (Theodosius II)، حيث عيّن نسطوريوس (Nestorius) سنة ٤٢٨م بطريكًا لقسطنطينية؛ فبدأ نسطوريوس يخالف مقولة «مريم أمّ الإله» قائلاً: «إن المسيح كان مجموعة لماهيتين مختلفتين، أي الماهية اللاهوتية والماهية الناسوتية، ولم تكن هناك علاقة بينهما»(٤)، فقاوم معظم الأساقفة والعلماء هذا الاتجاه محتجين على ذلك، وكان على رأسهم سائريل (Cyril) أسقف الإسكندرية(٥)، وكان كلا الفريقين يدرك أهمية تأييد الإمبراطور ونصرته لأفكاره؛ وكانا على معرفة تامة بأن الملك يخضع لزوجته أو لأخته

---

(١) H. Leitzmann: The Era of the Church Fathers (London, 1955), p.47.

(٢) H. Chadwick: op. cit., p. 145.

(٣) "Concilium" - Conflicts About the Holy Spirit, New York, 1979; Jedin and Dolan's History of the Church, London, 1950, vol. 2, p.73.

(٤) Outline of Christianity, The Story of Our Civilization (edited by A.S. Peake and R. G. Parsons), vol. 2, p.82.

(٥) Concilium - Mary in the Churches (New York, 1983), pp. 48-49.

http://kotob.has.it/

الكبرى[(١)]. و

"Like a weather-cock, the emperor's Church policy tended to vacillate according to whether he was being controlled by his wife or by his sister".

«كانت سياسة الإمبراطور عن الكنيسة تتقلّب مثل ديك دوّارة الريح، وسبب ذلك خضوعه لسيطرة الزوجة أحيانًا أو سيطرة الأخت أحيانًا أخرى»[(٢)].

واستطاع نسطوريوس أن يشق الطريق إلى زوجة الملك ويجعلها تتعاطف مع أفكاره، ولكن سائريل في الجانب الثاني لم يستسلم واستمر في محاولاته.

"He addressed himself to the sister and wife of the emperor and he bribed the officials of the court".

«ووجّه جهوده إلى أخت الإمبراطور وزوجته معًا، وقدّم الرشوة لمؤظفي البلاط»[(٣)].

ونتيجة لهذه المحاولات غلب الوحديطبيعيون (Monophysite) القائلون بأن «مريم أمّ الإله»، وأن ماهيّة المسيح واحدة غير منقسمة (منشطرة) إلى لاهوتية وناسوتية.

"At a Council held in Ephesus (449)... the Alexandrine doctrine of the one nature received the sanction of the Church".

«وفي مجمع عُقد في أفسس سنة ٤٤٩م أيّدت الكنيسة نظرية: الطبيعة الواحدة»[(٤)].

وهي نظرية فلاسفة الإسكندرية.

رغم ذلك وُجد المسيحيون من أتباع نظريات نسطوريوس في كردستان إلى عهد قريب، كما أن أفكاره أثرت في عقائد الكنيسة الشامية، ومن هناك تسرّبت إلى بعض مناطق الهند والصين[(٥)].

والملاحظ أنه لم يكن يشترط في اتخاذ القرارات في مجمع أفسس (أو في أي مجمع من

---

(١) H. Chadwick: op. cit., pp. 194-196.
(٢) Ibid., p. 196.
(٣) Encyclo. Brit. (1962), 16: 245.
(٤) Ibid., vol.8, p.895.
(٥) Ibid., vol. 16, pp. 244-245.

http://kotob.has.it/

المجامع المسيحية) أن تؤيدها نصوص من الإنجيل. يقول كتاب «موجز عن المسيحية» - وهو كتاب موثق عن تاريخ المسيحية في خمسة أجزاء ضخمة - عن فريق من علماء الإسكندرية الذين انتصروا في هذا المجمع:

"The scholars of Alexandria were accustomed to begin by taking for granted the general theory of Incarnation of the Word or Son of God, and only then to proceed to ask how, in the light of this general conception, the Scriptures were to be interpreted".

«كان من عادة علماء الإسكندرية أن يقبلوا، مبدئيًا النظريات العامة عن المسيح القائلة بأنه ابن الله وكلمته، بعد ذلك كانوا يُقبلون على محاولة تفسير الإنجيل وشرحه حسب هذه النظريات»(١).

ولا يعني ذلك أن علماء الفرق الأخرى من أتباع نسطوريوس مثلاً، أو غيرهم من علماء أنطاكية وقسطنطينية، كانوا يؤسسون أفكارهم على نصوص الإنجيل عكس علماء الإسكندرية، فهم أيضًا كانوا يذهبون إلى النصوص بعد تبني النظريات المتطرفة، فالفرق بين هذين الفريقين كان في الدرجة فقط؛ ولذلك جاء في هذا الكتاب المذكور آنفًا:

"The great scholars of Antioch (while holding fast...to the Faith in Christ who was both human and divine) were accustomed to approach the study of the New Testament... with their minds less made up in advance".

«كان علماء أنطاكية العظماء (مع تمسّكهم بالعقيدة التي تقرر أن المسيح إله وإنسان معًا) يطالعون العهد الجديد وأذهانهم خالية، نسبيًا من الأفكار السابقة»(٢).

فخلاصة القول أن العقائد المسيحية أصبحت لعبة في يد الحكّام والأساقفة ومجامعهم، فكما كان الملوك والأساقفة يلعبون بالعقيدة النيقية في الماضي رفضًا وقبولاً كذلك لُعب بالعقيدة المتعلقة بماهية المسيح وطبيعته.

لم يعجب قرار مجمع أفسس كثيرًا من الناس، ومنهم أسقف الروم البابا ليو (Leo). فلجأ إلى أخت الإمبراطور بولكاريا (Pulcheria) وخطّط المؤامرة بمساعدتها، وبدأ ينتظر

---

(١) Outline of Christianity, vol. 2. p.9.

(٢) Ibid.

http://kotob.has.it/

الفرصة الملائمة[١] لتنفيذها إلى أن تولت بولكاريا الحكم سنة ٤٥١م بعد وفاة ثيودوسيوس الثاني سنة ٤٥٠م، وأمرت بعقد مجمع خلقيدونة الرابع تحت رعايتها، وأعلنت أن مجمع أفسس مجمع سارق، وأن قراراته ينبغي أن تلغى، وقرّرت أن المسيح كان مجموعة من الطبيعة اللاهوتية والناسوتية، وأنه كان إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً معًا[٢].

الفرق القبطية والمارونية وغيرهما :

لم يقبل اليعقوبيون الشاميون والقبطيون المصريون وأهل أرمينيا وأهل أثيوبيا القرارات التي اتخذت في مجمع خلقيدونة، وظلوا متمسكين بوحدة طبيعة المسيح، أي أن الإله والمسيح متحدان في الطبيعة والجوهر. وظلت هذه العقيدة سابقة الذكر تسيطر على الشام ومصر لمدة طويلة، وما زالت آثارها تلاحظ في كنائس شرقية يونانية[٣].

نشأت فرق مسيحية كثيرة نتيجة القرارات المتناقضة لمجمع أفسس وخلقيدونة، منها: الفرقة المارونية التي ظهرت في القرن الخامس، والتي تنسب إلى راهب شامي يدعى القديس مارون (St. Maron). وانتشرت أفكاره من الشام إلى لبنان ومصر وقبرص إلى أن وصلت إلى أمريكا، ومازال عدد كبير موجود في لبنان من أتباع هذه الفرقة وخلاصة أفكارها أن الماهية اللاهوتية والماهية الناسوتية موجودتان في شخص المسيح، ولكن المشيئة واحدة. وكانت هذه الفرقة متردّدة في قبول رئاسة الكنيسة الرومانية لمدة طويلة إلى أن قبلت ذلك في القرن الثاني عشر. ومن خصائص هذه الفرقة أن أتباعها لا يزالون يستخدمون اللغة الآرامية القديمة في بعض أدعيتهم[٤].

فالخلاصة أن قرارات هذه المجامع المسكونية، واتجاهات الإمبراطور قسطنطين وورثته في الملك وتدخلاتهم في الأمور الدينية، ودور علماء المسيحيين الملكيين، كل ذلك حرّف المسيحية وأفسد أسسها. وحقًّا قال بعض علماء الفرقة الدونيتية (Donatist) ضد هذا الاتجاه:

"The Catholics were evil priests working with the kings of the world. Relying on royal favours, they had renounced Christ".

---

(١) H. Chadwick: op. cit., pp. 202-203.

(٢) Encyclo. Brit. (1962), vol. 15, p. 729; H.Chadwick: op.cit., pp. 203-204.

(٣) H. Chadwick: op. cit., p.210; American People's Encyclopaedia, vol. 13, p.934.

(٤) American People's Encyclopaedia, 13:166; Encyclo. Brit. (1962), 5:732, and 14:935.

http://kotob.has.it/

«كان علماء السوء من الكنيسة الكاثوليكية قد اتحدوا مع ملوك الدنيا معتمدين على نصرتهم. بعد أن تخلّوا عن المسيح ورسالته»[١].

ويتضح من ذلك أن العقائد الأساسية للمسيحية الحالية ثمرة لقرارات الملوك والبطاركة، فإن اختار هؤلاء القوم عقائد مغايرة لها آمن بها الناس كما يؤمنون الآن. يقول العالم الألماني هارنيك: «إن العقائد المسيحية تعتمد على الأناجيل جزئيًا، وإنها في الحقيقة ثمرة للروح اليونانية والعوامل التاريخية»[٢].

انفصال الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية :

العوامل والأحداث والمناقشات التي سلف ذكرها غرست بذرة الانفصال بين الكنائس الشرقية والغربية، ولكن الانفصال الحقيقي والذي يُعرف بـ«النفاق العظيم»(Great Schism) تمّ في العصور المتأخرة. والسبب الأساسي في الانفصال التام هو الخلاف الذي ظهر في عصر ملك الإمبراطورية الرومانية الشرقية ليو دي يسورين (Leo the Isaurian) (٧١٧م ـ ٧٤٠م). وقد كان هذا الملك يرى أن سبب انهزام المسيحيين المستمر أمام المسلمين آنذاك يكمن في فساد عقيدتهم، فالمسيحيون انغمسوا في عبادة تماثيل الرهبان وآثارهم[٣]؛ فأصدر أمرًا بتحطيم التماثيل (Edict of Iconoclasm)، فحطمت التماثيل في الكنائس الكائنة في منطقته. وجاء رد فعل بابا روما جريجوري الثالث على ذلك بإعلان براءته من الملك سنة ٧٣١م، واعتبره مستوجب اللعنة[٤]. فتوقفت الكنيسة الشرقية عن تحطيم التماثيل بعد ذلك، ولكنها رغم ذلك بدأت تبتعد عن الكنيسة الرومانية أو اللاتينية أو الغربية شيئًا فشيئًا. والسبب هو أن رئيس الكنيسة الشرقية (والذي يسمى بطريكًا) لم يكن يودّ أن يخضع لرئيس الكنيسة الغربية أي لبابا روما، إضافة إلى أن أهل الكنيسة الشرقية كانوا لا يودون تحديد الكنيسة الغربية يوم السبت للصوم وهو يوم اليهود، كما أنهم استغربوا منعها الأساقفة من الزواج[٥]. وكان للملك شارليمان (Charlemagne) أو شارل

---

(١) W.H.Frend: op. cit. (The Donatist Church), p. 326.

(٢) Adolf Harnack: History of Dogma (Eng. Trans.), London, 1905, vol. 1, pp. 16-17.

(٣) D.C. Somervell: op. cit., p.157.

تسربت عبادة الأصنام في أتباع المسيحية بعد الإمبراطور قسطنطين مباشرة، وذلك تحت تأثير الديانة الرومانية الوثنية. انظر: W.C. Wickersham: op. cit., p. 137.

(٤) D.C. Somervell: op. cit., p. 158.

(٥) J.L. Hurlburt: op. cit., pp. 126-127.

http://kotob.has.it/

الأعظم (٧٢٢م - ٨١٤م) - الذي تمكن من الحكم على الإمبراطورية الرومانية المقدسة بمساعدة بابا روما ليو الثالث (LeoIII) - دخل كبير في الانفصال النهائي بين الكنيستين، وقد انفصل عن ملوك قسطنطينية الشرقيين[١]، وبدأ يتدخل - مثل الملوك السابقين - في المناقشات العقدية؛ وأظهر اهتمامه البالغ بالمناقشة الدائرة بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية حول موضوع مهمّ عرف «بانبثاق روح القدس»[٢]، وكان مجمع قسطنطينية المسكوني قرّر أن روح القدس «منبثق من الأب» (proceeding from the Father) [٣]، ولكن بعض الأساقفة من الكنيسة الرومانية الغربية كانوا يفضلون أن يقولوا «المنبثق من الأب عن طريق الابن»[٤]. ثم تطور الأمر نحو التطرف إلى أن قيل عن روح القدس: إنه «منبثق من الأب والابن»، فاشتدت المناقشات بين الشرق والغرب حول هذا الموضوع[٥]، إلى أن أمر الملك شارليمان إضافة كلمة يونانية (Filioque) إلى عبارة العقيدة التي قرّرها مجمع قسطنطينية، وتعني هذه الكلمة «ومن الابن»؛ وكانت هذه الزيادة رغم رغبة البابا[٦].

"The objection of the Eastern Church to this insertion caused the final rupture between the two Churches in 1054".

«فأدّى اعتراض الكنيسة الشرقية - كما يقول سمرويل (Somervell) - إلى الانفصال التام والنهائي بين الكنيستين سنة ١٠٥٤م»[٧].

وظل الروم مركزًا للكنيسة الغربية؛ وأمّا مركز الكنيسة الشرقية فكان القسطنطينية ولكنه انتقل إلى موسكو بعد فتح المسلمين للقسطنطينية، وسمي بالكنيسة الأرثوذكسية المقدسة[٨]. ثم تفرعت منها الكنائس الروسية واليونانية والقبطية والأرمينية والشامية، ولكنها ظلت متفقة على ألوهية المسيح وبنوته وعلى عقيدة التثليث والكفارة[٩].

---

(١) D.C. Somervell: op. cit., pp. 160-161.

(٢) J.L. Hurlburt: op. cit., p. 126.

(٣) H.Chadwick: op. cit., p. 151.

(٤) J.N.D. Kelly: op. cit., p. 358.

(٥) J.L. Hurlburt: op. cit., p. 126; New Catholic Encyclopaedia, 14:301.
وفي الأردية والعربية أيضًا تستعمل كلمة «انبثاق» لهذه الفكرة. انظر: الكلام المقدس بالأردية، طبعة روم، ص: ط.

(٦) D.C. Somervell: op. cit., p. 161.

(٧) Cambridge Medieval History (1924), vol. 4, p.268; D.C. Somervell: op. cit., p. 161, footnote.

(٨) D.C. Somervell: op. cit., p. 158.

(٩) C.F.Potter: The Faiths Men Live By, pp. 118-119.

http://kotob.has.it/

حركة إصلاح الكنيسة :

بعد انفصال الكنيسة الغربية من الكنيسة الشرقية وظهور «الإمبراطورية الرومانية المقدسة» استمالت البابوية تدريجيًا إلى نظام قوي محكم الأركان، ولكنّه سبب الفساد في الوقت نفسه (سنعرض لهذه القضية في الباب الأخير إن شاء الله). وحين احتك المسيحيون بالتقدم العلمي والثقافي[١] لدى المسلمين أثناء الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر وجدت صحوة ثقافية وفكرية في أوربا كلها، وبدأ الناس ينتقدون عيوب النظام البابوي ويعددون مساوئه. ومن رواد المصلحين الذين اجترأوا على الثورة وبالتالي واجهوا عقاب الكنيسة هم جان وكليف (John Wycliffe)، وايراسموس (Erasmus) وجون هُوس (John Huss) وأندرياس (Andreas) وجون ويسيل (John Wessel) [٢]. ولكن البداية الحقيقية لحركة الإصلاح الديني كانت على يد مارتن لوثر سنة ١٥١٢م في ألمانيا[٣].

كانت حركة الإصلاح الديني ـ بعد الصراعات العنيفة بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية وانفصالهما ـ فرصة ذهبية لاستعادة المسيحية الأصلية وعقائدها، وإصلاحها من التحريف الذي جاء به بولس وأتباعه، والتحريف الذي تم على يد المجامع والملوك. ولكن ـ للأسف الشديد ـ ضاعت هذه الفرصة، فلم يأت لوثر ومصلحون آخرون بتغيير جذري في العقائد المألوفة. بل إن لوثر بالذات أيّد العقيدة البولسية «النجاة عن طريق الإيمان» تأييدًا بالغًا، وهذه العقيدة تقول: إن النجاة تكمن في الإيمان بفداء المسيح المزعوم، وأمّا العمل فليست له أهمية أساسية[٤].

فالصراع، أصلاً، كان بين هؤلاء المصلحين وبين رئاسة الكنيسة الرومانية؛ ولذلك أنشأوا الكنيسة الحرَّة التي عرفت بعد ذلك بالكنيسة البروتستانتية (المُحْتَجَّة)، وأمّا الذين خضعوا للكنيسة الرومانية، فقد اجتمعوا تحت راية الكنيسة الكاثوليكية (الكاثوليكية الرومانية) أو الكنيسة العامة[٥].

وأمّا العقائد والنظريات فلم تكن هدفًا لأعلام حركة الإصلاح، فكان كالوين (Calvin) ـ وهو أحد رجال هذه الحركة البارزين ـ يحاول أن يثبت أن جماعة المسيحيين البروتستانت

---

(١) W.C.Wickersham: op. cit., p. 170; D.C. Somervell: op. cit., pp. 116-117.
(٢) W.C.Wickersham: op. cit., p.176.
(٣) J.L.Hurlburt: op. cit., p. 152.
(٤) D.C.Somervell: op. cit., p.216; Crane Brinton: Civilization in the West, New Jersey, 1973, p.298.
(٥) J.L.Hurlburt: op. cit., p.153f.

http://kotob.has.it/

أشدّ تمسّكًا بالعقائد البولسية من المسيحيين الكاثوليك(١). وكان الكاثوليك يقولون بأن

"Dogmas which the reformers decided to preserve had only been preserved for them by the authority which they denied".

«العقائد التي يحافظ عليها المصلحون ويتمسكون بها هي تلك العقائد التي صانتها لهم القوة (الكنيسة الرومانية) التي ينكرونها»(٢).

فالأفكار والعقائد الأساسية كانت موحدة رغم وجود الصراعات والانفصال.

قام بعض الناس بمحاولات الإصلاح والتوفيق بين الفريقين دون ثمرة. وأخيرًا عقدت الكنيسة الكاثوليكية مجمع تَرنت سنة ١٥٤٥م، وذمّ المجمع مخالفي هذه الكنيسة، واتخذ القرار بأن الكنيسة والبابا يساويان الكتاب المقدس في القضايا الدينية العقدية(٣). وظهرت في ذلك العصر جمعيات دينية متطرفة، مثل جمعية اليسوعيين(٤) التي ألحت على تكريم مريم المقدسة وتعظيمها، وعلى كونها «قوة نافعة جدًّا»(٥).

الفرق الأخرى:

حركة الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية لم تستطع إنشاء الكنيسة الموّحدة، فظهرت كنائس في بلاد وأوقات مختلفة. وكان الأساس المشترك بينها الانفصال عن الكنيسة الرومانية والتحرر من سلطة البابا(٦). وكانت هذه الكنائس تسمى «بالكنيسة البروتستانتية» عمومًا، ولكنها كانت مختلفة فيما بينها في أمور النظم والتقاليد المعمول بها(٧). فبعض المتطرفين مثل الصَّاحبيين (Quakers) أنكروا ضرورة التقاليد والنظم، ولكنهم أيضًا لم يقدروا على تغيير العقائد وإصلاحها(٨). وعُدَّ البعض الآخر مثل البيورتانيين متميزين، لأنهم خالفوا تقاليد الكنيسة الكاثوليكية مخالفة أشد من الآخرين، وتمسكوا في الحياة العملية بالعيشة الخشنة، وكانوا يكرهون شرب الخمر(٩).

---

(١) D.C.Somervell: op. cit., p. 224.
(٢) Outline of Christianity, vol.3, p.125.
(٣) D.C. Somervell: op. cit., p.222.
(٤) S.R.Brett: Europe Since The Renaissance (London, 1971), vol. 1, p. 88.
(٥) R.H.Glover: The Progress of Worldwide Mission (New York, 1960), p.355.
(٦) Marcus Ward: Protestant Christian Churches (Wardlock International), 1973, p.24.
(٧) D.C.Somervell: op. cit., p. 232.
(٨) J.L.Hurlburt: op. cit., p. 203.
(٩) Marcus Ward: op. cit., pp. 32,41.

http://kotob.has.it/

وانفصل عنهم بعض الفرق مثل الميثودستية (Methodists) والمعمدية (Baptists) وغيرهما؛ لأن انفصالهما عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فرض عليها الانفصال عن الجمعية المركزية للكنيسة الإنجليزية أيضًا، حتى تتمكن من العمل بالتقاليد المسيحية حقًّا. وكذلك المينونتيين (Mennonites) الذين لهم موقف خاص إزاء بعض التقاليد الكنسية[1]. وهناك أمثال كانجري جاشيونال (Congregational) وبريسبيتاريان (Presbyterian) من كان له رأي مختلف عن شكل الكنيسة الإداري: ففي الفرقة الأولى تكون الإدارة المحلية لكل كنيسة حرّة، وأمّا في الفرقة الثانية فالإدارة تكون مركزية حيث تخضع لها جميع الكنائس التابعة لها[2]. ثم تفرعت من كل هذه الفرق والاتجاهات فروع أخرى رغم أن الخلافات بينها كانت هينة، كما أنها لم تكن في العقائد الأساسية، مثل الخلاف بين الكنائس البريسباتيرين التي أصلحها كالوين (Calvin) وبين الكنائس اللوثرية في مسألة القدر[3]. فمعظم الصراعات ظهرت على أساس الخلاف في الإدارة والسلطة، والعرق والجغرافية، فهناك مثلاً كنائس مستقلة للجنوب والشمال في أمريكا، وكنائس للسود، وأخرى للبيض، أو كنائس ألمانية وهولندية، وكذلك كنائس أسبانية وفرنسية وإنجليزية كاثوليكية[4]. وعدد الفرق المسيحية المختلفة، الصغيرة منها والكبيرة، بأمريكا حوالي مائتين وخمسين[5]، ولكنها رغم كثرتها وتعدد اتجاهاتها، تسير على نمط واحد في أمر العقائد الأساسية (مثل التثليث وبنوة المسيح والكفارة). يقول هورل برت:

"Practically all the denominations hold the same creed".

«جميع الفرق تؤمن بالعقائد المتشابهة عمليًا»[6].

ويقول كاتب آخر بعد عرض الخلافات بين الفرق المسيحية المختلفة:

"When they worship, they worship Jesus; when they baptise, they baptise in his name".

---

(1) H.C.Wickersham: op. cit., p. 255f; Marcus Ward: op. cit., p.40.

(2) W.Walker: History of the Christian Church, Edinburgh, 1949, p.466f.

(3) A.L.Moore: Dictionary of the Church, pp. 6,51; D.C. Somervell: op. cit., p. 279; Marcus Ward: op. cit., p. 30.

(4) J.L. Hurlburt: op. cit., pp. 191,200.

(5) F.S.Mead: Handbook of Denominations in the United States of America (Neshville, 1968), p. 4f.

(6) J.L. Hurlburt: op. cit., p. 190.

http://kotob.has.it/

«عندما يقبلون على العبادة يعبدون المسيح، ويعمّدون باسم المسيح دون غيره»[١].

فالفروق بينها ثانوية تتعلق بالمظاهر فقط، فهناك فرقة تهتم بتقليد من التقاليد الدينية أكثر دون غيره، أو تلتزم بطريقة معينة خاصة بها في أداء التقاليد؛ وقليلاً ما نلاحظ الفرق في بعض الأفكار الثانوية، ومثال ذلك إلحاح فرقة على الالتزام بالأعمال الخيرية بدلاً من العبادات والتقاليد الكنسية، مثل جيش الخلاص[٢] أو اهتمام فرقة بمجيء المسيح مرة ثانية، وسميت بالسبتية (Adventist). ولكن شهود يهواه اجترأوا على القول بأن المسيح من خلق الله (وليس أزليًا)، ولكنهم مع ذلك ظلوا يعتبرونه ابن الله وشريكًا له في الألوهية[٣].

وهكذا لا نكاد نجد خلافًا كبيرًا بين هذه الفرق والجمعيات في مسألة العقائد. يقول اي ـ ايل مور (A.L.Moore) متحدثًا عن الفرق المسيحية الكبرى الكاثوليكية، والبروتستانت، والإنجليكانية: إن الخلاف بينها في قضية الانقياد لسلطة الكنيسة الرومانية (والبابا)، فالكاثوليك يخضعون للكنيسة الرومانية ويعتبرون البابا رئيسهم الديني؛ والأنجليكانيون وأصحاب الكنيسة الإنجليزية يعتبرون رئيس أساقفة كنتربري وملك إنجلترا زعيمًا لهم؛ وأما جماعة البروتستانت (وعدد فرقها الفرعية أكثر من الفرق الأخرى) لا يخضعون لأي من هاتين الفرقتين[٤].

الموحّدون:

أثرت حركة الإصلاح الديني في الأفكار المعاصرة، مثل المذهب العقلي في التفكير، وحركة الحداثة (Modernism) في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر؛ فأصحاب هذه الحركات الفكرية إمّا أنكروا جميع العقائد والنظريات المسيحية بما فيها المسيح والكتاب المقدس، أو حاولوا تفسير النصوص وتعاليم المسيح في ضوء الفكر الحديث. ولم يقم أحد منهم بمهمة الإصلاح في العقائد البولسية المزيفة وما شابه ذلك من عقائد متداولة في

---

(١) C.F. Potter: The Faiths Men Live By (Christianity), p. 119.

(٢) F.S.Mead: op. cit., p. 196.

(٣) Encyclopaedic Dictionary (Reader's Digest), London, 1964, vol.3, p. 1369.

(٤) A.L. Moore: op. cit., pp. 2,13, 15,65.

http://kotob.has.it/

الديانة المسيحية[١]. ومع ذلك ظهرت بفضل هذه الحركات والفكر الحرّ الحديث مجموعة من الناس، وعلماء المسيحية الذين عُرفوا بالموحدين (Unitarians) أنكروا ألوهية المسيح واعتبروه بشرًا، كما أنهم أنزلوا روح القدس أيضًا من كرسيّ الألوهية، وألحّوا على التوحيد بدلاً من التثليث[٢]. فهذه هي الجماعة التي سعت للوصول إلى الأسس الأصلية للدين المسيحي، وضحت في سبيل ذلك كثيرًا.

ومن روّاد دعاة التوحيد ميخائيل سرويطوس (Michael Servitus) ١٥٣٣م، الذي كان معاصرًا لمارتن لوثر ومؤيدًا لأفكاره في البداية، ولكنه عندما رآه ينحى منحى مختلفًا ألّف كتابًا وسمّاه أخطاء التثليث فنّد فيه هذه العقيدة، واعتبر المسيح نبيًّا وليس إلٰهًا[٣]. وكان ردّ الكاثوليكيين والبروتستانتيين على هذا الكتاب هو ربطهم نسخة من الكتاب حول خاصرته وتعليقه فوق نار مشتعلة حتى يموت بعد أن يذوق العذاب لساعات[٤]. اقترب كثير من علماء المسيحية المتأثرين بأفكار سرويطوس من الإسلام، ومنهم آدم نيوسر (Adam Neuser) الذي لجأ إلى السلطان سليم الثاني لينجو من تعذيب الأساقفة ومن الموت على أيديهم[٥]. وفي نهاية القرن السادس عشر دعا فرانسيس ديويد (Francis David) إلى التوحيد معتمدًا على «أدلّة الكتاب الواضحة وبراهين النصوص الصريحة في الكتاب المقدس»[٦]، ورفض دعاء المسيح ونداءه معتمدًا على الأدلة القرآنية أيضًا[٧].

وأبرز الموحدين المسيحيين في القرن السادس عشر هم ماريا سوزيني (Maria Sozini) وابن أخيه باولو سوزيني أو سوشينوس (Paolo Sozini or Socianus)، وفكر سوشينوس (Socianism) عرف باسمه إلى جانب نسبته إلى الفكر التوحيدي؛ وقد عُذّب كثير من أتباعه وأحرقوا[٨].

---

(١) Ibid.
(٢) J.L. Hurlburt: op. cit., p. 216.
(٣) D.B. Parke: The Epic of Unitarianism (London, 1957), pp. 5-6.
(٤) E.M. Wilbur: A History of Unitarianism, Essay on Michael Servitus.
(٥) A. Reland: Treatises Concerning the Mohametons, London, 1712. p. 215f.
(٦) E.M. Wilbur: op. cit., p. 78.
(٧) A.Reland: op. cit., p.190.
(٨) A.Wallace: Anti-Trinitarian Biographies, London, 1890, pp. 44,45,79.

http://kotob.has.it/

وفي القرن السابع عشر ألّف جون بيدل (John Biddle) (١٦٦٢م) كتابه المشهور «الأدلة الاثنتا عشرة» عارض فيه فكر ألوهية روح القدس[١].

وفي القرن الثامن عشر كانت نشاطات ليندسي (Lindsay) ملحوظة ضد عقيدة التثليث.

وفي القرن التاسع عشر خالف صانينج (Channing) وأتباعه عقيدتي التثليث والكفارة مخالفة شديدة وأنشأوا في أمريكا الكنائس التوحيدية (Unitarian Churches) التي مازالت موجودة. كان صانينج يقول:

"The Scriptures, when reasonably interpreted, teach the doctrine held by the Unitarians".

«لو فسِّرت النصوص الإنجيلية بطريقة مستقيمة لأيدت عقائد المسيحيين الموحدين»[٢].

وسنقوم في الباب التالي بشرح هذه المقولة لصانينج.

(١) D.B. Parke: op. cit., pp. 31-32; A. Wallace: op. cit., vol. 3.

(٢) E.M. Wilbur: op. cit., p. 424.

http://kotob.has.it/

الباب الخامس

المسيح - إلٰه أم رسول ؟

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب الخامس

المسيح ـ إله أم رسول ؟

بيّنا في الباب الثاني أن عيسىٰ عليه السلام دعا إلى التوحيد، مثل أنبياء الله ورسله الآخرين، ولكن بولس وأتباعه والملوك والأساقفة ومجامعهم جعلوه إلهًا وابن الإله.

ولم يبال هؤلاء بأن عقائدهم بعيدة تمامًا عن كتابهم المقدس (والذي أيضًا حرّف وبدّل). ذلك لأنهم حَسَبوا أنفسهم «صانعي العقيدة»؛ فإن وجدوا دليلاً في الكتاب المقدس يؤيد (في زعمهم) فكرة من أفكارهم اكتفوا به، معرضين عن الآيات المتعددة والبراهين النصية الأخرى الموجودة في الكتاب، والتي ترفض هذه الفكرة والعقيدة.

والأسس التي اعتمد عليها هؤلاء في عملية صنع العقائد هي فكرهم الحر، والحبّ المتطرف للمسيح وإرضاء الإمبراطور والفلسفة اليونانية، وقد سبق ذكرها في البابين الثالث والرابع.

ما مكانة الكتاب المقدس من ناحية الرواية والتدوين ؟ وإلى أي مدى يمكن أن يعتبر كلام الله ؟

سنناقش هذه القضايا بالتفصيل فيما بعد، ولكن السؤال الذي نود طرحه هنا هو ما مكانة العقائد المسيحية المتداولة، وقيمتها في نظر الكتاب المقدس، وكتابات العلماء المسيحيين أنفسهم؟

ونأخذ باديء ذي بدء عقيدة ألوهية المسيح المزعومة، وكونه ابنًا وأقنومًا من أقانيم التثليث.

كان الحواريون يعتبرون المسيح مخلِّصًا للإنسانية، ومن هنا تطور تصور الحب المتطرف لشخص المسيح لدى العلماء وعامة المسيحيين المتأثرين بأفكار بولس، إلى أن أصبح المسيح مركزًا لأدعيتهم وعبادتهم. ولم يوافق مجمع نيقوسيا على هذا التصور فحسب، بل طوّره وقرّر أن المسيح كان متحدًا مع الإله[1]، واتخذ هذا المجمع قراره على أساس الحبّ البالغ والفلسفة والرغبات الملكية، وعلى أساس عبارات للأناجيل التي لم

---

(١) Outline of Christianity, vol. 2, p.88.

http://kotob.has.it/

تكن كلام الله ولا كلام عيسىٰ، بل كانت عبارات أُقحمت فيها بتأثير الفكر البولسي. وساعدهم في ذلك صاحب إنجيل يوحنا الذي يقول في بداية إنجيله: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان . . . والكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا، ورأينا مجده مجدًا كما لوحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقًّا»[١]. ولكن إذا راجعنا الكتاب المقدس والأناجيل وجدنا أن عيسىٰ لم يكن إلٰها ولا ابن الإله، بل كان إنسانًا ورسولاً. وسوف نثبت في الأبواب الآتية أن الأناجيل، لا سيما إنجيل يوحنا، كتبت بعد رفع عيسىٰ من هذه الدنيا بزمن طويل، أي في العصر الذي كانت أفكار بولس قد سيطرت على الأذهان. ولكن الأناجيل رغم ذلك كله حفلت بالآيات التي تدلنا على العقائد الأصلية غير المزيفة، والتي أهملها الأساقفة ومجامعهم والملوك خلال عملية «صنع» العقائد.

الكتاب المقدس وعقيدة التوحيد :

لا يمكن أن نعتبر الكتاب المقدس بأكمله كتابًا سماويًا، ولكنه ـ كما قلنا ـ يحفل بجزئيه العهد القديم والعهد الجديد، بكثير من تعاليم عيسىٰ والأنبياء الآخرين التي تدعو إلى الإيمان بالتوحيد، وهذا مع ملاحظة التحريف الواضح والتبديل الصريح اللذين حدثا فيه. فانظر في كلمة بني إسرائيل المشهورة والتي وردت في سفر التثنية من العهد القديم، فهي ـ أي كلمة شمع (Shema)، وفي العربية اسمع ـ قريبة جدًّا من مفهوم الشهادتين ومفهوم الآية الأولى من سورة الإخلاص، ولاسيما في صيغتها العربية والعبرانية، ففي العربية: «اسمع ياإسرائيل إن الرب إلٰهنا رب واحد» وفي العبرانية: «شمع ياإسرائيل ادونائي ايلوهيم ادونائي إحاد»[٢].

وجاء في مكان آخر من هذا السفر نفسه: «إن الرب هو الإله، ولا إله سواه»[٣].

و «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي»[٤]، وفي سفر المزامير من العهد القديم جاء في دعاء

---

(١) إنجيل يوحنا ١ : ١ـ٤، ١ : ١٤. وقد سبق أن قلنا: إن المراد بالكلمة كلمة الله وقوته أو مظهر ذاته. وقد ورد هذا المفهوم في الكتاب المشار إليه آنفًا.

(٢) الكتاب المقدس بالعربية (ط - بيروت ١٨٩٩م) والعبرانية والأردية، سفر التثنية ٦ : ٤. وانظر عن العهد القديم والعهد الجديد بالتفصيل في الباب السابع.

(٣) التثنية ٤ : ٣٥ .

(٤) التثنية ٥ : ٧ .

http://kotob.has.it/

داود عليه السلام: «أنت الله وحدك»[(١)]، وفي سفر زكريا وردت العبارة التالية خلال ذكر «يوم الرب»: «ويكون يومٌ واحدٌ معروفٌ للرب. . . ويكون الرب ملكًا على كل الأرض. وفي ذلك اليوم لا يكون إلا الله ويكون اسمه أحدًا»[(٢)]. وهذه العبارة تشبه تمامًا ما ورد في القرآن الكريم: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾[(٣)] وَ ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[(٤)].

وورد في مكان آخر من العهد القديم: «قبلي لم يُكوَّن إلٰه، وبعدي لا يكون، أنا أنا الرَّبّ وليس غيري مخلّص»[(٥)]؛ و«أنا الرَّبّ صانع كل شيء، ناشر السموات وحدي باسط الأرض. من معي»[(٦)]. وهذه العبارات أيضًا ليست غريبة على المسلمين، فقد وردت في القرآن الكريم[(٧)]. وجاء أيضًا: «أنا الرَّبّ وليس آخر»[(٨)]، ويأتي بعد ذلك: «لا إلٰه آخر غيري»[(٩)]، وجاء في مكان آخر على لسان داود: «ليس مثلك وليس إلٰه غيرك»[(١٠)]، وَعلى لسان سليمان: «أيها الرَّبّ إله إسرائيل، ليس إلٰه مثلك في السماء من فوق ولا على الأرض»[(١١)].

فالخلاصة أن الكتاب المقدس وبالأخص العهد القديم منه حافل بالأدلة والبينات التي تثبت أن التوحيد كان تعليمًا أساسيًا للأنبياء السابقين.

وعقيدة التثليث التي تبناها المسيحيون فيما بعد، ينعدم ذكرها في العهد القديم تمامًا، وإن كان بعض المسيحيين يحاولون إثباتها منه عبثًا؛ ولذلك تقول دائرة المعارف الكاثوليكية معترفة بهذه الحقيقة:

"The doctrine of the Holy Trinity is not taught in the Old Testament".

---

(١) المزامير ٨٦:١٠ .
(٢) زكريا ١٤:٧،٩ .
(٣) القرآن الكريم ٨٢: ١٩ .
(٤) القرآن الكريم ٤٠:١٦ .
(٥) أشعياء ٤٣: ١٠-١٢ .
(٦) أشعياء ٤٤:٢٤ .
(٧) انظر مثلاً: القرآن الكريم ٢:٢٢، و ٢٧:٦٠،٦١ و٣١:١٠،١١ وغيرها من الآيات .
(٨) أشعياء ٤٥:٦.
(٩) المرجع السابق ٤٥:٢١ .
(١٠) صموئيل الثاني ٧:٢٢ .
(١١) الملوك الأول ٨:٢٢ .

http://kotob.has.it/

«لم تُعلَّم عقيدة الثالوث المقدس في العهد القديم»(١).

ونصوص العهد الجديد تثبت أن عيسى أيضًا أيّد هذه التعاليم السماوية، وأصرّ على التوحيد؛ فعندما سئل: «أية وصية هي أول الكل؟» فأجاب قائلاً: «إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل، الرب إلٰهنا رب واحد»(٢). وكذلك عندما جرِّب من إبليس، وحين أراد الشيطان من يسوع أن يخرَّ ويسجد له ويعطيه جميع ممالك العالم ومجدها، في مقابل ذلك قال عيسى: «اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد»(٣). وكان تصور التوحيد راسخًا في ذهنه لدرجة أنه عندما خاطبه أحد الناس قائلاً: «أيها المعلم الصالح» قال عيسى للمتكلم: «لماذا تدعوني صالحًا، ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله»(٤). وكذلك ورد على لسانه في إنجيل يوحنا أكثر من مرة أنه قال: «الإله الواحد»(٥).

وكل ما سبق من أقوال عيسى وتعاليمه في التوحيد يثبته القرآن أيضًا، ويخبرنا كيف بُدِّل فيما بعد: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾(٦). وحقًّا قال أحد كتاب سيرة عيسى المشهورين وهو أرنست رينان:

"That Jesus never dreamt of making himself pass for an incarnation of God, is a matter about which there can be no doubt".

«لا ريب أن يسوع لم يتصور ولم يخطر بباله أن يكون مظهرًا للإله»(٧).

التغيير في عقيدة التوحيد:

فكانت تعاليم التوحيد واضحة وصريحة جدًّا في العهدين القديم والجديد مثل الكتب السماوية الأخرى؛ ولذلك نرى بولس يعمل، في سبيل تبديلها، بدهاء شديد. ففي البداية أقرَّ بعقيدة التوحيد، ثم قيّدها بوسيلة المسيح مستخدمًا كلمة «الإله» (God) لله، وكلمة

---

(١) The New Catholic Encyclopaedia, vol. 14, p. 306.
(٢) مرقس ١٢: ٢٨، ٢٩.
(٣) متى ٤: ١٠.
(٤) مرقس ١٠: ١٨.
(٥) يوحنا ٥: ٤٤، ١٧: ٣.
(٦) القرآن الكريم ٥: ٧٢.
(٧) Ernest Renan: Life of Jesus, p. 181.

http://kotob.has.it/

«الرب» (Lord) للمسيح. انظر كيف يتصرف: «ليس وثن في العالم وأن ليس إلٰه آخر إلا واحدًا لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون، لكن لنا إله واحد الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به»(١)، وقد أقر في الجملة الأولى بأن الله «ملك الدهور»، وأنه «لا يفنى ولا يُرى»(٢)؛ وفي الجملة الثانية يقول: «إن يسوع المسيح ربنا الذي قواني»(٣)، ثم أعلن عن نفسه أنه «عبد ليسوع المسيح»(٤).

بشرية عيسىٰ ورسالته:

أهمل بولس وأتباعه، أثناء اعتبارهم أنفسهم «عبيدًا ليسوع المسيح» وأثناء اعتبارهم المسيح «الرَّب الذي يقوي» الآيات الواردة في الأناجيل التي تدل على بشرية المسيح والتي تخبرنا عن حاجاته الإنسانية؛ فيستحيل أن يتصور إلٰه يعاني من هذه المشكلات والمتاعب التي لا تليق، بأي حال من الأحوال بإلٰه قادر مطلق وعليم خبير!.

ولد عيسىٰ من امرأة(٥)، تربى وكبر مثل الأطفال الآخرين(٦)، وتوفي، حسب العقائد المسيحية صلبًا(٧)؛ وبغض النظر عن مدى صدق عقيدة «الموت صلبًا» (التي سنتناولها بالمناقشة فيما بعد)، وإمكانية بناء نظرية الكفارة على أساسها ـ فكيف يمكن أن يعتبر الشخص الذي ولد «وتوفي» إلٰهًا؟ وكيف يكون ذلك وهو يشعر بالجوع(٨) ويأكل ويشرب؟(٩) وبسبب هذا التناقض الواضح أنكر كثير من علماء المسيحية ـ حتى سيطرت الأفكار البولسية ـ ألوهية المسيح، ولكن زعماء الكنيسة أخرجوهم عن المسيحية معتبرين إياهم من المرتدين والمبتدعين في الدين؛ فعندما قال نسطوريوس(١٠)، مقارنًا بين طفولة المسيح وعقيدة ألوهيته:

---

(١) كورنثوس (١) ٨: ٤ـ ٦.
(٢) تيموثاوس (١) ١: ١٧.
(٣) السابق ١: ١٢.
(٤) رومة ١: ١.
(٥) متى ١: ١٨ـ٢٠، لوقا ١: ٣١، ٢: ٥ـ٧.
(٦) لوقا ٢: ٤٠.
(٧) متى ٢٧: ٥٠، مرقس ١٥: ٣٧، لوقا ٢٣: ٤٦، يوحنا ١٩: ١٨.
(٨) متى ٤: ٢، لوقا ٤: ٢، متى ٢١: ١٨، مرقس ١١: ١٢، يوحنا ١٩: ٣٠.
(٩) متى ١١: ١٩، مرقس ١٤: ١٨، ١٤: ٢٠، لوقا ٢٢: ١٤ـ١٥.
(١٠) انظر أيضًا: الباب الرابع الهامش رقم ٤ ص ٨١ وما بعده.

http://kotob.has.it/

"God is not a baby two or three months old".

«لا يمكن أن يكون الإله طفل شهرين أو ثلاثة أشهر».

فعندما قال ذلك ثار الناس عليه حتى أُخرِجَ عن دائرة الكنيسة المسيحية[(١)].

الله قادر على كل شيء ومشيئته غالبة في الكون كله، والمؤمنون يلجأون إليه ويدعونه في حاجاتهم. وكذلك عيسى يشعر بضعفه وعجزه، ويدعو الله لتحقيق حاجاته مناديًا ومناجيًا، ويحزن على متاعبه، ويقلق ويلجأ إلى الله في كل ذلك، فكيف يكون من كان هذا حاله إلٰهًا؟ يقول عالم مسيحي ـ وهو ايدلوف هارنيك ـ:

"He prays to Him, he subjects himself to His will, he struggles hard to find what it is, and to fulfil it".

«هو (المسيح) يدعو (الله)، ويسير على مشيئته، ويسعى لفهم رضاه، ويجتهد للعمل به»[(٢)].

وحين تصير الظروف قاسية، ويقع عيسى في أيدي الأعداء يفزع ويحزن ويكتئب، ويدعو الله أن يخلصه من الموت والأزمة. والكلمات التي صور بها إنجيل متى هذه الحوادث تشهد على أنه عبد وليس إلٰهًا: «حينئذٍ جاء معهم يسوع إلى ضيعةٍ يُقال لها جثيماني فقال للتلاميذ: اجلسوا ههنا حتى أمضي وأصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زبدي وبدأ يحزن ويكتئب. فقال لهم: نفسي حزينة جدًّا حتى الموت امكثوا ههنا واسهروا معي ثم تقدم قليلاً وخرّ على وجهه وكان يصلي قائلاً: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت»[(٣)].

وقد ذكر مرقس أيضًا حزن عيسى وصلاته في ذلك الوقت وقال عنه: إنه كان «يدهش ويكتئب» وأن نفسه كانت «حزينة جدًا»[(٤)]، وأما ألفاظ لوقا فهي أنه «كان يصلي بأشد لجاجة وتقطر عرقه كقطرات دم تنزل على الأرض»[(٥)] ثم مات، حسب العقيدة المسيحية،

---

(١) H.Chadwick: op. cit., p.18.
(٢) Adolf Harnack: What is Christianity,? Translated by T.B. Saunders (London, 1912), p. 129.
(٣) متى ٢٦: ٣٦ـ٤٠.
(٤) مرقس ١٤: ٣٢ـ٣٦.
(٥) لوقا ٢٢: ٤٤.

http://kotob.has.it/

ولكن أي موت؟ عذب واستهزىء به وأذل[١]، فهل يناسب كل هذا إلٰها؟ أضف إلى ذلك كيف خر وصلى ودعا واستعان، فذلك يدل على أنه كان عبدًا لم يملك شيئًا من ناحية، كما يدل على أن المسيح لم يعتبر نفسه ربًّا من ناحية أخرى. وجاء في إنجيل متى: «ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني»[٢] يقول أحد العلماء الموحدين المسيحيين ـ وهو تامس ايملن (Thomas Emlyn) ـ من القرنين السابع عشر والثامن عشر معلقًا على هذه الآية من الإنجيل:

"Surely he intended not saying Myself, Myself, why hast thou forsaken me?".

«عندما قال عيسى هذه الكلمات، لم يكن يقصد أنا أنا، لما تركتني؟»[٣].

والكلمات عينها وردت في مرقس للتعبير عن حالة يسوع هذه[٤]، ولكن لوقا يستعمل «ونادى يسوع بصوت عظيم»[٥]، بدلاً من «صرخ بصوت عظيم». ولكن هذه المسكنة أمام الله لم تعجب يوحنا ـ وهي قمة الخضوع من العبد تجاه الله، كما أنها دليل على البون الشاسع العظيم بين العبد والإله ـ ولذلك جاء بألفاظ أخرى يقول: «فلما أخذ يسوع. . . قال قد كمل ونكس رأسه وأسلم الروح»[٦].

وبالإضافة إلى حزن المسيح وندائه وصراخه، حسب المصادر السابقة، فقد ثبت أيضًا أنه «بكى»[٧]؛ فإن كان منبع هذا البكاء وسببه هو العطف فإنه دليل على بشريته العظمى وليس دليلاً على ألوهيته.

والمسيح يشعر بالخوف أيضًا ويتخذ الحذر ـ مثل الناس العاديين ـ من الرومان وأعدائه الآخرين؛ ويخرج من الهيكل مختفيًا لينجو من حجارة الأعداء[٨]. وأوصى تلاميذه ألا يخبروا

---

(١) متى ٢٧: ٢٨-٣٠، مرقس ١٥: ١٧-٢٠، ١٧: ٢٩، لوقا ٢٣: ١١، ٢٣: ٣٥.
(٢) متى ٢٧: ٤٦.
(٣) A. Wallace: Anti-Trinitarian Biographies, vol.3, Essay on Thomas Emlyn (1663-1741).
(٤) مرقس ١٥: ٣٤.
(٥) لوقا ٢٣: ٤٦.
(٦) يوحنا ١٩: ٣٠.
(٧) يوحنا ١١: ٣٥.
(٨) يوحنا ٨: ٥٩.

http://kotob.has.it/

أحدًا أنه يسوع المسيح[١]؛ وذلك لكي لا يقبض عليه الرومان ظانين أنه مخلص اليهود من عبوديتهم. ويختبره إبليس[٢] مع أن الإنجيل نفسه يقول: «إن الله غير مجرَّب بالشرور»[٣].

والصورة التي رسمها الإنجيل ليسوع المسيح تقول لنا: إنه ليس قادرًا ولا عليمًا مثل الإله وإنه لا يعرف عن خبر الساعة: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا الأب وحده»[٤].

ويذهب إلى شجرة تين ليأكل منها ولكنه لا يعرف وجود الثمر بها قبل وصوله إليها «فنظر إلى شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئًا إلا ورقًا فقط»[٥].

وبشر تلاميذه الاثني عشر بأنهم يجلسون على اثني عشر كرسيًا (يقيمون العدل بين) أسباط إسرائيل الاثني عشر[٦]. والمعروف أن يهوذا الإسخريوطي كان منهم وهو الذي أسلمه للأعداء[٧].

يتضح من كل هذه الحوادث والبراهين أنه لم يكن عليمًا بكل شيء وعالم الغيب.

النصوص المذكورة آنفًا تثبت دون أدنى شك بشرية يسوع، وتنكر ألوهيته إنكارًا باتًا؛ ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد في نصوص الإنجيل، بل هناك نصوص إنجيلية أخرى تعلن بشرية المسيح بوضوح أكثر. فعلى سبيل المثال جاء في إنجيل متى عنه نقلاً عن الصحف السماوية السابقة: «هوذا فتاي الذي اخترته»[٨]، فكان المسيح عبدًا وخادمًا لله ورسوله المختار ولم يكن إلٰهًا. وقد دُعي في سفر أعمال الرسل أيضًا «فتى» أكثر من مرة أي عبدًا لله[٩]. ويقول المسيح عن الله: «أبي أعظم مني»[١٠]. ويقول أيضًا: «ولكنكم الآن لا

---

(١) متى ١٦:٢٠، لوقا ٩:٢١.
(٢) متى ٤:١ وما بعدها، مرقس ١:١٣، لوقا ٤:٢ ومابعدها.
(٣) رسالة يعقوب ١:١٣.
(٤) متى ٢٤:٣٦، مرقس ١٣:٣٢.
(٥) مرقس ١١:١٣، متى ٢١:١٩.
(٦) متى ١٩:٢٨.
(٧) متى ١٠:٤، مرقس ٣:١٩.
(٨) متى ١٢:١٨.
(٩) أعمال الرسل ٣:١٣، ٤:٢٧، ٤:٣٠.
(١٠) يوحنا ١٤:٢٨.

http://kotob.has.it/

تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان»[١]. والجدير بالملاحظة هنا هي كلمة «إنسان» التي في الإنجيل الإنجليزي (man) أي الآدمي.

يقول كاتب المقال عن عيسىٰ في أحد قواميس الكتاب المقدس المشهورة، ملخصًا هذه النصوص ومعلقًا عليها:

"He could hunger and thirst. He could feel joy, sorrow, love, pity and even anger. He prayed to God like any other man, especially in the crises of his life. He was tempted. He shrank from the prospect of death.... He confessed ignorance.... It is the picture of a man".

«كان يشعر بالجوع والعطش، ويحس بالفرح والغم، والحب والرحمة، حتى الغضب، ويصلي لله مثل الآخرين، ويرجع إليه لا سيما في الضراء والأزمة من حياته، وجُرِّب (من الشيطان)، وتردد خوفًا من الموت . . . واعترف (في بعض الأمور) بعدم علمه . . . فهذه صورة إنسان»[٢].

يقول هارنيك:

"This feeling .... working, struggling and suffering individual is a man".

«فهذا الشخص الذي يشعر ويسعى ويعمل ويعاني هو إنسان»[٣].

فالمسيح عبد الله ورسوله حسب ما جاء في الإنجيل وليس إلٰها[٤] ولا جزءًا منه، بل مُرسل منه؛ ولذلك يفسر المسيح نفسه معنى «خرجت من قبلِ الله»[٥] قائلًا: «لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني»[٦]. ولا ينطق عن ذاته بل يؤدى الفريضة ويبلغ الرسالة: «لأني لم أتكلم من تلقاء نفسي، لكن الأب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم»[٧]. في هذه الآيات للإنجيل وضح عيسى أنه ليس إلٰهًا بل رسول من الله، وهدف

---

(١) يوحنا ٨:٤٠ .

(٢) J.Hastings: Dictionary of the Bible (Edinburgh, 1963), p.140.

(٣) Adolf Harnack: What is Christianity (Eng. Trans.), p. 129.

(٤) يوحنا ٤:٣٤، ٥:٣٧، ٦:٣٨، ٧:١٦، ٨:٢٦، ٩:٤، ١٥:٢١، ١٦:٥، ١٧:٣ .

(٥) يوحنا ٨:٤٢ .

(٦) نفس المرجع .

(٧) يوحنا ١٢:٤٩ .

http://kotob.has.it/

بعثته مثل جميع الأنبياء والرسل، أن يدعو الناس إلى الإيمان بالتوحيد ورسالته، وأساس النجاة هو الإيمان بهاتين العقيدتين. يقول: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته»[١].

المعجزات والبشرية :

مما لا شك فيه أن معاصري عيسىٰ عليه السلام، وحتى الذين عاشوا بعده خلال القرون اللاحقة، كانوا يعتقدون أنه عبدالله ورسوله. وهذه الحقيقة التاريخية تفسر لنا عدم نجاح بولس وأتباعه في محو هذه العقيدة من الأناجيل بأكملها. فقد كان معاصروه (أي معاصرو عيسىٰ عليه السلام) يرون هذه المعجزات بأعينهم، ولكنهم رغم هذه الخوارق لم يعتبروه إلٰهًا؛ فعندما سئل الرجل الأعمى الذي أصبح يُبصر ببركة لُعاب عيسىٰ عليه السلام وقيل له: ماذا تقول عنه؟ أجاب الرجل قائلاً: «إنه نبيٌّ»[٢]. ومن ذلك ما قاله عيسىٰ بنفسه بعد أن أحيا ليعاذر بعد موته فقال: «أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي»[٣]. وكذلك حين يذكر[٤] عيسىٰ معجزة إحياء الأموات يقول: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا»[٥]. يعلق طامس إيملن على هذا قائلاً:

"Surely this is not the voice of God, but of man".

«لا ريب إنه صوت إنسان وليس صوت الإله»[٦].

ويقول هاستنجز (Hastings) :

"The New Testament is clear on the true humanity of Jesus".

«والعهد الجديد لا يترك مثقال ذرة من الشك في بشرية عيسىٰ عليه السلام»[٧].

فالمعجزات تمنح للنبي لتكون تصديقًا له، وبينة على رسالته، وهي ظواهر للقدرة الإلهية وليست لقدرته هو. وقد ظهرت الخوارق على أيدي كثير من الأنبياء؛ فقد صارت

---

(١) يوحنا ١٧: ٣.
(٢) يوحنا ٩: ١٧.
(٣) يوحنا ١١: ٤١.
(٤) يوحنا ٥: ٢١.
(٥) يوحنا ٥: ٣٠.
(٦) A.Wallace: op. cit. (Essay on Thomas Emlyn).
(٧) J. Hastings: Dictionary of the Bible, p.415.

http://kotob.has.it/

العصا ثعبانًا على يد موسى كما يقول القرآن، أو على يد هارون كما ورد في الكتاب المقدس[١]؛ وتحول بهذه العصا كل تراب الأرض بعوضًا في جميع أرض مصر وصار على الناس والبهائم[٢]؛ ووضع يوسف يده على عيني يعقوب لتعود بصارته[٣]. وقد شفي المصاب بالجذام بدعاء أحد أنبياء إسرائيل وهو اليسع؛ وذلك حين قال له أن يغتسل في البحر[٤]، وقام رجل من موته حين مسَّ جسده عظام هذا النبي نفسه[٥].

وقال عيسىٰ: إن الرجل القوي الإيمان يقدر على نقل الجبل من مكانه[٦]، ويقدر كذلك على أن يقلع الشجرة بمجرد أمره[٧].

الحقيقة أن الأعمال الخارقة للعادة لا يمكن أن تكون برهانًا قاطعًا على نبوته، فكيف تكون دليلاً نهائيًا على الألوهية؟ يقول عيسىٰ: «وأنبياء كذبة (أيضًا) يعطون آيات عظيمة وعجائب»[٨]. وكان أعداء عيسىٰ من الفريسيين يخرجون «الشياطين» مثله[٩]؛ والذين يطلبون آية أو معجزة للنبوة ويجعلونها أساسًا لإيمانهم هم «جيل شرير وفاسق»[١٠].

ولذلك لم يعتبر المسيحيون الأوائل عيسىٰ إلا إنسانًا ورسولاً، رغم معجزاته وآياته الكثيرة التي كانوا يعدونها تأييدًا من الله لأنبيائه الآدميين. فعندما شفي مفلوج وقام بمعجزة عيسىٰ «تعجب الجموع ومجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانًا مثل هذا»[١١].

وأكثر ما اعتقده الناس في ذلك العصر أنه «نبي مقتدر»؛ وكانوا يقصدون بذلك الرسول الذي تظهر على يديه المعجزات والأعمال الخارقة للعادات[١٢]. وحين ظهرت على يديه

---

(١) الخروج ٧:١٠ .
(٢) الخروج ٨:١٧ .
(٣) التكوين ٤٦:٤ .
(٤) الملوك الثاني ٥:١٤ .
(٥) الملوك الثاني ١٣:٢١ .
(٦) متى ١٧:٢٠ .
(٧) لوقا ١٧:٦ .
(٨) متى ٢٤:٢٤ .
(٩) متى ١٢:٢٧، لوقا ١١:١٩ .
(١٠) متى ١٢:٣٩ .
(١١) متى ٩:٨ .
(١٢) لوقا ٢٤:١٩ .

http://kotob.has.it/

معجزة إشباع خمسة آلاف رجل بأرغفة قليلة، قال الناس: «إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم»[١].

وقد عبر عن هذه الحقيقة أحد الحواريين - وهو بطرس - قائلاً: «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال، إن يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بمعجزات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم»[٢]. وكذلك يرى برنابا - وهو أحد الحواريين المقربين - أن عيسىٰ كان رجلاً صالحًا[٣].

تقول دائرة المعارف البريطانية في ضوء هذه التصريحات:

"Apart from the Birth stories at the opening of Matthew and Luke.... there is nothing in these three Gospels to suggest that their writers thought of Jesus as other than human".

«بصرف النظر عما يحكيه متى ولوقا عن ولادة عيسىٰ، لا يوجد في الأناجيل الثلاثة (الأولى) ما يدل على أن مؤلفيها اعتبروا عيسى غير بشرٍ»[٤].

المسيح وابن آدم:

يسمي عيسى نفسه «ابن آدم» مرات عديدة (٧٨ مرة)[٥] في العبارات الواردة في الأناجيل، وبذلك يؤكد على بشريته وعبوديته[٦]. وهذا اللقب ليس خاصًا به، وقد دُعي النبي حزقيال بابن آدم في الكتاب المقدس مرات[٧]، وكذلك النبي دانيال ورد ذكره بهذا اللقب[٨].

يحاول بعض الدارسين المسيحيين حمل لقبه (ابن آدم) على معنى خاص؛ وهو تجسد الإله في عيسى (Christ in incarnate form)[٩]. ولكن المحققين المنصفين يبينون أن هذه

---

(١) يوحنا ٦:١٤ .
(٢) أعمال الرسل ٢:٢٢ .
(٣) أعمال الرسل ١١:٢٤ .
(٤) Encyclo. Brit. (14th. edition, 1929), vol. 13, p.16.
(٥) قاموس الكتاب ص: ١٥ .
(٦) انظر مثلاً: متى ١٠:٢٣، مرقس ١٠:٤٥، لوقا ٥:٢٤، يوحنا ٣:١٣ وغيرها .
(٧) حزقيال ٢:١، ٣:١، ٣:٣ وغيرها .
(٨) دانيال ٨:١٧ .
(٩) J.P.Boyd: Bible Dictionary, New York, 1958, p.94.

http://kotob.has.it/

الكلمة آرامية الأصل، وكانت في صورتها الأصلية: بُرناش أو بُرناشا تعني آدم أو إنسان؛ وحين انتقلت من الآرامية إلى اليونانية، ومنها إلى اللغات الأخرى، أصبحت «ابن آدم»، كمصطلح يوناني غير طبيعي(١).

والقصة وراء هذا المصطلح: إن اليهود في عصر عبوديتهم واضطهادهم كانوا ينتظرون ملكًا مباركًا من سلالة داود، وكان هذا الملك، حسب اعتقادهم، يخلصهم من الظلم والتخلف(٢). وبعض الأنبياء بشروا بمجيء الآتي هذا، فكانت أقوالهم تسلية لليهود في عصر الأزمة والمحن(٣). ولذلك اضطرب هيردوس الملك (الذي ولد عيسى في عصره) عندما سمع عن ولادة «ملك اليهود»(٤)؛ لأنه خشي أن يكون هذا المولود هو الذي «يعطيه الرب الإله كرسي أبيه داود ويسيطر على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لمُلكه نهاية»(٥).

ولكن هذه الآمال والأماني تلاشت بعد صعود عيسى إلى السماء الأمر الذي جعل المؤمنين بعيسى يقولون: «كنا نرجو أنه هو المزيح أن يفدي إسرائيل»(٦) وإن كانوا اطمأنوا إلى مجيئه قريبًا مرة أخرى(٧). والشيء الذي كان يقلق الحاكم الرومي بيلاطس يتمثل في تهمته الموجهة إلى عيسى «أنت ملك اليهود ومخلصهم»(٨).

فخلاصة القول في هذا الأمر أن معاصري عيسى من أتباعه اعتبروه نبيًا ومسيحًا منتظرًا ولم يعتبروه إلٰهًا قط؛ وإصرار عيسى نفسه على كونه ابن آدم أيضًا يدل بوضوح على أنه كان يريد أن يزيل الشرك والوهم من أذهان الناس، و

"To avoid exciting false hopes of nationalistic character".

«لكي يبعدهم عن الاعتقاد بأنه شخصية قومية»(٩).

---

(١) Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 7, pp 516-517; New Catholic Encyclopaedia, vol. 13, p.431.

(٢) J. Hastings: Dictionary of the Bible, p. 415.

(٣) منهم مثلاً: أشعياء ١١: ١ ومابعدها، وإرميا ٣٣: ١٥.

(٤) متى ٢: ٢-٣.

(٥) لوقا ١: ٣٢-٣٣.

(٦) لوقا ٢٤: ٢١.

(٧) متى ٢٤: ٣٠، ٢٦: ٦٤ وغيرها.

(٨) مرقس ١٥: ٢، يوحنا ١٨: ٣٣، ١٩: ١٩. وانظر أيضًا: Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 7,p. 517.

(٩) J.Hastings: op. cit., p. 142.

http://kotob.has.it/

«ابن الله» و «الإله» :

وما أن انقضى عصر عيسى عليه السلام حتى بدأت التعبيرات والألقاب الآتية تطلق عليه في الأدب الديني بدلاً مما ذكرناه آنفًا، أطلق عليه الرَّب وابن الله[١].

"It is highly improbable that this title was in use in the lifetime of Jesus".

«والقياس لا يقبل أن كلمة «الرَّب» استخدمت ليسوع في حياته»[٢].

وأما إطلاق لقب «ابن الله» عليه، فيقول هاستنجز في هذا:

"Whether Jesus used it of Himself is doutful".

«هناك شك في أن يكون يسوع قد استخدم هذا اللقب لنفسه»[٣].

ويقول:

"In the Synoptic Gospels, the expression 'Son of God', really a Messianic designation, is rather used of Jesus than by Him of Himself".

«وأما ما ورد في الأناجيل المتوافقة من أنه «ابن الله» ـ وكان لقبًا له باعتباره مخلصًا لليهود ـ فإن الآخرين أطلقوه عليه ولم يتبناه يسوع لنفسه»[٤].

ويقول هاستنجز أيضًا:

"In his teaching Jesus does not describe himself as God, and speaks of God as another".

«ويسوع في تعاليمه لا يذكر الإله إلا وهو يقصد غيره»[٥].

يقول هارنيك:

"The sentence: I am the Son of God, was not inserted in the Gospel by Jesus himself, and to put that sentence there side by side with the others is to make an addition to the Gospel".

---

(١) Ibid., pp. 142,143.
(٢) Vincent Taylor: The Names of Jesus, p. 43 (quoted in Hastings' Dictionary, p. 143).
(٣) J.Hastings: op. cit., pp. 143,338.
(٤) Ibid.
(٥) Ibid.

http://kotob.has.it/

«إقحام الجملة : أنا ابن الله، في الإنجيل ليس من عمل يسوع نفسه، واعتبارها من نص الإنجيل يعد بهتانًا عليه»[١] .

ودائرة المعارف البريطانية أيضًا تعترف بهذه الحقيقة باستحياءٍ حيث تقول :

"The Gospels do not quote him as using the title for himself in so many words....".

«لا تذكر الأناجيل أن يسوع استخدم هذا اللقب كثيرًا في محاوراته»[٢] .

وثمة دائرة معارف أخرى، وهي دائرة معارف الكتاب المقدس، تعترف بذلك صراحة حيث تقول : «ماسَمَّى يسوع نفسه ابن الله قط كما أنه لم يخاطب بهذا اللقب في حياته». وبدأ استعمال هذا اللقب للمسيح تحت التأثير الإغريقي في الديانة المسيحية[٣] .

وتقول :

"Jesus never called himself the "Son of God", and the title when bestowed upon Him by others involves no more than the acknowledgement that He was Messiah".

«فيسوع لا يسمي نفسه ابن الله، وأما ما نجده (في الأناجيل) من إطلاق الناس هذا اللقب عليه، فهو لا يعني أكثر من أنهم يعتبرونه مخلِّصًا (مسيحًا)»[٤] .

تقرر دائرة المعارف الدينية والأخلاقية أيضًا هذه الحقيقة، وتقول بأن استخدام مؤلفي الأناجيل «ابن الله» لعيسى لم يكن إلا دليلاً على أنهم اعتبروه مخلِّصًا (سياسيًا)، وتقول :

"In the Gospels, though the evidence is confused, signs are not wanting that occasionally the phrase was employed as a honorific title for the anointed one".

«رغم أن العبارات في الأناجيل لا توضح الحقيقة إلا أن هناك علامات توحي بأنه كان لقبًا تبجيليًا (للملك) المبارك والمطَّهر»[٥] .

ولهذه الأسباب كانت هناك فرقة مسيحية قديمة معروفة بأدابشنست (Adoptionists)

---

(١) Adolf Harnack: op. cit., p.149.
(٢) Encyclo. Brit. (1962), vol. 13, p.21.
(٣) T.K.Chenyl & J.S. Black (editors): Encyclopaedia Biblica (London, 1899), c.4701,4702.
(٤) Ibid., c. 4689.
(٥) Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 7, p. 515.

http://kotob.has.it/

تعتقد أن عيسى لم يكن ابنًا طبيعيًا للإله، بل تبنَّاه الله لميزاته السامية[١].

والجدير بالتنبيه هنا أن إطلاق «ابن الله» على عيسى يتطلب منا أن نفهمه عن طريق الأسلوب التعبيري السامي المعتاد حينذاك بصرف النظر عن معناه الحقيقي أو اللفظي[٢].

حيث يطلق لفظ «الابن» في الأسلوب السامي على الشخص الذي يكون محبوبًا عند شخص آخر أو له علاقة خاصة به[٣]؛ ولا يقصد به الابن الحقيقي ولا الابن المتبنى. فاللفظ بهذا المعنى ورد كثيرًا في العهدين القديم والجديد، وليس ذلك لعيسى فحسب بل لأولياء الله الصالحين، وقد أطلق على بعض منهم الابن البكر، ودُعي بعضهم بأنه ولد مني. ومن أمثلة ذلك في العهدين: جرى على لسان موسى قول الله لفرعون: «إسرائيل ابني البكر»[٤]؛ وقيل لبني إسرائيل مباشرة: «أنتم أولاد للرب إلٰهكم»[٥]؛ وقال الرب أيضًا: إني صرت لإسرائيل أبًا وأفرايم هو بكري»[٦]؛ يقول داود في أحد مزاميره: «قال لي (الرَّب) أنت ابني، أنا اليوم ولدتك»[٧]، وبُشِّر داود بسليمان وقيل: «إني اخترته ابنًا وأنا أكون له أبًا»[٨]. وقد جاء في مزامير داود أن الله هو «أبو اليتامى»[٩]، وأما ما ورد في سفر أيوب مرتين وهو لفظ «أبناء الله»[١٠] فالمراد به الملائكة. ويضاف إلى كل ذلك أن أسماء كثيرين من بني إسرائيل كانت تعبر عن هذه الظاهرة مثل أبيا (Abia) وأبيئل (Abiel)[١١]؛ فالكلمة الأولى تعني: أن الإلٰه يهواه أبي، والثانية تعني أن الإلٰه الأيل أبي[١٢]. وفي العهد الجديد دُعي آدم كذلك «بابن الله»[١٣]. وجاء فيه عن صانعي السلام «طوبى لصانعي السلام

---

(١) Will Durant: The Story of Civilization, vol. 3, p. 605 (Arabic Edition, 11:294).
(٢) J. Hastings: op. cit., p. 143.
(٣) Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 7, p. 515.
(٤) الخروج ٤: ٢٢.
(٥) التثنية ١٤: ١.
(٦) إرميا ٣١: ٩. وإسرائيل هو اسم يعقوب، وكان أفرايم حفيده وابن يوسف. انظر: التكوين ٤٦: ٢٠، ٤٨: ١-٢.
(٧) المزامير ٢: ٧.
(٨) أخبار الأيام الأول ٢٨: ٦.
(٩) المزامير ٦٨: ٥.
(١٠) أيوب ١: ٦، ٣٨: ٧.
(١١) صموئيل الأول ٨: ٢، ٩: ١.
(١٢) The New Catholic Encyclopaedia, vol. 13, p. 427.
(١٣) لوقا ٣: ٣٨.

http://kotob.has.it/

لأنهم أبناء الله يدعون»[١]، وبُشِّرَ الذين يحبون الأعداء بأنهم أبناء أبيهم الذي في السموات»[٢].

فهذه العلاقة بين الأب والابن لا تدل إلا على الحب والاحترام، ولا يمكن أن يراد بها معنى خاصًا، لما يورد يوحنا أقوال المسيح بهذا الصدد مثل قوله: «الأب يحب الابن»، «والأب يقرب الابن»[٣]؛ فالمسيح يقصد بذلك حبَّ الله له. وأما ما يقوله يوحنا في تفسير عداوة اليهود للمسيح: «فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون قتله لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضًا: إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله»[٤]، فهذه عبارته هو، ولا يمكن أن يكون ذلك هو السبب الحقيقي للعداوة والاعتداء؛ لأن يوحنا نفسه يقول: «وأمَّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه»[٥]. فمقتضى هذا الكلام أن المؤمنين بالمسيح ولدوا منه ومن أبيه، فهل يُعقل بعد ذلك أن يقصر المسيح أبوة الإله على نفسه دون المؤمنين به؟ يتضح من ذلك أن العلة الواقعية لعدوان اليهود على المسيح ومحاولتهم لقتله إياه تكمن وراء أسباب أخرى. وهي كما يقول يوحنا نفسه في أماكن متعددة أخرى على لسان اليهود: «إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا» و «انظروا... هوذا العالَم قد ذهب وراءه».

هذا، وقد ذكر يوحنا قول المسيح نفسه في تعليل مخالفتهم، يقول المسيح مخاطبًا اليهود: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله»[٦].

فالشيء الذي دفع الناس إلى معارضة الأنبياء المرسلين ومخالفتهم هو اتباعهم لأهوائهم، وعدم رغبتهم في ترك المعاصي والجرائم، وهذا ما حدث مع عيسى. وأما أن يدعى المسيح «بابن الله» فلم يكن سببًا للمخالفة ومحاولة القتل؛ وذلك لأنه كان شيئًا معتادًا عند اليهود وكتابهم وفي العادات السامية أيضًا.

---

(١) متى ٥: ٩.
(٢) متى ٥: ٤٥.
(٣) يوحنا ٣: ٣٥، ٥: ٢٠.
(٤) يوحنا ٥: ١٨.
(٥) يوحنا ١: ١٢-١٣. وانظر أيضًا: أفسس ١: ٥ «الابن المتبنى».
(٦) يوحنا ١١: ٤٨، ١٢: ١٩، ٨: ٤٠.

http://kotob.has.it/

وعلى أية حال فقد ثبت مما سبق من أمثلة الكتاب المقدس أن العبارة «ابن الله» استعملت كلقب لإسرائيل، وبني إسرائيل، وأفرايم، وداود، وسليمان، وللملائكة، واليتامى وغيرهم. فإن كان إطلاق عبارة «ابن الله» على هؤلاء جميعًا لا يدل على المعنى الحقيقي للعبارة أو العلاقة الحقيقية بين الأب والابن، فكيف جاز إطلاقها في معناها الحقيقي على عيسى وكيف يجوز اعتباره الابن الوحيد لله الذي ولد منه؟

وأما ما خاطبه به بعض الناس في حياته أي «ابن الله»[١]، أو ما جاء به صوت من السماء قائلاً: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت»[٢] فالمراد منه المعنى المجازي لاغير. ولا يحق لأحد - في السياقات السابقة الذكر والتي وردت فيها هذه العبارة - أن يدَّعي أنها تفيد المعنى الحقيقي إذا استعملت لعيسى، والمعنى المجازي في حالة استعمالها لغيره من الأنبياء أو غير الأنبياء.

والحق أن مفهوم هذه العبارة واسع جدًّا في اللغات العبرانية والسامية. يقول هاستنجز (Hastings) موضحًا ذلك:

"A "Son of God" is a man, or even a people who reflect the character of God".

«ابن الله، هو فرد أو مجموعة أفراد تتمثل فيهم الصفات الإلهية»[٣].

ويقول أحد كتاب سيرة المسيح - وهو رينان - ذاكرًا الأمثلة الكثيرة لاستخدام كلمة «ابن»:

"The word son has the widest meanings in the semitic language, and in that of the New Testament".

«إن هذه الكلمة واسعة الأبعاد والمعاني في السامية وفي العهد الجديد»[٤].

ويجدر بالذكر هنا أن الكاتب هذا يشك في أن عيسى استعمل هذه الكلمة لنفسه، ويرى أنه - على افتراض الاستعمال - أراد بها ابن آدم والمسيح، ولم يرد به معنى خاصًّا آخر[٥].

---

(١) متى ٨:٢٩، ١٤:٣٣، مرقس ٣:١١، ٥:٧، يوحنا ١:٤٩، ١١:٢٧.
(٢) متى ٣:١٧، ١٧:٥، مرقس ١:١١.
(٣) J.Hasting's Dictionary, p.143.
(٤) E.Renan: Life of Jesus, p. 181.
(٥) Ibid., p. 182.

http://kotob.has.it/

وفي العهد القديم لم يُدْعَ الملائكة «أبناء الله» فحسب بل استعمل لهم لفظ «السيد» أيضًا؛ يقول لوط مخاطبًا الملكين: «ياسيدي»(١). ولم يستعمل للناس ـ الذين يموتون ـ عبارة «بنو العلي» فحسب بل قيل لهم: «إنكم آلهة»(٢). وبهذا استدل عيسى ـ كما يقول يوحنا ـ في العهد الجديد قائلاً: إذا قيل آلهة، للأنبياء أو لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، فَلِم لا يجوز أن يُقال له (لعيسى) أيضًا «ابن الله»(٣) (مجازًا). ويضاف إلى ذلك أن عيسى لم يخصص هذه العبارة لنفسه بل جعلها عامة للآخرين أيضًا؛ يقول مثلاً: «إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلٰهي وإلٰهكم»(٤). وهذه العلاقة المجازية بين الرب والإنسان خاصة بالصالحين والأبرار الذين يتخلقون بأخلاق الله. فعندما قال اليهود مجادلين للمسيح: «لنا أب واحد وهو الله». أجاب المسيح قائلاً: «أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا»(٥).

فالخلاصة أن العبارة «ابن الله» أطلقت على كثير من الأشخاص في الكتاب المقدس، والأمر لا يقتصر على المسيح في هذا الصدد حيث دُعِي فيه كثير من الصالحين بأبناء الله؛ ولا يوجد برهان لدى المسيحيين حتى يدّعوا أن إطلاق «ابن الله» على المسيح في معنى يختلف عن إطلاقه على الآخرين، أو يقولوا: لا يدرك كنه هذا المعنى إلا الله(٦).

التشكيل التدريجي لعقيدة التثليث:

فعلى الرغم من توافر هذه الحقائق في الكتاب المقدس، أخذت التعاليم المسيحية الصحيحة، مثل التوحيد وبشرية عيسى، تُهمل رويدًا رويدًا، فحمل «الابن» على المعنى الحقيقي بدلاً من المعنى المجازي المراد منه، واعتبر هذا اللفظ خاصًا بعيسى دون غيره كما أنه اعتبر شريكًا لله في حكمه. ومن هنا نشأ تصور «الإلٰه الأب»، وظهرت فكرة «الإلٰه الابن»؛ وقيل أيضًا: إنهما يختلفان في المظهر يتفقان في الجوهر، ثم تطور الأمر تحت

---

(١) التكوين ١٨: ٢ـ٣، ١٩: ١ـ٢.
(٢) المزامير ٨٢: ٦.
(٣) يوحنا ١٠: ٣٤ـ٣٦.
(٤) يوحنا ٢٠: ١٧.
(٥) يوحنا ٨: ٤١ـ٤٤.
(٦) S.M. Jackson (editor): Encyclopaedia of Religious Knowledge (London & New York, 1911), vol. 10, p. 499.

http://kotob.has.it/

تأثير الفلسفات والديانات الوثنية، وأقحم تصور «روح القدس» الذي يمثل كلمة الله وقدرته، وبهذا اكتمل تكوين التثليث عند المسيحيين.

ويلاحظ خلال هذا التطور ومراحله أن الديانات والفلسفات الإغريقية القديمة والمذاهب الرومانية لعبت دورًا كبيرًا في تكوين عقيدة التثليث، وتغيير هوية عيسى الحقيقية، وجعله «ابن الله» الحقيقي لدى النصرانيين؛ ففي اليونان على سبيل المثال.

"Kings and emperors liked to think of themselves as descended from the gods".

«كان الملوك والأمراء يحبون أن يعدّوا أنفسهم منحدرين من سلالة الآلهة»[١].

وزاد هذا التأثير الفكري بعد دخول الإغريق في الديانة المسيحية، ومن ظواهره البارزة أنهم قووا التصورات الوثنية مثل اعتبار عيسى «جوهر الإله» و«ابن الله»[٢].

هذا وإن أتباع الفلسفة الأفلاطونية أيضًا أسهموا في تطوير عقيدة التثليث في المسيحية، فهم يرون أن الحقيقة الإلهية تتكون من ثلاث جهات، وهي: العلة الأولى، والحكمة أو الكلام، وروح الكون. فهذه النظريات بثت البذور في الديانة المسيحية، وأدّت دون شك إلى ظهور فكرة الأقانيم الثلاثة عند المسيحيين.

والكلام (Logos) حسب هذه الأفكار ابن الإله السرمدي، وهو بوصفه هذا اعتبر خالقًا وحاكمًا[٣].

وهكذا فسرّ المسيحيون، تحت تأثير النظريات الإغريقية، «ابن الإله» تفسيرًا لفظيًا بحتًا[٤]، وفي ذلك صرفوا أنظارهم عن أقوال عيسى التي تبرهن على عظمة الله وتفرّده، وأسسوا أفكارهم وعقائدهم على الدلالات اللفظية الظاهرة لما جرى على لسان عيسى من أنه قال: «أنا والأب واحد»[٥] أو «الذي رآني فقد رأى الأب»[٦].

---

(١) J.Hastings: op. cit., p. 143.
(٢) Ibid.
(٣) Edward Gibbon: op. cit., vol. 2, pp. 335-336.
وضحنا تأثير الفلسفات اليونانية وغيرها في الفكر المسيحي في الباب الرابع.
(٤) J.Hastings: op. cit., p. 143.
(٥) يوحنا ١٠: ٣٠.
(٦) يوحنا ١٤: ٩.

http://kotob.has.it/

جعل بولس قيامة المسيح من الأموات، برهانًا لكونه «ابن الله» (الحقيقي)[١]، مع أنه لا يصلح أن يكون دليلاً لهذه العقيدة، وأنى يكون ذلك؟ فهل يعتبر جميع الذين قاموا من الأموات (والذين ورد ذكرهم في الإنجيل) «أبناء الله» في المعنى الحقيقي أو في المعنى المجازي؟[٢] وأسوأ ما فعلوه أنهم جعلوا المسيح «ابن الله الوحيد» دون الاستناد إلى أي دليل أو قول للمسيح[٣]، والعهدان الجديد والقديم مملوءان بذكر هؤلاء الأبناء الذين مضى ذكرهم آنفًا.

وقد كانت كثرة ترجمة الكتاب المقدس من لغة إلى لغة أحد العوامل الرئيسة في تغيير العقائد المسيحية عبر العصور. فاللفظ الأصلي لله الذي عبِّر عنه في الترجمات بالأب (Father) (وهو ما زال مستخدمًا) يُرادف الكلمة العربية «الرَّب» التي تعني المالك والمربي، والتي من معانيها الخالق والبارىء أيضًا[٤] ـ وهكذا حال الكلمات التي عبّر عنها في الترجمات «بابن الله»، من أهمها كلمتان يونانيتان: هما: Pais (Tiata) و Paida (Tiasta) ومعناهما: الولد والخادم، وهما تقابلان الكلمة العربية «الغلام» أو «الفتى»[٥]. وأحيانًا كان الغلام أي الخادم يُنادَى بالفتى؛ ولذلك ترجم أحيانًا بالخادم (Servant)، وأحيانًا أخرى بالابن (Son). لاحظ الآية التالية[٦] في التراجم المختلفة:

"The God of Abraham, and Issac, and of Jacob, the God of our fathers, hath glorified His Son Jesus".

«إنَّ إلٰه إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلٰه آبائنا، مجَّد فتاه يسوع»[٧].

فاستعمل هنا «الابن» (Son)، ولكن في بعض التراجم الأخرى جاء لفظ «خادمه»[٨]

---

(١) رومة ١: ٤.

(٢) انظر مثلاً: يوحنا ١١: ٤١، الملوك الثاني ١٣: ٢١.

(٣) يوحنا ٣: ١٦. وانظر أيضًا: القاموس الكاثوليكي ص: ٩١٢.

(٤) J.P.Boyd: Dictionary of the Bilble, p. 37; Pallen & Wynne: The New Catholic Dictionary, New York, p. 912.

(٥) Thomas Green: A Greek-English Lexicon, London, p. 134.

(٦) أعمال الرسل ٣: ١٣.

(٧) The Bible (King James' Version), Acts 3:13.

(٨) الكتاب المقدس بالأردو، جمعية الكتاب المقدس لاهور، ١٩٨٥م، الآية المذكورة. وانظر أيضًا: The Kingdom Interliner (Greek-English Bible), New York, 1969.

http://kotob.has.it/

(His servant) بدلاً من ابنه .

رغم كل هذه المحاولات الجدية والتحريفات الصريحة، أخذت الكنيسة قرونًا في سبيل إثبات عقيدة التثليث وألوهية المسيح .

"The recognition of Christ as the incarnation of the Logos was practically universal before the close of the third century, but his deity was still widely denied... At the council of Nicaea in 325, the deity of Christ received official sanction".

«الإيمان بأن المسيح مظهر الكلام والحكمة كان قد انتشر في نهاية القرن الثالث، ولكن ألوهيته كانت تُنكر حتى هذه الفترة من الزمن . . . إلى أن تمت الموافقة الرسمية[1] على عقيدة ألوهية المسيح في مجمع نيقية الذي عقد سنة ٣٢٥م» .

فقرّر هذا المجمع، مهملاً جميع الأدلة والبراهين، ومعتمدًا على هوى النفس ولإرضاء الملك، أن المسيح بوصفه «ابن الله» ولد منه (begotten)، ولم يُصنع (not made)، وهو متحدٌ مع «الإله الأب» في الأصل والجوهر[2]. وهكذا مهد الطريق لجعل المسيح مماثلاً لله، مع أن بولس حينما بدأ التحريف في العقائد جعل درجة المسيح بعد درجة الإله، يقول ـ على سبيل المثال: «ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجلٍ هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرَّجل ورأس المسيح هو الله»[3]. وقد حاول، كما سبق، أن يفرّق بين الإله والرَّب[4]، ولكنه بعد ذلك لم يجعله «ابن الله» فحسب، بل أوصله إلى رتبة «الله العظيم»[5] .

وحين بدأت الأمم الأخرى، غير الإغريق، تعتنق الدين المسيحي أخذت تقاليدها الدينية وعاداتها المذهبية تتسَّرب إلى النصرانية مع دخول هؤلاء الناس فيها . وأتباع معظم هذه الأمم وأفرادها (مثل المصريين والرومان والآشوريين والبابليين والكلدان وغيرهم) كانوا يؤمنون بوجود ثلاثة آلهة، كما أن الديانة الهندوسية والديانة البوذية كانتا تضمان في

---

(١) Encyclo. Brit. (1962), vol. 5, p. 677.
(٢) Ibid., vol. 13, p. 22.
(٣) ١ـ كورنثوس ١١ : ٣ .
(٤) ١ـ كورنثوس ٨ : ٥ .
(٥) تيطس ٢ : ١٣ .

http://kotob.has.it/

حضنهما عناصر عقيدة التثليث. فأركان التثليث في الهندوسية تتكون من: برهما وشنو وشيو[١]؛ وأما التثليث البوذي فكان يشتمل على البوذا ودهرم وسانغا (Buddha, Dharma and Sangha)[٢]؛ والآشوريون كانوا يؤمنون بتثليث إله البعل والشمس والقمر[٣]. والتثليث المصري الذي كان يتكون من إيزيس (Isis) وإيزوريس (Osiris) وابنهما حورس (Horus)، كان شائعًا بين أهل الروم[٤].

وحين مهد مجمع نيقية الطريق إلى ألوهية المسيح فقرر أنه ابن الله ومتحدٌ معه في الأصل - وذلك لإشباع رغبة الملك الرومي قسطنطين الذي لم يكن يعتنق المسيحية حتى هذا الوقت[٥] - ألحق إليهما روح القدس أيضًا، والغريب أن المجمع لم يبال بالبحث أو الاستناد إلى أي نوع من الأدلة؛ من الكتاب المقدس أو من أقوال عيسى، بل

> "The deity of the Son was believed to carry with it that of the Spirit, who was associated with Father and Son in the baptismal formula and in the current symbols".

> «اعتقد أن ألوهية الابن تشمل ألوهية الروح أيضًا، وضم روح القدس إلى الأب والابن في العبارات والكلمات التي تقال عند التعميد، أو في العادات الدينية الأخرى»[٦].

وقيل:

> "The Holy Spirit .... is to be worshipped and glorified with the Father and the Son as divine".

> «إن روح القدس ليُعْبَدْ وليعظَّمْ مع الأب والابن باعتباره إلهًا»[٧].

وهكذا استمر تطور هوية روح القدس في الديانة المسيحية إلى أن اكتملت ألوهيته في مجمع قسطنطينية في سنة ٣٨١م[٨].

---

(١) J.N.Farquhar: An Outline of Religious Literature of India (London, 1920), p. 148; The Chambers' Encyclopaedia (1901), vol. 10, p.295.

(٢) Marcus Dods, D.D: Mohammed, Buddha And Christ (London, 1894), p. 183.

(٣) Will Durant: op. cit., vol. 3, p. 595.

(٤) Ibid., vol. 3, p. 588 (Arabic Edition, 11:275); C.F.Potter: The Faiths Men Live By, p. 116.

(٥) Encyclo. Brit. (1962), vol. 5, p. 676.

(٦) Ibid., vol. 5, p. 678.

(٧) Encyclo. Brit. (1973), vol. 11, p. 616.

(٨) New Catholic Encyclopaedia, vol. 14, p. 229.

http://kotob.has.it/

وبعد فترة قصيرة من الزمن صارت أقانيم وأركان التثليث متساوية في الرتبة والدرجة لدى المسحيين، وقرّرت الكنيسة أن:

"The Father is God, the Son is God, and the Holy Spirit is God, and yet they are not three Gods but one God".

«الأب إله والابن إله وروح القدس إله، ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحدٌ»(١).

وقيل في بيان ذلك:

"The three persons, Father, Son and Holy Spirit, were distinct from one another but were equal in their eternity and power".

«إن الأقانيم الثلاثة أي الأب والابن وروح القدس (شخصيات) متميزة فيما بينها، ولكنها متساوية في السلطة والأبدية»(٢).

وقيل أيضًا:

"God is three really distinct persons.... (and they) are co-equal, co-eternal, and co-substantial and deserve co-equal glory and adoration".

«إن الله ثلاثة أقانيم حقيقية، وهذه الأقانيم متساوية فيما بينها ومتشاركة في الأبدية، وهي من جوهر واحد، وتستحق العبادة والتسبيح والتقديس»(٣).

وخلال صياغة هذه العقائد وإقحامها في المسيحية غُضَّ الطرف تمامًا عن انعدامها كليًا في العهد القديم، وأهملت الحقيقة التاريخية القائلة بأن هذه العقائد المزيفة أدخلت في العهد الجديد على يد بولس، فهي الحقيقة الواضحة التي يستحيل إنكارها؛ ولذلك تقول دائرة المعارف الكاثوليكية:

"The doctrine of the Holy Trinity is not taught in the Old Testament. In the New Testament the oldest evidence is in the Pauline epistles".

«عقيدة التثليث ليست من تعاليم العهد القديم، وأما ما وجد في العهد الجديد فأقدم شهادة لهذه العقيدة توجد في رسائل بولس»(٤).

---

(١) Encyclo. Brit. (1962), vol. 22, p.479.

(٢) Ibid., vol. 13, pp. 22-23.

(٣) New Catholic Dictionary, p. 973.

(٤) New Catholic Encyclopaedia, vol. 14, p.306.

http://kotob.has.it/

يتكون التثليث عادةً من الإله (الأب)، والمسيح (الابن)، وروح القدس؛ ولكن وجود عقيدة[١] شفاعة مريم المقدسة وتوجيه الأدعية إليها يقربها عمليًا من الصفات الإلهية.

الأدلة المزعومة لعقيدة التثليث:

لاشك في أن عقيدة التثليث تتضمن عناصر الشرك في تكوينها، فهي تدعو إلى الإيمان بثلاثة آلهة، الأمر الذي يخالف تعاليم الكتاب المقدس مخالفة صريحة. ولكن علماء المسيحية يصرون على أنها هي التوحيد، ويطلقون عليها مصطلحات مضحكة للغاية، مثل: التثليث في التوحيد، أو توحيد التثليث (Tri-Unity)[٢]. ولذلك خالف المسيحيون الموحدون هذه العقيدة في كل عصر ولكن دون جدوى، وحين صرخ سرويطوس (Servitus) قائلاً:

"An imaginary Trinity foisted upon us under the pretence and in the name of unity".

«سُلِّط علينا التثليث الوهمي تحت شعار التوحيد واسمه»[٣].

أحرقته الكنيسة حيًّا وأمثاله الآخرين[٤].

فالكنيسة أحسّت بالحاجة الماسّة إلى الأدلة العقلية والنقلية لإقناع عامة المسيحيين، ولم تساعدهم نصوص الكتاب المقدس وتعاليمه في ذلك. ولهذا اعتمدوا على افتراضات لإثبات عقيدة التثليث؛ وأهمّ دليلٍ، على سبيل المثال، قدِّم بهذا الصدد هو أنه في معظم الحالات استخدم ضمير المتكلم المفرد لله في العهد القديم، ولكن وفي مواضع قليلة استخدم ضمير الجمع أيضًا؛ ومن ذلك مثلاً «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا»[٥].

ومن الجدير بالذكر أن الآيات الموجودة في العهد القديم المتعلقة بالتوحيد[٦] محكمة

---

(١) American People's Encyclopaedia, vol. 14, pp. 997-998.
انظر توضيحات بعض النقاط المتعلقة بالتثليث وروح القدس في الفصلين: الملوك والمجامع «الصانعة المسيحية» ـ والانفصال بين الكنيستين الشرقية والغربية. وستتحدث مزيدًا عن ألوهية مريم في آخر هذا الباب.

(٢) قاموس الكتاب ص: ٢٣٣ .

(٣) Michael Servitus: Errors of Trinity (quoted by A.Reland in Treatises Concerning the Mohametons, p.190).

(٤) E.M. Wilbur: A History of Unitarianism: Essay on Michael Servitus.

(٥) قاموس الكتاب ص: ٢٣٣ .

(٦) انظر مثلاً: التثنية ٦: ٤، المزامير ٨٦: ١٠، زكريا ١٤: ٧ـ٩، أشعياء ٤٣: ١٠ـ١٢، ٤٤: ٢٤، =

http://kotob.has.it/

وواضحة لدرجة أنها لا تترك مثقال ذرة من الريب. فالعبارات «ربٌّ وَاحد» و «الله وحده» و «أنا الله» و «ليس إلٰهٌ غيرك» واضحة وصريحة. وكان من المفروض أن يفهم ضمير الجمع على أنه يدل على العظمة والجلال؛ ولكن المجامع الكنسية اعتمدت على التأويلات المتعسفة، وبالغت فيها لتحقيق أغراضها، وكانت أغراض هذه المجامع توفير الأدلة للعقائد المصطنعة لإرضاء الملوك، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ بل تعدّاه إلى كلمة إسرائيل التوحيدية الخالصة وهي «اشمع» أي «اسمع يا إسرائيل الرَّبُّ إلهنا ربٌّ واحدٌ»، وقيل في تأويلها: إن كلمة «ألوهيم» العبرانية استعملت لله وهي تدل على ضمير الجمع! فماذا يكون أغرب من أن يقال في هذه الكلمة: إن الله واحدٌ ثم تستعمل «ألوهيم» لتدل على كثرة الآلهة (ولا تدل على التثليث بالضرورة)، وبهذه الطريقة تعلَّمُ الكثرة في كلمة التوحيد نفسها؟ الحقيقة أن كلمة «ألوهيم» تعني: «إلٰهنا» (كما هو مكتوب في الكتاب المقدس في الغالب)، ولا تعني: «آلهتنا»[١].

ثمة دليل آخر عثر عليه في العهد القديم، وذلك في قول النبي أشعياء: «والآن السيد الرب أرسلني وروحه»[٢]. والطريف في هذا الدليل أن المتكلم هنا هو «الابن» وليس النبي أشعياء، فالله وروحه أرسلاه[٣]! وبهذا ثبت التثليث من العهد القديم أيضًا! مع أن المتكلم هو أشعياء وليس المسيح الذي ولد بعد مئات السنين من عصره، ولا يسمح نص العبارة وسياقها أن يفهم منها أنها بُشرى أو تنبؤ. وأما كلمة «الله وروحه»، المراد بها الله وحكمه، أو الله وذاته، واستعمال أسلوب العطف لشخص واحد شائع في اللغات السامية وغير السامية، ويكون غرضه التوكيد. فمراد قول أشعياء: أن الله هو الذي أرسلني أو جئت من ربي وبأمر ربي.

ومن الأدلة التي قدِّمت لإثبات التثليث من العهد القديم الآيات الأولى من سفر التكوين[٤] التي تذكر أن روح الله، قبل خلق السموات والأرض، كان على وجه المياه، وقال الله ليكن نورٌ؛ مع أن المراد من روح الله ذاته، والمراد من قوله حكمه، ولا يمكن أن يستدل به

= صموئيل الثاني ٧:٢٢، الملوك الأول ٨:٢٣ .

(١) انظر تفصيل هذا «الدليل» في قاموس الكتاب، المرجع المذكور.

(٢) أشعياء ٤٨:١٦ .

(٣) قاموس الكتاب ـ المرجع السابق.

(٤) التكوين ١:١ـ٣ .

http://kotob.has.it/

أن صفة كلام الله عز وجل لها وجود مستقل ومجسم.

والشيء الأساسي الملحوظ في كل هذه الأدلة التي تزعم أنها مأخوذة من آيات الكتاب المقدس (الآيات المذكورة وغيرها)[١] أننا لا نكاد نجد آية واحدة تقرر أن الروح أو الابن أو كليهما يعادلان الله أو يساويانه، حتى تلك الآية ـ التي (بصرف النظر عن إمكانية التحريف فيها) تعتبر أقوى البراهين وأهمها لعقيدة التثليث ـ لا تثبت ألوهية كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة، لاسيما الألوهية المتساوية والمماثلة. وذلك لأن مجرد ذكر الأب والابن والروح معًا لا يقوى أن يكون دليلاً على أن كلا منها إله يعادل الآلهة الأخرى في الألوهية. فانظر فيما تقول الآية: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس»[٢].

والشيء الأساسي الثاني الذي يجب أن يلاحظ هنا هو أن أحدًا لم يفهم من آيات العهدين القديم والجديد (لا من كتابها ولا من قرائها في كل عصر) التثليث الذي صاغته الكنيسة، وتبنّته فيما بعد، وقرّرته عقيدة مركزية لقانون الإيمان المسيحي[٣].

وأما الحجج العقلية التي استند عليها بعض المفكرين المسيحيين ـ أمثال أوغسطين (Augustine) (ت/ ٤٣٠م) وأتباعه ـ لإثبات عقيدة التثليث، فإنها تشبه أخواتها من الأدلة النقلية؛ يقولون في توضيح التثليث: هو الأجزاء الثلاثة للكل، فالإنسان، مثلاً: = اللحم والدم والعظام، أو الفنان = الطبيعة والمهارة والتمرين، أو الشمس = الشمس والضوء والحرارة، والشجرة = الجذور والأغصان والثمار[٤].

أو هو (أي التثليث) ثلاثة حيثيات للوجود، فالذهن مثلاً عالمٌ من حيث العلم بوجوده،

---

(١) أعمال الرسل ٢:٣٨ـ٣٩، ٥:٣٠ـ٣٢، ٧:٥٥ـ٥٦، أفسس ١:٣، تسالونيكي ١: ٣ـ٥، متى ٣:١١، مرقس ١:١٠ـ١١، يوحنا ١٤:٢٦ وغيرها.

(٢) متى ٢٨:١٩. انظر لمناقشة قضية التحريف في هذه الآية:

A.S. Peake: Commentary on the Bible, London, 1919, p. 723;
Hastings' Dictionary of the Bible, p. 1015; Encyclo. Brit. (14th. Edition, 1929), vol. 13, p. 23:
"That the Trinitarian baptismal formula does not go back to Jesus himself, is evident and recognised by all independent critics".

«وهذا واضح ومسلم لدى الناقدين العادلين الأحرار أن سند كلمة أو جملة «تعميد التثليث» لم يصل إلى اليسوع».

(٣) سوف نوضح هذه النقطة في آخر هذا الباب.

(٤) St. Augustine: The City of God (Everyman's Library), London, 1945, part II, p. 75; J.W. Stweetman: Islam And Christian Theology (London, 1945), vol. 1, p. 75.

http://kotob.has.it/

ومعلومٌ، ووسيلة علمٍ أيضًا. أو شخص وله وجود، وعلمه بهذا الوجود وحبه له[١]. وحاول طامس ايكونيوس أن يطور في هذه الأدلة والحجج في كتابه "Summa Theologica" [٢]، ولكن هؤلاء المفكرين يتناسون أن الأقانيم الثلاثة، حسب العقيدة المسيحية، ليست الأجزاء الثلاثة للوحدة ولا هي حيثيات ثلاثة للوجود، ولا صفات مختلفة له، بل إن لكل واحد منها وجودًا حقيقيًا مستقلاً؛ ولذلك يقول أوغسطين والمفكرون المسيحيون الآخرون: إن الأب ليس ابنًا، والابن ليس أبًا، والروح القدس ليس أبًا ولا ابنًا[٣].

فالحق أن الأدلة النقلية والبراهين العقلية المزعومة للتثليث ضعيفة للغاية، ولذلك يقول كاتب المقال الفاضل في قاموس هاستنجز:

"The Christian doctrine of God as existing in three persons and one substance is not demonstrable by logic or by scriptural proofs".

«عقيدة الإله المسيحية التي تقرر أن الله ثلاثة أقانيم في جوهر واحد، لا يمكن إقامة الدليل عليها بالمنطق أو بالأدلة الفرضية»[٤].

فرؤية هذا الكاتب للعقيدة المسيحية تتلخص في أنها افتراض ضروري[٥]. ولا شك أنها مجرد افتراض وأبعد عن الواقع والحقيقة معًا. والطريف أن هذا الافتراض الذي صار أساسًا للإيمان المسيحي فيما بعد، لم يتولد إلا في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، والمسيحيون الذين عاشوا قبل هذه الفترة رحلوا من هذه الدنيا دون أن يسعدوا بالإيمان بعقيدة التثليث! ومن بينهم بولس وأتباعه الذين بدأوا التحريف في تعاليم الكتاب المقدس التوحيدية، فهم أيضًا لم يؤمنوا بعقيدة التثليث أو بصورتها التي أخذتها في القرون المتأخرة. ويتضح مما يأتي من الإشارات أنهم آمنوا إما بالله الواحد أو بالله الواحد وبالمسيح الرب (مثل بولس). والجدير بالذكر أنهم لم يعتبروا المسيح مساويًا لله، بل اعتبروه بعد الله في الدرجة، كما ذكرنا ذلك في ضوء رسالة لبولس[٦]. وفي رسالة يوحنا الرسول الأولى أيضًا إلحاح شديد على ضرورة

---

(١) St. Augustine: op. cit., p. 335.
(٢) The New Catholic Encyclopaedia, vol. 14, pp. 303-304
(٣) Encyclo. Brit. (1962), vol. 13, pp. 22-23.
(٤) Hasting's Dictionary of the Bible (1963), p. 1015.
(٥) Ibid.
(٦) كورنثوس الأول ١١:٣ .

http://kotob.has.it/

الإيمان بالأب والابن فقط، ولا يوجد فيها أي إشارة إلى أنهما متساويان، كما لم يوجد إشارة إلى ضرورة الإيمان بالروح القدس بوصفه أقنومًا ثالثًا: «فهذا الذي ينكر الأب والابن هو ضد المسيح، كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضًا، ومن يعترف بالابن فله الأب أيضًا»[١].

ولقد ذكرنا آنفًا أن دائرة المعارف البريطانية تخبرنا أن ألوهية المسيح والروح القدس لم يتم الاعتراف بها سنة ٣٢٥م[٢]. وهذه دائرة المعارف الكاثوليكية التي أعدها المسيحيون الأصوليون تعترف بأن عقيدة التثليث لم ترسخ في أوساط الناس إلا في العصور المتأخرة، تقول: «إن عقيدة الإله الواحد والأقانيم الثلاثة لم تكن تترسخ في الحياة المسيحية كما أنها لم تكن تصبح جزءًا ـ دون ريب ـ للإعلان الرسمي للإيمان قبل نهاية القرن الرابع الميلادي . . . ولم يوجد لدى آباء الكنيسة الأوائل أي صلة ـ ولو من بعيد ـ بهذا الفكر»[٣] وأول بذرة لهذه العقيدة نجدها عند المفكرين المسيحيين من القرنين الثاني والثالث أمثال أوريغان وطرطلين[٤].

ويقول مفكر مسيحي آخر في بيان عدم معرفته لهذه العقيدة (عقيدة التثليث) ما نصه:

"The Gospels, Acts of the Apostles and Epistles of St. Paul are all ignorant of the Trinity".

«الأناجيل وأعمال الرسل ورسائل بولس كل هذه المصادر عارية عن التثليث»[٥].

وتقول دائرة المعارف البريطانية عن المسيحيين الأوائل:

"The doctrine of the Trinity appeared inconsistent with the unity of God, which is emphasized in the Scriptures. They, therefore, denied it and accepted Jesus Christ, not as incarnate God, but as God's highest creature".

«كانت عقيدة التثليث تبدو لهم ضد التوحيد الإلهي الذي تعلّمه الكتب المقدسة؛ فلذلك أنكروها ولم يعتبروا يسوع المسيح إلهًا مجسدًا، بل اعتبروه أشرف خلق الله كلهم»[٦].

---

(١) يوحنا الأول ٢: ٢٢ـ٢٣ .

(٢) Encyclo. Brit. (1962), vol. 5, pp. 677-678.

(٣) The New Catholic Encyclopaedia, vol. 14, p. 299 .

(٤) Ibid., pp. 296-297.

(٥) Herbert Muller: Uses of The Past, p. 169, footnote.

(٦) Encyclo. Brit. (14th Edition, 1929), vol. 3, p. 634 .

http://kotob.has.it/

وهكذا فإن حبَّ المسيحيين المتأخرين الشديد والأعمى لعيسى، جعله إلهًا وابن الله، وأغفلوا جميع آيات التوحيد في العهدين القديم والجديد، وأعطوا الروح القدس أيضًا درجة الألوهية، وصارت عقيدة «الواحد والثلاثة معًا» البعيدة عن المنطق، أساسًا للدين، مع أن الأناجيل ـ بغض النظر عن التحريفات فيها ـ تشهد حتى اليوم على ما ورد في القرآن الكريم عن تعليم عيسى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[1] و ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾[2] و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[3].

ولكن بولس أهمل هذا الدرس المقدس وبدأ في تحريف عقيدة التوحيد. ثم أدلى آباء الكنيسة وزعماء الدين والملوك بدلوهم في تطوير هذه العملية، إلى أن أوقعوا المسيحيين في حفرة التثليث؛ ولم تتوقف العبادة للأقانيم الثلاثة المزعومة فحسب، بل ضم إليها مريم والقديسون والملائكة، أو على الأقل بدأ التعظيم التعبدي لهؤلاء جميعًا[4].

وفي مجمع نيقية الثاني الذي انعقد سنة ٧٨٧ م، أجيز رسم صور الملائكة ونحت أصنام لها وتبجيلها وتوجيه الأدعية إليها[5]. وأما عبادة مريم (Mariolatry) وألوهيتها فكانت قد تمت وشاعت بين المسيحيين قبل ذلك، وكانت أبوابها قد فتحت نتيجةً للمناقشات بين نسطوريوس ومخالفيه:

> "The worship of Mary was greatly emphasized after the Nestorian controversy".
>
> «بدأ الإلحاح الشديد على عبادة مريم نتيجةً للمناقشات التي أثارها نسطوريوس»[6].

واحتدت هذه المناقشات فيما بعد بين الفرقتين المسيحيتين: المَرْيمية والكوليرديانية[7].

---

(١) القرآن الكريم ١٩: ٣٠.
(٢) القرآن الكريم ٥: ١١٧.
(٣) القرآن الكريم ٣: ٥١.
(٤) Smith and Cheetham: A Dictionary of Christian Antiquities, London, vol. 2, p. 1176.
(٥) Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 4, p. 581; The New Catholic Dictionary, p. 44.
(٦) J.W.Sweetman: Islam And Christian Theology, vol. 1, p. 32.
وانظر الباب الرابع، الهامش رقم ٤ ص ٨١ وما بعده ـ الفصل بعنوان: الملوك والمجامع «الصانعة المسيحية» لمناقشة «أم الإله» لنسطوريوس.
(٧) J.Hastings: Dictionary of the Bible (5 vols., Edinburgh, 1905), vol. 3, pp. 289-291.
George Sale: Translation of The koran, Preliminary Discourse, London, p. 27.

http://kotob.has.it/

وبعد مجمع أفسس المنعقد سنة ٤٣١م الذي تقرر فيه أن مريم العذراء هي أم الإله[١]، بدأت أدعية النجاة والعفو والمنعقد والوقاية من الحزن والغم والمصائب توجَّه إليها، وبدأت تعتبر وسيطةً بين العباد والمسيح، وأخذت الكنائس تجلجل بتبجيلها[٢].

وهكذا امتصت المسيحية جميع أنواع الشرك، وإن كانت تظل تدعي أنها تدعو إلى التوحيد. وما أنسب ما قاله مؤرخ مسيحي مشهور وهو ليكي (Lecky) :

"(Christianity) assumed a form that was quite as polytheistic and quite as idolatrous as the ancient paganism".

«تحولت المسيحية إلى الشكل الذي يماثل تمامًا الديانات الشركية والوثنية القديمة»[٣].

---

(١) Encyclopaedia of Religion and Ethics, vol. 9, p. 908.

(٢) Encyclo. Brit. (14th Edition, 1929), vol. 14, p. 1000; Encyclo. Brit. (1973), vol. 14, pp. 991-992.

(٣) W.E.H. Lecky: History of European Morals (London, 1869), vol. 2, p. 97.

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب السادس

طريق النجاة : كفّارة أم عمل وتوبة ؟

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب السادس

طريق النجاة: كفارة أم عمل وتوبة ؟

الدين مجموعة من العقائد والأعمال يأمر بها الله كمنهج متكامل للحياة، أو هو مجموعة الأعمال والعقائد المنزلة من الله، وهي تهدف إلى تقوية الصلة بين الله والإنسان والنجاة والبركة[١].

ولتحقيق هذا الهدف تحتوي كل ديانة على طرائق وقوانين وشريعة معينة. والديانة المسيحية تدعي أنها استمرار للديانة اليهودية وتتمة لها؛ ولذلك بقي كتاب اليهود الديني على أنه العهد القديم، وسجِّل في العهد الجديد للكتاب المقدس قول المسيح: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض ولا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيمًا في ملكوت السموات»[٢]

تصور النجاة في العهد القديم

ومن هنا كان يجب أن تُهتمَّ في المسيحية أيضًا بتلك العقائد والأعمال التي تدعو إليها اليهودية، والواردة في العهد القديم، لتحقيق النجاة والبركة. ولكن الذي حدث هو أن المسيحيين كما حرَّفوا في تصور التوحيد اليهودي والديانات الأخرى، غيرَّوا أساس الخلاص والنجاة كليًّا فكان فضل الله أساس النجاة في اليهودية والديانات السماوية الأخرى. وكان الطريق إلى الحصول على فضل الله هو الإيمان والعمل بالنَّاموس، وأما النقصان في العمل فهو يستكمل بالتوبة والرجوع إلى الله. يقول مؤلف أحد قواميس الكتاب المقدس موضحًا ذلك «أهم شروط النجاة للإنسان في العهد القديم كانت تتلخص فيما يلي:

أولًا: الإيمان الكامل بالله.

---

(١) F.Max Muller: Introduction to The Science of Religion (London, 1873), pp. 151-152; E.B.Idowu: African Traditional Religion, A Definition (London, 1973), p.75.

(٢) متى ٥: ١٧-١٩ .

http://kotob.has.it/

ثانيًا: اتباع الشريعة الإلهية وقوانينها. فهذا الشرط نتيجة طبيعية للشرط الأول، ولكن الله لا يطلب اتباع ألفاظ الشريعة فقط، بل كانت التوبة ضرورية لمغفرة الذنوب وتقدم النذور توبةً لمعظم المعاصي والذنوب»[١].

فكانت النجاة تتوقف أساسًا على الإيمان والعمل، وكان التقصير في العمل يعوض بالتوبة، وإحدى طرقها النذور والتضحية؛ ولذلك قيل لبني إسرائيل في العهد القديم: «ارجعوا عن طرقكم الرَّديَّة واحفظوا وصاياي وفرائض الشريعة التي أوصيت بها آباءكم والتي أرسلتها إليكم عن طريق عبيدي الأنبياء»[٢]، وقيل لهم أيضًا: «ارجعوا إليَّ واحفظوا وصاياي واعملوا بها»[٣].

وكان اليهود يرون أن الشريعة وأحكامها منزلة من الله، وأن الإعراض عنها يسبب غضبه، ولكنه يرحم التائبين والراجعين إليه من الذنوب، ويعطف عليهم؛ فهو يقول لهم: «ارجعي أيتها العاصية إسرائيل لا أوقع غضبي بكم لأني رؤوف، يقول الرَّب: لا أحقد إلى الأبد . . . ارجعوا أيها البنون العصاة يقول الرب لأني سدت عليكم»[٤]، وقال أيضًا في أسلوب الاستفهام الإنكاري:

«هل يسقطون ولا يقومون أو يرتد أحد ولا يرجع»[٥]، «وإن ترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها»[٦].

إن رحمة الله ـ حسب تعاليم العهد القديم ـ لا تحتاج إلى وسيط أو وسيلة، ولا تتقيد بمانع، يقول داود عليه السلام في أحد مزاميره: «ارحمني ياالله حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك امسح معاصي، اغسلني كثيرًا من إثمي ومن خطيئتي طهرني»[٧]. ويقول سليمان مناجيًا ربه وداعيًا لأمته: «إذا أخطأوا إليك، لأنه ليس إنسان لا يخطىء فإذا رجعوا إليك من كل قلوبهم ومن كل أنفسهم وصلّوا إليك نحو البيت الذي بنيت لاسمك . . .

---

(١) قاموس الكتاب، ص: ١٠٢٩. وانظر أيضًا: The Jewish Encyclopaedia (Article on Atonement).
(٢) الملوك الثاني ١٧ : ١٣ .
(٣) نحميا ١ : ٩ .
(٤) إرميا ٣ : ١٢ـ١٤ .
(٥) المرجع السابق ٨ : ٤ .
(٦) المرجع السابق ١٨ : ٨ .
(٧) المزامير ٥١ : ١ـ٢ .

http://kotob.has.it/

فاغفر . . . جميع ذنوبهم التي أذنبوا بها إليك»[١].

ومن طرق التوبة عن خطأ النسيان التي اتبعها اليهود طريقة «قربان الخطأ»[٢] أيضًا، وتبنوا هذه العادة بوصفها أمرًا من أوامر الله؛ فكانوا يطلقون معزًا في صحراء، ويظنون أنه حمل معه جميع ذنوب الأمة، وكان يسمى هذا المعز تيس العزازيل (Scapegoat)[٣].

ولكن هذه العادات والتقاليد لم تكن الأساس الأول للتوبة، والأصل الذي يحبه الله هو العمل الصالح، كما قال: «ما لي وكثرة ذبائحكم، اتخمت من محرقات كباشٍ وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس . . . تطهروا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني، كفوا عن فعل الشر، وأقبلوا على فعل الخير. اطلبوا الحق. انصفوا المظلوم، وواسوا اليتيم واحموا الأرملة»[٤].

ويقول أيضًا: «إني أريد رحمةً لا ذبيحةً»[٥].

النجاة والعهد الجديد: أهمية التوبة والعمل بالشريعة

سبق أن ذكرنا في الباب الثاني أن تعاليم عيسى تدعو إلى العمل الصالح والرجوع إلى الله؛ للحصول على النجاة وملكوت السموات. يخبرنا العهد الجديد أن المسيح قال للمرأة العاهرة ـ التي تابت وبكت كثيرًا نادمةً على أعمالها: «قال لها مغفورة لك خطاياك»[٦].

وحسب تعاليم بولس «بدون سفك دم لا تحصل مغفرة»[٧]، ولكن تعاليم المسيح تحصر النجاة والمغفرة في الإيمان والتوبة[٨].

جاء في الإصحاح الخامس عشر من إنجيل لوقا ثلاثة أمثال على لسان المسيح لإبراز أهمية التوبة والرجوع إلى الله وفضيلتهما. ففي المثل الأول: «أي إنسان منكم له مائة

---

(١) الملوك الأول ٨:٤٦ـ٥٠ .

(٢) اللاويين، الإصحاح الرابع .

(٣) اللاويين ١٦ :١٠و ٢١ـ٢٢. ومعنى عزازيل: الكبش المطلق أو الفلاة. انظر: قاموس الكتاب، ص: ٤٦٣.

(٤) أشعياء ١ : ١١، ١٦ـ١٧ .

(٥) هوشع ٦:٦ .

(٦) لوقا ٧ : ٤٨ .

(٧) العبرانيين ٩ :٢٢ .

(٨) انظر: متى ٩ :٢ أيضًا بالإضافة إلى لوقا ٧ : ٤٨ المرجع المذكور.

http://kotob.has.it/

خروفٍ وأضاع واحدًا منها ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب للبحث عن الضال حتى يجده. وحين ذلك يضعه على منكبيه فرحًا. ويعود إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال. أقول لكم إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارًّا لا يحتاجون إلى توبة»[١]، وقال المسيح موضحًا أهمية العمل: «إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا»[٢]. يقول العالم المسيحي الألماني المشهور هارنيك موضحًا قول المسيح هذا:

"He desired no other belief in his person and no other attachment to it than is contained in the keeping of commandments".

«لم يكن يتمنى (المسيح) أن تزيد معتقدات الناس في ذاته عن حدودها، بل كان يود أن يتبعوا الأحكام»[٣].

وكان بولس نفسه في أيامه الأولى من اعتناقه المسيحية يرى ـ مثل اليهود والمسيحيين الأوائل ـ أن الإنسان يحتاج إلى العمل والتوبة للنجاة. ولذلك أعلن عقيدته أمام الملك أغريبا (Agrippa) قائلاً: «نصحت سكان البلد اليهودي وغيرهم من الأمم أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين أعمالاً تليق بالتوبة»[٤]: وكانت الكنيسة أيضًا في العصور الأولى ترى أن يعقوب (James) أخو عيسى[٥] قال: «من حفظ كل الناموس وعثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل»[٦]. وقال أيضًا: «هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت؛ ألم يتحلّ إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحاق ابنه على المذبح، فترى أن الإيمان عمل مع أعماله وبالأعمال يكتمل الإيمان»[٧]، وقول يعقوب هذا، يوافق قول عيسى التالي:

«الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني والذي يحبني، يحبه أبي وأنا أحبه»[٨]. فكان الحواريون يؤمنون مثل اليهود أن النجاة تكمن في العمل بالشريعة، والنقصان في

---

(١) لوقا ١٥: ٣ـ٧.
(٢) متى ١٩: ١٧.
(٣) Adolf Harnack: What is Christianity? (English Translation), p. 129.
(٤) أعمال الرسل ٢٦: ١٩ـ٢١.
(٥) A.L. Moore. Dictionary of the Church, p. 41.
(٦) رسالة يعقوب ٢: ١٠.
(٧) المرجع السابق ٢: ٢٠ـ٢٢.
(٨) يوحنا ١٤: ٢١.

http://kotob.has.it/

العمل تكمله التوبة. وأما عقيدة الكفارة العجيبة التي تقرر أن هدف فداء المسيح المزعوم كان تخليص الإنسان، فهذه العقيدة ظهرت في العصور المتأخرة، وقد مضى ذكر رأي دائرة المعارف البريطانية بهذا الصدد، حيث تقول:

"The early fathers did not regard the sufferings of Christ as a vicarious satisfaction of God's wrath".

«لم يكن يؤمن آباء الكنيسة في العصور الأولى بالفكرة التي تقول: إن آلام المسيح (وصلبه) كانت وسيلة لتهدئة غضب الله»(١).

وتقول دائرة المعارف الكاثوليكية:

"In the New Testament atonement does not play a primary role".

«لاتلعب عقيدة الكفارة في العهد الجديد دورًا أساسيًا»(٢).

عقيدة الكفارة وأهميتها في المسيحية

اصطنع بولس عقيدة الكفارة على عكس الحقائق المذكورة آنفًا، وتعاليم عيسى، وعقيدة الحواريين، وحتى فكرته الأولى في النجاة، أسسها على خطيئة آدم ـ الخطيئة التي لم يقتصر أثرها على آدم، بل شملت جميع ذرية آدم إلى أن كفِّرت بصلب عيسى. يقول بولس: «لأنه بمعصية الإنسان الواحد (أي آدم) جُعِل الكثيرون مخطئين، هكذا أيضًا بطاعة الواحد سيصبح الكثيرون أبرارًا»(٣). ويقول أيضًا في إحدى رسائله: «المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتاب المقدس وأنه دفن وقام في اليوم الثالث حسب الكتاب المقدس»(٤). ويقول أيضًا: «إن المسيح بذل نفسه فداءً للجميع»(٥)، و «جعله الله كفارة بدمه»(٦)، و «ليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه... قدم نفسه لله بلا عيب»(٧). وبهذا

---

(١) Encyclo. Brit. (1962), 5:634.

(٢) The New Catholic Encyclopaedia, vol. 1, p. 1025.

(٣) رومة ٥:١٩.

(٤) كورنثوس (١) ١٥: ٣ـ٤.

(٥) تيموثاوس (١) ٢:٦.

(٦) رومة ٣:٢٥.

(٧) العبرانيين ٩:١٢ـ١٤.

http://kotob.has.it/

قلل بولس من أهمية العمل بالشريعة، وألح على الإيمان بعقيدة فداء المسيح المزعوم لتحقيق النجاة والخلاص، مخالفًا في ذلك تعاليم العهد القديم، وأقوال عيسى، وأفكار يعقوب، والحواريين والرسل الآخرين. يقول: «لو كان الإيمان يحصل بالناموس لكان موت المسيح باطلاً»[١]؛ «لو كان أصل الشريعة هم الورثة لتعطل الإيمان وبطل الوعد، لأن الناموس ينشيء غضبًا فحيث لا يوجد ناموس ليس هناك تعدٍ»[٢]، و «الخطيئة لا تحسب إن لم يكن ناموس»[٣]، فكأن الشريعة تسبب التعدي، وعدم وجود الشريعة يضمن عدم المعصية لله! فالبعد ينسي ولذلك يقول: «هو أبطل بنفسه ناموس الوصايا في فرائض»[٤]. ويجدر بالذكر أن الحواريين خالفوا بولس في محاولته لتقليل أهمية الشريعة هذه، كما قاوموه في أفكاره الأخرى. ولذلك قال له يعقوب والحواريون الآخرون بصراحة: «إن كثيرًا من اليهود الذين آمنوا بالمسيح هم جميعًا متحمسون للناموس» وقد أُخبر عنك أنك تعلِّم اليهود . . . «الارتداد عن موسى قائلاً لهم أن لا يختنوا أولادهم ولا يمشوا حسب العوائد»، فجعلوه يقتنع بالطريقة اليهودية للنذور، ويعمل بها أمام الجمهور حتى «يعلم الجميع أنك ليس كماأخبروا عنك، بل تسلك أنت أيضًا طريق الصواب وتعمل بالناموس»[٥]. فاضطر بولس ـ رغم أنفه ـ أن يقبل بذلك في تلك اللحظة، ولكن الرسائل التي كتبها فيما بعد تخلو تمامًا من الإيمان بهذه الطريقة، كما أنها لا تركز على العمل والتوبة باعتبارها وسيلة للنجاة والخلاص، بل إنها تدعو إلى الإيمان بفداء المسيح المزعوم فقط. يقول هربرت مولر مؤيدًا هذه الحقيقة أن بولس هو الذي أسس نظرية الخطيئة الأزلية وفداء المسيح لها:

"Specifically, he introduced the idea of original sin. The prophets of Israel had made little or nothing of the Genesis myth of Garden of Eden and Jesus made nothing at all of it; he never mentions the Fall of Adam or the curse of the Original Sin".

«هو الذي أشاع نظرية الخطيئة الأزلية، ولم يستنتج أنبياء بني إسرائيل شيئًا كثيرًا

---

(١) غلاطية ٢ : ٢١ .
(٢) رومة ٤ : ١٤ـ١٥ .
(٣) رومة ٥ : ١٣ .
(٤) أفسس ٢ : ١٥ . وانظر أيضًا: العبرانيين ٧: ١٢، ٨: ١٣ .
(٥) أعمال الرسل ٢١ : ١٧ـ ٢٦ .

http://kotob.has.it/

من أسطورة جنة العدن المذكورة في سفر التكوين؛ وأما يسوع فلم يحفل بها مطلقًا ولم يذكر قط هبوط آدم أو لعنة الخطيئة الأزلية»(١).

ما الذي دعا بولس إلى وضع هذه العقيدة؟ وما هي العوامل وراء ذلك؟ أوضحنا في الباب الثالث أنه لما قال بولس ومن أخذ برأيه من المسيحيين: إن عيسى صلب على يد الأعداء وقعوا في مأزق، وهو مواجهة العقيدة اليهودية القديمة التي تقول: «إن المعلق ملعون من الله»(٢)؛ فهل ربهم (والعياذ بالله) ملعون؟ فبدلاً من أن يلجأ بولس إلى الحقائق والوقائع التاريخية، ويثبت في ضوئها أن المسيح لم يُصلب، ليخرج من هذا المأزق، فبدلاً من ذلك قال: صلب المسيح، وصار ملعونًا، وذلك لكي يخلصنا من اللعنة التي لحقتنا لأجل إعراضنا (أو إعراض آدم) عن الشريعة الإلهية. يقول: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار ملعونًا من أجلنا لأنه مكتوب، ملعون كل من علق على خشبة»(٣). وهكذا زاد التأثير العاطفي في قصة المسيح، فهو لم يعان من الآلام والصلب فحسب، بل فعل كل ذلك لتخليصنا من الخطيئة. وثبت من هذا أيضًا أن هذه الفكرة غير مؤسسة على البراهين والحقائق، ولكنها رغم ذلك انتشرت بين الناس بسرعة، لأنها تحمل في كيانها عناصر القبول والجذب. فكان الناس يحبون مقولة تلامذة بولس وأتباعه: «ليست المحبة في أننا أحببنا الله بل إنه هو الذي أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا»(٤)، و «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية»(٥).

وجاء في الرسالة(٦) المنسوبة إلى بطرس: «لم يفتوا بأشياء تفنى كالذهب والفضة ... بل بدم كريم دم المسيح الغالي»(٧). وفي إنجيل متى قول ينسب إلى المسيح، وهو: «هذا

---

(١) Herbert Muller: Uses of The Past, p. 160.
(٢) التثنية ٢١ : ٢٣ .
(٣) غلاطية ٣ : ١٣ .
(٤) رسالة يوحنا الأولى ٤ : ١٠ .
(٥) إنجيل يوحنا ٣ : ١٦ .
(٦) إن كانت هذه الرسالة لشخص اسمه بطرس فهي ليست لبطرس الرسول الذي كان سمَّاكًا أميًا. انظر: متى ٥ : ١٨؛ وكثير من الدارسين المسيحيين لم يعتبروها رسالة لبطرس الرسول لأسباب أخرى أيضًا. انظر: Oxford History of the Church, p. 394.
(٧) رسالة بطرس الأولى ١ : ١٨-١٩ .

http://kotob.has.it/

هو دمي الذي أريق لتكفير خطايا الكثيرين»[١]؛ وجاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح: «أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء . . . والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي المبذول من أجل حياة العالم»[٢].

ولم يقتصر الأمر على هذا الحد بل تعداه إلى الأنبياء الآخرين؛ هناك قول نسب إلى المسيح ينفي فيه عظمتهم وتقديرهم، وهو: «جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص . . . أنا الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف . . . وأنا أضع نفسي عن الخراف»[٣].

والمفكرون المسيحيون الذين جاءوا بعد بولس ربطوا عقيدة الكفارة بالخطيئة الأزلية؛ ولا شك أنه هو الذي فتح هذا الباب، ولكنه أحيانًا يبدو في كتاباته أنه يعمم تصور الكفارة، ويجعلها شاملة لجميع الأخطاء العامة أيضًا. يقول: «لنا الفداء بدمه، وغفران الخطايا حسب فضل نعمته»[٤]. وقول إنجيل متى المذكور آنفًا ٢٦ : ٢٨ يدعو أيضًا إلى شمول الكفارة لجميع الأخطاء، ومع ذلك فثمة تعارض في الأناجيل؛ فبعض الأخطاء والذنوب لا تغفر (حتى بالكفارة) فمثلاً: «وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي»[٥].

وفي العصور المتأخرة توسع في شرح عقيدة الكفارة كل من آيرنيوس (Irenaeus)، وامبروس (Ambrose) وأنسيلام (Anselam) وأوغسطين (Augustine) وطوماس الكويناس (Thomas Acquinas)، وانبثقوا خلال شرحها في معظم الحالات من تصور الخطيئة الأصلية، إلى أن أصبحت جزءًا لا يتجزأ للعقائد المسيحية[٦].

تقول دائرة المعارف البريطانية في بيان أهمية عقيدة الخلاص عن طريق الكفارة في العقائد المسيحية:

---

(١) متى ٢٦ : ٢٨ .
(٢) يوحنا ٦ : ٥١ .
(٣) يوحنا ١٠ : ٨ـ١٥ .
(٤) أفسس ١ : ٧ .
(٥) متى ١٢ : ٣٢، مرقس ٣ : ٢٩ : «فلا غفران له أبدًا، بل هو مذنب بخطيئة للأبد».
(٦) New Catholic Encyclopaedia, vol. 1, p. 1025.

http://kotob.has.it/

"The doctrine of salvation has taken the most prominent place in the Christian faith: so prominent, indeed, that to a large portion of believers it has been the supreme doctrine, and the doctrine of the deity of Jesus has been valued only because of its necessity on the effect of atonement".

«صارت نظرية الخلاص تحتل أبرز مكان في العقائد المسيحية لدرجة أن معظم المؤمنين (المسيحيين) يرون أنها أعظم العقائد وأعلاها رتبة؛ وحتى أهمية عقيدة ألوهية المسيح تكمن في الإيمان القوي بعقيدة الكفارة»[١].

التعميد والعشاء الرباني :

التعميد والعشاء الرباني من الشعائر المسيحية الواجب اعتقادها والعمل بها عند المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت معًا، وكلاهما يقوم على عقيدة الكفارة. والتعميد (الذي مضى ذكره في الباب السابق أيضًا) هو غمس شخص في الماء أو غسله به لتنصيره ولإدخاله في «بركات» المسيحية، وهو يطهر، حسب العقيدة المسيحية، النفس من أدران الخطيئة[٢]. وأما العشاء الرباني - ويقال له القربان المقدس أيضًا - والذي يرمز إلى مشاركة المسيح تلامذته في الطعام الأخير - فهو عبارة عن دعاء وعبادة جماعية، وأكل طعام يشتمل على قليل من الخبز الذي يشير إلى جسده المكسور، وعلى قليل من الخمر الذي يشير إلى دمه المسفوك. وكأن المؤمنين (المسيحيين) الذين يشتركون في هذا العشاء يستحقون فوائد هذا القربان المزعوم[٣].

العناصر المختلفة لعقيدة الكفارة :

تجلت الملامح الأساسية لعقيدة الكفارة من كتابات بولس التي ذكرناها آنفًا، ولكننا هنا نشير إلى مفكر مسيحي مشهور - هو أوغسطين - وإلى غيره من العلماء لمزيد من التوضيح لهذه العقيدة وشرحها. إن ما يلفت أنظارنا عند هؤلاء المفكرين - وأبرزهم أوغسطين -

---

(١) Encyclo. Brit. (1962), vol. 5, p. 634.

(٢) قاموس الكتاب ص ١٣٦. The American People's Encyclopaedia, vol. 3, p.38.

(٣) American People's Encyclopaedia, vol. 8, pp. 88-90 and vol. 9, pp. 987-988.
وقاموس الكتاب ص: ٦٤٩ و ٦٩٢ . وفي كثير من الكنائس (الكاثوليكية الرومانية) تستخدم بسكويت أو رقاقات بدلاً من الخبز والخمر، وفي بعض الكنائس (البروتستانت) يستعمل عصير العنب مكان الخمر.

http://kotob.has.it/

أنهم أسرفوا في بيان أكل آدم من الشجرة المحرَّمة في جنة عدن. يقول أوغسطين (Augustine):

"This command, then, of forbearing one fruit when there were so many besides it, being so easy to observe and so short to remember, specially since no lust then opposed the will ..... was more unjustly broken, by how much it was the easier to keep".

«وكان من الأسهل أن يمتنع (آدم) عن أكل شجرة محرَّمة؛ وذلك لكونها وحيدة في العدد من ناحية، ولكثرة أنواع الثمار الأخرى الموجودة هناك من ناحية أخرى، بالإضافة إلى ذلك كانت غريزة الطمع معدومة في آدم حينئذٍ، فعصيان الأمر الذي كان العمل به أيسر، شيء جائر»[١].

ولذلك غضب الله عليه لدرجة أنه عمَّم غضبه لهذه الخطيئة على جميع أولاد آدم. ويقول أوغسطين بعد ذلك:

"Hence came condemnation upon all the stock of man, parent and offspring undergoing one curse, from which none can be ever freed, but by the free and gracious mercy of God".

«فهكذا نزلت (لأجل هذه الخطيئة) اللعنة على النسل الإنساني بأكمله دون استثناء، ولم يتحرر منها كبير ولا صغير، ولا والد ولا مولود إلا بفضل الله عليه ورحمته وكرمه»[٢].

ويرى أوغسطين، ويوافقه المفكرون المسيحيون الآخرون، أن الله أراد بفضله ورحمته أن يخرج الناس من هذه اللعنة، فقدم ابنه قربانًا حتى تزول أثر الخطيئة الأزلية من الإنسان بدم ابن الله، يقول:

"Sin is quelled by the love of God, which none but He gives and He only by Jesus Christ, the mediator of God and man, who made himself mortal, that we might be made eternal".

---

(١) St. Augustine: The City of God, vol. 2, p.42. Also see: Augustine's Enchiridion, XLV.
(٢) The City of God, pp. 334-335.

http://kotob.has.it/

«محبة الله تطفىء نار المعصية، ومحبته تأتي عن طريق يسوع المسيح الذي هو وسيط وشفيع بين الله والإنسان، والذي أفنى نفسه ليمنحنا الحياة الأبدية»[١] .

يرى الفكر المسيحي أن «الإنسان، لسوء طبيعته وفطرته، لا يقدر على أن يصل إلى الله بأعماله أو يقوم بها. أو بألفاظ أخرى، هو لايقدر على القيام بعمل صالح . . . فهو لرداءة جبلته والتوائها لا يصلح لأن يبسط يد صداقة إلى الله؛ ولذلك وجب أن يتوجه الله إليه بالصداقة، ولكن الله بحكم قدسيته لا يقيم الصلة بالإنسان إلا بعد زوال إثمه. وكان من الضروري أن يعاقب الله الإنسان على ذلله عقابًا مهلكًا، أو يعاقبه على خطيئته دون أن يهلكه، وذلك لإزالة الإثم. فلذا كان الفداء أنسب وسيلة لذلك، أي يختار الله الفداء من قبل الإنسان وهذا ما فعله. الإنسان هو الذي ارتكب المعصية، وهو الذي يمكنه أن يقدم ـ منطقيًا ـ الفداء، ولكن لا يوجد في هذه الدنيا إنسان بار وعار عن الخطأ، ولا يمكن أن يفتدي إنسان عاصٍ عن إنسان عاصٍ[٢] آخر، ومن هنا تنشأ إمكانية التجسد، وهو أن يأتي أحدٌ عار عن المعاصي والذنوب؛ فالله هو الذي دبر ذلك»[٣] .

فكأن الله ـ حسب رأي هؤلاء ـ لا يعفو عن الإنسان بدون الفدية، لأن ذلك يعارض قدسيته وعدله، ولكنه مع ذلك رحيم وغفور، فعدله شديد ورحمته واسعة[٤]؛ ولذلك قضى أن:

"Forgiveness and grace must be bestowed in such a way... that the interest of holiness shall not be compromised".

«يمنح مغفرته وفضله بطريقة . . . لا تمس قدسيته»[٥] .

ولقضاء هذا الأمر الإلهي أرسل المسيح بوصفه وسيطًا حتى

"Restore friendship between God and the human family".

«يجدد الصداقة بين الله وبين الأسرة الإنسانية»[٦] .

---

(١) المرجع المذكور ص: ٣٣٨ .

(٢) هذا افتراض محض ليس له دليل، وينكره الكتاب المقدس إذ يقول: «الشرير فدية الصديق والغادر فدية المستقيمين» الأمثال ٢١ : ١٨ .

(٣) قاموس الكتاب ص: ٢٣٨ .

(٤) Interpretation - A Journal of Bible and Theology, Virginia, July, 1983, p. 21.

(٥) J. Hastings: Dictionary of the Bible, 1909, p. 71.

(٦) Pallen and Wynne: New Catholic Dictionary, p. 617.

http://kotob.has.it/

فـــ :

"Jesus gave himself ransom for all".

«قدّم يسوع نفسه فدية للجميع»[١].

وبهذا صار وسيلة لنجاة الإنسان وخلاصه[٢].

جذور عقيدة الكفارة :

هذه هي عناصر عقيدة الكفارة وأجزاؤها، والتي يسميها المفكرون المسيحيون بكل فخر المشروع الإلهي للخلاص[٣]. ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: هل يوجد هذا المشروع بجميع عناصره وأجزائه في الكتاب المقدس؟ أو أنه من بنات فكر العلماء المسيحيين؟ ورد في كتاب ضخم في علم الإلهيات المسيحية وعلم الكلام أن

"The existence of such a plan is partly presupposed, partly explicitly expressed in the Scripture".

«هذا المشروع يقوم جزئيًا على الافتراض، وجزئيًا شرح شرحًا وافيًا في الكتاب المقدس»[٤].

ولكن الحق أنه لا يثبت جزء من أهم أجزاء هذا المشروع المزعوم من الكتاب المقدس. وقد أشرنا إلى نصوص العهدين القديم والجديد آنفًا، وسوف نبين ذلك ـ إن شاء الله ـ إذ أن جذور هذه العقيدة ترجع إلى الديانات الخرافية والهمجية القديمة، ثم دخلت المسيحية. لقد تناول فرازر (Frazer) ـ وهو عالم مسيحي كبير في مجال الإنثروبولوجيا والديانات العالمية ـ في كتابه القيِّم "The Golden Bough" هذه القضية بالمناقشة والتحليل، فقال:

"It was an ancient custom in a crisis of great danger, that the ruler of the city or nation should give his beloved son to die for the whole people, as a ransom offered to the avenging demons".

«كانت العادة في العصور القديمة أن يقدم حاكم المدينة أو البلد، ابنه المحبوب

---

(١) Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 8, p. 516.
(٢) Karl Rahnan: Foundations of Christian Faith (English Translation), New York, 1978, p. 114.
(٣) Van Oosterzee: Christian Dogmatics (London, 1874), p. 446.
(٤) Ibid.

http://kotob.has.it/

ليموت نيابة عن الناس جميعًا، إذا ما هدد خطر ما المدينةَ أو البلد؛ ليكون فدية عنهم للشياطين المنتقمة»[١].

ويذكر المؤلف انتشار هذه العادة الهمجية والوهمية في الأمم المتعددة، ولا سيما الأمة الإغريقية والأمة الرومانية، يقول:

"The use of Dying God as a scapegoat to free his worshippers from the troubles of all sorts .... When we survey the history of the pathetic fallacy from its crude inception in savagery to its full development in the speculative theology of civilized nations, we cannot but wonder at the ..... process which has refined the base and foolish custom of the scape - goat into the sublime conception of the God who dies to take away the sins of the world".

«فكرة الإله الذي يموت في صورة كبش الفداء، لينقذ عباده من جميع أنواع المصائب . . . فحين نستعرض هذا الخداع المؤلم على مرّ التاريخ - من صورته البدائية عند الأمم الهمجية إلى تطوره الكامل - في علم الإلهيات التأملي لدى الأمم المتحضِّرة، فإننا نعجب . . . لتطور هذه الفكرة التي حوَّلت عقيدة كبش الفداء الباطلة إلى تصور رفيع بأن الإله يموت ليمح ذنوب الدنيا كلها»[٢].

ويوجد في العهد القديم للكتاب المقدس أيضًا ذكر هذه العادة العجيبة أي فدية الابن لتخليص الناس من المصيبة النازلة عليهم، ولكنها لم تكن عند اليهود، بل كانت منتشرة بين المجتمعات الوثنية غير المؤمنة بالله عز وجل. والجدير بالتنبيه هنا أن فداء إبراهيم لم يكن لتخليص نفسه أو لتخليص الناس من مصيبة، كما أنه لم يكن تكفيرًا عن خطأ[٣].

فهذه الطريقة كانت متداولة عند الموآبيين الوثنيين أعداء إسرائيل[٤]، وحيث قدَّم ملك موآب ابنه البكر فديةً أثناء الحرب الشديدة التي وقعت بينهم وبين إسرائيل[٥]. وأما إسرائيل فكانوا يؤمنون بالتعليم الإلهي الذي وصلهم عن طريق

---

(١) J.G. Frazer: The Golden Bough, vol. 3 (The Dying God), London, 1912, p. 166.
(٢) The Golden Bough, vol. 6 (The Scapegoat), Preface.
(٣) التكوين ٢٢: ٢، ٢٢: ٧-١٣ .
(٤) J.P. Boyd: Bible Dictionary, p. 66.
(٥) الملوك الثاني ٢: ٢٧ .

http://kotob.has.it/

الأنبياء[١]، وهو: بدلاً من المُحرقات بعجول أبناء سنة، وبالكباش، وبالأبناء الأبكار، يطلب منك الرَّب أن تصنع الحق، وتحب الرَّحمة، وتسلك مسلكًا متواضعًا مع إلٰهك[٢].

تقول دائرة المعارف الأمريكية موضحةً هذه النقطة:

"In the teaching of the prophets, the emphasis was shifted to repentance as the essential condition without which sacrifices and ritual practices did not secure forgiveness".

«في تعاليم الأنبياء كان الإلحاح على التوبة باعتبارها شرطًا أساسيًا للمغفرة، وبدونها لا تفيد الطقوس الدينية والقرابين»[٣].

ولكن بولس وشيعته، زيفوا عقيدة التوحيد لليهود تحت تأثير الوثنيين من الإغريق والرومان، وحوّلوها إلى التثليث، مثلما أدخلوا عقيدة الفداء الإلٰهية في المسيحية للخلاص والمغفرة، وأخرجوا العمل والتوبة والتضحية بالحيوانات (إلى حد ما) من المسيحية؛ وقالوا، مكذبين آيات العهدين القديم والجديد والحقائق الثابتة، : «الأول أيضًا لم يُكَرَّس بلا دم . . . وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة»[٤]. مع أن الله قال: «إني أريد رحمةً لا ذبيحةً ومعرفة الله أكثر من محرقات»[٥]، وقال عيسى مخاطبًا اليهود الفريسيين: «اذهبوا وتعلموا معناها: إني أريد رحمةً لا ذبيحة»[٦].

تحليل عقيدة الكفّارة

يكفي ما قدمناه من النصوص المأخوذة من العهدين القديم والجديد لبطلان عقيدة الكفارة، وهي تثبت أن هذه العقيدة تعارض تعاليم الكتاب المقدس الأساسية، وأنها ضمت إلى المسيحية تحت تأثير الأمم الشركية الجاهلة، كما أنها صيغت للدفاع عن شخص عيسى، وإنقاذه من تهمة «اللعنة»؛ ونرى من المناسب أن نبرز فيما يلي الجوانب الضعيفة الأخرى لهذه العقيدة المختلقة.

---

(١) بهذا الصدد راجع فصلاً في هذا الباب بعنوان: تصور النجاة في العهد القديم.
(٢) ميخا ٦:٦ـ٨ .
(٣) Encyclopaedia Americana, 1958, vol. 2, p. 514.
(٤) العبرانيين ٩:١٨، ٩:٢٢ .
(٥) هوشع ٦:٦ .
(٦) متى ٩:١٣ .

http://kotob.has.it/

لقد اتضح من الفصول السابقة ـ ولا سيما الفصل الخاص بعقيدة الكفارة وأهميتها في المسيحية والخاص بـ : العناصر المختلفة لعقيدة الكفارة ـ أن هذه العقيدة تقوم على الأسس التالية :

١ـ عصيان آدم لربه جعل ذريته مذنبة غير طاهرة .

٢ـ لا يمكن أن يطهر الإنسان من الخطيئة إلا بالفدية .

٣ـ الصالح البار من كان في إمكانه أن يفتدي ، ولم يكن يصلح لهذا غير المسيح .

٤ـ ولذلك صُلب المسيح ، ثم قام من الأموات ، وبهذا قدَّم الكفارة والفدية ، وخلّص الخلق كله .

وفيما يلي مناقشة هذه الأسس :

١ـ هل الله سبحانه وتعالى غير رحيم وغير كريم ؟

ماهي صفات الله الغالبة ، الرحمة والمحبة ، أم الغضب والانتقام؟ وهل يعاقب الله الجميع بمعصية فرد واحد ؟

للدفاع عن هذه العقيدة أسرف أوغسطين وغيره في بيان خطيئة آدم إسرافًا شديدًا ، مع أن الكتاب المقدس رغم اعتباره آدم «عاصيًا» يقول : «وآدم لم يُغْوَ لكن المرأة أُغويت فوقعت في الإثم»[(١)] . ثم إننا نعلم من العهد القديم أن العقوبة التي نزلت عليهما بعد ارتكابهما هذه الخطيئة هي أن «أخرجه الرَّب الإلٰه من جنة عدن إلى الأرض . . . حيث يأكل بعرق وجهه خبزًا وتتحمل المرأة أتعاب الحمل والولادة»[(٢)] ؛ (والتي تتحملها النساء المسيحيات رغم إيمانهن بالكفارة ، فإن غُفرت الخطيئة الأصلية بالكفارة ، فلماذا هذه الأتعاب ؟) فهذه العقوبة لاتوحي بأن خطيئة آدم وحواء لم تغفر أو لن تغفر ، فكيف ومن أين شملت هذه الخطيئة جميع ذرية آدم؟ يعتبر الإنجيل ابنه هابيل من الصالحين الأبرار[(٣)] ، فما بالنا بنسله أو ذريته ؟

كما أن المعصية مهما اشتدت ، لا يتحمل عقوبتها إلا من ارتكبها ، والمسيحيون يدَّعون أن ديانتهم تقوم على المحبة ورحمة الله الشاملة ، ولكنهم ينكرون ادّعاءهم هذا حين

---

(١) ١ـ تيموثاوس ٢ : ١٤ .

(٢) التكوين ٣ : ١٦ـ١٩ ، ٣ : ٢٣ .

(٣) متى ٢٣ : ٣٥ ، العبرانيين ١١ : ٤ ، ١ـ يوحنا ٣ : ١٢ .

http://kotob.has.it/

يجعلون ذرِّية آدم كلها آثمة لأجل خطيئته هو، وبهذا ينكرون الرحمة الإلهية والعدل الرباني. وأوصل أوغسطين وأتباعه من المفكرين الأمر إلى هذا الحد، فقالوا:

"Infants dying in infancy are justly condemned to eternal punishment".

«الأولاد الذين يموتون (دون التعميد) عقابهم الأبدي عدل»(١).

فتصور شمول الخطيئة الأزلية النسل الإنساني كله، وهذا لا يعارض العقل فحسب بل يخالف تعليم نصوص الكتاب المقدس أيضًا، والتي تقول: «لا تموت الآباء لأجل البنين ولا البنون يموتون لأجل الآباء، بل كل واحد يموت لأجل خطيئته»(٢)، و «النفس التي تخطىء هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، برّ البار يكون له، وشر الشرِّير يكون عليه»(٣). والقرآن الكريم يصدق هذا التعليم ويقول: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ و ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾(٤). ثم إنه لا يعقل، أن تستمر الخطيئة لآدم بعد أن أخرج من جنة عدن عقابًا عليها كما يقول الكتاب المقدس، أو بعد أن جاءته عقوبة «الموت»(٥) وفق المصطلح الصوفي لدى بولس، فكيف يعقل شمولها لذريته واستمرارها على مر الأجيال ؟

٢ـ من الذي يعاقب على الذنب؟ وما حدّ العقوبة ؟

فمهما يكون نوع الخطيئة، أزلية أم غيرها، يكون وزرها على من صدرت عنه، والطريق إلى مغفرتها هو التوبة والأعمال الصالحة. ومثل الإلٰه الذي يقدِّم نفسه فديةً لتخليص إنسان من خطيئته كمثل طبيب يكسر رأسه ليعالج صداع مريض، أو مثل ملك يشنق وزيره أو ابنه لينقذ البلد من آفة اللصوص وقطّاع الطريق، فتصور إزالة الجريمة عن المجرم الحقيقي بعقاب شخص بريء لا علاقة له بها إنه أمر يسير العجب والاستغراب. ولم يُعلم عن قاضٍ ذي عقل يقدِّم ابنه البريء فدية ليطهر المجرمين الذين يحضرون بين يديه، فلماذا ينسب هذا التصور إلى الإلٰه الحكيم ؟

---

(١) Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 5, p. 644; St. Thomas Aquinas: The Summa Theologica (English Translation), London, 1920, vol. 2, p. 714.

(٢) أخبار الأيام الثاني ٢٥ :٤ .

(٣) حزقيال ١٨ :٢٠ و ١٨ :٤ .

(٤) القرآن الكريم ٢ :٢٨٦ و ٣٥ :١٨ .

(٥) رومة ٥ :١٧ .

http://kotob.has.it/

فما أبعد هذا التصور وتلك العقيدة عن العدل والعقل معًا!

أضف إلى ذلك أن عقيدة الكفارة ترسم أمامنا إلهًا جائرًا ساديًا يظل يعاقب ذرية فرد آلاف السنين لأجل خطيئة ارتكبها هو دون غيره، ثم تحتد السادية وتغلب عليه إلى أن يقدم نفسه أو ابنه البريء، لكي يشق الطريق إلى المغفرة والرحمة. فهذه صورة الإله يحب سفك الدماء، وبدونه لا تحصل عنده مغفرة[١]، وهنا يرد سؤال وهو: إن كان الله (والعياذ بالله) جائرًا إلى هذه الدرجة فمن أين جاءته هذه الشفقة والمحبة فجأةً لدرجة أنه لم يمتنع عن أن يفدي ابنه الوحيد»[٢]!.

وإن كان ظهور هذه المحبة يرجع إلى «التخطيط المسبق» فما ذنب الذين عاشوا في العصور التي تتراوح بين آدم وعيسى؟ ولماذا حُرم هؤلاء عن هذه المحبة والرحمة؟[٣] ولقد أثار فضيلة الشيخ ثناء الله الأمرتسري - وهو من أبرز علماء شبه القارة الهندية والباكستانية ومؤلفيها - تساؤلات علمية وعقلية حول عقيدة الكفارة، يقول: إن كانت الكفارة هي طريق الخلاص والنجاة فكيف تتم النجاة لأمم الأنبياء والمرسلين السابقين ؟ وإن كانت هذه هي مشيئة الله الأزلية فَلِمَ لم يُخبر بها أول نبي نزل على الأرض حتى يستمر الرحمة والعدل ؟[٤].

وثمة سؤال آخر يطرق أبواب التصور المسيحي عن عقيدة الكفارة التي يُقال بأنها تدل على محبَّة الله الشاملة ورحمته الواسعة، وهو: إن كانت محبة الله عميقة وشاملة لدرجة أن فداء المسيح يعم الجميع، فلماذا يشترط الإيمان به للاستفادة بالمغفرة الناتجة عن هذا الفداء ؟ ولماذا لا تكون الفائدة عامة للجميع بمعنى الكلمة وروحها، بصرف النظر عن المؤمنين به أو الجاحدين ؟ ومن الاعتراضات التي أوردها فضيلة الشيخ ثناء الله الأمرتسري على أساس آخر لعقيدة الكفارة، وهو العدل الإلهي، قائلاً: «إن تخلص المجرمون لمجرد إيمانهم بكفارة المسيح فكيف يكون العدل الإلهي ؟»[٥].

---

(١) العبرانيين ٩: ٢٢ .

(٢) يوحنا ٣: ١٦ .

(٣) وقد أحسَّ المفكرون المسيحيون بمرارة هذا السؤال، وحاول أوغسطين أن يتجنب مواجهته بأن افترض أن الذين عاشوا قبل المسيح سيسألون عن إيمانهم بالمسيح وبكفارته. انظر:
St. Augustine: The Enchiridion,. xxxi.

(٤) ثناء الله الأمرتسري: جوابات نصارى، جوجرانواله، ١٩٨٣م، ص: ٨٤ .

(٥) ثناء الله الأمرتسري: الإسلام والمسيحية بالأردو، جوجرانواله، ١٩٨٢م، ص: ١٤٠ .

http://kotob.has.it/

بغض النظر عن هذه الأدلة العقلية، لا يصدق الكتاب المقدس ـ كما أنه لا يصدق الأجزاء الأخرى لعقيدة الكفارة ـ هذا الافتراض الذي يتلخص في أن النجاة لا يمكن إلا بالفدية والقربان. ولقد تجلت هذه النقطة في فصلين: تصور النجاة في العهد القديم، والنجاة والعهد الجديد، ونضيف هنا قول الكتاب المقدس: «فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل الفرائض، وفعل حقًّا وعدلاً غفرت له كل ما اقترفه من الذنوب والمعاصي»[١].

ما أوضح هذا القول بأن النجاة تحصل بالرجوع عن المعاصي والعمل بالفرائض، فمن يفعل ذلك لا يحتاج إلى فدية الآخرين كما أنه لا يضره ذنب يرتكبه الآخرون.

٣ـ إزالة الخطيئة ـ البراءة :

هل كان من الضروري، لإزالة الخطيئة، أن تقدم نفس بريئة فداءً لذلك ؟ وهل كان المسيح (وفق الكتاب المقدس) معصومًا عن الخطأ تمامًا ؟ ألم يوجد غيره بريئًا ومعصومًا من الخطأ ؟

أما ما يتعلق بإزالة الخطيئة فقد ذكرنا لها فيما سبق الطريقة المثلى في رأي الكتاب المقدس (أي التوبة والعمل الصالح)، وأما ما يتعلق ببراءة المسيح فالصورة التي يقدمها الكتاب في هذا الصدد صورة متعارضة، حيث تناقض عناصرها. فإن اعتبرناه بريئًا عن الخطيئة الأزلية على أساس أنه لم يولد من بذرة آدم (Seed of Adam) فإنه ولد من مريم دون شك[٢]، وكانت مريم من ذرية آدم وحواء، ثم إن يسوع المسيح عُلِّق كما تقول عقيدة المسيحيين، «والمعلق ملعون»[٣] (والعياذ بالله) كما يخبرنا الكتاب المقدس. وأما أعمال المسيح التي ترويها الأناجيل فإنها تصوره كأنه يقول شيئًا ويفعل ضده؛ فهو يقول «لإخوته»: إنه لن يذهب إلى المكان الفلاني للعيد، ولكنه رغم ذلك ذهب هناك «لا ظاهرًا بل كأنَّه في الخفاء»[٤].

عامل يسوع أمه معاملة (حسب الأناجيل) تنمّ عن الإهانة وعدم الاحترام، قال لها:

---

(١) حزقيال ١٨: ٢١ـ٢٢، ١٨: ٢٦ـ٢٨ .
(٢) متى ١: ١٨، ١: ٢٥، لوقا ١: ٣١ .
(٣) التثنية ٢١: ٢٣، غلاطية ٣: ١٣ .
(٤) يوحنا ٧: ٨ـ١٠ .

http://kotob.has.it/

«مالي ولكِ يا امرأة»(١)، غير أن الكتاب المقدس أمره بإكرام الوالدين بقوله: «أكرم أباك وأمك»(٢). يقدِّم يسوع خَمْرًا للناس(٣)، بينما الكتاب المقدس يقول: «... الخمر ... تخلب القلب»(٤)، واعتُمِدَ يسوع من يوحنا المعمدان(٥)، وكان يوحنا يعمد في البرية ... لمغفرة الخطايا(٦). فكل هذه الوقائع الإنجيلية تقدم صورةً للمسيح لا تبرِّئه عن الخطأ تمامًا ولا يمكن بها إثبات عصمة المسيح.

وهكذا الحال للفكرة التي تدَّعي أن الله لم يجد في تاريخ الإنسانية بأكملها شخصًا معصومًا وبريئًا غير المسيح؛ للفداء عن الخطيئة، مع أن الأناجيل نفسها تعتبر هابيل ابن آدم من الصالحين الأبرار(٧). ويقول الكتاب المقدس عن النبي دانيال: «إنه كان أمينًا ولم يقترف خطأ ولا ذنبًا»(٨). ويقول عن يوشيا: «عمل العمل المستقيم الذي شرعه الرب وسار في طريق داود أبيه ولم يَحِدْ يمينًا ولا شمالا»(٩)؛ ويقول عن حزقيا: «اعتصم بالرَّب ولم يحد عنه بل حفظ وصاياه التي أمر بها موسى»(١٠)؛ وطلب صموئيل أيضًا الشهادة من الناس على براءته وعصمته فشهدوا عليه(١١). وقد جاء عن زكريا وزوجه: «وكانا كلاهما صالحين عند الله ملتزمين جميع أحكام الرب ووصاياه»(١٢)؛ ويوجد شهادة يسوع نفسه ليوحنا المعمدان في الإنجيل، وهي: «الحق أقول لكم، لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان»(١٣)، وتعده الأناجيل بارًّا وقديسًا(١٤)، وتقول عنه:

---

(١) يوحنا ٢: ٤ .
(٢) الخروج ٢٠: ١٢ .
(٣) يوحنا ٢: ٧-١٠ .
(٤) هوشع ٤: ١١ .
(٥) مرقس ١: ٩ .
(٦) المرجع السابق ١: ٤ .
(٧) متى ٢٣: ٣٥، العبرانيين ١١: ٤، ١- يوحنا ٣: ١٢.
(٨) دانيال ٦: ٥ .
(٩) الملوك الثاني ٢٢: ٢ .
(١٠) الملوك الثاني ١٨: ٦ .
(١١) صموئيل الأول ١٢: ٣-٥ .
(١٢) لوقا ١: ٦ .
(١٣) متى ١١: ١١ .
(١٤) مرقس ٦: ٢٠، لوقا ١: ١٥ .

http://kotob.has.it/

«ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس»[١] . فالأناجيل ترد بهذه الأقوال فكرة الخطيئة الإنسانية الأزلية وترفضها .

وكذلك من قيل عنه في الكتاب المقدس: إنه «ابن الله» أو «البكر» كان بسبب برهم وقربهم إلى الله سبحانه وتعالى[٢] . فهؤلاء الأفراد المحترمون والمكرمون كانوا صالحين وأبرارًا وغير مخطئين ومقربين إلى الله ـ رغم أنهم لم يعرفوا يسوع المسيح ولم يؤمنوا، بطبيعة الحال، بعقيدة «كفارته» ـ وفق الكتاب المقدس، إذ تستنكر البراهين والنصوص الفكرة القائلة بأنه لا يوجد في هذه الدنيا إنسان بار وعار[٣] عن الخطأ من ناحية، وتثبت من ناحية أخرى أيضًا أن النجاة والقرب الإلهي يمكنان بدون الإيمان بعقيدة الكفارة المسيحية، وإلا فكيف اعتبر الذين عاشوا قبل المسيح صالحين ومقربين إلى الله ؟

٤ـ أليس الله قادرًا كليًا ؟

الافتراض النظري الذي تقوم عليه عقيدة الكفارة مضحك جدًا . هذا الافتراض يرى أن الإله (القادر العلي) كان مضطرًا إلى العقاب على الخطيئة الأزلية لدرجة أنه ما كان في إمكانه أن يغفر ويمنح العفو دون فدية وتضحية الابن؛ ويرى المفكرون المسيحيون أن العفو والمغفرة بدون العقاب أو الفدية ينافي العدل والقداسة الإلهية[٤] . ولكنهم ـ أثناء إلحاحهم على العدل الإلهي ـ لم يغضوا الطرف عن رحمة الله ورأفته فحسب، بل اجترأوا فتجاهلوا القدرة الإلهية الواسعة أيضًا، والأدهى والأمر من هذا أنهم افترضوا أن الخطيئة الأزلية جعلت آدم وذريته جميعًا عبيدًا للشيطان، ولذلك قُدِّم المسيح فداءً لإنقاذهم من عبوديته . يقولون:

"Christ's death was a ransom paid to Satan by means of which man was delivered from the bondage of sin".

---

(١) لوقا ١: ١٥ .

(٢) انظر: الباب الخامس، الهامش رقم ٤ ص ١١٠ وما بعده.

(٣) هذا افتراض محض ليس له دليل، وينكره الكتاب المقدس إذ يقول: «الشرير فدية البار والغادر فدية المستقيمين» أمثال ٢١: ١٨ .

(٤) Interpretation-A Journal of Bible and Theology, Virginia, July, 1983, p. 21; J. Hastings: Dictionary of the Bible, 1909, p. 71.

http://kotob.has.it/

«كان موت المسيح فدية مدفوعة للشيطان، وعن طريقها أنقذ الإنسان من عبودية الخطيئة»[١].

وكان أوغسطين (Augustine) ـ المفكر الذي يباهي به المسيحيون ـ أيضًا يعتقد في هذا الأساس النظري لعقيدة الكفارة[٢]. وظل هذا الأساس النظري المضحك مقبولاً لدى المفكرين المسيحيين وفي العالم النصراني كله قرونًا طويلة، وكانت الكنيسة حتى القرن الثاني عشر الميلادي تعتز به[٣]، تقول دائرة معارف الدين والأخلاق:

"Fanciful as this theory appears to us today, it ......continued for many centuries to be the prevailing interpretation of the death of Christ".

«في هذه الأيام تبدو هذه النظرية غريبة علينا، ولكنها ظلت مقبولة كتفسير قوي لموت المسيح قرونًا»[٤].

وحين أدرك العلماء المسيحيون أن هذه النظرية ضعيفة الأسس ولا تقدر على المقاومة تخلوا عنها ويستحيون اليوم من ذكرها.

ولكن الفكر الكامن وراءها كان أن الله (والعياذ بالله) غير قادر، حسب مشيئته، على العفو عن الذنب وإنقاذ ذرية آدم من ذنوبه إلا بعد أداء الفدية من ذلك الذنب، وأما رحمته فهي أيضًا تابعة لهذا الشرط. فالظاهر من هذه الافتراضات أنها تناقض تصور الإله القادر القوي، والرحمن الرحيم، وغض الطرف فيها عن التوازن في الصفات الإلهية؛ فهناك تركيز شديد على العدل، وإغماض عن الفضل الإلهي الذي لا نهاية له.

٥ـ هل كان فداء المسيح أمرًا اختياريًا ؟

ثمة جانب مضحك آخر «للمشروع الإلهي» المزعوم هذا لنجاة الإنسان وفوزه وهو القائم على تصور الكفارة وهو: أن المسيح، الذي له دور أساسي في هذا المشروع، يجهل ضرورته وأهميته، ولا يشترك فيه برغبته وقلبه. فإن كان المسيح يفدي نفسه لأجل حبه للإنسان، ولتخليصه من الخطيئة، وإن كان يقدم نفسه طواعية لهذا الهدف الجليل فإن

---

(١) Collier's Encyclopaedia, New York, 1957, vol. 2, p.476; E.A. Livingstone (ed): The Concise Oxford Dictionary of the Christian Church, (London, 1977), p. 39.

(٢) Augustine: De Erinitate, BK.13, Chap 12-15.

(٣) Encyclopaedia Americana, vol. 2, p.515.

(٤) Encyclopaedia of Religion and Ethics, vol. 5, p. 643.

http://kotob.has.it/

الأناجيل لاينبغي أن تقول: إنه حينما قبض عليه وأحس بقرب موته «ابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم: نفسي حزينة جدًّا. . . ثم تقدَّم قليلاً وخرَّ على وجهه وكان يصلي قائلاً: ياأبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس»[١]. فإن كان يقدم الفداء لإنقاذ الإنسان وتخليصه، وكان يفعل ذلك حسب مشروع وهدف منشود، فلماذا «يحزن ويكتئب» ؟ ولماذا دعا لإبعاد هذه الكأس عنه ؟ وإن كان يشترك في هذا المشروع بقلبه لما كان «يدهش ويكتئب»[٢] حين رأى موت الفداء، وما كان يقلق[٣]، وما كان له أن «يصرخ بصوت عظيم قائلاً: إلهي إلهي لماذا تركتني ؟»[٤].

فإن كان المسيح يشارك في «المشروع الإلهي للخلاص» ما كان له أن يصيح ويندهش ويقلق ويشكو من كل ذلك، بل كان ينبغي أن يرحب بكل ما نزل عليه دون أن يفكر في إبعاد الكأس عنه.

ومن ناحية أخرى يوجد أساسان مهمان آخران لعقيدة الكفارة وهما: موت المسيح على الصليب، وقيامه من الموت وانتصاره عليه، وفيما يلي مناقشة حول حقيقة هذين الأساسين وصدقهما.

٦ـ هل صلب المسيح فعلاً ثم قام من الموت ؟

إن الأساس الحقيقي الذي بُنيت عليه عقيدة الكفارة هو الاعتقاد بأن المسيح عانى من المتاعب والآلام الشديدة إلى أن صُلب، أما الافتراضات الأخرى لعقيدة الكفارة فتدور كلها حول هذا الأساس.

وقد سبق أن ذكرنا أن هذا الاعتقاد ـ موت المسيح مصلوبًا ـ أوقع المسيحيين الأوائل في مأزق العقيدة اليهودية التي تقول: إن المعلق أو المصلوب «ملعون من الله»[٥]. وللخروج من هذا المأزق وضع بولس في افتراضاته حيث قال: إن المسيح قَبِلَ هذه اللعنة ليخلصنا من الخطيئة والناموس[٦]؛ ولذلك يجب أن نعده مخلِّصًا وليس ملعونًا. وإلى جانب هذا الافتراض المتكلَّف ألحَّ على قيام المسيح من الموت إلحاحًا مبالغًا فيه، حيث جعله

---

(١) متى ٢٦: ٣٦ـ٤٠ .
(٢) مرقس ١٤: ٣٣ .
(٣) لوقا ٢٢: ٤٤ .
(٤) متى ٢٧: ٤٦، مرقس ١٥: ٣٤، لوقا ٣٣: ٤٦ .
(٥) التثنية ٢١: ٢٣، غلاطية ٣: ١٣ .
(٦) غلاطية ٣: ١٣ .

http://kotob.has.it/

أساسًا، ليس لعقيدة الكفارة فحسب بل للديانة المسيحية كلها. يقول: «إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كِرَازتُنا، وباطل أيضًا إيماننا . . . وإن لم يكن المسيح قد قام . . . أنتم بعد في خطاياكم . . . ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات»(١)؛ ويقول أيضًا: «أقامه من الأموات وأجلسه في السماء»(٢).

ولكننا إذا أمعنا النظر في تصريحات الكتاب المقدس وجدنا أن «موته مصلوبًا» وقيامه من الموت كلاهما بعيدان عن الحقيقة والقياس:

وأول ما يجب أن يلاحظ بهذا الصدد هو أن المسيح حين وجد نفسه في الظروف التي كانت تجره إلى القبض عليه وعقابه ثم موته، دعا ربه النجاة منها قائلاً: «إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس»؛ وإن كان قال أيضًا: «ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت»(٣). ولكن الكتاب المقدس يقول: «الرب بعيد عن الأشرار ويسمع صلاة الصديقين»(٤)، وكان المسيح صديقًا دون شك، ولم يكن المسيح قد صلى (أي دعا لذلك) للخلاص من الآلام والنوائب، فالصديقون أيضًا يتألمون من المصائب والنوائب ويموتون كذلك، ولكنه صلى للنجاة، فلذلك كان ينبغي ـ وفق بيان الكتاب المقدس المذكور آنفًا ـ أن يقبل دعاؤه هذا وينقذ من الموت! والقرائن أيضًا تؤيد أنه لم يصلب ولم يمت. يخبرنا التاريخ أن عددًا كثيرًا من الأفراد والفرق الدينية ظلت تعتقد، منذ فجر المسيحية، أن المسيح لم يصلب، فإن كان أحد فعلاً قد صُلب، فإنه يهوذا الأسخريوطي الخائن، أو سمعان القيرواني الذي حمل الصليب إلى موضع الصلب(٥).

فعقيدة صلب المسيح شاعت في العصور المتأخرة، وأما في العصور الأولى فكان الأمر عكس ذلك لدرجة أن بولس، الداعية الكبير إلى عقيدة صلب المسيح، اعترف شعوريًا أو لا شعوريًا بأن دعاء المسيح المذكور سُمِع واستجيب له، الأمر الذي يبرهن على نجاة المسيح من الصلب. يقول بولس: «الذي في أيام جسده إذ قدَّم بصراخٍ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلِّصه من الموت وسمع له من أجل تقواه، مع كونه

---

(١) ١ـ كورنثوس ١٥ : ١٤ـ٢٠ .
(٢) أفسس ١ : ٢٠ .
(٣) متى ٢٦ : ٣٩ .
(٤) أمثال ١٥ : ٢٩ .
(٥) Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 4, p. 833; Encyclo. Brit. (14th edition, 1929), vol. 3, p. 176.

http://kotob.has.it/

ابنًا تعلم الطاعة مما تألم به»[١]؛ فكأن المسيح تألم فقط على الأكثر، وأما دعاؤه للتخلص من الموت فإنه قُبل. والحق أن المسيح نفسه لم يتنبأ بصلبه، ولم يذكر أنه سيتألم ويعاني[٢] فحسب فقد خاطب المسيح كهنة اليهود وعلماءهم قائلاً: «أنتم أبناء قتلة الأنبياء»، وذكر جرائمهم الشنيعة وقتلهم الأنبياء والأبرار، منذ هابيل إلى زكريا، ولكنه لم يتنبأ بقتله أو صلبه على أيديهم[٣].

والجدير بالذكر هنا أنه لا يوجد ما يشهد شهادة صادقة وقاطعة على صلب المسيح، وأما ما سجلته الأناجيل من الإشاعات وما شابه ذلك فهو مليء بالتناقضات. فإن أي مؤرخ منصف يستعرضه ويحلله دون تعصب سيخرج بنتيجة مفادها أن الذي صلب (على افتراض صلب أحد من الناس) لم يكن المسيح. كتب مولانا محمد إبراهيم السيالكوتي ـ وهو عالم شهير وكاتب كبير في شبه القارة الهندية الباكستانية ـ بحثًا مطوّلاً بعنوان «كسر الصليب»، يقول فيه: «لم تذكر الأناجيل في بيان قصة صلب عيسى شخصًا واحدًا يمكن أن يعتبر شاهد العيان . . . فما شهد أحد من المؤمنين هذا الحادث. وأما اليهود فهم أعداء وجاحدون، ولذلك شهادتهم غير معتمدة؛ بالإضافة إلى أن الوقائع والحوادث المذكورة في الأناجيل متعارضة من أوجه متعددة الأمر الذي يجعلها مشكوك فيها»[٤]. والكتاب المسيحيون أيضًا يعترفون بعدم وجود أحد التلاميذ عند صلب المسيح[٥]. والحقيقة التي تتبين في ضوء نصوص الأناجيل نفسها هي أيضًا تقرر ما سبق، أي «تركه التلاميذ كلهم وهربوا»[٦] حين قبض عليه ماعدا «شاب لابس إزارًا تبعه على عريه فأمسكه الشبان. فترك الإزار وهرب منهم»[٧]، ومشى بطرس وراء المسيح، ولكنه تركه أيضًا حين وقع في مصيبة، بل إنه قال ثلاث مرات: «إني لست أعرف الرجل»[٨]. وأما ساعة الصلب المزعوم للمسيح فلا أحد من هؤلاء شهد هذا الحادث بعينيه، ماعدا ما يذكره بعض الأناجيل من أنه كانت هناك «نساء

---

(١) العبرانيين ٥: ٧،٨ .
(٢) متى ١٧: ١٢، لوقا ٢٢: ١٥، ٢٤: ٢٦. وانظر: الهامش رقم ٤ ص ١٥٦ وما يتعلق به من مناقشة.
(٣) متى ٢٣: ٢٩ـ٣٦ .
(٤) محمد إبراهيم مير: كسر الصليب، سيالكوت، ١٩٣٣م، ص: ٥ـ٦ .
(٥) Encyclopaedia Biblica, c.1879.
(٦) متى ٢٦: ٥٦، مرقس ١٤: ٥٠ .
(٧) مرقس ١٤: ٥١ـ٥٢ .
(٨) متى ٢٦: ٦٩ـ٧٥، مرقس ١٤: ٦٦ـ٧٢، لوقا ٢٢: ٥٤ـ٦٢ .

http://kotob.has.it/

كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع . . . يخدمنه»[١] . وقد أضاف لوقا إلى هؤلاء النساء اللاتي كن ينظرن من بعيد «معارفه»[٢] ؛ ولكن يوحنا تقدم أكثر من ذلك، وصرَّف في الوقائع بالقوة، حيث جعل النساء وأحد تلاميذ المسيح واقفين عند الصليب[٣] ؛ ولكن قوله هذا غير موثوق به، لأنه يخالف الأناجيل الثلاثة الأخرى، ثم إنه ذكر مريم، أم المسيح، من بين النساء الواقفات عند الصليب[٤] .

وكانت مريم المجدلية (Mary Magdalene) هي الشخص الذي يتفق عليه (أي على شهوده ساعة الصليب) إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل يوحنا. فهي مريم المجدلية التي تقدمها الأناجيل الأربعة بوصفها شاهدة العيان لقيام يسوع (وبالأحرى شاهدة العيان لخلو قبر المسيح) من الموت. ويوحنا يذكرها شاهدة وحيدة على خلو القبر من جثة المسيح[٥] . ومريم هذه هي تلك المرأة التي «خرج منها سبعة شياطين»[٦] . وبعض الدارسين يشك في تصرفات هذه المرأة التي كانت مصابة بالأمراض العصبية[٧] ، ولا يمكن أن يكون قولها أساسًا متينًا للعقائد المهمة عن حياة المسيح وموته.

٧ـ وثمة تناقض شديد فيما تقوله الأناجيل بهذا الصدد، وهذا التناقض يبين أن حادثة صلب المسيح المزعومة ينقصها شاهد العيان، وفيما يلي أمثلة لذلك:

١) من الذي حمل الصليب إلى موضع الصلب؟ تقول الأناجيل الثلاثة الأولى: إن الذي حمل الصليب كان سمعان القيرواني، ولكن إنجيل يوحنا يقول: إن يسوع نفسه حمل الصليب[٨] .

٢) من الذي طعن في المسيح من المجرمَين اللذَين صُلبا معه ؟ يقول لوقا: إن أحدهما طعن في المسيح، أما الآخر فقد بشره يسوع بأنه سيكون معه في الفردوس، وهذا الأمر

---

(١) متى ٢٧: ٥٥، مرقس ١٥: ٤٠ـ٤١ .
(٢) لوقا ٢٣: ٤٩ .
(٣) يوحنا ١٩: ٢٥، ٢٦ .
(٤) نفس المرجع .
(٥) يوحنا ٢٠: ١، متى ٢٨: ١ وما بعدها، مرقس ١٦: ١ وما بعدها، لوقا ٢٤: ١٠ .
(٦) لوقا ٨: ٢، مرقس ١٦: ٩ .
(٧) قاموس الكتاب ص: ٩٠٦ .
(٨) متى ٢٧: ٣٢، مرقس ١٥: ٢١، لوقا ٢٣: ٢٦، يوحنا ١٩: ١٧ .

http://kotob.has.it/

يقوي الاحتمال أنه لم يطعن في المسيح، بينما يرى مرقس أن كليهما كانا يطعنان فيه[١].

٣) هل سادت ظلمة على البلد كله وظهرت آيات أخرى بعد الصلب ؟ الأناجيل الثلاثة تذكرها[٢]، ولكن يوحنا، رغم أنه يبالغ كثيرًا، لا يذكرها.

والشيء الذي لا يقبله العقل السليم هو أن تكون الظلمة قد سادت في البلد كله، وأن يكون نور الشمس قد زال، وحجاب الهيكل انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من الأجساد وخرجوا من القبور، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين[٣]؛ ورغم ذلك كله يذهب اليهود إلى الحاكم الرومي بيلاطس، ويطلبون منه أن تكسر سيقانهم (أي سيقان المسيح واللصيَّن اللذَين صُلبا معه)، ورغم رؤية آيات الله العظيمة، يطعن واحد من العسكر جنب المسيح «الميت» بحربة فيخرج دم وماء[٤]!

وقد تعدى كاتب إنجيل متى جميع الحدود في تناقضاته. فهو يذكر في إصحاحٍ أنه حين رأى اليهود الزلزلة بعد «صلب المسيح» ارتعدوا وخافوا، وقالوا: حقًّا كان هذا ابن الله. ولكنه بعد بضعة سطور وفي الإصحاح نفسه يخبرنا بأن اليهود عندما طلبوا من بيلاطس حراسة قبر يسوع، قالوا: «ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المخادع قال وهو حيٌّ إني بعد ثلاثة أيام أقوم . . . لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات، فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى»[٥]. فإن كانت الوقائع التي تقال: إنها حدثت، والآيات التي تزعم أنها ظهرت بعد الصلب فإن كانت كلها صحيحة لما كان اليهود يسمون المسيح «المخادع» بل كانوا يندمون على جريمتهم، ويلجأون إلى التوبة، ويؤمن أغلبهم بالمسيح. يقول قاموس مشهور للكتاب المقدس:

> "There is no reason to suppose that the great darkness, the earthquake, the rending of the veil in the temple and the rising of the dead from their tombs actually occurred".

---

(١) لوقا ٢٣: ٣٩_٤٣، مرقس ١٥: ٣٢، لوقا ٢٣: ٤٤.
(٢) متى ٢٧: ٤٥، مرقس ١٥: ٣٣، لوقا ٢٣: ٤٤.
(٣) لوقا ٢٣: ٤٤_٤٥، متى ٢٧: ٥١_٥٤.
(٤) يوحنا ١٩: ٣١_٣٥.
(٥) متى ٢٧: ٦٢_٦٤.

http://kotob.has.it/

«لا يوجد ما يدل على أن الحوادث المفزعة قد وقعت فعلاً مثل سيادة الظلمة العظيمة، والزلزلة، وانشقاق حجاب الهيكل، وقيام الأجساد من القبور وماشابه ذلك»(١).

٤) إن تناقضات إنجيل متى مخالفة للأناجيل الأخرى لم تتوقف عند هذا الحد، بل إنها أعمق وأوسع من ذلك بكثير. فقول متى السابق الذكر يصرح بأن الشعب اليهودي كان يعلم تنبوء المسيح عن صلبه وقيامه من الأموات، ولكن إنجيل يوحنا يخبرنا بأن تلاميذه المقربين لم يكونوا يعلمون ذلك. يقول يوحنا: «إن التلاميذ لحظة رؤية القبر لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغي أن يقوم من الأموات»(٢).

٥) ماذا تقول الأناجيل عن سبب صلب المسيح ؟ يقول لوقا: لأنه «يُفسد الأمة ويمنع أن تعطى الجزية لقيصر بحُجة إنه هو مسيح ملك»(٣). ولكن يوحنا يذكر إنكار ذلك على لسان المسيح الذي قال: «مملكتي ليست من هذا العالم»(٤). وحسب هذا الإنجيل ذاته قال اليهود لبيلاطس: «لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله»(٥). فبهذا يثبت عدم صحة التهمة الأولى من الأناجيل عينها؛ فإن كان المسيح يمنع عن دفع الجزية لقيصر، ويدَّعي ملكه فإن الولاة الرومان كانوا يسرعون بتدمير هذه الحركة بأنفسهم؛ بينما الأناجيل تخبرنا أنهم كانوا يريدون أن يطلقوا سراح يسوع المسيح، وقد قال بيلاطس صراحةً: «لست أجد فيه علَّة»(٦)؛ وقال أيضًا: «لم أجد في هذا الإنسان علةً مما تشتكون به عليه ولا هيردوس أيضًا... ولا شيء يستحق الموت صَدَرَ منه»(٧). والحقيقة أن المسيح كان يعلن في مواعظه وخطبه قائلاً: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»(٨). فكيف يقال: إنه كان يُفسد أمته ويمنع الناس أن تعطى جزية لقيصر ؟

---

(١) Encyclopaedia Biblica, c. 4701.

(٢) يوحنا ٢٠: ٩.

(٣) لوقا ٢٣: ٢. وانظر أيضًا: مرقس ١٥: ٢.

(٤) يوحنا ١٨: ٣٦.

(٥) يوحنا ١٩: ٧. وانظر: متى ٢٦: ٦٣ـ٦٦.

(٦) يوحنا ١٩: ٤ـ٧.

(٧) لوقا ٢٣: ١٤ـ١٥. وانظر أيضًا: مرقس ١٥: ١٤، متى ٢٧: ١٧ـ١٨.

(٨) متى ٢٢: ٢١.

http://kotob.has.it/

أمَّا بالنسبة للتهمة الثانية أي جعل المسيح نفسه ابن الله فإننا قد وضحنا في فصلٍ للباب الخامس بعنوان «ابن الله والإله» أن هذا اللقب قد استعمل في العهدين القديم والجديد لعديد من الأفراد المقربين والصالحين، فاستعماله لم يكن جريمة تؤدي إلى صلب المسيح. وأوضحنا أيضًا أنه (حتى على افتراض أن استعمال هذا اللقب كان جريمة كبيرة) لم يثبت أن المسيح استعمله أو اختاره لنفسه؛ وحتى لو سلمنا جدلاً أن المسيح ارتكبَ جريمةً كبرى، حيث صدر منه الكفر بقوله «ابن الله» لنفسه فكان يجب أن يعاقب على أيدي اليهود، وفق ديانتهم وناموسهم، وليس على أيدي الرومان، ونسلِّم أيضًا أنهم ربما كانوا يحتاجون إلى موافقة الحكام الرومان[1]، لكون هذه القضية وثيقة الصلة بالأمن والسلام المدنيين والإدارة؛ ولكن الأوامر الدينية كانت تقتضي أن يقوم اليهود أنفسهم بالعقوبة من ناحية. ومن ناحية أخرى كان ينبغي أن يكون الرجم عقابًا لهذه «الجريمة»، كما ورد في العهد القديم: «ومن جدف على اسم الرب فإنه يقتل، يرجمه كل الجماعة رجمًا»[2]؛ ويضاف إلى ذلك أنهم رجموا بأيديهم رجلاً مسيحيًّا متحمسًا اسمه إستيفانوس (Stephen) [3] بعد صلب المسيح بقليل. فإن كانوا يقدرون على ذلك فلماذا لم يصلبوا المسيح بأيديهم ؟

والجواب عن هذا التساؤل أن المسيح لم يرتكب جريمة تؤدِّي إلى صلبه وفق القانون الروماني أو الناموس اليهودي، وبهذا ينهدم ذلك الأساس الذي نسجت عليه قصة صلبه.

٦) قد ذكرنا فيما سبق [الهامش ٢ ص ١٥٢] أن المسيح كان قد أخبر تلاميذه عن تألمه وتعذبه، ولكنه لم يخبرهم عن صلبه. ومن المحتمل أن ينكر المسيحيون ذلك مستدلين بما قاله المسيح حين طلب منه الكتبة والفريسيون آيةً حيث قال: «جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يوناه النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ»[4]. والعهد القديم أيضًا يخبرنا بأن «يوناه (يونس) كان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال»[5]، واليهود أيضًا

---

(١) يوحنا ١٨ : ٣١ «لايجوز لنا أن نقتل أحدًا». وعلى وفق هذه الآية أن حاكم الرومان بيلاطس قال لهم: «خذوه أنتم فحاكموا بحسب شريعتكم».

(٢) اللاويين ٢٤ : ١٦ .

(٣) أعمال الرسل ٧ : ٥٧ـ ٥٩ .

(٤) متى ١٢ : ٣٩ـ٤٠ .

(٥) يوناه ١ : ١٧ .

http://kotob.has.it/

طلبوا من بيلاطس «ضبط القبر» إلى «اليوم الثالث»[١]. ولكن هل ظل ابن الإنسان (أي المسيح) في الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ؟ تقول الأناجيل: إن المسيح صلب يوم الاستعداد أي ما قبل السبت[٢] أي يوم الجمعة (ولذلك يحتفل بالجمعة المباركة في ذكرى الفِصح). وبعد انقضاء السبت وفي اليوم الأول من الأسبوع، أي يوم الأحد وفي الصباح الباكر جدًّا، أتت نساء إلى القبر ووجدنه خاليًا[٣]. وطبقا لهذه الرواية تكون مدة بقاء المسيح في القبر يومًا واحدًا وليلتين على الأكثر (الليلة التي جاءت بعد نهار الجمعة ويوم السبت وليلة السبت) ولا تكون ثلاثة أيام وثلاث ليال. ويستنتج من ذلك أن نبوءة المسيح إما أنها لم تتحقق أو أن كُتَّاب الأناجيل أقحموا هذا القول فيها ونسبوه إلى المسيح بعد أن شاع خطأ أن المسيح مات صلبًا، وأصبح ذلك جزءًا من الديانة المسيحية. ولم يبال هؤلاء الكتاب في هذه العملية بأن هذا لا ينسجم مع أقوالهم وأخبارهم الأخرى حيث يؤدى إلى تناقضات لا حصر لها.

فالخلاصة أن تعارض هذه النبوءة مع الحقائق التاريخية والنصية يثبت أنه لم يتنبأ المسيح بصلبه.

٧) وكما ينعدم وجود شاهد عين على موت المسيح صلبًا كذلك نكاد لا نجد شهادة على دفنه. فالأناجيل تعلمنا أن يوسف من الرَّامة جاء إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع، وكفَّنه ووضعه في قبر كان منحوتًا في صخرةٍ، ودحرج حجرًا على باب القبر[٤]، ولم يجسر التلاميذ الحواريون أن يحضروا دفنه. ويذكر متىَّ امرأتين جالستين حينئذٍ تجاه القبر. ويقول يوحنا: إن يوسف من الرَّامة وشخصًا آخر اسمه نيقوديموس لفّاه بأكفانٍ مع الأطياب ووضعاه في القبر[٥].

وهكذا تبين أن التلاميذ لم يحضروا صلب المسيح، كما لم يحضروا دفنه. وهؤلاء الحواريون هم الذين كانوا يصحبونه ليلاً ونهارًا، ويعرفونه معرفة تامة، وكان في وسعهم أن يذكروا بالتأكيد حقيقة الجسد الذي وضع ـ إن كان وضع فعلاً ـ في القبر.

---

(١) متى ٢٧: ٦٤.
(٢) مرقس ١٥: ٤٢.
(٣) مرقس ١٦: ١ـ٦، لوقا ٢٤: ١ـ٦.
(٤) مرقس ١٥: ٤٢ـ٤٧، متى ٢٧: ٥٧ـ٦٠، لوقا ٢٣: ٥٠ـ٥٣.
(٥) متى ٢٧: ٦١، يوحنا ١٩: ٣٨ـ٤٠.

http://kotob.has.it/

٨) «موت» المسيح وقيامه من الموت حادثتان وثيقتا الصلة فيما بينهما؛ فإن ثبت قيامه من الموت ثبت موته أيضًا. ولكن ما يقدَّم بوصفه شهادةً على قيامه من الأموات يتسم أيضًا بالنقص والتناقض، حيث يصعب الاعتماد عليه، فلم يشاهد أحد تلاميذه أو شخص آخر موثوق به بعينه قيام يسوع من بين الأموات مثلما لم يشاهدوا صلبه أيضًا.

فموت المسيح شهدته بعض النساء من بعيد ـ كما تقول الأناجيل ـ ولكن أحدًا لم يشاهد قيامه؛ وغاية ما رأى هؤلاء النساء هو خلو القبر فقط لاغير. وكل من له عقل سليم يدرك جيدًا أن خلو القبر لا يعني بالضرورة «القيام»، فيمكن أن تكون هناك احتمالات أخرى كثيرة: فإن رأى أحدٌ القبر خاليًا فيمكن أن يكون قد «سرق» منه الجسد أحد أقاربه أو أعدائه، وقد ذكر الكتاب المقدس حدوث هذه الإمكانية في الصورة التالية «رؤساء الكهنة . . . اجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر (الذين كانوا يحرسون القبر) فضة كثيرة قائلين، قولوا: إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام . . . فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم»[١]. فالخلاصة أن خلو القبر لا يصلح أن يكون أساسًا لحقيقة تاريخية أو عقيدة دينية مهمة، وأنه لا يوجد شاهد على الحادث الأصلي شاهده بعينيه؛ ولذلك يقول المحققون:

"(An) event... which, however, no eye saw".

«الحق أنه لاعين شاهدت هذا الحدث (القيام من الموت)»[٢].

وثمة خلافات وتناقضات عديدة في بيان الشخص ـ أو مجموعة من الأشخاص ـ الذي رأى القبر خاليًا، وفي بيان الشيء الذي رآه في القبر، وفيما يلي أمثلة لذلك:

أ ـ يقول لوقا: إن «نساء الجليل» رأين، ويذكر الإنجيلان المتوافقان الأخيران (متى ومرقس) أيضًا أكثر من اسم واحد. ولكن يوحنا يقول: إن مريم المجدلية وحدها ذهبت ورأت القبر خاليًا[٣].

ب ـ يقول لوقا: «رجلان وقفا بهن (بهؤلاء النساء) بثياب براقة وكانا يتكلمان معهن

---

(١) متى ٢٨ : ١١ـ١٥ .

(٢) Adolf Harnack: History of Dogma (London, 1961), vol. 1, p. 85; Adolf Harnack: What is Christianity, p. 164.

(٣) يوحنا ٢٠ : ١، متى ٢٨ : ١ وما بعدها، مرقس ١٦ : ١ وما بعدها، لوقا ٢٤ : ١٠ .

http://kotob.has.it/

يذكّرانهن بما أخبر به المسيح الناس ولكنهما لم يتركا رسالة للتلاميذ[١]. ومرقس يقول عكس ذلك: «رأين شابًّا لابسًا حلةً بيضاء، فقال لهن اذهبن وقلن لتلاميذه ترونه في الجليل»[٢].

جـ ـ يقول مرقس: «إنهن لم يقلن لأحد شيئًا لأنهن كن خائفات»؛ ولكن لوقا يخبر بأنهن رجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر (التلاميذ) وجميع الباقين بهذا كله[٣].

د ـ يقول مرقس ولوقا: إنهن رأين أن الحجر، في الصخرة التي وجد فيها القبر، قد دحرج؛ ولكن متىّ يقول: «جاءت . . . لتنظرا القبر وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرَّب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه»[٤].

هـ ـ يقول متى ويوحنا: إنهما خرجتا بفرح عظيم راكضتين، لتخبرا تلاميذه؛ ولكن مرقس يقول: إنهن لم يقلن لأحد شيئًا، لأنهن كن خائفاتٍ[٥].

يمكن أن يعتبر المسيحيون هذه التناقضات شيئًا «بسيطًا»، ولكنها تؤكد بوضوح أن كُتَّاب الأناجيل لم يشاهدوا حوادث صلب المسيح وموته، وقيامه من بين الأموات بأنفسهم، ولم يرووها عن شهود العيان، بل إنهم سجلوا ما شاع في الشعب من أوهام وزينوها بألفاظهم وأساليبهم. ويستحيل للمحققين المنصفين أن يصدقوا هذه الحوادث المتناقضة والمتعارضة مع بعضها.

٩) لا أحد رأى المسيح وهو «يقوم من بين الأموات»، ولكن هل رآه أحد بعد قيامه من الموت ؟

يقول النصارى مجيبين على هذا السؤال: إن عددًا كبيرًا من الناس رأوه، ولكن الحوادث المروية بهذا الصدد أيضًا لا تخلو من التعارض والشبهات:

أ ـ يقول متى ومرقس: «ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين»؛ بينما لوقا يقول: رآه أولاً مسافران ريفيان[٦].

---

(١) لوقا ٢٤: ٤ وما بعدها.

(٢) مرقس ١٦: ٥ـ٧.

(٣) مرقس ١٦: ٨، لوقا ٢٤: ٩.

(٤) مرقس ١٦: ٤، لوقا ٢٤: ٢، متى ٢٨: ١ـ٢.

(٥) يوحنا ٢٠: ١٨، متى ٢٨: ٨.

(٦) متى ٢٨: ١، ٢٨: ٩، مرقس ١٦: ٩، لوقا ٢٤: ١٣ وما بعدها.

http://kotob.has.it/

ب ـ تخبر الأناجيل بأنه ظهر للتلاميذ الأحد عشر أيضًا فيما بعد، ولكن أقوال الأناجيل في هذا الصدد أيضًا ليست خالية من التناقض. فيقول متى: انطلق الأحد عشر تلميذًا إلى الجليل ورأوه . . . «ولكن بعضهم شكُّوا». ويقول مرقس: إنه ظهر للأحد عشر تلميذًا وهم متكئون للطعام «ووبَّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم». ويقول لوقا متحدثًا عن الشخصين الريفيين المذكورين آنفًا واللذين أخبرا التلاميذ: «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلامٌ لكم . . . فقال لهم ما بالكم مضطربين». ويقول يوحنا: «ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف في الوسط . . . وأراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ إذ رأوا الرَّب». ويذكر يوحنا تشكك توما فقط أحد التلاميذ، دون الآخرين، والذي لم يكن معهم حين جاء يسوع، ولكن بعد ثمانية أيام ظهر له المسيح في الأبواب المغلقة وأزال شكه أيضًا(١).

فهذه التناقضات في الروايات تبين أيضًا تلك الحقيقة التي سبق ذكرها، وهي أن الأساس الأصلي في تدوين الأناجيل وترتيبه هو معتقدات عامة المسيحيين التي شاعت بينهم آنذاك، والتي تتسم بالغلو والمبالغة.

وإذا ضربنا صفحًا عن تناقضات الأناجيل في قضية ظهور المسيح بعد موته وتقدمنا قليلاً، وجدنا أن بولس في هذا الأمر يبدو منفردًا ومختلفًا تمامًا عن الأناجيل وأفكار التلاميذ كلهم ورواياتهم، الأمر الذي يصور الحالة النفسية والعقلية التي كان يمر بها الشعب المسيحي، حيث تسيطر عليهم الأوهام والحب الأعمى المبالغ فيه للمسيح. ومؤلفو الأناجيل لم يهتموا بتنقيح ما شاع من الروايات وتدقيقها، بل أقحموها في الكتاب المقدس. يقول بولس: «إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب وأنه ظهر لكيفا ثم للاثني عشر، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ . . . وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين. وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا»(٢).

ففي هذه العبارة يدَّعي بولس أن المسيح ظهر أولاً لكيفا أي لبطرس، ثم للاثني عشر

---

(١) متى ٢٨:١٦ـ١٧، مرقس١٦:١٤، لوقا ٢٤:٣٦ـ٣٨، يوحنا ٢٠:١٩،٢٠:٢٥ وما بعدها .

(٢) ١ـ كورنثوس ١٥:٣ـ٨ .

http://kotob.has.it/

تلميذًا (رغم أن عدد التلاميذ صار أحد عشر تلميذًا بعد خيانة يهوذا الإسخريوطي)، ثم لخمسمائة أخ، ثم ليعقوب، ولكن الأناجيل تخلو من هذه الحوادث، ويظهر من ذلك أنه اعتمد على الإشاعات والقصص المنتشرة بين عامة الناس. وأما ظهور المسيح لبولس نفسه فإننا قد فصلنا القول فيه في فصلين من الباب الثالث أحدهما بعنوان: أحوال بولس، وثانيهما بعنوان: إلهامات بولس. ويكفي هنا أن ننبه أن ظهور المسيح المزعوم لم يكن بُعَيد قيام المسيح من الموت حتى يمكن أن يكون دليلاً على ذلك، كما أن بولس لم يعايش المسيح حتى يعرفه معرفة جيدة، وبالتالي لا يمكن أن يكون برهانًا كافيًا على قيام المسيح.

١٠) وثمة أمر أساسي ومهم جدًا يلفت النظر إلى قضية موت المسيح صلبًا ثم قيامه من الأموات، وهو أن الأناجيل ـ رغم تحريفها وتزييفها ـ لا تذكر أن المسيح، وقت ظهوره للتلاميذ أو حتى لبولس، أخبرهم بلسانه هو أنه صلب أو قام من الأموات. تكتفي الأناجيل المتوافقة بهذا الصدد بقولها: إنه «وبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم»، وقال لهم معاتبًا: «جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام». ولكن يوحنا حسب عادته بالغ فيه قائلاً: «أراهم يديه وجنبه»[١]، وكأنه بقوله هذا يحاول إثبات صلب المسيح، ولكنه رغم ذلك لم يُجرِ على لسان المسيح صراحة أنه صلب ثم قام من الموت.

الحقيقة أن قصة الصلب ثم القيام من الأموات هذه تنسب إلى مَلَكٍ أو مَلَكَين، أو «شاب لابس حلة بيضاء» الذي ظهر لمريم المجدلية أو لنساء أخريات كن معها. ويدَّعي يوحنا أن مريم المجدلية رأت عند القبر المسيح أيضًا، بالإضافة إلى ملكين (وإن كانت عجزت عن معرفته) وتحدثت معه. ولم يتحدث المسيح في حديثه مع مريم المجدلية عن موته ثم قيامه من الأموات، واكتفى بذكر «صعوده» قريبًا إلى السماء. وكذلك يخبر إنجيل متى قائلاً: إنه حينما خرجت المرأتان مُسرعتان (بعد أن سمعتا حديث الملكين)؛ لتخبر التلاميذ لقيهما يسوع، فقال لهما: «لا تخافا اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني»، فلم يُشر المسيح بلسانه هنا أيضًا إلى موته وقيامه[٢].

فهل يعقل أن تؤسس عقيدة أساسية تقوم عليها الديانة كلها على ما رأته امرأة أو بضعة نساء أصبن بالوهم، بينما رواياتهن مليئة بالتضاد والتناقض ؟

---

(١) مرقس ١٦ : ١٤، لوقا ٢٤ : ٣٩، يوحنا ٢٠ : ٢٠ .

(٢) متى ٢٨ : ٥ـ١٠، مرقس ١٦ : ٦، ٧، لوقا ٢٤ : ٥ ومابعدها، يوحنا ٢٠ : ١٠ـ١٧ .

http://kotob.has.it/

١١) هناك خلاف شديد في أمر المكان الذي ذهب إليه المسيح بعد قيامه من الأموات، وفي الوقت الذي ذهب فيه، وقد وضح هارنيك هذه الخلافات بيانًا شافيًا[١].

يفهم من كلام لوقا أن المسيح كان في الفردوس يوم «صلبه»، ولكنه ينسى هنا ما قاله في الباب التالي، حيث يقول: إنه قام في اليوم الثالث من الأموات، وظهر لأهل الريف ثم للتلاميذ، وكلمهم وباركهم؛ «وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء». وفي أعمال الرسل جاء عكس ذلك، فظل المسيح ـ حسب ما جاء فيها ـ يظهر للتلاميذ أربعين يومًا، ثم ارتفع وأخذته سحابة عن أعينهم[٢].

يقول هارنيك: إن بعض المسيحيين يرون أن المسيح صعد إلى السماء بعد ثمانية عشر شهرًا من قيامه من الأموات، وبعضهم يرى أنه ارتفع بعد إحدى عشرة سنة[٣].

والجدير بالتنبيه هنا أننا لا ننكر صعود المسيح إلى السماء على أية حال. كل ما هنالك أننا نريد أن نثبت تناقض أقوال الأناجيل بهذا الصدد أيضًا؛ وبالتالي نرى أن هذه الأقوال والروايات لا تصلح أن تكون دليلاً نهائيًا لقيام المسيح من بين الأموات.

١٢) ولأجل هذه التعارضات الشديدة في بيان الصلب والقيام ظل هذا الأمر موضع شك وريب لدى معاصري المسيح[٤]. وإن كان صار فيما بعد جزءًا لا يتجزأ من المسيحية بفضل جهود بولس وأتباعه الجبارة، وبفضل قرارات المجامع الكنسية، ولكننا نلاحظ أن التلاميذ كانوا يشكون في هذا الأمر؛ فعندما أخبرتهم مريم المجدلية والنساء الأخريات بخلو القبر، وبحديثهن مع رجلين «بثياب برّاقة» «تراءى كلامهن لهم كالهذيان، ولم يصدقوهن»[٥]. وأمر هذين الرجلين غريب أيضًا، فيقول لوقا مرّة بأنهما وقفا فجأة عند النساء وأخبروهن بقيام المسيح؛ ولكنه بعد قليل وفي الإصحاح نفسه يقول ناقلاً كلام النساء على لسان أهل القرية: «إنهن رأين ملائكة وقالوا إنه حي»[٦]. فلم تر النساء المسيح حينئذٍ، كما أنهن لم يتمكن من رؤية الملائكة في الحقيقة بعد أن رأينها في الرؤيا وعالم الخيال.

---

(١) Adolf Harnack: History of Dogma, p.211 f.

(٢) لوقا ٢٣: ٤٣، ٢٤: ٥١، أعمال الرسل ١: ٢ـ٣، ٩.

(٣) Adolf Harnack: op. cit., p. 204.

(٤) The "Religion", London, vol. 14, (January, 1984), p. 74.

(٥) لوقا ٢٤: ١١، مرقس ١٦: ١١، ١٦: ١٤.

(٦) لوقا ٢٤: ٢٣.

http://kotob.has.it/

فالروايات التي تذكر بصدد ظهور المسيح في مختلف الأحيان كلها من هذا القبيل؛ فلا تصلح أن تكون أساسًا لعقيدة دينية. يقول إنجيل يوحنا: إنه يجيء في الوسط فجأة حيث تكون الأبواب مغلقة[١]؛ ويخبر إنجيل لوقا: إنه يختفي عن الأعين ساعة معرفته[٢]. وتصوره بعض الأناجيل وهو يأكل ويشرب مع التلاميذ لإثبات ظهوره بعد الموت[٣]. ولكن هذه المعضلة لن تزول بهذه المفارقات، أي باختفائه من ناحية وأكله وشربه من ناحية أخرى، بل تزداد تعقيدًا وتناقضًا. وأما ما يتعلق بمعرفته فإن الأفراد المقربين إليه أيضًا ـ حسب ما يروى ـ لا يعرفونه بسهولة وقت ظهوره لهم؛ فعلى سبيل المثال ظنته مريم المجدلية بستانيًا، والتلاميذ في ظهوره الثالث لهم «لم يكونوا يعلمون أنه يسوع»[٤].

وخلاصة القول أن أقوال الأناجيل ورواياتها بصدد صلب المسيح ودفنه وقيامه وظهوره وما شابه ذلك، مليئة بالشبهات والتناقضات والخلافات العديدة؛ وفي هذه الحالة لا يمكن أن تعتبر «هذه الحوادث المروية» أكثر من كونها أوهامًا ومبالغات كانت منتشرة بين عامة الناس. وصدق ما أخبر به القرآن الكريم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[٥] أي أنهم صلبوا شخصًا آخر بدلاً من المسيح (والذي كان في أغلب الظن يشبه المسيح صورة).

تكلف كُتّاب الأناجيل في تفسير بعض الآيات الواردة في العهد القديم، وبالأخص في سفر المزامير، والتي صدرت من لسان داود عليه السلام في ظروفه وأحواله الخاصة، والتي لا تدل قطعًا على أنها نبوءة، لكنهم فسروها في ضوء الحوادث التي مر بها المسيح (مثل اقتسام العسكر ثيابه بينهم قبل الصلب، وكون المسيح عطشانًا وكسر عظم ساقيه وطعن جنبه)[٦] واعتبروها نبوءة لما حدث مع المسيح. فإن كان إطلاق هذه الآيات على المسيح صحيحًا فإننا في وسعنا أن نثبت نجاة المسيح من الصلب والموت ـ كما يقرر ذلك القرآن الكريم ـ من آيات العهد القديم نفسه، وبالأخص من المزامير ذاتها، وفيما يلي

---

(١) يوحنا ٢٠: ١٩، ٢٦.
(٢) لوقا ٢٤: ٣١.
(٣) لوقا ٢٤: ٤١ـ٤٣، يوحنا ٢١: ٩ـ١٢.
(٤) يوحنا ٢٠: ١٥، ٢١: ٤.
(٥) القرآن الكريم ٤: ١٥٧. وانظر لتفسير «شبّه لهم» المفصّل: كتاب شهادة القرآن للحافظ محمد إبراهيم مير سيالكوتي، ط ١٩٥٨م، ج ١ ص ٧٣ ومابعدها.
(٦) يوحنا ١٩: ٢٤، ٢٨، ٣٦، ٣٧.

http://kotob.has.it/

أمثلة لذلك: «ارحمني يارب . . . يارافعي من أبواب الموت» «عليك اتكل آباؤنا . . . فنجيتهم»؛ «ليستجيب لك الرب في يوم الضيق . . . الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه»؛ «أما خلاص الصديقين فمن قبل الرب حصنهم في زمان الضيق ويعينهم الرب وينجيهم. ينقذهم من الأشرار ويخلصهم لأنهم احتموا به». وجاء في المزمور الذي استند إليه إنجيل يوحنا في بيان اقتسام الثياب: «يامعشر ذرية يعقوب . . . مجّده . . . لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه بل عند صراخه إليه استمع»[1].

ففي ضوء هذه النصوص والبراهين نستنتج أن «ممسوح» الرب كلما دعاه عند الضيق، وصرخ إليه أنقذه الرب من المذلة ومن موت «اللعنة»، كما أننا نستنتج أن صلب المسيح، وقيامه من بين الأموات، وظهوره للناس، والقصص الأخرى المروية بهذا الصدد كلها مبنية على سوء الفهم. فلم يفد المسيح خطايا الإنسان، ولم يكن الرب يحتاج إلى ذلك حتى يغفر خطايا الإنسانية، وفضله غالب على عدله، وحكمته أرفع من أن يفدي العصاة بنفس بريئة.

لقد كان الإيمان والعمل الصالح والتمسك بالشريعة والتوبة والفضل الإلهي هم أساس المغفرة، قبل مجيء المسيح أيضًا؛ فلم يكن هناك ما يدعو بعد مجيئه إلى تغيير هذه الأصول الثابتة، وإلى اختيار الأساس المباين والمختلف تمامًا عنها للمغفرة (أي كفارة نفس معصومة وبريئة فداءً عن الخليقة).

---

(١) المزامير ٩: ١٣، ٢١: ٤، ٢٠: ١-٦، ٣٧: ٣٩-٤٠، ٢٢: ٢٣-٢٤، ٥٦: ١١-١٣ .

http://kotob.has.it/

الباب السابع

تدوين «الكتاب المقدس» وترتيبه

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب السابع

تدوين «الكتاب المقدس» وترتيبه

في الأبواب السابقة أشرنا كثيرًا إلى «الكتاب المقدس»، وسوف نستمر في ذلك خلال المباحث التالية أيضًا، إن شاء الله. وذلك لأنه هو الكتاب الأساسي الذي يعتمد عليه المسيحيون؛ وما دام هذا الكتاب سندهم ومرجعهم فسوف يظل الباحثون يقتبسون منه. ولكن مايجب علينا دراسته هو دراسة محايدة، لنرى إلى أي مدى يستحق هذا الكتاب أن يُسمى وحيًا منزلاً من الله، وإلى أي درجة يجوز الاعتماد عليه. سنناقش في هذا الباب وفي الباب الذي يليه أيضًا هذه الأمور وما شابهها، مثل ترتيبه وتدوينه، وما فيه من تعارض وتناقضات وتعاليم.

ماهو الكتاب المقدس؟

ينقسم الكتاب المقدس إلى قسمين رئيسين. القسم الأول: يسمى العهد القديم، والقسم الثاني: يعرف بالعهد الجديد. يعتبر العهد القديم لدى المسيحيين واليهود كتابًا منزلاً من الله ووحيًا منه، (وعمومًا يقال له التوراة أيضًا، ولكن التوراة، في الحقيقة، جزء منه كما سنبين ذلك في آخر الفصل القادم بعنوان «العهد القديم»). وأما العهد الجديد أو الأناجيل فهو كتاب ديني للمسيحيين فقط[١].

فالعهد القديم عبارة عن الأوامر والناموس والميثاق، أو العهد بين الله وبين أمته المختارة وهم اليهود؛ والعهد الجديد عبارة عن القوانين والتشريعات، أو العهد بين الله وبين بني إسرائيل، أو (حسب اعتقاد المسيحيين) بين الإنسانية كلها. فهو العهد أو القانون الذي أنزل الله تعالى على بني إسرائيل، أو ذرية آدم عن طريق الأنبياء والمقرَّبين[٢].

اتضح من قراءة الأبواب السابقة أن هناك فرقًا شاسعًا بين العهدين القديم والجديد في أمور التوحيد والتثليث والتوبة والكفارة وما شابه ذلك من القضايا الأساسية؛ ولكن المسيحيين مع

---

(١) Encyclopaedia Americana, vol. 3, p. 612.

(٢) قاموس الكتاب ص: ٦٧١ .

http://kotob.has.it/

ذلك يصرون على أنهما وحي مقدس، وعلى أن العهد الجديد تكملة للعهد القديم[١].

العهد القديم :

ولا يتفق جميع المسيحيين، على أية حال، على محتويات الكتاب المقدس. فالفرق المسيحية التي تنتمي إلى البروتستانت لا تقبل من العهد القديم إلا تلك الأسفار والكتب (وهي ٣٩ سفرًا) التي تعد مقدسة ومنزلة من الله عند اليهود. وأما الفرق الأخرى مثل الكاثوليك الرومان، وأتباع الكنيسة الإنجيلية، وأتباع الكنائس الشرقية فهي تضيف إلى هذه المجموعة أسفارًا أخرى، وتعتبرها جزءًا لا يتجزأ منه [٢].

وأما اليهود والبروتستانت فهم يرون أن هذه الأسفار الزائدة (ماعدا ٣٩ سفرًا) متروكة، وهي ليست وحيًا، ولا يصح الاعتماد عليها عندهم؛ وبالتالي يسمونها الأبوكريفا (Apocrypha) أو المنحول، أي الأوراق المستترة والمختفية عن عيون عامة الناس[٣].

وبعض الكنائس البروتستانتية (كنيسة إنجلترا والفرقة اللوثرية) ترى أن أسفار الأبوكريفا وكتبها «نماذج بارة لإصلاح الأخلاق والأعمال». ولذلك تجيز قراءتها على أنها لا دخل لها في إثبات العقائد والمبادىء الدينية؛ وبالتالي ليست لها أهمية في المجالس الكنسية العامة[٤]. ورغم ذلك ظلت بعض هذه الأسفار جزءًا للكتاب المقدس المعروف «بكنغ جيمس بايبل»، والمعتمد عليه لدى المسيحيين البروتستانت حتى سنة ١٦٢٨م[٥]. بينما الكنائس الشرقية الأرثوذكسية لا تعتبر ـ حسب قرار المجمع المنعقد سنة ١٦٧٢م ـ السفرين باروخ ومكابية وحيًا من الله[٦].

وثمة خلاف كبير في عدد هذه الأسفار المستترة والزائدة (الأبوكريفا). فالكتاب المعتمد عليه عند الكاثوليكيين الرومان يضم سبعة أسفار من الأبوكريفا، بالإضافة إلى تسعة وثلاثين سفرًا معترف بصحتها عند الجميع؛ وبهذا يصبح عدد الأسفار المعتمدة عندهم ستة وأربعين

---

(١) K.A.Dickson: The History And Religion of Israel (London, 1976), pp. 10-11.

(٢) Encyclopaedia Americana, vol, 3. p.612.

(٣) E.H. Palmer: The Encyclopaedia of Christianity (Wilmington, Delaware, 1964), p.307; وقاموس الكتاب ص: ١٨ .

(٤) Palmer's Encyclopaedia of Christianity, p. 307. Also see: E.J. Goodspeed: The Apocrypha (Chicago, 1938).
وانظر أيضًا: قاموس الكتاب ص: ١٨، ١٢١ .

(٥) Roddy And Sellier: In Search of Historic Jesus, p. 12.

(٦) Encyclo. Brit. (1962), vol. 3,p. 577.

http://kotob.has.it/

سفرًا(١). ولكن بعض النسخ القديمة للكتاب المقدس تضم بين دفتيها خمسين سفرًا بدلاً من ٤٦ سفرًا، مثل مخطوط الكتاب الإسكندري(٢). وتذكر دائرة المعارف الأمريكية أن عددًا كبيرًا من المسيحيين غير البروتستانت يعترفون بصحة أربعة عشر سفرًا أو أكثر، والتي يعدها البروتستانت من الأبوكريفا(٣).

ولا يقتصر خلاف الفرق المسيحية فيما بينها بالنسبة للأبوكريفا على عدد أسفارها وعلى النسخ القديمة فحسب، بل يتعداه إلى آيات في بعض الأسفار. فعلى سبيل المثال يتفق البروتستانت والكاثوليك أن سفر أستير في كتابهم؛ ولكن الكتاب المقدس الكاثوليكي يشتمل على مائة آية إضافية مما يشمله الكتاب المقدس البروتستانتي من الآيات في السفر نفسه، والتي تعد عند البروتستانت من الأبوكريفا(٤).

ومنشأ معظم هذه الخلافات في الأسفار والآيات للعهد القديم هو ترجمة يونانية قديمة للكتب المقدسة اليهودية المعروفة بالترجمة السبعونية، والتي اشتملت على أسفار وكتب لم تكن موجودة في المخطوط العبري القديم؛ وهذه هي الكتب التي سميت الأبوكريفا(٥).

وقبل أن ندلي بقولنا في المباحث الأخرى نرى من المناسب أن نوجز القول في تاريخ تدوين الترجمة السبعونية، الأمر الذي يساعد على إدراك المنهج العام الذي اختير لتدوين الكتاب المقدس: في عهد ابن سليمان عليه السلام خرجت عشر قبائل يهودية على الحكم، وانفصلت من بين الاثنتي عشرة قبيلة البارزة؛ فظهرت نتيجةً لذلك مملكتان يهوديتان متحاربتان فيما بينهما، إحداهما يهوذا والأخرى إسرائيل. وفي سنة ٧٢٢ قبل الميلاد هجم الآشوريون على مملكة إسرائيل الشمالية (والتي كانت تسمى السامرية أيضًا نسبة إلى عاصمتها)، ودمَّروها وأسروا قبائل إسرائيل وأخذوهم معهم؛ فماتت بعض هذه القبائل واندمج بعضها الآخر في الأمم الأخرى، واندرست أسماؤها من صفحة التاريخ اندراسًا كليًا(٦).

---

(١) The Holy Bible, RSV (Revised Standard Version), Catholic Edition (London, 1966), p. vi,ix.

(٢) F.G.Bratton: A History of The Bible (London, 1961), p. 99.

(٣) الأمريكانا: الموضع السابق.

(٤) The Catholic Bible (RSV), 1966, p. 448 ff. Also see: R.H. Pfeiffer: History of New Testament Translations, with an Introduction to the Apocrypha (New York, 1949).

(٥) Encyclopaedia of Christianity, p. 309; Encyclopaedia Americana, vol. 3, p. 612.

(٦) الملوك الأول ١٢: ١٩-٢٠، الملوك الثاني ١٧: ١٣ ومابعدها. وانظر أيضًا:
Roddy & Sellier: op. cit., p. 24; Boyd's Bible Dictionary, pp. 56, 82.

http://kotob.has.it/

ودمرت القبيلتان اليهوديتان الأخريان على يد ملك بابل بختنصر مرتين، ولا سيما في سنة ٥٨٦ قبل الميلاد. وهدم هذا الملك المعبد المركزي لليهود (الهيكل المقدس)، وأحرق كتبهم المقدسة، وأسرهم وأخذهم معه إلى بابل. وبعد خمسين سنة من هذه الحوادث تدخّل الملك الإيراني كيخسرو في الأمر، ونجاهم من السجن، وأطلق سراحهم إلى فلسطين. ولكن عددًا كبيرًا من اليهود فضل البقاء هناك، وبعضهم سافر إلى مصر[١]؛ فضاعت كتبهم الدينية ووثائقهم المقدسة في زمن السجن والنفي من الوطن، وكانت الحاجة ماسة إلى تدوينها من جديد. فقام بهذا العمل عالم يهودي معروف اسمه عزرا (Ezra) (٤٥٨ ق. م)، فدون نسخة عبرانية لليهود الذين عادوا إلى فلسطين، وكان هذا بعد مائة عام تقريبًا من عودتهم (حسب ما يُروى). وجاء في روايات أخرى أنه لم يدون هذه النسخة، بل اقتصر عمله على التصحيح والتنقيح، وإثبات النصوص، وتقديم كل ذلك إلى أمته[٢].

والباحثون المحققون يعتبرون رواية تدوين عزرا التوراة، أو العهد القديم، أو إعادة النظر فيه أسطورة خالصة[٣]، يقولون:

"There is no reliable record of the making of the Old Testament canon".

«لايوجد سجل تاريخي يمكن الاعتماد عليه في تدوين مخطوط موثوق به للعهد القديم»[٤].

وعلى أية حال فإن كان أحد الناس ـ عزرا كان أو شخصًا آخر ـ أعدَّ مخطوطًا عبرانيًا بعد زمن سجن اليهود فإن هذه النسخة قد فقدت هويتها الأصلية بسبب ما أصابها من عطب، وكذلك بسبب الترجمات العديدة من اللغات الكثيرة.

فالذي حدث هو أن اليهود الذين عادوا إلى فلسطين، والذين استوطنوا في أماكن أخرى

---

(١) الملوك الثاني ٢٤: ١٠ـ١٧، الأيام الثاني ٣٦: ١٣ـ٢٠، حزقيال ١٦: ٣٩ـ٤٠، ٢٣: ٢٣ـ٢٥، إرميا ٣٩: ١ـ٩، نحميا ٨: ١ ومابعدها. انظر أيضًا:
Jesus In His Time, by Daniel-Rops, p.73; Encyclo. Brit.(1962), vol. 9, p. 14; Encyclopaedia Universalis (Paris, 1974), vol.3, pp.426 ff.

(٢) نفس المرجع.

(٣) American People's Encyclopaedia, vol. 3, p. 420.

(٤) Ibid.

http://kotob.has.it/

ما عادوا يفهمون العبرية. ولذلك كانوا في حاجة ماسة إلى ترجمة مفسَّرة بالآرامية من ناحية، ومن ناحية أخرى كانوا بحاجة إلى الكتب المقدسة باللغة اليونانية؛ وذلك لأن الأجيال الجديدة كانت تتعامل مع هذه اللغة فهمًا وتحدثًا(١).

وفي سنة ١٦١ قبل الميلاد ضاع ذلك المخطوط، للعهد القديم، الذي يقال عنه: إن عزرا دوَّنه. وقصة ضياع هذا المخطوط تتلخص في أن أحد خلفاء الإسكندر اليوناني وهو أنطيوكس (Antiochus) (وكان مشهورًا بظلمه وقهره) حمل على أورشليم، ونهب المعبد المركزي بها، ثم جمع الكتب الدينية المقدسة للناموس اليهودي، وأحرقها بعد تمزيقها، وقرر إعدام كل من يوجد عنده كتاب من هذه الكتب، أو صحيفة من الصحائف الدينية المقدسة(٢).

وبعد سبعين سنة من الميلاد قضى ملك الروم طيطس (Titus) على جميع نسخ العهد القديم اليونانية والعبرانية، فدُمِّر الهيكل مرة أخرى واغتيل آلاف اليهود، وامتلأت الأسواق والأزقة بالقتلى والممتلكات المدمرة(٣)، وأدى هذا التخريب المتتالي إلى محو صحف الأنبياء وكتبهم محوًا كاملاً.

ترجمت التوراة إلى اليونانية - كما تخبرنا الروايات اليهودية - في القرن الثالث قبل الميلاد بأمر الملك المصري، وقام بهذه الترجمة سبعون (أو اثنان وسبعون) عالمًا يهوديًا؛ ولذلك تسمى الترجمة أو النسخة السبعونية (Septuagint) (٤). وبدأت الأسفار الدينية الأخرى تضم إليها بالإضافة إلى أسفار مترجمة عن النسخة العبرانية، وهذه الأسفار كان مشكوكًا في صحتها لدى اليهود الفلسطينيين، وهي التي سميت «بالأبوكريفا»(٥).

وفي القرن الأول قبل الميلاد كانت الترجمة السبعونية هذه شائعة في فلسطين أيضًا، وتبنت الكنائس المسيحية في ذلك العصر هذه النسخة المتداولة(٦). ومن هنا صارت «الأبوكريفا» جزءًا للكتاب المقدس الموثوق به عند المسيحيين. وفي القرن الرابع اعتمد

---

(١) Jesus In His Time, p.73.

(٢) مكابية: الإصحاح الأول وبالأخص ١: ٥٦-٥٧.

(٣) Flavius Josephus: Antiquities of the Jews, V: 11, X: 3.

(٤) J.P. Boyd: Bible Dictionary, p. 85; F.G. Bratton: History of The Bible, p. 100. Also see: Encyclopaedia of Christianity, p. 309; Encyclopaedia Americana, vol. 3, p. 612.

(٥) Ibid.

(٦) قاموس الكتاب، الموضع السابق. وقاموس البائبل المذكور، الموضع السابق.

http://kotob.has.it/

جيروم (St. Jerome) على النسخة السبعونية في ترجمته للكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية، وسمّاها «الترجمة الشعبية»[١]. ورغم أنه ترجم أسفار الأبوكريفا أيضًا إلا أنه عبر عن شكوكه في صحتها، فقد ضم الأبوكريفا إلى ترجمته لأجل الإصلاح الأخلاقي[٢].

والجدير بالتنبيه هنا أن «الترجمة الشعبية» هذه هي التي تعتمد عليها الكنيسة الرومانية[٣]. والخلاصة أن أسفار الأبوكريفا المشكوك فيها وغير الموثوق بها تسربت إلى الترجمة الشعبية والنسخة السبعونية كلتيهما.

وأما اليهود الفلسطينيون فظلوا يعتمدون على المخطوط العبراني للعهد القديم، ولم يعترفوا بصحة كتب الأبوكريفا، وكذلك الحال بالنسبة للمسيحيين البروتستانت؛ وبعد حركة إصلاح الكنيسة، رفضوا الأبوكريفا معتمدين على النص العبراني للعهد القديم[٤].

سبق أن ذكرنا أن جيروم أظهر شكوكه في صحة نصوص الأبوكريفا في ترجمته الشهيرة المعروفة «بالترجمة الشعبية». ولكن المجامع الكنسية المنعقدة في هيبو وكارشيج سنة ٣٩٣م وسنة ٣٩٧م على التوالي، أعلنت اعترافها بنصوص الأبوكريفا[٥]، إلا أن مارتن لوثر زعيم حركة إصلاح الكنيسة حين ترجم العهد القديم العبراني والعهد الجديد اليوناني إلى اللغة الألمانية سنة ١٥٣٤م قال ـ كما قال جيروم قبله ـ إن أسفار الأبوكريفا وكتبها «جيدة ومفيدة للقراءة»، ولكنها ليست نصوصًا للكتاب المقدس. ورغم ذلك قررت مجامع الكنيسة الرومانية المنعقدة في ترنت ١٥٤٦م وفاتيكان سنة ١٨٧٠م أن الأبوكريفا نصوص دينية موثقة للمسيحيين الكاثوليكيين الرومان[٦].

تقسم أسفار العهد القديم، باستثناء الأبوكزيفا، إلى ثلاثة أجزاء رئيسة؛ يتكون الجزء الأول من الأسفار الخمسة الأولى التي تتحدث عن تكوين العالم والإنسان، ثم عن أحوال بني إسرائيل وتاريخها وقوانينها، وهذا الجزء يعرف بالتوراة (Torah)، أو القانون، أو كتب موسى، أو أسفار موسى الخمسة[٧](Pentateuch).

---

(١) J.P. Boyd: op. cit., p. 85.

(٢) The Catholic Bible (RSV) p. vii; Bratton's History of the Bible, p. 100f.

(٣) قاموس الكتاب ص: ١٠٦٧.

(٤) The Catholic Bible (RSV), p. vii.

(٥) Bratton's History of the Bible, p. 103; Collier's Encyclopaedia, vol. 3, p.395.

(٦) Ibid.

(٧) تورة تعني القانون، وهي عبرانية؛ وكلمة Pentateuch تعني الأسفار الخمسة، وهي يونانية. انظر: =

http://kotob.has.it/

والجزء الثاني يشتمل على واحد وعشرين سفرًا تتضمن أحوال بعض أنبياء بني إسرائيل وملوكهم ومواعظ الأنبياء وغير ذلك، ويسمى هذا الجزء صحف الأنبياء.

والجزء الثالث يتكون من بقية الأسفار التي تشتمل على الأمثال والمواعظ والمزامير والأدعية والأخبار والتواريخ وما شابه ذلك، ويقال له الكتب أو الكتابات[١].

ظل هناك اختلاف في عدد الأسفار في العهد القديم على مر العصور. يقول مؤرخ يهودي مشهور - وهو جوزيفوس (Josephus) مؤلف كتاب Antiquities أي «آثار العصور المتوغلة في القدم»: كان عدد أسفار العهد القديم حتى نهاية القرن الأول الميلادي اثنين وعشرين سفرًا؛ فأسفار موسى خمسة، وصحف الأنبياء ثلاث عشرة، والأمثال والتسبيح أربعة[٢]. ولكن سِجِلّ الروايات اليهودية المعروف بتالمود يذكر أنها أربعة وعشرون سفرًا أي أسفار موسى الخمسة، وصحائف الأنبياء الثمانية والأخرى أحد عشر[٣].

إلا أن عدد أسفار العهد القديم كما ذكرنا قبل ذلك تسعة وثلاثون سفرًا (وسوف نناقش قضية الاختلاف في عدد الأسفار وفي محتوياتها ونصوصها).

العهد الجديد:

ناقشنا فيما سبق المسائل المتعلقة بالعهد القديم، وتحدثنا عن تدوينه وترتيبه. وأما العهد الجديد فهو جزءٌ للكتاب المقدس لدى المسيحيين فحسب، وهو يضم بين دفتيه سبعة وعشرين سفرًا، ويشتمل على الأناجيل[٤] الأربعة: وهي إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، وهذه الأناجيل تتناول الحديث عن أحوال المسيح ومواعظه؛ وأعمال الرسل، وأحوال التلاميذ الحواريين وتاريخ للكنيسة المسيحية. والعهد الجديد يتضمن أيضًا رسائل بولس الدينية الأربع عشرة، وسبع رسائل أخرى باسم يعقوب (James) وبطرس (Peter) ويوحنا (John) ويهوذا (Jude)؛ وفي الأخير يوجد رؤيا يوحنا[٥].

= قاموس بايد للكتاب المقدس، ص: ٧٣.

(١) Encyclopaedia Americana, vol. 3, p.614; Bratton's History of the Bible, p. 92; J.R. Dummelow (ed.): A Commentary on the Holy Bible (London, 1952), p. xii.

(٢) Encyclopaedia Americana, 3: 61f; Dummelow (ed): A Commentary on the Holy Bible p. xii.

(٣) Ibid.

(٤) Gospel أو الإنجيل تعني بشرى أي بشرى مجيء المسيح وخلاصه. انظر: قاموس بايد للكتاب المقدس، ص: ٤٢.

(٥) G. Lanezkowski: Sacred Writings, 1961, p. 207f.

http://kotob.has.it/

كيف صارت هذه الأسفار جزءًا للعهد الجديد، وبالتالي للكتاب المقدس ؟ سنلقي ضوءًا على هذا السؤال فيما بعد إن شاء الله تعالى؛ وهنا نود أن نقول: إن عدد أسفار العهد الجديد ظل يتغير من زمن إلى آخر مثل العهد القديم. كان يوسي بيوس (Eusebius) (ت/ ٣٤٠م) الذي يعتبر أبًا لتاريخ الكنيسة، والمؤلفون المسيحيون الثقات المعاصرون له يرون أن رسالة يعقوب (James)، ورسالة بطرس (Peter) الثانية، ورسالة يهوذا (Jude)، ورسالتا يوحنا الأولى والثالثة ليست من الكتاب المقدس[١]. ولذلك لاتوجد هذه الرسائل في نسخة الكتاب المقدس السرياني القديم الذي يعرف بالبشيتا (Peshitta)[٢].

وقبل عصر يوسي بيوس أعد مفكر وزعيم مسيحي آخر آئيري نيوس (Irenaeus) (ت/ ٢٠٠م) فهرسًا للأسفار المسيحية المقدسة المعترف بصحتها؛ ولا توجد فيه رسالة بطرس الثانية، ورسالة يوحنا الثالثة، ورسائل يعقوب ويهوذا، ورسالة بولس إلى العبرانيين. بل على عكس ذلك يضم هذا الفهرس مؤلفًا دينيًا لهرماس المعروف بـ (راعي هرماس[٣] The Shepherd of Hermas). وهذا نفس الكتاب الذي ذكرناه في الباب الرابع، وقلنا: إنه يركز على التوحيد بدلاً من ألوهية المسيح، وربما لأجل هذه «الجريمة» أُخرج هذا الكتاب، مثل إنجيل برناباس، من زمرة الكتب المسيحية المعتمدة والمعترف بها.

وهذا أسقف الإسكندرية المشهور ـ وهو كليمنت (Clement) الذي عاش بين القرنين الثاني والثالث ـ أعد فهرسًا للأسفار المقدسة، ولم يذكر في فهرسه رسالة بطرس الثانية، ورسالة يوحنا الثالثة، ورسالة يعقوب؛ ولكنه لا يخلو ـ على أية حال ـ من رسائل برنابا وكليمنت (التي لا توجد في العهد الجديد المتداول الآن).

وهكذا يخلو فهرس طرطوليان (Tertullian) (ت/ ٢٢٢م) ـ وهو من أبرز آباء الكنيسة ـ من رسالة بطرس الثانية، ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة، ورسالة بولس إلى العبرانيين الأوائل[٤]. ففي ضوء هذه الحقائق يعترف العلماء المسيحيون قائلين:

"Even a beginning had not been made in forming the New Testament canon until the second century, and late in the third century, there were

---

(١) Bratton's History of the Bible, p. 122.

(٢) Concise Oxford Dictionary of the Church, p. 393.

(٣) Bratton's History of the Bible, p. 122.

(٤) Ibid.

http://kotob.has.it/

still the disputed books".

«حتى القرن الثاني لم تكن هناك بداية في إعداد نسخة معترف بها ومعتمدة للعهد الجديد، وفي أواخر القرن الثالث (بل حتى النصف الأول من القرن الرابع) كانت الكتب والوثائق المتنازع عليها موجودة»(١).

فمعنى هذا أن قضية الكتب المقدسة لدى المسيحيين لم تكن قد حلت إلا بعد ثلاثة قرون ونصف من عصر عيسى عليه السلام.

الكتاب المقدس: سندًا ووحيًا

رغم وجود هذه الأدلة يصر المسيحيون الأصوليون على أن الكتاب المقدس كلام الله الذي دوّنه القديسون الملهمون(٢). فهذا هو الوضع منذ ظهور المسيحية، ولم يتغير حتى بعد بداية حركة إصلاح الكنيسة أي عصر «التنوير»، وظل الأمر على حاله حيث كان هناك إصرارٌ على أن الكتاب المقدس منزل من عند الله سبحانه وتعالى. ولذلك قام بإنجلترا أكثر من مائة وأربعين عالمًا مسيحيًا سنة ١٦٤٩م، وثلاثين عضوًا للبرلمان، بإعداد إعلان للعقيدة المسيحية بعد مناقشات استمرت ست سنوات. وهذا الإعلان يعرف بـ «إقرار ويست منستر بالإيمان»، وقد وافق على مشروعيته البرلمان الإنجليزي. واعترف بهذا الإعلان في أمريكا أيضًا، وعرف هناك بـ «إقرار بالإيمان الفلاديلفي». وجاء في الشقين الثاني والرابع «لهذه الوثيقة المسيحية التاريخية العظيمة» أن الأسفار الموجودة في العهد القديم والعهد الجديد نصوص مقدسة، و «كلام الله المكتوب». ويقول الشق الثامن: «إن العهد القديم العبراني (الذي وصل على ألسنة المقربين إلى الله) والعهد الجديد اليوناني (والذي كان تعرفه جميع الأمم في عصر كتابة الأناجيل)، فكلاهما حرر بوحي من الله الذي حفظهما وطهرهما من كل خراب في جميع العصور»(٣). والشق السادس لكنيسة إنجلترا أيضًا يقرّر العهدين القديم والجديد معترفين بصحتهما وأنها من الله .

فهذه الفكرة عقيدة متفق عليها لدى معظم الفرق الكاثوليكية وغير الكاثوليكية(٤)

---

(١) American people's Encyclopaedia, vol. 3, p. 426.

(٢) King James' Bible, Gideons International, 1961, Introduction; Catholic Bible (RSV), 1966.

(٣) قاموس الكتاب ص: ١٠٦٧-١٠٦٩ .

(٤) G.Lanezkowski: op. cit., p.31; Watch Tower Bible Society: Is The Bible Really The Word of God? New York, 1969, pp. 150-151.

http://kotob.has.it/

فلذلك أصدر البابا ليو الثالث عشر (Leo X III) سنة ١٨٩٣م منشورًا عامًّا مصدِّقًا فيه ما وافق عليه «مجمع ترنت» قبل ثلاثة قرون ونصف بصدد الكتاب المقدس. يقول هذا في المنشور العام:

"All the books and the whole of each book which the Church receives as sacred and canonical were written at the direction of the Holy Spirit".

«جميع الأسفار التي اعترفت الكنيسة بصحتها وقداستها، وكل جزء من هذه الأسفار أملاها الروح القدس»(١).

وفي القرن التاسع عشر نفسه أعلن مؤلف بروتستانتي معروف قائلاً:

"Every book of it, every chapter of it, every verse of it, every word of it.....every letter of it, is the direct utterance of the Most High".

«إن كل سفر من الكتاب المقدس، وكل إصحاح فيه، وكل آية وكلمة وحرف له، صدر مباشرة من الله العلي العظيم»(٢).

ولكن الحقائق التاريخية والبراهين النَّصية لا تصدق هذا الادعاء، والادعاء بدون البراهين والبينات إما أن تكون إكراه أو تساهل في العقيدة.

ليس من الصعب نسبة أي كتاب قديم إلى أي مؤلف قديم، لكن إثبات هذا الأمر يتطلب براهين داخلية وأدلة خارجية، ولاسيما الإقرار بأن هذا الكتاب نزل من الله سبحانه وتعالى ووحي منه يتطلب منا تبيان الأمور التالية والتأكد منها:

١) هل يمكن الإدعاء أن هذا الكتاب نفسه منزل من الله؟ وهل هذا الادعاء مقبول حسب القرائن الظاهرة ؟

٢) من هي الشخصية أو الشخصيات التي كانت وسيلة لهذا الوحي؟ وإلى أي حد يوثق بها ؟ وماذا كان منهجها في تدوين الكتاب؟ ومتى دوِّن هذا الكتاب ؟

٣) كيف صارت نصوص هذا الكتاب معترفًا بصحتها؟ وبعبارة أخرى من الذي أخبرنا أنه كلام الله ووحيه ؟

٤) هل يوجد مخطوط لهذا الكتاب في عصر نزوله؟ أو هل يوجد مخطوط سطّره المؤلف نفسه ورتبه، أو مخطوط نُسِخ في عصر قريب من عصر المؤلف ؟

---

(١) A Companion to the Bible, p.7.

(٢) J.W. Burgan: Inspiration And Interpretation (London, 1861), p. 89.

http://kotob.has.it/

٥) هل النسخ المتأخرة لهذا الكتاب تطابق النسخة أو النسخ الأصلية القديمة ؟

٦) هل النسخ المتداولة الموجودة لهذا الكتاب خالية من التحريف والتغيير، وهل هذا الكتاب عار عن التناقضات والخلافات ؟ أو أن تناقضاته تشهد على أن تأليفه تم في العصور المختلفة وعلى أيدي أناس مختلفين ؟

٧) هل يحتوي متن هذا الكتاب على أشياء رديئة يستحيل للعقل السليم والأخلاق الإنسانية أن تقبلها على أنها منزلة من الله سبحانه وتعالى ؟

في الفصول القادمة من هذا الباب سنحاول أن نستعرض الكتاب المقدس في ضوء هذه التساؤلات، وأن نقوم بتحليله تحليلاً منهجيًّا يقودنا إلى نتائج علمية.

مناقشة الادعاء بأن الكتاب المقدس وحي منزل من الله :

لم يدع الكتاب المقدس نفسه بأنه كلام الله المنزل من أوله إلى آخره. يقدم بعض المسيحيين قول بولس التالي في تأييد ادعاء الكتاب بأنه وحي منزل من الله سبحانه وتعالى: «كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ وللتقويم والتأديب الذي في البرّ»[١].

ولكن هذا الادعاء لم يصدر عن الصحف نفسها، أو مؤلفي الصحف أنفسهم، بل إنه جاء (فيما يتعلق بالعهد القديم) من قبل بولس في زمن متأخر جدًّا. ثم إن هذا الادعاء لا يشمل جميع الصحف والكتب التي ضُمت الآن إلى العهدين القديم والجديد. فهو يقول: «كل الكتاب موحى به من الله» ولا يصرح بما يندرج تحت هذا الادعاء من الصحف، وكذلك حين يدعي إلهام «الروح» قائلاً: «لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله»[٢] لا يتضح مراده،.هل يدخل فيه جميع آيات أسفار الكتاب المقدس ؟

وثمة إشارة مبهمة في كلام بولس إلى صحف العهد القديم وهي كما يلي:

«إنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة»[٣].

هذه إشارة في الظاهر إلى كتب وصحف العهد القديم التي كانت متداولة في عصر بولس، ولكن محتويات هذه الصحف وعددها ظلت تمر بتغييرات في العصور المختلفة، كما ذكرنا

---

(١) ٢ـ تيموثاوس ٣: ١٦ .

(٢) ١ـ كورنثوس ٢: ١٢. والادعاء الذي يوجد في الآية التالية لهذه موضوع مناقشتنا في الباب القادم.

(٣) ٢ـ تيموثاوس ٣: ١٥ .

http://kotob.has.it/

ذلك في مناقشة «الأبوكريفا» ومباحثها المتصلة بها، وسوف يتضح ذلك أكثر في المباحث القادمة إن شاء الله.

فلا يثبت أن الكتاب المقدس بوصفه مؤلفًا واحدًا يدَّعي أنه كلام الله المنزل. فإن ظل بعض الناس يلح ـ رغم كل ذلك ـ على أن الكتاب المقدس وحي منزل من الله سبحانه وتعالى ففي هذه الحالة يصدق عليهم المثل الذي يقول: «المدعي كسلان والشاهد مستعد».

ثمة أسفار في الكتاب المقدس تخبرنا عن نفسها بأنها كلام منزل من الله ؟ يبدأ سفر اللاويين على سبيل المثال بالجملة التالية :

«ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع قائلاً . . .»[١] وتكررت هذه الجملة في ثنايا السفر كثيرًا «وكلم الرب موسى قائلاً»[٢] ـ وجاء في سفر الخروج عن الأوامر المنقوشة على الألواح: «الكتابة كتابة الله منقوشة»[٣]. ووردت مثل هذه الكلمات في سفر العدد وسفر التثنية[٤]، كما أن سفر إرميا يبدأ هكذا: «كلام إرميا بن خلقيا . . . كانت كلمة الرب إليه»[٥]. وكذلك يذكر سفر حزقيال نزول كلام الرب[٦]، كما أن السفرين هوشع ويوئيل وبعض الصحف الأخرى أيضًا تشتمل على مثل هذه الآيات[٧]. ولكن وجود مثل هذه الآيات وغيرها لا يعني بالضرورة أن النصوص الواردة فيها كلها كلام منزل من الله ؟ فهناك نصوص يمكن أن تعتبر كلام الله، ونصوص أخرى يمكن أن تكون من نتاج الفكر الإنساني. فإمكانية المزج بين هذين النوعين ليس افتراضًا من عندنا، بل يتبين هذا الأمر من نصوص الكتاب نفسه كما يتضح من الأمثلة التالية. ولنا عودة إلى مناقشة مستقلة للتحريفات والتبديلات التي حدثت في نصوص الكتاب المقدس. الأمر الذي نوضحه هنا هو أن بعض أسفار الكتاب المقدس، إن اشتملت على هذا الادعاء فإنها لا تخلو من كثرة الكلام الإنساني أيضًا ـ والآن نفكر في الأمثلة معًا :

---

(١) اللاويين١ : ١، ٤ : ١، ٥ : ٤، ٦ : ١، ٦ : ٨، ٦ : ٢٢، ٧ : ٥ وأماكن أخرى .
(٢) نفس المرجع.
(٣) الخروج ٣٢ : ١٦ .
(٤) العدد ١ : ١، ٢ : ١، ٣ : ٥ ، والتثنية ١ : ٣ .
(٥) إرميا ١ : ١ـ٤ .
(٦) حزقيال ١ : ٣، ٥ : ٥، ٦ : ١، ١١ : ١٤ وغيرها.
(٧) هوشع ١ : ١، يوئيل ١ : ١. وانظر أيضًا: الآيات الابتدائية في صحف يوناه، ميكاه، صفنيا وحجي.

http://kotob.has.it/

سفر التثنية من تلك الأسفار التي تدعي صراحة أو كناية أنها كلام الله، ويوحي بعض نصوص سفر التثنية أن موسى عليه السلام كتبه: «فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة...»(١)؛ ولكن جاء في نهاية هذا السفر: «فمات موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة... فبكى بنو إسرائيل في عربات موآب ثلاثين يومًا... ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى»(٢).

فالواضح أن هذه العبارة لم تكتب في عصر موسى (الذي ينسب إليه هذا السفر)؛ ولذلك لا يمكن أن تعتبر جزءًا من كلام الذي نزل عليه. فهذه العبارة في الحقيقة قول تاريخي لمؤلف مجهول، ومع ذلك قدمت للناس كأنها وحي منزل من الله. والمحققون يقولون:

"The greater part of the Pentateuch is not derived from Moses".

«إن معظم محتويات الأسفار الخمسة لم تنقل عن موسى».

بل جمعت من المصادر والمنابع المختلفة، وقد ذكر بعض المحققين أكثر من أربعة وعشرين مؤلفًا لهذه الأسفار(٣).

وكذلك الجمل الواردة في سفر التكوين مثل «قال الله ليعقوب...»(٤) توهم بأن ما يليها سيكون كلام الله؛ ولكننا عندما نصل إلى قصص «ملوك روما»(٥) ضمن ذرية يعقوب وأبنائه نعلم أنه لا علاقة له بما نزل على موسى عليه السلام، (وقد سبق أن ذكرنا أن سفر التكوين أحد أسفار موسى الخمسة عند اليهود والمسيحيين معًا). بل كتب هذا الكلام بعده بقرون، لأن المُلك كان معدومًا لدى بني إسرائيل في عصر موسى وفي العصور اللاحقة الطويلة:

"Whoever wrote this passage must have lived after the institution of monarchy, which was some two centuries after the time of Moses".

---

(١) التثنية ٣١: ٢٤ .

(٢) التثنية ٣٤: ٥ ومابعدها.

(٣) Dr. E. Sellier: Introduction to the Old Testament, English Translation by W. Montgomery (London, 1923), pp. 25-26; W. Barclay: Making of the Bible, p. 32.

(٤) التكوين ٣٥: ١ .

(٥) المرجع السابق ٣٦: ٣١ ومابعدها.

http://kotob.has.it/

«الذي كتب هذه العبارة عاش في عصر كانت الملوكية فيه قد بدأت، وهذا العصر جاء بعد موسى بقرنين»(١).

وجاء في سفر التكوين ذاته أيضًا أن إبراهيم تتبع أعداءه إلى مدينة اسمها دان. فهذا أيضًا ليس مما أنزله الله على إبراهيم، ولم يكتبه إبراهيم ولم يمله كذلك، كما أنه لم يكتب في عصر موسى الذي ينسب إليه، بل كتب بعد عصره بمدة طويلة. وذلك لأن اسم هذه المدينة لم يكن دان في عصر إبراهيم وعصر موسى، كما يخبرنا بهذا سفر القضاة، إذ يقول: «ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذي ولد لإسرائيل ولكن اسم المدينة أولاً لايتس»(٢).

والقرية التي سميت في سفر التكوين بحبرون كان اسمها في «العصور الماضية» ـ أي في العصر المزعوم لتأليف سفر التكوين ـ قرية أربع(٣).

ثم إننا حين نطالع الأنساب المفصلة لكبار بني إسرائيل وأولادهم وأحفادهم لا ندرك ـ على رغم الجهود الجدية ـ ضرورة ذكرها في كتاب يقال: إنه منزل من الله سبحانه وتعالى. والانطباع الذي يأخذه قارىء محايد أثناء مطالعة هذه الأنساب هو أنه يطلع على أنساب قوم سجلها أحد المؤرخين النسَّابين فانظر على سبيل المثال النسب التالي:

«وهذه مواليد عيسو الذي هو أدوم. أخذ عيسو نساءه من بنات كنعان، عدا بنت إيلون الحتي وأهليبامة بنت عنى بنت صبعون الحوى، وبسمة بنت إسماعيل أخت بنايوت ـ فولدت عدا لعيسو أليفاز وولدت بسمة رعوئيل وولدت أهليبامة يعوش ويعلام وقورح»(٤). ويأتي بعد ذلك بقليل نسب مختلف عما سبق لعيسو وأولاده. ويبدو من هذين النسبين أنهما مجموعة للأقوال والكتابات الإنسانية (وسوف نفصل القول في هذا الموضوع أيضًا إن شاء الله).

فبيان النسب بهذه التفصيلات، بصرف النظر عن الاختلاف فيه، يدل على أنه من نتاج الجهد الإنساني، وإلا فما الحاجة إلى أن ينزل الله سبحانه وتعالى وحيًا إلى بني إسرائيل ويعلمهم فيه الأنساب؟

---

(١) Bratton's History of The Bible, p. 86.

(٢) التكوين ١٤:١٤، القضاة ١٨:٢٩.

(٣) التكوين ٣٥: ٢٧، ٣٧: ١٤، القضاة ١:١٠.

(٤) التكوين ٣٦:١ وما بعدها.

http://kotob.has.it/

لا نريد أن نثقل كتابنا بنقل أنساب لاحصر لها من الكتاب المقدس[١]، إلا أننا نود أن نكمل جزءًا للنسب الذي بدأنا نقله آنفًا «وهذه مواليد عيسو أبي أدوم في جبل سعير هذه أسماء بني عيسو. أليفاز ابن عدا امرأة عيسو ورعوئيل ابن بسمة امرأة عيسو. وكان بنو أليفاز تيمان وأومار وصفو وجعثام وقناز وكانت يمناع سرية لأليفاز بن عيسو فولدت لأليفاز عماليق. هؤلاء بنو عدا امرأة عيسو وهؤلاء بنو رعوئيل. نحت وزارح وشمة ومزة. هؤلاء كانوا بني بسمة امرأة عيسو، وهؤلاء كانوا بني أهو ليبامة بنت عنى بنت صبعون امرأة عيسو، ولدت لعيسو يعوش ويعلام وقورح»[٢].

لا ينتهي هذا النسب هنا بل يبدأ بيان ثالث بعده فورًا كالآتي: «هؤلاء أمراء بني عيسو...» وتليه قائمة أزواج عيسو وأسماء الأمراء وهم: تيمان وأومار وصفو وقناز وقورح وجعثام وعماليق ونحت وزارح وشمة ومزّه ويعوش ويعلام وقورح. ثم تأتي قائمة بني سعير الطويلة المماثلة للسابقة[٣].

فالظاهر أن هذه التفصيلات للأنساب والتاريخ من عمل الإنسان، أما الذي يصر - مع ذلك - على اعتبارها كلامًا منزلاً من الله سبحانه وتعالى فهو اعتقاد فاسد لا أساس له من الصحة، واتباع الظنون والأوهام.

وما يقال عن الأنساب يمكن أن يقال عما ورد من الحوادث والوقائع في الكتاب المقدس، والتي تندرج تحت عنوان القصص والروايات التاريخية، والتي ليس لها هدف ديني أو درس أخلاقي. وأمثلة هذه الحوادث مع تفصيلاتها غير الضرورية توجد في أسفار عديدة من الكتاب، مثل سفر التكوين، وسفر القضاة، وسفر صموئيل، وسفر الملوك، وسفر الأيام.

ولكننا سنكتفي هنا بذكر بعض تلك الأمثلة التي تبدو في بعض أجزائها كأنها كلام الله المنزل، ولكن ثمة إضافات عجيبة أدمجت فيها. وهذه الإضافات والتفصيلات لا تترك مثقال ذرة من الشك في أنها حوادث لبني إسرائيل ابتكرها قصّاص أو مؤرخ شعبي. ولذلك يمكن أن تصنف على أنها قصص شعبية، من الأدب القومي، لا علاقة لها بالوحي.

---

(١) سفر الأيام الأول والثاني وسفر نحميا مليئان بمثل هذه الأنساب. انظر: الإصحاح الأول من الأيام الأول والإصحاح الثاني عشر من سفر نحميا.

(٢) التكوين ٣٦: ٩-١٤ .

(٣) التكوين ٣٦: ١٥-٣٠ .

http://kotob.has.it/

جاء في سفر الملوك: «وكان كلام الرب إلى سليمان قائلاً. هذا البيت الذي أنت بانيه إن سلكت في فرائضي وعملت أحكامي وحفظت كل وصاياي... فإني أقيم معك كلامي الذي تكلمت به إلى داود أبيك»[١]. ثم يأتي ذكر مفصل لبيت الرب (الهيكل) الذي بناه سليمان، ويذكر طوله وعرضه وتفصيل كل ما يتعلق به إلى أن قيل: «المصراع الواحد دفتان تنطويان والمصراع الآخر دفتان تنطويان»[٢]. فلا بأس بهذه التفصيلات، لأن الهيكل له مكانة خاصة لدى اليهود. ثم تليها قصة بناء سليمان قصره؛ ولا ضرر فيها أيضًا، لأن عظمة سليمان وبهاءه جزءٌ أساسي لتاريخ الأمة اليهودية. ولذلك حين نقرأ عن طوله وعرضه وسمك جدرانه وصفوف أعمدته وجوائزه[٣] نعتبرها علامة عظمة سليمان، ولكننا حين نصل إلى التفصيلات غير الضرورية مثل: «والسقوف ثلاث طباق وكوة مقابل كوة ثلاث مرات. وجميع الأبواب والقوائم مربعة مسقوفة ووجه كوة مقابل كوة ثلاث مرات»[٤] نأخذها على أنها قصص شعبية لبهاء سليمان وعظمته، أو أنها وثيقة رسمية أو شبه رسمية لمخطط القصر، ولا يمكن أن نعدها كلام الله المنزل[٥].

وكذلك حين نجد أن سبعين آية للسفرين نحميا وعزرا وردت لذكر عدد الأسر والفرق اليهودية، وعدد المغنين والمغنيات، وعدد حمرهم وخيولهم أثناء عودتهم (والغريب أن السفرين يختلفان في بيان العدد، وأوضح مثال لذلك هو في عدد آرح وبنو فحث موآب وبنو زتو) من السجن في بابل ـ لا يسعنا إلا أن نعدها مزيجًا من القصص الشعبي والتاريخي؛ وأما اعتبارها وحيًا منزلاً من الله فهذا يكون ظلمًا أو جهلاً.

لا يتسع المكان هنا لنقل هذه «الآيات» بأجمعها؛ ولذلك نكتفي بنموذج منها: «... عدد رجال شعب إسرائيل. بنو فرعوش ألفان ومائة وثلاثة وسبعون، بنو شفطيا ثلاثمائة وثلاثة

---

(١) الملوك الأول ٦: ١١ـ١٢.

(٢) الملوك الأول ٦: ٣٤.

(٣) المرجع السابق ٧: ١ـ٣.

(٤) المرجع السابق ٧: ٤ـ٥. وما جاء مفصلاً عن صندوق الشهادة، والكهنة والكهان ولباسهم وما شابه ذلك (الخروج، الإصحاح ٣٠، ٣١) يندرج تحت هذا النوع. وكذلك تشتمل الآيات الخمس والعشرون الأخيرة من الإصحاح العاشر لسفر عزرا على فهرس طويل جاف ـ دون الحاجة إليه ـ للأفراد الذين تزوجوا من نساء غريبات وغير يهوديات في أيام أسرهم.

(٥) Encyclo. Brit. (1973), vol. 9, p. 18.

http://kotob.has.it/

وسبعون. بنو آرح سبعمائة وخمسة وسبعون (فستون آية تقريبًا تشتمل على أسماء الشعوب وعدد أفرادها) . . . ولهم من المغنيين والمغنيات مائتان. خيلهم سبعمائة وبغالهم مائتان وخمسة وأربعون وجمالهم أربعمائة وخمسة وثلاثون. حميرهم ستة آلاف وسبعمائة وعشرون». وهذه هي الحالة في الإصحاح الأول من سفر العدد، كما أن الإصحاح الثالث والثلاثين من هذا السفر نفسه يعطي قائمة طويلة وجافة للأماكن التي مر بها اليهود بعد خروجهم من مصر(١).

فحقيقة الكتاب المقدس، والعهد القديم منه بالذات، أنه مجموعة من القصص الشعبية، والحوادث التاريخية، وشبه التاريخية التي ظلت تروى شفاهة قرونًا طويلة، وتمت كتابتها وتسجيلها فيما بعد إلى أن أصبحت وثائق دينية في العصور المتأخرة جدًّا. وذلك لأن تاريخ بني إسرائيل مزيج من الحوادث القومية والشئون الدينية، ولا أحد يغض البصر عن هذه الحقيقة إلا المسيحيون المقلدون. وأما المسيحيون المفكرون فليس في وسعهم إلا أن يعترفوا بها، يقول مؤلف تاريخ الكتاب المقدس ـ وهو جلاد ستون براتون ـ:

> "...ballads, histories, legends and songs about early patriarchs and kings. Much of this tradition was orally transmitted from generation to generation, a fact that explains such confused and grabled accounts as, for example, Genesis 12 and 26, where the same story is told of Abraham and Isaac".

> «يشتمل (الكتاب المقدس) على الحكايات الشعبية، والتواريخ، والأساطير الخرافية، والأناشيد عن ملوك (بني إسرائيل) القدماء، ومعظم هذه الروايات ظلت تنقل من جيل إلى جيل آخر شفويًا؛ وهذه هي الحقيقة التي تفسر الحوادث المضطربة والمشوشة الموجودة فيه، كما هو مثلاً في الباب الثاني عشر والباب السادس والعشرين من سفر التكوين، حيث رويت قصة واحدة عن إبراهيم وإسحاق كليهما»(٢).

والمثال الذي يقدمه المؤلف «للقصص المضطربة والمشوشة» يتلخص في أن الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين يخبرنا بأن إبراهيم لما دخل مصر طالبًا من الملك مساعدته قال عن امرأته

---

(١) عزرا ٢: ١ـ٧٠، نحميا ٧: ٦ـ٧٣ والعدد ١: ٥ وما بعدها، ٣٣: ١ وما بعدها.

(٢) F.G. Bratton: op. cit., pp. 85-86.

http://kotob.has.it/

الحسناء: إنها أختي ليحميها من شر الملك. وأخذت المرأة إلى بيت الملك بأمره، فنزلت عليه مصائب عظيمة، فتركها، ودعا إبراهيم وقال له: «لماذا لم تخبرني أنها امرأتك». وردت هذه القصة نفسها تقريبًا في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين عن إسحاق وامرأته ومِلِكٍ آخر. هذا أحد الأمثلة العديدة المتوافرة في الكتاب المقدس من القصص الملتبسة، والتي سنقتبس منها في المواقف المناسبة أثناء المباحث القادمة.

وكذلك مشي الرب «في الجنة عند هبوب ريح النهار»، ونزوله في «عمود سحاب»، ووقوفه في «باب الخيمة»، وزجره هارون وأخته مريم لأنهما اعترضا على موسى بسبب المرأة الأجنبية التي تزوج منها[١]. فكل هذه أمثلة لقصص شعبية، والكتاب المقدس حافل بمثل هذه القصص.

حاولنا فيما مضى من الأمثلة والنصوص أن نوضح ـ عن طريق غير مباشر ـ الفرق الدقيق والحاسم جدًّا في الوقت نفسه بين النصوص التي تبدو وكأنها كلام الله المنزل، ونصوص لاشك في أنها من نتاج الجهود الإنسانية وأدمجت في النوع الأول. والآن سندخل في نصوص الكتاب نفسها مباشرة، ونبين كيف أقحمت النصوص المزيفة في النصوص الأخرى التي تبدو أصلية.

جاء في سفر إرميا أن باروخ كتب في درج كل كلام الرب الذي نزل على إرميا، ولكن الملك يهوياقيم أحرقه «فأخذ إرميا درجًا آخر ودفعه لباروخ بن نيريا الكاتب، فكتب فيه عن قسم إرميا كل كلام السفر الذي أحرقه يهوياقيم الملك يهوذا بالنار وزيد عليه أيضًا كلام كثير مثله»[٢].

ففي ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نكرر ما قلناه قبل ذلك من أن الكتاب المقدس لا يدَّعي أنه كلام الله المنزل وإن كانت بعض أسفاره أو عباراته توحي بهذا الادعاء. فلو سلمنا به جدلاً، فإن نصوصه نفسها تصرِّح على لسان الحال بأنها مزيج من الكلام الإلهي وكثير من الكلام الإنساني.

---

(١) التكوين ٣: ٨، العدد ١٢: ١ ومابعدها.

(٢) إرميا ٣٦: ٥ ومابعدها، ٣٦: ٣٢ .

http://kotob.has.it/

د ـ العهد الجديد والادعاء بأنه كلام الله :

هذه هي قصة العهد القديم ونصوصه، ولا يختلف الوضع بالنسبة للعهد الجديد أيضًا. فقد سجل مؤلفو الأناجيل الأربعة حوادث وأخبارًا عن ميلاد المسيح ونسبه وحياته وموته المزعوم، وفي ثنايا ذلك ذكروا أقواله وتعاليمه.

ولا نخوض هنا في مناقشة صحة تسجيل أقواله المروية، ولكن الأمر الذي يستحيل إنكاره ـ على أية حال ـ هو أن كل ما روي عن نسب المسيح وميلاده وترجمة حياته ليس جزءًا مما نزل عليه من الوحي. والذي يمكن أن يقال في تفسير هذا الوضع (وهو ما يقال فعلًا) هو أن مؤلفي الأناجيل كانوا ملهمين. ولكن الذي يمنع قبول هذا التبرير هو أنهم لم يدَّعوا لأنفسهم الإلهام، ويظهر من منهجهم وأسلوبهم أنهم يعدون أنفسهم من بين عديد من كتاب السير والحوادث الذين دونوا أحوال المسيح على أساس الروايات الشائعة وبعض المصادر المكتوبة، بصرف النظر عن التعارض والتناقض العجيب المتوافر فيها. (ولا شك أن التناقض الموجود في نصوص العهد الجديد أحد البراهين القوية على كونه كلامًا إنسانيًا، وسنلقي الضوء عليه في الباب القادم)؛ ولكننا نكتفي هنا بالبيان على الأناجيل وأسفار العهد الجديد الباقية من مؤلفات أناس عاديين، يبدأ إنجيل لوقا كما يلي:

«إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة، رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شيءٍ من الأول بتدقيقٍ أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاورفيلس»[١]. ويتبين من هذا القول أن مؤلف هذا الإنجيل واحد من المؤلفين الكثيرين، وهو يحاول تدوين ما جمع من روايات، ولا يدعي الإلهام أبدًا، بل يقتصر دوره على «تتبع» الروايات التي وصلته ثم ترتيبها؛ وهذا مع الملاحظة أن لوقا لم يستطع «تدقيق» هذه الروايات وترتيبها[٢]. فما قاله لوقا في بداية إنجيله لا يمكن أن يخرج من فم الملهم، بل إنه كلام إنسان عادي يريد أن يؤلف بين الروايات الشائعة بعد تحقيقها وتدقيقها.

يبدأ إنجيل متى بذكر نسب المسيح، وإنجيل مرقس يبدأ بذكر ما أخبر به الأنبياء

---

(١) لوقا ١ : ١ـ٣ .

(٢) هذا ليس من عندنا، بل قاله قاموس للكتاب المعتمد وهو Encyclopaedia Biblica . انظر: ص: ١٧٩٠ .

http://kotob.has.it/

السابقون عن عيسى. وأما إنجيل يوحنا فهو يبدأ بأسلوب فلسفي ينم عن الأفكار الأفلاطونية الجديدة والغنوصية، ثم يدخل في صلب الموضوع، ويذكر أحوال المسيح دون أن يدَّعي الإلهام في كل ذلك. وتشتمل «أعمال الرسل» على أحوال الحواريين وتاريخ الكنيسة البدائية، كما أنها تضم رسائل بولس، ويتناثر خلال هذه الرسائل الادعاء بالكشف والإلهام، ولكنه لا يعني ـ بأية حال من الأحوال ـ أن جميع محتويات الرسائل البولسية إلهام ووحي؛ بل إنه ـ ومؤلفو الرسائل الآخرون أيضًا ـ يتحدث في رسائله عن الأمور العادية، والمشكلات الحادثة في الكنائس والمناطق المختلفة. يقول باحث محايد:

"Paul wrote his letter in bad Greek, sometimes hurriedly, often vehemently; in his haste he was apt to be casual or imprecise, in his passion, to be immoderate or obscure, and he never had a thought that he was writing a New Testament".

«كتب بولس رسائله بلغة يونانية سقيمة، وأحيانًا كان يكتب بعجلة، وكان يصبح عنيفًا في معظم الأحيان؛ وبسبب العجلة والعنف كان أسلوبه غامضًا ومعقدًا. ولم يفكر قط (أثناء كتابة رسائله) أنه ـ يحرر العهد الجديد»[١].

هذا، وقد حفل العهد الجديد أيضًا ـ مثل العهد القديم ـ بأشياء تخالف العقل والملاحظة، ولا يمكن أن تعتبر وحيًا (أما قضية التناقضات في العهد الجديد فسوف نناقشها ـ كما قلنا قبل ذلك ـ في باب مستقل إن شاء الله). فعلى سبيل المثال جاء في الأناجيل المتوافقة ذكر اختبار المسيح على يد الشيطان قبل أن يبدأ دعوته؛ ولكن مرقس أضاف من عنده إلى ذلك أشياء تصرح بأنه لا علاقة لها بالوحي، حيث تحمل رائحة القصص الشعبية. يقول: «وكان هناك في البرية أربعين يومًا يجرَّب من الشيطان. وكان مع الوحوش. وصارت الملائكة تخدمه»[٢]! فمن أين عثر على هذه المعلومات الغريبة المتعلقة بما قبل الدعوة والتي لا توجد لدى مؤلفي الأناجيل الآخرين؟ ثم إلى أي مدى يعتبر ذلك من الفطرة، أي العيش مع الوحوش والخدمة من قبل الملائكة؟.

وكذلك تلك العقيدة التي تقول: إن حلول «روح نجس» في الناس يسبب الأمراض فيهم

---

(١) Herbert Muller: Uses of the Past, p. 89.

(٢) متى ٤: ١ وما بعدها، لوقا ٤: ١ وما بعدها، مرقس ١: ١٣.

http://kotob.has.it/

ويعميهم ويخرسهم! فهذه عقيدة شعبية تقوم على الأوهام، وكانت شائعة بين الناس في ذلك العصر(١)، وهي تتناثر في ثنايا عبارات الأناجيل(٢).

والأناجيل تضم بين دفتيها أغرب من ذلك؛ فجاء فيها ـ على سبيل المثال ـ أنه كانت حماة سمعان قد أخذتها حمىً شديدة. . . فوقف المسيح فوقها وانتهر الحمَّى فتركتها في الحال وقامت(٣)! وذات مرة أراد المسيح أن يخرج «عسكر الأرواح النجسة» من شخص واحد، فطلبت إليه كل هؤلاء الشياطين قائلين: «أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها، فأذن لهم يسوع للوقت. فخرجت الأرواح النجسة ودخلت في الخنازير. فاندفع القطيع من الجرف إلى البحر، وكان نحو ألفين فاختنق في البحر»(٤).

فإخراج «الأرواح الخبيثة» من شخص مجنون، وإدخالها في حيوانات من أملاك رجل آخر، ووثوب هذه الحيوانات في البحر وموتها، كل هذا يمكن أن يكون ملحمة شعبية انتشرت بين الناس لتسليتهم في العصور القديمة، ويستحيل أن يكون وحيًا إلهيًا. والغريب في هذه القصة أن الأرواح النجسة هذه حينما نظرت للمسيح خرت له وصرخت قائلة: إنك أنت ابن الله، والمسيح أوصاهم كثيرًا أن لا يُظهروه(٥).

وكذلك ما جاء في الأناجيل من أن المجوس سجدوا للمسيح بعد ميلاده، وقدَّموا له هدايا ثمينة، وأن مريم الحبلى حين سلمت على أليصابات (أم يحيى) الحبلى ارتكض الجنين في بطنها(٦)، وأن حجاب الهيكل انشق ـ بعد موت المسيح المزعوم ـ إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت. والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين(٧).

فهل تصلح مثل هذه الملاحم الشعبية الغريبة، المليئة بالعجائب أن يعتمد عليها؟ وهل

---

(١) K.A.Dickson: The Story of the Early Church (London, 1979), p. 11.

(٢) متى ٩: ٣٢، ١٢: ٢٢، مرقس ١: ٣٢ـ٣٤، ٣: ١١، ٧: ٢٥ـ٣٠، لوقا ٤: ٤١، ٧: ٢١، ٨: ٢ وغيرها.

(٣) لوقا ٤ـ ٣٨، ٣٩.

(٤) مرقس ٥: ١ـ١١، متى ٨: ٢٨ـ٣٣.

(٥) مرقس ٣: ١١.

(٦) متى ٢: ١ـ١١، لوقا ١: ٣٩ـ٤١.

(٧) متى ٢٧: ٥١ـ٥٣، لوقا ٢٣: ٤٤ـ٤٥. وانظر أيضًا: F.G.Bratton: op. cit., pp. 85-86.

http://kotob.has.it/

يمكن أن تعد من الوحي ؟

إنها في الحقيقة مأخوذة من الديانات الوثنية الوهمية القديمة التي عاصرت نشأة المسيحية أيضًا.

"There were at the time when Gospels were written, many myths of dying and resurrected Gods ..... Christianity rose and developed amidst a welter of superstitious religions and mystical cults".

«ففي الزمن الذي ألفت فيه الأناجيل، كانت هناك أساطير كثيرة شائعة بين الناس عن الآلهة الذين ماتوا ثم قاموا من الموت . . . والديانة المسيحية نشأت وتطورت في كنف الديانات الوهمية الوثنية والعقائد الأسطورية»(١).

فالأمثلة وفيرة جدًا لا تحصى، ولكننا نكتفي بهذه الشواهد والنماذج، لنوضح أن الكتاب المقدس لا يدعي الإلهام والوحي، وأما العبارات والجمل التي توهم بالادعاء فتظهر حقيقتها بما قدمناه من أمثلة المزج بين الكلام الإنساني والكلام الإلهي، ومن أمثلة القصص الشعبية الغريبة المقحمة في الكتاب المقدس. يقول باحث فرنسي مشهور ـ وهو موريس بوكائي ـ:

"A Revelation is mingled in all these writings, but all that we possess today is what men have seen fit to leave us. These men manipulated the texts...".

«هذه الكتابات مختلطة بالوحي، إلا أن ما يوجد لدينا اليوم هو تلك المادة التي اعتبرها القدماء ملائمة لنا، وهؤلاء تصرفوا في متون الوحي»(٢).

٢ـ من الذين ألفوا الأناجيل ؟

على الرغم من وجود عبارات قليلة في بعض أسفار الكتاب والتي توهم بالادعاء بالوحي فنحن في حاجة إلى معرفة المؤلفين الذين جمعوا الأناجيل ودونوها، كما أننا في حاجة للوقوف على المدى الذي يمكن أن يجعلنا نثق بهم ؟ بل إن قضية الوثوق بهم تلي قضية صحة نسبة بعض الأناجيل إلى هؤلاء المؤلفين؛ ذلك لأن هذه النسبة لم تثبت تاريخيًا.

---

(١) John Lewis: Religions of the World Made Simple, London, p.102.
(٢) Dr. Maurice Bucaille: The Bible, The Qur'an And Science (English Edition), p. 31.

http://kotob.has.it/

والحق أن التاريخ لا يساعدنا في حل هذه الأسئلة المعضلة، أي تحديد العصر الذي دون فيه الكتاب وتعيين المدونين الحقيقيين ومدى الثقة في هذا الكتاب. كل ما نعثر عليه من التاريخ يجعلنا نشك في نصوص الكتاب المقدس واعتبارها أو اعتبار كلها وحيا منزلاً من الله.

فالعهد القديم مجموعة للروايات اليهودية عبر آلاف السنين (وطبقًا لبعض التقديرات خمسة آلاف سنة)[١]، والقصص مليئة بالأوهام ولا نعرف مؤلفي هذه القصص، أما القصص الحقيقية في

"The (Old Testament of the) Bible is largely the product of the spiritual, intellectual and political experience of the Israelites over many centuries. Little of an authentic nature is known regarding the authorship of its parts. These were generally recognized as work of a large number of prophets, sages, psalmists, apostles and scribes, few of whose names are knwon. Some of the books of the Bible are regarded as composites, containing material from various sources, welded together in their present form by copyists".

«(العهد القديم) من الكتاب المقدس فهي ثمرة - في أغلب الأماكن - للتجارب السياسية والعقلية والروحانية التي مرت بالإسرائيليين عبر القرون. ونحن لا نعرف إلا مؤلفي أجزاء قليلة لهذا العهد. وتنسب هذه الأجزاء في معظم الأحيان إلى الأنبياء والرسل والكهنة والقديسين الذين لم تعرف أسماء معظمهم؛ ويعتبر بعض أسفار الكتاب المقدس «مجموعات مركبة» جمعت موادها من المصادر المختلفة، ودونت في صورتها الحالية على أيدي النساخ»[٢].

يقول مؤلف آخر متحدثًا عن بعض أجزاء العهد القديم:

"Their authorship is often unknown, or attributed wrongly, but in all sincerity, to writers who, it is now clear, could not have written them - at least in their present form".

---

(١) In Search of Historic Jesus, by Roddy And Sellier, p. 14.

(٢) The New Funk & Wagnall's Encyclopaedia (New York, 1949), vol. 4, p. 1300.

http://kotob.has.it/

«مؤلفو هذه الأجزاء غير معروفين، وهي تنسب ـ خطأً ـ بكل تأكيد إلى الأشخاص الذين عُرف الآن أنهم لم يكونوا قادرين على تحريرها في صورتها الحالية»[١].

فقد ذكرنا فيما سبق، على سبيل المثال، أن الكتب الخمسة الأولى للعهد القديم نسبت إلى موسى خطأً، ولهذه الظاهرة نماذج متوافرة في الكتاب المقدس أي ظاهرة الخطأ في النسبة. فيقال عن سِفري صموئيل أنهما حرَّرهما صموئيل النبي بوحي من الله سبحانه وتعالى، ولقد جاء القول التالي في هامش للكتاب المقدس الكاثوليكي:

"Samuel was traditionally supposed to have written these books - hence the title".

«اعتقد منذ الأجيال القديمة أن صموئيل كتب هذه الأسفار ولذلك عنونت باسمه».

(أي لأجل ذلك تنسب إلى صموئيل)[٢]، ولكننا حين نقرأ في هذه الأسفار عن وفاة صموئيل[٣] والوقائع التي حدثت بعد وفاته يتبين لنا أنها نسبت خطأً إلى صموئيل، والذي ألفها عاش في العصور المتأخرة عن عصر صموئيل.

والواقع أن هذه العادة كانت قد جرت بين اليهود، فكانوا ينسبون نصوصًا مكتوبة إلى نبي قديم أو شخصية مشهورة عاشت في العصور القديمة الماضية.

"Attributing a contemporary or recently composed book to an ancient prophet or wise man, was common practice".

«فكانت العادة منتشرة أن ينسب كتاب دوِّن في زمن معاصر أو قريب إلى نبي قديم أو مفكر[٤] (أمثال موسى وسليمان وعزرا وغيرهم)».

في هذا الصدد لم يتكلف البحث والتحقيق والتدقيق. وذكرنا قبل ذلك [انظر الهامش رقم ١ ص١٧٠] أن عزرا الكاهن (وفق رواية ضعيفة) رتب التوراة ودونها من جديد بعد عصور الاضطهاد والتغريب والنفي وتسلسل الأسر اليهودية. وقد اعتبر الكتاب الذي دونه عزرا يطابق الأصل، ولكن السفر المنسوب إلى عزرا نفسه في العهد القديم هو عبارة عن مجموعة

---

(١) Stanley Cook: Introduction to the Bible (Penguin Books), 1956, p. 34.

(٢) Notes to the Catholic Bible (RSV), p. 999.

(٣) صموئيل الأول ٢٥: ١ وما بعدها.

(٤) Bratton's History of the Bible, pp. 89-90.

http://kotob.has.it/

من الفهارس والأنساب والأوامر التي أُخذت من المصادر المختلفة، واستعمال صيغة المتكلم في الإصحاحات من السابع إلى التاسع فقط يوحي بأنها من عمل عزرا[١].

وكان الاعتقاد الأعمى يسود الأذهان لدرجة أن الملك يوشيا أصلح بيت الرَّب في عصره[٢]، فوجد خِلْقِيا الكاهن سفرًا فيه، واعتبر الملك هذا السفر ـ وبالتالي الأمة كلها ـ كلامًا إلٰهيًا معتمدًا على شهادة شخص واحد[٣]، ولم يبال أحدٌ بالبحث عن حقيقة هذا السفر وزمنه وكاتبه! ولم يفكر أحد في السؤال الذي يقول: هل من الممكن أن تبقى نسخة من الكتاب المقدس بعد كل الخرابات التي جاءت على الهيكل وأورشليم؟ وهل لم يعثر عليها أحدٌ قبل خِلقيا الكاهن؟ ولم يخطر ببال أحد أن خلقيا الكاهن يمكن أن يكون قد اخترع هذه القصة ليتقرب إلى الملك؟ (وخاصة أن يوشيا الملك كان على عكس سابقيه، يميل إلى الدين والشريعة ميلاً شديدًا)[٤]. ومن الممكن أن يكون السفر الذي عثر عليه مشتملاً على بعض القوانين الاجتماعية والدينية التي وجدها زعماء السياسة والدين مفيدة ونافعة لأمتهم، وبالتالي سمّوه «سفر شريعة موسى أو سفر التثنية» لترويجه بين الناس وتنتشر تعاليمه في الشعب[٥].

وهذا هو السفر ـ في أغلب الظن ـ الذي كان قد حظي بالاعتراف الكامل في عصر عزرا، حيث كانت بداية نسبته إلى موسى:

> "In order to make this reform more binding, the promulgators of Deuteronomy created the impression that the law was from Moses, for only by ascribing the work to ancient authority could they hope to give it proper sanction".

> «أشاع مؤيدو سفر التثنية انطباعًا بين الناس أنه يتضمن تلك القوانين التي جاءتنا من موسى، وذلك لكي يجعلوا الأمَّة تتمسَّك بحركة الإصلاح أكثر. وكانت نسبة هذا السفر إلى سند قديم تضمن له أن يحظىٰ بالسلطة المناسبة»[٦].

---

(١) قاموس الكتاب ص: ٦٤٤.
(٢) كان هذا في سنة ٦٢١ ق.م حسب تاريخ الكتاب المقدس لبراتون. انظر ص: ٨٩ من هذا الكتاب.
(٣) الملوك الثاني ٢٢: ٨ وما بعدها، أخبار الأيام الثاني ٣٤: ١٤ وما بعدها.
(٤) الملوك الثاني ٢٢: ٢.
(٥) Bratton's History of the Bible, p. 97.
(٦) Ibid.

http://kotob.has.it/

ومن نتائج نسبة الأسفار الخاطئة، وكون مؤلفيها مجهولين، والاعتراف بصحتها دون التحقيق وجود سفر واحد اشتمل على أقوال متناقضة للرواة والمؤلفين المختلفين؛ ومن نتائجها أيضًا أن امتلأت الأسفار المختلفة بظاهرتي التناقض والتعارض. وسنتعرض لأمثلة من ذلك في الباب القادم بإذن الله.

تدوين العهد الجديد ومؤلفوه :

لا يختلف العهد الجديد عن العهد القديم في كون المؤلفين مجهولين، والخلط في نسبة الأسفار إلى مؤلفين مختلفين.

يشهد القرآن الكريم على أن عيسى كان نبيًّا أنزل إليه الكتاب[١] (سيأتي التعليق في أول الباب القادم على تصديق القرآن للتوراة والإنجيل). ولكن روايات المسيحيين أنفسهم لا تشير إلى وجود أي كتاب مستقل لعيسى أو لحوارييه[٢]؛ بل إن الباحثين المسيحيين يقولون:

"Jewish Scriptures ....became the Bible of the primitive Church".

«النصوص اليهودية عينها . . . صارت نصوص الكتاب المقدس للكنيسة الأولى»[٣].

"During the early years that succeeded the death of Jesus, no written record appears to have been made of his life and teaching. A few of the most striking of his sayings were perhaps embodied in some simple liturgy; but generally speaking, as his followers were in constant expectation of his early return from heaven, they felt no need to make a written record of his life on earth...".

«يبدو أنه لم يُعَد السجل المكتوب لحياة المسيح وتعاليمه في السنوات الأولى بعد موته. ومن الممكن أن تكون بعض أقواله القوية اندمجت في الأذكار والطقوس الدينية، وذلك لأن أتباعه في معظم الأحوال ظلوا ينتظرون مجيئه مرة

---

(١) القرآن الكريم ٥:٤٦ و١٩ :٣٠و ٥٧:٢٧ .

(٢) بعض الباحثين يشير إلى وجود الأناجيل والوثائق المسيحية قبل الأناجيل الأربعة، وضاعت هذه الوثائق. ومن الممكن أن يكون الإنجيل الذي نزل على عيسى من بين هذه الوثائق الضائعة. انظر:
Irene Allen: The Early Church And The New Testament, London, 1951,pp. 133-134; H.A.Guy: A Critical Introduction to the Gospels, London, 1973, p. 54.

(٣) Collier's Encyclopaedia, vol. 3, p.395.

http://kotob.has.it/

ثانية من السماء فلم يجدوا ضرورة ماسة إلى تدوين حياته الأرضية»[١].

ولكن عندما انقطع الأمل في مجيئه الثاني، وبدأت الذكريات تتضاءل أخذ الناس يدونون مجموعات لأقوال المسيح وسمّوها الأقوال أو السجلات. ثم يليها دور مؤلفي الأناجيل الذين اعتمدوا على الروايات الشفهية، وعلى هذه المجموعات المدونة في صورة الأقوال أو السجلات. فألف كل منهم إنجيله وفق أسلوبه وميوله الشخصية. وكان إنجيل مرقس هو أسبق الأناجيل الأربعة ظهورًا حسب رأي معظم الدارسين (وإن كانت رسائل بولس قد كتبت قبله)، وهذا الإنجيل لم يكتب على أية حال قبل سنة ٦٥م[٢]. والجدير بالتنبيه أن الاهتمام بالأمانة العلمية في نقل ألفاظ المسيح وكلماته أثناء كتابة الأناجيل كانت معدومة، ولم يحس أحد منهم بحاجة إلى ذلك. يقول المؤلف سالف الذكر:

"We must remember that in ancient times it was the common practice for even the most conscientious chroniclers and historians to put into the mouth of the characters, of whom they wrote, words which they considered appropriate to the occasion, without any intention of implying that they were the exact words used".

«يجب أن نتذكر أن من العادات الجارية في العصور القديمة أن يُدون كتّاب الحوادث والمؤرخون ـ مهما كانوا ثقات وأمناء ومهما كانت نيّاتهم خالصة ـ كلماتٍ، يرونها مناسبةً للمواقف المعينة، على ألسنة الشخصيات التي يكتبون عنها. ولم يكونوا ينوون، خلال هذه التصرفات، أن يوضحوا ويميزوا بين الكلمات التي صدرت من هذه الشخصيات والكلمات التي أضافوا إليها أو تصرفوا فيها»[٣].

والتشابه الكبير بين أقوال المسيح الواردة في إنجيلي متى ولوقا يجعل الباحثين النقاد يستنتجون أنهم اعتمدوا على مصدر واحد[٤]؛ ولكن لا أحد يعرف صفة هذا المصدر وحقيقته التاريخية، ومدى صحة الاعتماد عليه، كما أن أحدًا لا يضمن أن كلاًّ من مؤلفي

---

(١) Bernard M. Allen: The Story Behind the Gospels (London, 1926), pp. 4-5.
(٢) Ibid.
(٣) Ibid., p. 5.
(٤) Irene Allen: The Early Church And The New Testament (London, 1951), pp. 133-134.

http://kotob.has.it/

إنجيل متى وإنجيل لوقا استعمل هذا المصدر الأساسي بكل أمانة دون تحريف، وإن كانت الاختلافات الموجودة في الإنجيلين تدل على تحريفهما. وسيأتي تفصيل هذه الاختلافات قريبًا.

فعدم معرفة هذا المصدر معرفة تامة، وكون مؤلفه أو صاحبه مجهولاً أدّى إلى إطلاق العلامة "Q" عليه (Q = Quelle) أي «ميم» التي تعني المصدر[١].

وافترض بعض الدارسين النقاد (وذلك لعدم وجود براهين وشواهد يمكن الاعتماد عليها بكل اطمئنان) أن قصصًا من «آلام المسيح» كانت ـ بالإضافة إلى مجموعات «أقوال المسيح» ـ منتشرة في أواسط عامة الناس. و

"There are good reasons for supposing that Mark and Matthew made use of the same Passion Narratives, but Luke and John used different ones, because although they agree in their main facts, they differ very much in detail".

«ثمة أدلة عقلية تجيز لنا أن نفترض أن كلاًّ من مرقس ومتى استقى من قصة «الآلام» الواحدة، ولكن لوقا ويوحنا اعتمدا على قصص مختلفة. وذلك لأنه ـ رغم اتفاقهم في الحوادث المهمة ـ فإن أساليبهم وعباراتهم في رصد التفاصيل تختلف فيما بينهما اختلافًا جذريًا كبيرًا»[٢].

وقد خطا بعض الدارسين إلى هذا الاتجاه خطوات أكثر من ذلك، فهم يرون أن قصصًا وحكايات وروايات أخرى أيضًا كانت مصادر ـ بالإضافة إلى «الأقوال» «والآلام» ـ للأناجيل، وتتلخص هذه المصادر في:

"Sayings, anecdotes, scraps of debate or conversation, miracle stories, parables stories about Jesus and the like".

«الأقوال والحوادث وقطعات من المناقشات والحوارات وروايات المعجزات والأمثال والقصص عن يسوع وما شابه ذلك»[٣].

---

(١) H.A. Guy: A Critical Introduction to The Gospels (London, 1973), p. 54.

(٢) Ibid.

(٣) Collier's Encyclopaedia, vol.9, p. 199.

http://kotob.has.it/

هذا، وقد أنكرت مجموعة من الباحثين الدارسين وجود أي مصدر مكتوب للأناجيل، وتتلخص ثمرة دراساتهم في أن ما شاع بين المسيحيين ـ قبل تأليف الأناجيل وتدوينها ـ اتخذ شكلين: أولهما الأقوال وثانيهما الحكايات، وكانت تتداول شفاهة. والحكايات كانت مجموعة لقصص ميلاد المسيح ومعجزاته وموته المزعوم، وكانت تشبه ملاحم أبطال الإغريق؛ والأقوال كانت مجموعة ما تكلم به المسيح، ولم تكن خالية من الزيادة والنقص[١].

فهذه هي قصة مصادر العهد الجديد بإيجاز؛ وأما مؤلفوه فهم أيضًا ـ مثل مؤلفي المصادر الأصلية ـ مجهولون تمامًا.

"The Gospels themselves do not refer by name to their authors, and titles of the Gospels were added not earlier than a generation or two after composition, when they had been collected together in a corpus, and so required identification to distinguish them from one another".

«لا تشير الأناجيل نفسها إلى مؤلفيها، وأما العناوين الموجودة عليها (إنجيل متى وإنجيل مرقس وغيرهما) فهي لم تطلق عليها قبل مضي جيلين من تأليفها؛ وذلك حينما جمعت في كتاب واحد، وكانت هناك حاجة إلى التمييز بينها»[٢] (بتخصيص رسم لكلٍ منهما). و

"In fact the Gospels and the Acts were published amonymously; the present titles came from the second century".

«الحق أن الأناجيل وكتاب الأعمال نشرت مجهولة (أي بدون أسماء المؤلفين)، والعناوين الموجودة عليها الآن جاءت في القرن الثاني»[٣].

وأما الاقتباسات الواردة في إنجيل يوحنا[٤]، والتي توهم بأن هذا الإنجيل من تأليف حواري مقرَّب إلى المسيح، فهي إضافات تمت في هذا العصر المتأخر أيضًا[٥].

---

(١) Encyclo. Brit. (1973), vol. 10, p. 593.
(٢) Bernard Allen: op. cit.
(٣) Encyclo. Brit. (1973), vol. 13, pp. 32-33.
(٤) يوحنا ١٩: ٢٦، ٢١: ٧، ٢١: ٢٤ وغيرها من الأماكن.
(٥) Encyclo. Brit. (1973), 13: 32-33.

http://kotob.has.it/

رغم أن الأناجيل تحمل أسماء محددة لكنها ليست أسماء مؤلفيها الحقيقيين؛ فإنجيل متى مثلاً، ليس من تأليف متى الحواري. تقول نتائج دراسات الباحثين المسيحيين: إن إنجيل متى يمكن ـ على أكثر تقدير ـ أن يشتمل على مجموعة من أقوال المسيح (وصحة هذه الأقوال رواية ودراية مجهولة لدينا) التي رواها متى، وأما ما يوجد فيه من غير أقوال المسيح فإننا لا نعلم عن مصدره وقيمته الدينية والتاريخية. ولم يدوَّن هذا الإنجيل، الذي جمعت مادته من مصادر متنوعة، قبل سنة ٨٥م[١].

وقد تم تدوين إنجيل مرقس في سنة ٦٥م تقريبًا كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وينسب تأليفه إلى يوحنا مرقس (John Mark) الذي كان زميلاً حميمًا لبولس[٢] (ظلت بينهما خلافات لمدة قبل أن يصبحا صديقين)، ولكن المعلومات اليقينية عن شخصيته وأخلاقه شبه معدومة. أضف إلى ذلك أن التحريف في آخر هذا الإنجيل قد ثبت من الأبحاث والدراسات. وسنلقي ضوءًا على ذلك في الباب القادم. ولهذا فإنه حتى لو ثبت أنه من تأليف مرقس فعلاً، فهو يسقط ـ لأجل التحريفات فيه ـ من درجة الوثوق.

الإنجيل الثالث وأعمال الرسل تنسب إلى لوقا، وشخصيته وأحواله أيضًا غير معلومة. وهناك سبعة أشخاص اسم كل منهم لوقا، يقال عن كل واحد منهم: إنه ألف هذا الإنجيل. وهذا الإنجيل أُلِفَ في أغلب الظن بين سنوات ٧٥ـ٨٥م[٣].

والإنجيل الرابع ينسب إلى يوحنا ويقال: إنه يوحنا الحواري[٤].

"Liberal critics from the 19th century onward have denied the Johannie authorship".

«ولكن النقاد غير التقليديين من القرن التاسع عشر نفوا أن يكون من تأليف يوحنا».

إن وجود الأفكار اليونانية والغنوصية فيه بكثرة هائلة، واختلافاته الأناجيل الأخرى تنفي أن يكون هذا الإنجيل من عمل الحواري يوحنا (وحسب مصطلح مسيحي «رسول»). ويضاف إلى ذلك أن الأسقف المشهور لآسيا الصغرى القديمة وهو بابياس (Papias)

---

(١) قاموس الكتاب، ص: ٩٠٢. Collier's Encyclopaedia, vol. 9, p. 200

(٢) Ibid.

(٣) قاموس الكتاب، ص: ٨٦٥. Collier's Encyclopaedia, vol. 9, p. 200

(٤) Collier's Encyclopaedia, vol. 11, p. 425.

http://kotob.has.it/

(٦٠ـ١٣٠م) الذي كان خبيرًا في روايات الرسل، لم يشر إلى هذا الإنجيل؛ كما أن بولي كارب (Poly carp) (ت/ ١٥٠م) ـ وهو من الآباء المسيحيين البارزين القدامى ـ وكان تلميذًا ليوحنا الحواري، لا يذكر هذا الإنجيل[١]؛ ومع ذلك يعتبره الناس من تأليف يوحنا الحواري رغم أن البراهين لا تسعفهم. والحق أن عددًا معقولاً من المسيحيين في القرن الثاني أيضًا نفوا ـ كما يلاحظ هذا النفي في القرن التاسع عشر ـ أن يكون مؤلفه يوحنا الحواري[٢].

وحين فشلت محاولة إثبات يوحنا الحواري كمؤلف لهذا الإنجيل لجأ بعض المؤلفين المسيحيين إلى شخص آخر ونسبوه إليه، وهو يوحنا الراهب (John the Elder)، وادَّعى بعضهم أنه تلميذ عيسى، والبعض الآخر يرى أنه تلميذ لتلامذة عيسى؛ ولكن هذه أيضًا افتراضات ينقصها الإثبات بالبراهين والأدلة[٣].

والحقيقة أن هذا الإنجيل أيضًا ليس ـ مثل الأسفار المتعددة الأخرى للكتاب المقدس ـ من عمل مؤلف واحد، بل هو مجموعة للكتابات المحرَّرة في الأدوار المختلفة على أيدي المؤلفين المجهولين المختلفين، جمعها ودونها مؤلف مجهول آخر.

"There are indications of more than one hand in the Gospel".

«ثمة إشارات في الإنجيل تدل على أنه ألف على أيدي أكثر من شخص»[٤]. و

"The authorship of the fourth Gospel is a perplexing problem".

«تعيين مؤلف الإنجيل الرابع مشكلة معقدة»[٥].

والسفر الذي يلي الأناجيل يُعرف «بأعمال الرسل»، ورغم أنه يتعرض للحوادث التي ظهرت بعد صعود عيسى إلى السماء إلا أنه نسب بعد القرن الثاني إلى لوقا، «والكنائس الأولى لم تكن تهتم به»[٦].

ثم تأتي رسائل بولس وبعض الرسل الآخرين. تقول دائرة المعارف البريطانية بالنسبة لهذه الرسائل الواردة في العهد الجديد:

---

(١) قاموس الكتاب، ص: ١٠٨٥، ١١٦٧ — Catholic Encyclopaedia, vol. 7, p. 1085.

(٢) Encyclo. Brit. (1962), vol. 13, p. 102; B.H. Streeter: The Four Gospels (London, 1925), p. 431.

(٣) B.H. Streeter: op. cit., p. 443.

(٤) New Catholic Encyclopaedia, vol. 7, p. 1080.

(٥) Collier's Encyclopaedia, vol. 9, p. 200.

(٦) قاموس الكتاب ص: ٦٧ـ٦٨.

http://kotob.has.it/

"More than half of them are ascribed to Paul, although critics have questioned this ascription in some cases".

«يعزى أكثر من نصف هذه الرسائل إلى بولس، ورغم ذلك اعترض الدارسون النقاد على صحة هذه النسبة في بعض الأحوال»(١).

وفي مكان آخر تقول الدائرة نفسها مفصلة هذا الاعتراض:

"Actually, however, only ten, including Ephesians can be ascribed to him, and there are many scholars who question the authenticity of Ephesians".

«في الواقع، يمكن أن تنسب إليه عشر رسائل، ومن بينها رسائله إلى أفسس إلى بولس وكثير من النقاد اعترضوا على صحة نسبة أفسس إليه»(٢).

واعتراضات النقاد الدارسين على رسالة بولس إلى العبرانيين، ورسالتيه إلى تيموثاوس، ورسالته إلى تيطس (Titus) (الثلاثة الأخيرة منها تعد خاصة بأنظمة الكنائس المسيحية) قوية جدًا يصعب الرد عليها، ولا سيما الرسائل الثلاثة الأخيرة منها. فالكلمات والتراكيب المستخدمة فيها تبدو أقرب إلى العبادات اللغوية المستعملة في القرن الثاني، كما أنها تختلف اختلافًا كبيرًا عن الألفاظ الموجودة في الرسائل الأخرى المنسوبة إلى بولس؛ فالمراتب الكنسية المذكورة في هذه الرسائل الثلاث مثل الأسقف والقس والشمّاس وجدت بعد عصر بولس، كما أن أسلوبها يختلف عن الرسائل الأخرى(٣).

ومما يتضمنه العهد الجديد، ماعدا رسائل بولس، من رسائل ونصوص مثل رسالة يعقوب (James)، ورسالة بطرس الثانية، ورسالتا يوحنا الثانية والثالثة، ورؤيا يوحنا ويهوذا، فكل ذلك اعترف بصحته في العصور المتأخرة إذ وافقت الكنيسة المسيحية على مشروعيتها الكاملة؛ وذلك لأن:

"The Church (hesitated) over their attribution to the authors whose names they now bear".

---

(١) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p.574.

(٢) Encyclo. Brit. (1973), vol. 17, p.476.

(٣) R.H.Fuller: A Critical Introduction to the New Testament (London, 1979), pp. 133-134; Encyclo. Brit. (1973), vol.17, pp. 444,476.

http://kotob.has.it/

«الكنيسة ظلت تتردد وتشك في نسبتها إلى المؤلفين الذين كانت تعزى إليهم»(١).

ويوجد هذا الشك منذ العصر الأول للمسيحية، يقول أوريجان (Origen) (ت/ ٢٥٤م) ـ على سبيل المثال ـ معبِّرًا عن رأيه في رسالة بولس إلى العبرانيين:

"God only knows who wrote this book".

«الله وحده أعلم من الذي كتب هذا السفر»(٢).

فخلاصة القول إن معظم أسفار العهدين القديم والجديد ألفت على أيدي أكثر من مؤلف، وكلهم مجهولون لدينا، حيث المعلومات الأساسية الموثوق بها عن شخصياتهم وأحوالهم تكاد تكون معدومة. فكيف تكون هذه الأسفار وحيًا منزلاً من الله سبحانه وتعالى؟

٣ـ كيف تم الاعتراف بصحة الكتاب المقدس وشرعيته؟

من أعاجيب الزمان وأعاجيب تاريخ الديانات وأعاجيب الإنسانية معًا أن الكتاب المقدس، أي مجموعة كتابات المؤلفين المختلفين المجهولين، الذي لا يعترف صراحة بأنه وحي أو إلهام ينال درجة الشريعة الموثوقة لدى المسيحيين!

ومن هنا يجب أن نستعرض كيف نال الكتاب المقدس هذه الدرجة؟ ومن الذي قرَّر أنه وحي؟ وعلى أي أساس قرر ذلك؟

تقول رواية يهودية: إن اجتماعًا عظيمًا للهيكل انعقد في عصر العالم الكبير، جامع النصوص الدينية عزرا والزعيم اليهودي الديني والسياسي نحميا (في القرن الخامس قبل الميلاد)، وتقرر في هذا الاجتماع عدة قوانين ولوائح تفيد الاعتراف بصحة الكتب الدينية وقدسيتها. وخلال هذا الاجتماع اعترف بصحة كتب وأسفار كانت شائعة بين الناس منذ عصور طويلة، واعتبرت نصوصًا مقدسة(٣).

لكن الباحثين من العلماء ينكرون عقد هذا الاجتماع المزعوم، ويرون أن بعض الأسفار كانت قد انتشرت بين الناس قبل القرن الخامس قبل الميلاد، ويرون أيضًا أن المجمع الذي يمكن أن ينسب إليه هذا العمل ـ أي تقرير مشروعية العهد القديم والاعتراف بصحته ـ هو

---

(١) Daniel-Rops: Life of Jesus, p. 29.

(٢) Bratton's History of the Bible, p. 122.

(٣) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p.515; Catholic Bible, p. 1003.

http://kotob.has.it/

المجلس الأعلى للعلماء اليهود الذي عقد بجامنيا ما بين سنتي ٩٠-١٠٠م.

"After the fall of Jerusalem in A. D. 70 and the rise of Christian movement, the Jewish community felt obliged to fix the limits of its Bible more precisely".

«فالأمة اليهودية اضطرت في سنة ٧٠م بعد سقوط أورشليم[١] وازدهار الحركة المسيحية، تعيين حدود كتابهم المقدس»[٢].

وهذا يعني أن اليهود عندما أحسوا بضياع الكتب القديمة بسبب الخراب الذي جاء على أورشيلم والهيكل من ناحية، وبسبب اختيار المسيحيين الكتب اليهودية القديمة وتصرفهم فيها حسب ما يؤيد عقائدهم وأفكارهم من ناحية أخرى، شعروا بالحاجة الماسة، إلى تعليم عامة اليهود النصوص التي تقوم على أساسها ديانتهم. ولذلك نرى أنهم أعلنوا أن سفر إرميا (وكان المسيحيون يقتبسون منه كثيرًا من النصوص التي تخبر عن المسيح) وسفر دانيال وبعض أجزاء سفر استير وكتب «الأبوكريفا» الموجودة، ليست وحيًا منزلاً، واعترف بصحة الأسفار الباقية الأخرى، والتي توجد كلها تقريبًا الآن في العهد القديم[٣]، وقُرِّر أيضًا أنه لن يعترف بأي كتاب آخر[٤]، وحدث اتفاق عام إلى حد ما على هذا القرار، وإن كان الخروج عليه استمر أيضًا. يخبرنا يوسيبياس (Eusebius) (ت/ ٣٤٠م) أن الفهرس الذي أعدَّه العلماء اليهود في المناطق الشرقية كان يختلف عن الفهرس العبراني الذي اتفق عليه مجمع جامنيا، كما أنه اختلف عن الفهرس اليوناني للمسيحيين، وهكذا

"The status of the disputed books remained in doubt for the first four centuries of the Christian era".

«ظل الشك قائمًا في أمر الكتب المختلف فيها خلال القرون الأربعة الميلادية»[٥].

ومن هنا يمكننا أن نقول: إن القرار الذي اتخذه العلماء اليهود في المجمع المذكور آنفًا لم ينتشر بين الناس بسرعة ولم يصبح قانونًا عقب اتخاذه، ولكن لا شك أن القرار هذا لعب دورًا كبيرًا في قبول هذه الكتب وشيوعها عند اليهود. والواقع أن كتبًا عديدة كانت قد

---

(١) Flavius Josephus: Antiquities of the Jews, V: 11, X: 3.

(٢) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p.576; Encyclopaedia Americana, vol. 3, p.614.

(٣) Encyclo. Brit. (1973), 3:576.

(٤) B.K.Rattey: A Short History of the Hebrews (London, 1970), p. 15.

(٥) Encyclo. Brit. (1973), 3:576.

http://kotob.has.it/

اشتهرت قبل هذا المجمع اليهودي بزمن طويل، ونالت القبول لدى الشعب والعلماء اليهود لأسباب كثيرة مثل كونها قديمة (وكان من «أدلَّة» قِدم أحد الأسفار نسبته إلى مؤلف مجهول، وذلك للرد على الاعتراض القائل: بأن السفر الذي يقدم على أنه وحي هو من تأليف فلان معلوم) وعزوها - خطأ أو صحيحًا - إلى الشخصيات البارزة القديمة (مثل نسبة الكتب الخمسة ونشيد الأنشاد إلى موسى وسليمان على التوالي)، واستخدامها في المجالس الدينية والعبادات[1] (كالتغني بالمزامير المنسوبة إلى داود في الهيكل). وكانت هذه عملية إنسانية تاريخية لا علاقة لها بالإلهام والوحي. ومجمع جامنيا انتقى أسفارًا معينة من الأسفار الكثيرة الشائعة واعترف بصحتها، ورفض أسفارًا أخرى منكرًا قداستها وصحتها.

العهد الجديد وكيفية الاعتراف بصحته :

حين اتخذ اليهود قرارات بالنسبة لكتبهم المقدسة تأثر بهم المسيحيون وتبنَّوا الكتب اليهودية بتصرفات يسيرة، وأدخلوها في كتابهم المقدس بوصفها العهد القديم (وقد تحدثنا عن تدوين العهد القديم وقصة الاعتراف بأسفاره في أول هذا الباب). وأما العهد الجديد من الكتاب المقدس المسيحي، وكيفية الاعتراف بنصوصه فأمره لا يختلف عن العهد القديم. يقول العلماء المسيحيون: كان الكتاب المسيحي المقدس في أول الأمر يتكون من العهد القديم الموجود الآن:

"There was once a time when the Christian Bible did not contain both the Old and New Testaments".

«في زمن لم يكن الكتاب المقدس المسيحي يشتمل على العهدين القديم والجديد»[2].

أي أن العهد الجديد كان معدومًا؛ ولذلك لم تكن هناك حاجة إلى تقسيم الكتاب إلى العهدين القديم والجديد.

"The earliest Christians, who were Jews, would have been surprised to learn that their Bible was incomplete".

---

(١) Bratton's History of the Bible, p.92.

(٢) Encyclo. Brit. (1973), 3:577; F.C. Grant: The Gospels, Their Origin And Growth (London, 1957), p.12.

http://kotob.has.it/

«لو عرف المسيحيون القدامى ـ الذين كانوا أصلاً من اليهود ـ أن كتابهم المقدس (لاشتماله على العهد القديم فقط) ناقص لدهشوا»[١].

ولكن حين ألفت الأناجيل (وقد مر ذكر ذلك في الفصل قبل السابق)، وبدأ الناس يدونون أقوال المسيح وأحواله في مجموعات، وتسرَّبت إلى هذه المجموعات أشياء لم تكن تعجب زعماء الكنيسة، ولا سيما

"circulation of writings that bore the names of Apostles, but did not contain apostolic teachings (as that teaching was being interpreted by the Church)".

«انتشار تلك الكتابات التي كانت تنسب إلى الرسل (الحواريين)، مع أنها لم تكن تتضمن تعاليمهم (كما فسرت الكنيسة هذه التعاليم وشرحتها)»[٢].

فأحسَّ رؤساء الكنيسة حاجة ماسَّة إلى اختيار أسفار معينة وجعْلها أساسًا للعقائد الدينية التي ارتضوها، ورفْض بقية الأسفار الشائعة بين عامة الناس. وثمة عامل آخر لعب دورًا في هذه العملية، وهو جماعة الأفراد الذين كانوا يميلون إلى الابتداع، فهؤلاء ألحوا على الكنيسة لاتخاذ كتب معينة دون أخرى. وكان مرقيون (Marcion ت/ ١٦٠م) أحد هؤلاء الأفراد، وكان يؤيد رسائل بولس وإنجيل لوقا، ويرفض بقية الأسفار الأخرى[٣]. وكانت الفرقة المونتانية تدعي أن الأفكار والاعتقادات التي تقدمها، تأتي كلها من الروح القدس[٤]. فهذه الإباحية المنتشرة في أفكار المونتانيين والمرقيونانيين واعتقاداتهم كانت تؤدي إلى فتح الباب على مصراعيه حيث يحق للكل أن يتخذ أي نصوص أساسًا للديانة، ويشرح العقائد حسب ما يرتضيه، بينما الكنيسة كانت تحاول أن لا يخرج حق الاختيار والقرار من يديها. فلذلك كان المعيار هو ملاءمة النصوص المختارة ومناسبتها لعقائد الكنيسة وعقائدها بصرف النظر عن صحة الرواية عن المسيح والدراية في هذه النصوص:

"What we have in the Gospels would then be what the Church itself was teaching and saying, ascribed to the historical Jesus".

---

(١) Encyclopaedia Americana, vol. 3, p. 650.
(٢) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p.650.
(٣) John Foster: Church History, Part 1, London, 1975, p. 56.
(٤) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p.14.

http://kotob.has.it/

«فالذي يوجد لدينا (من النصوص) في الأناجيل هو كل ما كانت تقوله الكنيسة وتعلمه ناسبة إياه إلى شخصية المسيح التاريخية»[١].

فبدلاً أن تراعي الكنيسة في اختيار النصوص الوثائق الدينية الصحيحة، راعت تلك الأفكار التي كانت تحقق أغراضها وتؤيد معتقداتها. يقول مفكر مشهور - وهو طاموس بين (Thomas Paine) - من مفكري القرنين الثامن عشر والتاسع عشر - معلقًا على هذا التفكير:

"These books ....are, we are told, the word of God. It is therefore proper for us to know who told us so, that we may know what credit to give to the report. The answer to this question is, that nobody can tell except that we tell one another so. The case, however, historically appears to be as follows: When the Church mythologists established the system, they collected all the writings they could find.... They decided by vote which of the books out of the collection they had made should be the word of God, and which should not. They rejected several, they voted others to be doubtful, such as the books called the Apocraphy; and those books, which had a majority of votes, were voted to be the word of God. Had they voted otherwise, all the people, since calling themselves Christians, had believed otherwise; for the belief of the one comes from the vote of the other. Who the people were that did all this, we know nothing of; they called themselves by the general name of the Church, and this is all we know of the matter".

«يُقال لنا: إن هذه الأسفار كلام الله، ومن هنا يجب أن نعلم من الذي أخبرنا بهذا حتى ندرك جيدًا إلى أي مدى نعتمد على هذا الخبر؟ والجواب هو أنه لا أحد يقدر على أن يخبرنا، أي لا نعلم على أي أساس نعتبر الكتاب كلام الله، إلا أن نلقن بعضنا بعضًا، والحقيقة التاريخية على أية حال تبدو كما يلي:

حينما كوّن أصحاب الأساطير للكنيسة نظامها الخاص جمعوا كل ما وجدوا من الكتابات[٢]، ثم قرروا (بالتصويت) الأسفار التي تصلح في رأيهم لتضم إلى هذه

---

(١) Encyclo. Brit. (1962), vol. 13, p. 14.

(٢) كانت هناك أناجيل كثيرة غير هذه الكتابات، مثل إنجيل برنابا، وإنجيل طوماس، وإنجيل المصريين،=

http://kotob.has.it/

المجموعة باعتبارها كلامًا إلٰهيًا. وفي هذه العملية رفضوا كثيرًا من النصوص، وشكوّا في صحة بعضها وعدوها من «الأبوكريفا». فالأسفار التي حظيت بأغلبية الأصوات أُدخلت في العهد الجديد. وإن جاءت قراراتهم ـ في اختيار النصوص ورفضها ـ مختلفة عما عليه الآن، لكنا نجد عقائد مختلفة في أواسط المسيحيين. ذلك لأن إيمان البعض (أي الشعب) يحتاج إلى تصويت الآخرين (أي أهل الكنيسة). ولا ندرك حقيقة هؤلاء الذين فعلوا كل ذلك إلا أننا نعلم أنهم تستروا وراء اسم الكنيسة العام»(١).

ولا يقصد هذا الباحث أن مجمعًا كنسيًا اجتمع في وقت معين واتخذ القرار مرّة واحدة ـ على أساس التصويت ـ عن النصوص التي تدخل في الكتاب والتي لا تدخل فيه. وإنما يريد أن يقول: إن الاعتراف بصحة النصوص الموجودة في الكتاب المقدس تمَّ على أيدي أصحاب الكنيسة في عصور مختلفة، ولم يتم على أيدي الرسل والأنبياء أنفسهم.

ومن أمثلة المجامع التي عقدت لهذا الغرض: مجمع العلماء (Synod) المنعقد سنة ٣٨٢هـ، والذي اعترف بقراراته البابا داماسوس (Damasus) والبابا جيلاسيوس (Gelasius) في القرن الخامس. ومن أمثلتها أيضًا مجمع لاوديسيا المنعقد في سنة ٣٦٣م، ومجمع هبو في سنة ٣٩٣م، ومجمع كار ثيج المنعقد سنة ٣٩٧م، ومجمع الكنيسة المنعقد سنة ٦٤٢م، والمجمع الذي عقد في فلورنس سنة ١٤٤١م، ومجمع ترنت (١٥٤٦م)، ومجمع فاتيكان الأول (١٨٧٠م)(٢).

واقتصر دور المجامع التي عقدت في العصور المتأخرة على الاعتراف بالقرارات السابقة وتأكيدها؛ ولكن العهد الجديد استغرق أربعة قرون لكي يقبل ويشيع بين الناس بوصفه كلامًا منزلاً.

وكما جاء في دائرة المعارف الأمريكية:

= وإنجيل الحواريين الاثني عشر، وإنجيل متى «الكاذب» وإنجيل مرقيون، وإنجيل بطرس، وإنجيل مريم، وإنجيل فلب، وأناجيل باسيوس وغيرها. انظر: تاريخ براتون للكتاب المقدس، ص: ١٥٠، ١٥١، ودائرة المعارف الأمريكية، ج: ١٣، ص: ٧٠، ٧١.

(١) Thomas Paine: The Age of Reason (Paris And London, 1794), pp. 10-11.

(٢) Encyclo. Brit. (1973), 3:578; Maurice Bucaille: op. cit., p.23; F.G. Bratton: op. cit., p. 152.

http://kotob.has.it/

"The complete New Testament as we have it today, was not fully developed until the 4th century".

«العهد الجديد الكامل في صورته التي نجده عليها الآن لم يكن قد نشأ نشأة كاملة حتى القرن الرابع»[١].

نعم إن الأناجيل الأربعة كانت قد أصبحت جزءًا للعهد الجديد قبل هذا العصر المذكور؛ ولكن هذا العمل أيضًا لم يتم قبل الربع الأخير من القرن الثاني[٢].

وكانت هناك كتب معينة انتشرت في بعض المناطق وبين بعض الطبقات حتى نهاية القرن الثاني. فإنجيل متى مثلاً تداول في منطقة الشام، وانتشر إنجيل لوقا في اليونان، وإنجيل مرقس حظي بالقبول في بلاد الروم[٣].

هذا، وكانت الكنائس الرومانية والليبانسية والكارشيجية وكنيسة الإسكندرية مراكز دينية قوية، تستعمل فيها إنجيلاً أو كتابًا دينيًا معينًا للعبادة والمواعظ[٤]. وبمرور الزمن بدأ أصحاب الكنيسة يُعِدون فهارس جامعة لهذه الكتب والأسفار، ومنها فهرس أعدَّه أسقف الإسكندرية إثناسيوس (Athanasius) ـ والذي كان من دعاة ألوهية المسيح ـ ونشره[٥] سنة ٣٦٧م.

فحين أخذت هذه الفهارس تحظى بتأييد الكنائس الكبرى بدأت الكنائس الصغرى تقلدها أيضًا:

"The example of the 'great churches' was followed by all the churches".

«تبعت الكنائس بأجمعها المثال الذي قدمته الكنائس الكبيرة»[٦].

و «الكنائس الكبرى» لم تتخذ منهجًا موضوعيًا في اختيار الكتب المقدسة، كما أنها لم تجعل الوحي معيارًا لمعتقداتها، بل على العكس من ذلك أقحموا في العهد الجديد تلك الأسفار والقصص التي كانت تحمل في ثناياها العقائد المنتشرة بين الشعب، والتي كانت

---

(١) Encyclopaedia Americana, vol. 3, p.651.
(٢) Maurice Bucaille: op. cit., p.90.
(٣) Daniel-Rops: op. cit., p.28.
(٤) دائرة المعارف البريطانية: الموضع السابق، براتون: نفس المرجع.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) Irene Allen: op. cit., p. 135.

http://kotob.has.it/

تحقق أغراض أهل الكنيسة. ولذلك يقول هربرت مولر (Herbert Muller) :

"The New Testament was the product of the early churches, not their basis".

«العهد الجديد نتاج لجهود الكنائس الأولى ولم يكن أساسًا لها»(١).

وكما قال طاموس بين: لقد اعترف بصحة الكتب والأسفار التي أعجبت رؤساء الكنيسة، فَضُمت إلى العهد الجديد، وأما الكتب الأخرى فلم تعترف بصحتها؛ والغريب أن مقياس الإعجاب والاستحسان يتغير لدى أصحاب الكنيسة وإلا :

"Why all the books cited as genuine by Clement of Alexandria, Origen and Tertullian and the rest of such writers should not be accounted equally authentic?".

«فما السبب في أن الأسفار والنصوص التي اعتبرها كلٌّ من كليمنت الإسكندري وأوريجان وطرطليون وغيرهم من المؤلفين الآخرين صحيحة لم تعتبر نصوصًا دينية تحظى بنفس الدرجة من القبول ؟»(٢).

وهكذا يقال عن ذلك الفهرس الأقدم لأسفار العهد الجديد، والذي نشر سنة ١٧٤٠م عن مخطوط ينتمي إلى القرن الثامن، ويعرف بالنسخة الموراطورينية، فقيل: إنه كان معترفًا به حوالي سنة ١٧٠م. ولكن هذا الفهرس يخلو من خمس وثائق يتضمنها العهد الجديد المتداول الآن. وأقصى ما يتضح - إلى جانب ما سبق - هو أن رؤساء الكنيسة كانوا قد اتفقوا إلى حد ما على النصوص والكتب الدينية المعترف بها، وإن كانت الخلافات استمرت إلى القرن الرابع ولم تنته تمامًا(٣).

وقد قدم رؤساء الكنيسة الذين لعبوا دورًا كبيرًا في تحديد النصوص المقدسة وتقريرها أنفسهم على أنهم ملهمون. وترسّخ هذا التصور لدى أتباعهم اللاحقين الذين قبلوا هذه القرارات وتمسكوا بها، بدعوى أن السابقين «اتخذوا القرارات بتوجيه الروح القدس»(٤).

---

(١) Herbert Muller: op. cit., p. 149.

(٢) John Toland: The Nazarenes, p. 75.

(٣) Encyclopaedia Americana, vol. 3, p.651; W. Barclay: Gospel of John (Edinburgh, 1963), p. xxxvii وقاموس الكتاب ص: ٨٩٨.

(٤) In Search of Historic Jesus, by Roddy And Sellier, p.12.

http://kotob.has.it/

والعجيب أن علماء اليهود أيضًا حين أخرجوا بعض الكتب من العهد القديم، واعتبروها من الأبوكريفا أي المنحول أو غير موثوق بها، ادَّعوا أنهم يفعلون ذلك بتوجيه «الروح القدس»؛ وحينما اختار الآباء الكاثوليك بعض أجزاء «الأبوكريفا» في مجامعهم ادَّعوا أن ذلك كان بتوجيه الروح القدس؛ وعندما ردَّ المسيحيون البروتستانت أسفار «الأبوكريفا» جميعًا فعلوا هذا باسم إلهام الروح القدس وتوجيهه؛ وظلت الكنيسة الآشورية تنكر رسائل بولس إلى جانب جميع الرسائل المقدَّسة زمنًا طويلاً وذلك أيضًا باسم إلهام[1] الروح!!

وهكذا كانت كل جماعة تدَّعي أن الكتاب الذي دوَّنته هو الكلام الإلٰهي، وهو الأكثر ثقة وسندًا، رغم أن هناك بُعد المشرقين بين عدد كبير من الأسفار والكتب. فهل الروح القدس أيضًا ثلاثة (كتصور الألوهية عند المسيحيين)، أو أكثر؟ فكل من الكاثوليكيين والبروتستانت وأصحاب حركة الإصلاح وأهل الكنيسة الشرقية يتبعون بطرق مختلفة مختارات من نصوص الكتب المسيحية المقدسة. ولو سار كل من هؤلاء على هدي الروح القدس لما أخرج بعض فرق البروتستانت (أتباع كالوين) رسالة بولس إلى العبرانيين ورؤيا يوحنا من الكتاب المقدس، رغم أنها جزء لا يتجزأ لدى كثير من المسيحيين الآخرين. ولو كان كل منهم تمتع بهدي الروح القدس لما سمى مارتن لوثر رسالة يعقوب (وهي جزء من الكتاب المقدس المتداول عند كل من البروتستانت والكاثوليكيين) بيت القش[2] (Epistle of Straws).

ولنا أن نستنتج، والحالة هذه، أن انتشار أسفار معينة في منطقة، واختيار الهيكل أو الكنيسة البارزة نصوصًا دينية كان من العوامل الرئيسة في الاعتراف بصحة الكتب والنصوص الموجودة في العهدين القديم والجديد.

فكما أن الإلهام ليس له دخل في تكوين هذه الكتب (أو كان تكوينها نتيجة المزج بين الإلهام والمحاولات الإنسانية)، كذلك بالنسبة لانتشارها وشيوعها بين الناس، فلم يكن الإلهام سببًا لرواجها بين الشعب، بل كان ذلك بجهود إنسانية تمثلت في قرارات الكنيسة. ولو كانت هذه القرارات تتمتع بالهداية الإلٰهية لما استمرت الخلافات والمنازعات الشديدة في هذه القضية بين الكنائس المختلفة:

---

(١) ولمزيد من التفاصيل انظر: بحث «الأبوكريفا» في بداية هذا الباب. Ibid., p. 12; F.G. Bratton: op. cit., pp. 152-153

(٢) F.G.Bratton: op. cit., p.153.

http://kotob.has.it/

"The formation of the canon was a purely human process and historical growth, in which all the churches differed for several centuries regarding the authentic list of books".

«كان تكوين لائحة الأسفار المعترف بصحتها وتدوينها عملية إنسانية خالصة، مرّت بالتطور التاريخي الذي شهد اختلاف جميع الكنائس فيما بينها لقرون عديدة من أجل الوصول إلى قائمة الأسفار الموثوق بها»(١).

فالنسخة السريانية المتداولة في القرن الثاني الميلادي ـ كما سبق ذكرها ـ والنسخ المتداولة عند آباء الكنيسة أمثال يوسبيوس (Eusabius) في القرن الرابع كانت خالية من بعض رسائل كل من يوحنا وبطرس ويعقوب، وهي تعد الآن من محتويات الكتاب المقدس(٢).

٤ ـ النسخ القديمة للكتاب المقدس :

اتضح من المناقشة السابقة أن بعض أسفار الكتاب المقدس عارية تمامًا عن الإلهام، وبعضها الآخر مزيج من الكلام الإنساني والكلام الإلهي. وبقي أن ندرس قضية أخرى وهي: إلى أي مدى يمكن الاعتماد على الكتاب المقدس بوصفه مؤلفًا إنسانيًا عامًا؟ وتقتضي دراسة هذه القضية أن نستعرض النسخ القديمة للكتاب المقدس، ونرى إلى أي عصر تنتمي هذه النسخ؟ وإلى أي حد اعتمدت عليها النسخ المتداولة؟

تبين من التفاصيل السابقة أن العهدين القديم والجديد أُلِّفا خلال مئات السنين، وفي عصور مختلفة؛ ولذلك يستحيل العثور على نسخة أصلية (النسخة الملهمة المزعومة أو التي دونت في عصر صاحبها) لكل سفر من أسفارهما. ولكن الأمر الذي يُدهش الباحثين هو أنه لا توجد نسخة أصلية كاملة لجزء واحد من العهدين، قال عنها أصحاب الكنيسة أو علماء اليهود أو مجامعهم: إنها نسخة «أصلية وموثوق بها». ويصر العلماء المسيحيون على قدم بعض نسخه لإثبات أصلية نصوص الكتاب المقدس، ونرى من اللازم أن نفصل القول في هذه القضية أيضًا.

أما ما يتعلق بوجود النسخة الأصلية أو المسطرة بيد المؤلف أو أحد أسفاره فإنه لا يمكن

(١) Ibid., p. 234.

(٢) Dummelow's Commentary, p. xiv.

http://kotob.has.it/

إنكار الحقيقة القائلة بأنه:

"None of the autographs of the Bible is extant".

«لاتوجد نسخة للكتاب المقدس ألفه المؤلف نفسه (أو ألفت في عصر المؤلف)»[١].

وفيما يلي استعراض موجز لأهم النسخ القديمة للكتاب المقدس وأشهرها:

(١) المخطوط السينائي (Codex Sinaiticus):

عثر على هذا المخطوط في جبل سيناء عام ١٨٤٤م، وهو يرجع في أغلب الظن إلى القرن الرابع؛ ومعظم أوراقه تحتوي على نصوص للعهد القديم. ولكنه ناقص كما أنه يتضمن بعض أسفار العهد الجديد التي لا تعد الآن من نصوص الكتاب، مثل رسالة برنابا وراعي هرموس. ويشار إلى هذا المخطوط بالعلامة «الفا» ويوجد في المتحف البريطاني.

(٢) المخطوط الإسكندري (Codex Alexandrinus):

يشار إليه بالعلامة «أ» (A)، ويوجد أيضًا في المتحف البريطاني. ويرجع إلى القرن الخامس. ولا نعلم على وجه اليقين أين ظل مخطوطًا من القرن الخامس إلى القرن السابع عشر. وهو مخطوط ناقص، ومعظم أوراقه تشتمل على العهد القديم، كما توجد فيه كتابات من العهد الجديد، أُخرج معظمها من الكتاب المقدس فيما بعد، مثل رسائل كليمنت. ويشتمل هذا المخطوط على (أجزاء ناقصة أيضًا) لإنجيلي متى ويوحنا ورسائل بولس إلى كورنثوس.

(٣) المخطوط الفاتيكاني (Codex Vaticanus): يوجد في مكتبة البابا بالفاتيكان، ويشار إليه بالعلامة «ب» (B). ويحتوي على العهد القديم الناقص جدًا (يوجد فيه بعض أجزاء سفر التكوين وسفر المزامير). يرجع إلى القرن الرابع. كشف عن هذا المخطوط في سنة ١٤٨١م، ولا نعلم شيئًا عن المراحل التي مرَّ بها منذ كتابته إلى وقت اكتشافه.

(٤) المخطوط الإفرائيمي (Codex Ephraemi Syri Rescriptus):

يشار إليه بالعلامة «ج»، ويوجد في المكتبة الوطنية بباريس. دوّن هذا المخطوط في القرن الخامس، ويشتمل على بعض أجزاء العهدين القديم والجديد. وفي القرن الثالث

---

(١) Funk And Wagnall's Encyclopaedia, vol. 4, p.1300; A.M.Hunter: Introducing The New Testament (London, 1976), p.12.

http://kotob.has.it/

عشر مُسِحَت العبارات المكتوبة عليه، وكتبت بدلاً منها قصة لشخص اسمه إفرائيم السرياني. وهناك محاولات الآن لقراءة النصوص الأصلية الموجودة تحت هذه القصة بطرق شتى.

(٥) المخطوط البيزائي (Codex Bezae):

يشار إليه بالعلامة «د» (D)، ويوجد في جامعة كيمبرج، وينسب إلى القرن الخامس. ظل هذا المخطوط من القرن الخامس إلى القرن السادس عشر في أيد مجهولة. وأهميته تكمن في أنه يلقي ضوءًا على معرفة متون الأناجيل وأعمال الرسل[١].

يتضح من العرض الموجز السابق للمخطوطات القديمة للكتاب المقدس أنه:

أ) لا يوجد مخطوط أقدم من القرن الرابع.

ب) لا يوجد مخطوط يشتمل على العهد الجديد بأكمله، أو على العهد القديم بأكمله.

جـ) لا يوجد مخطوط باللغة الأصلية (العبرانية أو الآرامية) التي نزل بها الكلام الإلٰهي. (هناك مخطوطات ناقصة بالعبرانية ولكنها متأخرة جدًا). وثمة مخطوط أقدم من هذه المخطوطات المذكورة آنفًا ولكنه لا يستحق أن يسمى مخطوطًا للكتاب المقدس؛ ذلك لأنه يشتمل على جزء صغير من إنجيل يوحنا. وينسب هذا المخطوط إلى القرن الثاني، وبعض أجزائه تنسب إلى القرن الثالث أيضًا ولكنها ناقصة كذلك[٢].

مخطوطات البحر الميت:

اكتشفت في السنوات ١٩٤٧م ـ ١٩٥٣م مخطوطات من البحر الميت، واشتهرت بهذا الاسم كذلك. وبدأ العالم المسيحي يأمل في العثور على مخطوط كامل قديم للكتاب المقدس دون جدوى. ولا يزال الأمل يحدوهم إلى الآن لتقديم هذا المخطوط الكامل إلى العالم المسيحي وغير المسيحي بكل فخر وغرور، إلا أن حقيقة هذه المخطوطات تتلخص في أنها:

(أ) تقدم أسفار العهد القديم وكتبه فقط دون العهد الجديد.

(ب) ليست قديمة بالنسبة للعهد القديم رغم أنها أقدم من المخطوطات المذكورة آنفًا،

---

(١) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p.579; Encyclopaedia Americana, vol. 3, p.652; A.M.Hunter: op. cit., p.13.

(٢) Encyclopaedia Americana, vol. 3, p.655.

http://kotob.has.it/

فهي ترجع إلى سنوات ١٠٠ ق. م ـ ١٠٠ م

(جـ) كما أنها لا تشتمل على جميع أجزاء لجميع أسفار العهد القديم.

(د) لم يصرح لأحد بإجراء موازنات ومقارنات هذه المخطوطات مع نصوص العهد القديم التي لم تنشر بأكملها[١].

(هـ) نفهم من الجزء المنشور من محتويات هذه المخطوطات أنها إن اتفقت مع النسخ المتداولة في بعض الأماكن فإنها تختلف عنها في أماكن أخرى كثيرة. ومثال ذلك قصة إبراهيم وزوجه سارة مع فرعون مصر الذي طلبها في قصره. فهذه المخطوطات مليئة بالتفاصيل الغريبة والفاحشة عن هذه القصة لدرجة أنها ذكرت وصف بشرة سارة وأنفها ويديها وعضديها وفخذيها وثدييها[٢]. ولذلك لا تلائم هذه المخطوطات أن تكون برهانًا على أقدمية الكتاب المقدس وصدقه، بل العكس فإنها تثير الشك فيه أكثر وأكثر، وبالتالي تثبت التحريف الذي حدث فيه.

نشر الدكتور هيوشون فيلد (Hugh Schonfield) ـ أحد الباحثين العاملين في مجال مخطوطات البحر الميت ـ كتابًا باسم «العهد الجديد الأصلي»، وردَّ فيه كثيرًا من النصوص الموجودة في الكتاب المقدس المتداول. ومعظم هذه النصوص تعتبر أسسًا متينة للعقائد المسيحية الشائعة[٣].

٥ ـ المخطوطات القديمة والكتاب المقدس المتداول: خلافات وتعارضات :

لا تكفي مخطوطات البحر الميت والمخطوطات الأخرى لإثبات الإلهام والصدق في الكتاب المقدس؛ ذلك لأن نصوص الكتاب المقدس (العهد القديم) المتداولة الآن تنتمي إلى القرون الأربعة (القرن السادس ـ القرن العاشر)، وهذه النصوص تسمى نصوص مسوراتية. والعلماء المسوراتيون[٤] من اليهود الذين كانوا متحمسين في حفظ نصوص العهد القديم وخدمتها[٥].

---

(١) قاموس الكتاب ص: ٢٨، ٢٩، ١٢٧، ١٤٠. Concise Oxford Dictionary of the Church, pp. 144-145.

(٢) T.H.Gaster: The Dead Sea Scriptures in English Translation (New York, 1964), pp. 259,260 (cf. Gen. 12:10-20).

(٣) The Daily "Today", London, March, 28, 1986, pp. 14-15.

(٤) مسورة تعني في العبرانية: الرواية، ومسوراتي: الراوي. انظر: قاموس الكتاب ص: ٩١١.

(٥) قاموس الكتاب الصفحة السابقة الذكر.

Concise Oxford Dictionary of the Church, p.326; Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p. 577.

http://kotob.has.it/

والجدير بالذكر أن الخط المستعمل في متون هذه النصوص ليس هو الخط نفسه الذي كتب به العهد القديم والذي (بصرف النظر عن الخلافات في العصور المختلفة) اتخذه العلماء اليهود والمسيحيون في مجامعهم أساسًا لتوثيق المتون.

لم تكن توجد حروف العلة في المتون العبرانية الأصلية القديمة (اللغة العبرانية خالية من حروف العلة)، كما أنها كانت خالية عن ظاهرة الإعراب. وبالإضافة إلى ذلك كانت الكلمات (الكلمات دون الحروف) في هذه المتون مربوطة بعضها مع بعض في سلسلة طويلة من الجمل، وهي ميزة من ميزات العبرانية.

فأضاف العلماء المسوراتيون (الذين لا نعلم عن أحوالهم شيئًا كما لا نعلم شيئًا عن مؤلفي المتون القديمة للعهد القديم) حروف العلة وظاهرة الإعراب، وفصلوا بين الكلمات، ومن هنا بدأت عبارات هؤلاء تختلف عن عبارات النصوص القديمة في مستوى الدلالة بالإضافة إلى التغيرات الأخرى التي أقحمت عمدًا.

وكما جاء في دائرة المعارف البريطانية:

"It is obvious that the text has been tampered with in some places".

«التصرف في أماكن كثيرة من النصوص أمر واضح»[١].

والمصدر الثاني الذي تعتمد عليه النسخ المتداولة الحاضرة هو نصوص الترجمة السبعونية[٢]. والعلماء الذين قاموا بهذه الترجمة فصلوا أيضًا بين الكلمات، وأضافوا إلى المتن ظاهرتي الإعراب والترقيم، وهكذا

"In other passages, they simply had another text before them".

«جاء النص في فقرات عديدة من الكتاب مختلفًا تمامًا (عن المتن المسوراتي)»[٣].

وقد أخفقت مخطوطات البحر الميت أيضًا في إزالة الفروق والخلافات بين المتون المسوراتية والمتون السبعونية؛ ذلك لأنها تؤيد نصوص المتن المسوراتي أحيانًا، وفي أحايين أخرى تتفق مع نصوص الترجمة السبعونية[٤].

---

(١) قاموس الكتاب ص ٦٥، ٩٩١. Encyclo. Brit. (1973), 3:577.

(٢) انظر للتفصيل عن ترجمة «السبعونية»: الفصل «العهد القديم»، في بداية هذا الباب.

(٣) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p.577.

(٤) Ibid.

http://kotob.has.it/

ثمة خلافات أخرى كثيرة وفي أماكن عديدة ـ بصرف النظر عن الخلافات الناشئة عن المتون الموجودة في النصوص المسوراتية والترجمة السبعونية ـ فيما بين المخطوطات القديمة من ناحية، وفيما بين المخطوطات القديمة والنسخ المتداولة للكتاب المقدس من ناحية أخرى. تقول دائرة المعارف الأمريكية:

"(There are) abundant variations and disagreements between manuscripts".

«هناك خلافات وفروق عديدة بين النسخ القديمة للمخطوطات»[(١)].

وفي سنة (١٧٠٧م) عدَّ جون ميل الخلافات الموجودة في العهد الجديد فقط، فوجدها ثلاثين ألفًا[(٢)]. ولكن البحوث والإحصائيات المتأخرة أثبتت أن عددها يقرب إلى مائتين وخمسين ألفًا ٢٥٠,٠٠٠[(٣)]. ويحاول بعض المدافعين عن المسيحية تقليل أهمية هذا العدد الضخم قائلين:

"They do not amount to an eightieth part of the total, and the substantial variants are barely a thousandth part".

«هذه (التعارضات) لا تكون إلا واحدًا على ثمانين؛ ونسبة الاختلافات المهمة هي واحد على ألف فقط»[(٤)].

فإذا مخطوطات الكتاب الأساسية (والتي ألفت بعد مئات السنين من عصر المتون الأصلية) تتعارض فيما بينها، وتختلف عن النسخ المتداولة لدرجة أنه يوجد بين كل ثمانين كلمة لفظ مغاير، ويوجد بين كل ألف كلمة لفظ مخالف تمامًا، ويصل مجموعها إلى الآلاف وآلاف الآلاف، فنتساءل هل يعقل أن يعتبر هذا الكتاب كلامًا إلٰهيًا منزلاً من الله؟ وإلى أي مدى يصح أن يخبأ كل ذلك وراء الإحصائيات والأعداد؟ وقد اعترفت دائرة المعارف البريطانية بوجود

"Thousands of variations in the existing manuscripts and versions".

«آلاف من التعارضات والفروق بين الوثائق والمخطوطات المتداولة»[(٥)].

---

(١) Encyclo. Americana, vol. 3, p.656; George Milligan: The New Testament And Its Transmission, (London & Glasgow, 1932), pp. 3,108.

(٢) Ibid.

(٣) Daniel-Rops: op. cit., p.32.

(٤) Ibid.

(٥) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p.578.

http://kotob.has.it/

وفصلت بين الخلافات المهمة وغير المهمة:

"Some of these variations, to be sure, are inconsequential....other variations, however, affect the meaning of the entire passage or verse".

«بعض الاختلافات غير مهمة دون شك، ولكن بعضها الآخر يغير معنى الفقرة أو الآية بأكملها»[١].

فليس للمسيحيين إلا الاعتراف ـ رغم أنوفهم ـ بكثرة هذه التناقضات وتنوعها المحير[٢].

ولا يتسع المكان هنا لتقديم نماذج أكثر لهذه الاختلافات والتناقضات. ويمكن للقراء أن يراجعوا أي نسخة من الكتاب المقدس الذي يشير إلى الوثائق والمصادر والمخطوطات التي يعتمد عليها. وسوف يجدون في الهوامش الإشارة إلى المتون المختلفة التي تخبرنا بكثرة الخلافات والتناقضات حيث ترد مثل العبارات التالية:

ـ وردت في المخطوط الآخر الموثوق به...

ـ حذفت من النسخ القديمة الموثوق بها...

ـ أضافت الوثائق القديمة الأخرى الموثوق بها.

فإنجيل متى على سبيل المثال يقول: حينما أمر الملك الروماني بيلاطس بإعدام المسيح قال: «إني بريء من دم هذا البشر البار»؛ وجاء في الهامش أن بعض الوثائق والمخطوطات حذفت كلمة «البار»، وفي بعضها الآخر حذفت «البشر البار»[٣].

وترجمت هذه الآية في الكتاب المقدس البروتستانتي بما يلي:

«إني بريء من دم هذا البار»[٤]. (وبحذف كلمة البشر حصل التحريف، ومهّد هذا الطريق إلى ألوهية المسيح بدلاً من بشريته وعبوديته). وبعد ذكر الصلب المزعوم يأتي ذكر سيادة الظلمة على «البلد كله» حسب إحدى الروايات، وفي رواية أخرى «على كل الأرض»[٥]. وهناك ملحوظة على الآية رقم ٤٩ من الإصحاح نفسه لإنجيل متى، وتقول هذه الملحوظة

---

(١) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p. 578.

(٢) G.A.Buttrick, etc. (editors): The Interpreter's Bible, New York, 1952, vol. 1, p. 78.

(٣) Catholic Bible (RSV), New Testament, p. 30 (Matth. 27:24).

(٤) متى: الصفحة السابقة الذكر (الكتاب المقدس نشر جمعية الكتاب المقدس لاهور، ١٩٨٥م، العهد الجديد ص: ٣٢).

(٥) متى ٢٧: ٤٥،٢٧: ٥٤. وانظر هذه الآيات في الكتاب المقدس الكاثوليكي.

http://kotob.has.it/

عن عبارة ـ وفيها خمس عشرة كلمة ـ كانت موجودة في بعض الوثائق القديمة ولكنها حذفت الآن من النسخ المتداولة العامة. وتقول الآية رقم ٥٤ من نفس الإصحاح: إن بعض الناس قالوا، بعد أن رأوا الزلزال والعلامات العجيبة الأخرى: «حقًّا كان هذا ابن الله»، وجاء في التعليق على هذه الآية أن في بعض المخطوطات وردت كلمة ابن فقط بدلا من ابن الله[١] (ويمكن أن تكون هذه الكلمات الأخيرة في البداية تعنى «الخادم» أو «عبدالله» ثم تحولت بسبب الترجمات العديدة المتنوعة إلى «الابن» ثم إلى «ابن الله». انظر: الباب الخامس الهوامش رقم ٥-٨ ص١١٥).

هذه الأمثلة أخذت من إصحاح واحد لإنجيل، بل من صفحة واحدة من آلاف الصفحات للكتاب المقدس الذي يحفل بعدد لا يحصى من هذه الأمثلة، الأمر الذي يجعل هذا الموضوع مستقلاً يمكن أن يؤلف عنه كتاب ضخم.

فلا تقلل النسخ القديمة للكتاب المقدس ومخطوطات البحر الميت نسبة الخلافات والتناقضات المتوافرة في النسخ الحاضرة، بل تزيدها في بعض الأحوال، كما أنها تبرز التناقضات بين النسخ الحاضرة والمخطوطات التي تنسب إلى عصر قريب. وقد رأينا في الأمثلة التي ذكرناها آنفًا أن بعض طبعات الكتاب المقدس تهتم بتوضيح اختلافات المتن في هوامشها، وكذلك نرى أن بعض الطبعات الحديثة تهتم برصد آيات وعبارات بين الأقواس المربعة، ولكن بعضها يُحذف في الطبعات التالية. والواقع أن العبارات الواردة في الأقواس المربعة تظل تمر بعملية «الفحص والتمحيص» في ضوء المخطوطات القديمة؛ فإذا رأى مدونو الطبعة التالية أنها لا تطابق الوثائق القديمة أخرجوها منها. تعبر دائرة المعارف البريطانية عن هذه الحقيقة بالأسلوب التالي:

> "When almost any reader examines a new translation of the Bible, he discovers that some well-known passages are missing from it".
>
> «حين يطالع أحد القراء الترجمة الجديدة للكتاب يكتشف أنها خالية من العديد من الفقرات المعروفة»[٢].

فأحيانًا تحذف تلك العبارات المغايرة المأخوذة من المخطوطات القديمة من الطبعات

---

(١) الكتاب المقدس الكاثوليكي، ص: ٣٠ .

(٢) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p.575.

http://kotob.has.it/

الحديثة، وفي أحايين أخرى يحدث التغيير الواضح في دلالاتها ومعانيها. فإحدى الآيات مثلاً من الإصحاح الثاني لإنجيل لوقا وردت في النسخ التي تنتمي إلى عصر قريب كما يلي:

"Glory to God in the highest, and on earth peace, good will toward men".

«المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرَّة».

الترجمة الأردية المعاصرة لهذه العبارة لم تبتعد عن المعنى الأساسي الموجود فيها، ولكن الترجمات الإنجليزية والأردية الحديثة تحمل تغييرًا دلاليًا حيث تقول:

"Glory be to God in the highest, and on earth peace among men with whom He is pleased".

«يكون المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام بين الناس الذين هو راض عنهم»(١).

فثمة فرق واضح في الدلالة بين «بالناس المسرَّة» وبين «الناس الذين هو راض عنهم». والغريب أن الترجمة المتغيرة أو العبارة الواردة في الأقواس المربعة (والتي تحذف في الطبعات التالية) متى وجدت في الكتاب تعتبر «من الروح القدس»، وبالتالي كلامًا منزلاً من الله؛ وحين يحدث الحذف أو التغيير في العبارة نفسها تصبح العبارة الجديدة وحيًا منزلاً. وكذلك جميع الفروق المهمة وغير المهمة في المتون المختلفة تعتبر شيئًا ملهمًا مهما يوجد من تباين وتناقض فيما بينها في مستوى اللفظ والمعنى!

كما أن الحالة لا تختلف بالنسبة لأسفار «الأبوكريفا»؛ فالذين يعتبرونها وحيًا يدَّعون توجيه الروح القدس والإلهام في ذلك، والذين ينكرونها يدَّعون أيضًا أن الإله منعهم من اعتبارها كلامًا ووحيًا منزلاً من السماء!! وكذلك الحال في المخطوط السرياني؛ فإن اعترفنا بصحته وكونه وحيًا نضطر إلى ترك أجزاء عديدة من الكتاب المقدس المتداول الآن، وإن اعترفنا بالكتاب المتداول يصبح المخطوط السرياني لا يوثق به [انظر الهامش رقم ٢ ص١٧٤ من هذا الباب].

---

(١) لوقا ٢: ١٤ . وانظر الترجمات الإنجليزية والأردية في المراجع التالية:

King James' Version, Gideons International, 1961, p. 906; Catholic Bible (RSV), 1996 (New Testament) p. 54.

الكتاب المقدس الأردي المرجعي (العهد الجديد)، جمعية بنارس للترجمة، ١٨٧٧م، ص: ٧٥.

الكتاب المقدس الأردي ـ جمعية الكتاب لاهور، ١٩٨٥م (العهد الجديد)، ص: ٥٤ .

http://kotob.has.it/

فماذا يكون أغرب من أن يتخذ الكلام المؤلف على أيدي أناس مجهولين أو الكلام الذي هو مزيج من الوحي والكلام الإنساني، والمعترف بصحته من قبل أناس مجهولين، رغم وفرة التعارضات والتناقضات في المتن والدلالة، أن يتخذ هذا الكلام وحيًا منزلاً من السماء! ألا تدل هذه الظاهرة على أزمة عقلية وميوعة في الفكر ؟

والعجب كل العجب أن آباء المسيحية وأتباعهم مازالوا يصرون إصرارًا على أن الكتاب المقدس كلام إلٰهي ويقولون عنه: «إن أسفار الكتاب المقدس وكتبه ألفت بإلهام من الإلٰه الذي حفظها وصانها من التحريف في جميع الأزمنة»[١]. رغم أن الحقيقة أصبحت أوضح من الشمس تعلن بلسان الحال والمقال أن التحريفات الإنسانية الكثيرة ووجود القصص السخيفة والخلافات المتعددة في المتن والترجمات ووجود التناقضات والتعارضات لا تجعل الكتاب المقدس كلامًا إلٰهيًا منزلاً.

وهذا الإصرار والإلحاح غير المعقول جعل أغلبية المثقفين المسيحيين يشعرون بالكراهية للديانات الأخرى بالإضافة إلى كراهيتهم للمسيحية نفسها؛ فهم مسيحيون لأنهم ولدوا بين أسر مسيحية، ولا يؤمنون بتعاليم الكتاب المقدس؛ وحين يعبرون عن عقائدهم يستخدمون عبارات مثل:

> "When we say that the Bible is the word of God, we do not refer to every constituent verse or passage. It is, rather, that we find God in it and behind it.... We cannot say that the Bible is literally inspired... The Bible is not far from contradictions and errors, and is by no means of equal religious value throughout".

> «حينما نقول: إن الكتاب المقدس كلام الله، لا نعني بذلك أن كل آية أو فقرة (كلام الله)، بل إننا نقصد أننا نجد الإلٰه فيه ووراءه. . . . ولا نستطيع أن ندَّعي أن كل كلمة في الكتاب ملهمة. . . (والحق) أن الكتاب لا يخلو عن التناقضات والأخطاء كما أن قيمته الدينية غير متساوية في جميع إصحاحاتها وآياتها»[٢].

فرغم الاعتراف بعدم كون كل آية الكتاب المقدس وحيًا وعدم خلوه عن التناقضات

---

(١) انظر: الهامش رقم ٣، ٤ ص: ١٧٥ و ١، ٢ ص: ١٧٦ وما يتعلق به.
(٢) Stanely Cook: Introduction to the Bible, pp. 192-193.

http://kotob.has.it/

والأخطاء وعدم تساويه في القيمة الدينية، فرغم كل ذلك إذا استطاع أحد العثور على الإلٰه «في الكتاب وورائه» فإن هذا يكون قمة الكمال!! وتعترف دائرة المعارف الكاثوليكية بهذه الحقيقة قائلة:

"Many Bible statements are simply not true".

«أقوال الكتاب الكثيرة ليست صحيحة دون شك».

ولكن الغريب أن دائرة المعارف تصر مع ذلك على أنه «ملهم أساسًا»(١). ومثل هذا الرأي المضحك والمتعارض نجده في مقدمة كتاب «تفسير دوملو» حيث يقول:

"The text of the Bible was preserved by human hands, under human limitation, but the hand of God was is in it, too".

«حفظت نصوص الكتاب المقدس على أيدي البشر وفي حدود الإمكانيات البشرية، ولكن يد الله أيضًا كانت موجودة في هذا»(٢).

فالأخطاء العديدة والتناقضات الوفيرة ترغم الباحثين على الاعتراف بوجود الجهود والأيدي الإنسانية في صياغة الكتاب المقدس، ولكن الخوف من الشعب واعتقاداتهم تجبرهم أن يقولوا: إن «يد الله» أيضًا لها دخل فيه.

ولكن المسيحيين «الأصوليين» لا يقبلون التفكير الذي يتبنَّاه المسيحيون المثقفون الذين يقولون بالتردد والتذبذب في أمر الكتاب. فالأصوليون يعدونهم من الملحدين والزنادقة ويريحون أنفسهم بذلك. ولكنهم في الحقيقة لا يجدون من البراهين والأدلة ما يسعفهم في الرد على الاعتراضات الواردة من قبل الملحدين والزنادقة (المسيحيين المثقفين)، كما أنهم لا يملكون كتابًا كالقرآن الكريم الذي يقول:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٣).

وأما بالنسبة للكتاب المقدس المتداول لدى المسيحيين فإنه لا أحد ممن يتمتعون بالفكر السليم والضمير اليقظ يسلم بهذه الادعاءات القائلة بأن كل كلمة وكل حرف فيه ملهم وموجه

(١) New Catholic Encyclopaedia, vol. 2, p. 384.

(٢) Dummelow's Commentary, p. xiv.

وثمة قول عجيب آخر وهو أن الكتاب لا يروي التاريخ الصحيح ولكنه ملهم!! انظر:

The Making And Meaning of the Bible, by George Barclay, p. 29.

(٣) القرآن الكريم ٤١: ٤٢.

http://kotob.has.it/

من الروح القدس . والأساقفة أنفسهم في شك لدرجة أن استبيانًا أرسل قبل سنوات إلى عشرة آلاف أسقف، تضمن السؤال الآتي بين أسئلته: «هل تؤمن بأن الكتاب كلام الله المنزل ؟» فأجاب اثنان وثمانون في المائة من أساقفة الفرقة الميثودستية وواحد وثمانون في المائة من أساقفة الفرقة البريسبترينية وسبعة وخمسون في المائة من الفرقة المعمدانية بالنفي(١) .

---

(١) The 'Awake' Magazine (Watch Tower Society), August 2,1979.

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب الثامن

تناقضات الكتاب المقدس وتحريفاته

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب الثامن

تناقضات الكتاب المقدس وتحريفاته

يشير القرآن الكريم إلى أن اليهود والنصارى غيّروا الوحي الإلهي وكتموه وزيفوه وأقحموا فيه كلامًا من عندهم[(١)]. وبين لنا القرآن الكريم المقياس الذي تقاس به صحة الوحي الإلهي، فوفق هذا المقياس يكون الكتاب المنزل من الله سبحانه وتعالى خاليًا من التعارض والتناقض[(٢)]. وفي ضوء هذه الآيات القرآنية سنستعرض نصوص الكتاب المقدس، وينبغي قبل ذلك أن نوضح موقف القرآن الأصلي وموقف المسلمين من قضية التحريف في كتب المسيحيين واليهود.

ماذا يُقصد بأن القرآن «مصدق للتوراة والإنجيل ؟»

رأَينا في الأبواب السابقة ـ وسنرى في هذا الباب أيضًا ـ أن العلماء المسلمين حين يبطلون دعوى الوحي في الكتاب المقدس بأدلة عقلية ونقلية قوية، «يجادلهم» المسيحيون بأن القرآن نفسه يصدق التوراة والإنجيل ويشهد على كونهما منزلين من الله سبحانه وتعالى[(٣)].

ولا شك أن القرآن الكريم يخبرنا بنزول الصحف والكتب السماوية على موسىٰ عليه السلام وعيسى عليه السلام وعلى أنبياء بني إسرائيل الآخرين، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: أين هذه الصحف والكتب المنزلة عليهم الآن؟

تثبت البراهين المقدَّمة في الباب السابق بأنها اندرست وانتهت أو امتزج فيها كثير من الكلام الإنساني، وتصديق القرآن الكريم لتلك الكتب يقتصر على أنها حينما نزلت كانت تحمل النور والهدى [قبل التحريف والتبديل][(٤)]. وبمرور الزمن تغيرت وتبدلت وحُرِّف فيها ولم تعد على صورتها الأصلية، ولا يصدقها القرآن الكريم وهي الحالة التي آلت إليها وقت نزول القرآن أو على الحالة التي عليها الآن. فهل يصدّقها القرآن الكريم لأجل

---

(١) القرآن الكريم ٥: ١٣، ٢: ١٥٩، ٣: ٧٨، ٣: ١٨٧، ٢: ٧٥ـ٧٩ .

(٢) القرآن الكريم ٤: ٨٢.

(٣) القرآن الكريم ٣: ٣، ٥: ٤٤ـ٤٦، ١١: ١١٠، ١٩: ٣٠ .

(٤) وبألفاظ ابن حزم: «قبل حدوث التبديل». الفصل ١: ٢١٤ .

http://kotob.has.it/

أسمائها الباقية فقط رغم وجود التحريف فيها ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[١] ووجود التناقض في عباراتها[٢] ورغم كونها مصطنعة على أيدي الإنسان ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٣].

فتصديق القرآن لهذه الكتب السماوية هو تصديق على اعتبار «ما كان» لاغير.

ومن ثم تصديق القرآن الكريم للتوراة والإنجيل وغيرهما من هذه الناحية يعني تصديقه لأولئك الأنبياء الذين نزلت عليهم هذه الكتب. فالقرآن حينما يخبر بأن موسى وعيسى عليهما السلام كانا نبيَّين في زمنهما يقصد بأن نبوتهما منقطعة وغير مستمرة الآن وهما بهذا المعنى ـ أي بمعنى استمرار النبوة ـ لا يكونان من المرسلين في الزمن الحالي. ونفس هذا يصدق على الكتب المنزلة عليهما أيضًا، فكانتا وحيًا في زمنهما ولم تعد كذلك الآن.

وبألفاظ أخرى: التوراة والإنجيل اللتان يصدقهما القرآن الكريم هما اللتان نزلتا على موسىٰ وعيسى عليهما السلام، ولكنهما كانتا مشوبتين بالتحريف والتناقض والمزج والنقص وقت نزول القرآن الكريم؛ ولذلك نرى أنه يصدقهما بإجمال، مشيرًا ـ في الوقت نفسه ـ إلى حدوث التحريف والتبديل فيهما.

ومن عظمة القرآن الكريم أنه أعلن هذه الحقائق في زمن حين لم يتهيأ اليهود والنصارى لقبولها؛ ولكن الآن ما أكثر تلك الأدلة والشواهد التي تثبت هذه الحقائق وتجعل ـ بصرف النظر عن المسيحيين الأصوليين ـ العلماء والباحثين يعترفون بها بالقوة.

فالعهدان القديم والجديد من الكتاب مليئان بالأخطاء والتناقضات الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى في باب واحد، وهي تشهد شهادة قاطعة على وقوع التحريف والتبديل فيه؛ ونحن ـ فيما يلي ـ نستعرض بعض أقسام هذه الأخطاء [وقد أشرنا في البابين السابقين إلى أمثلة منها أيضًا].

١ـ الحوادث والقصص المتناقضة

(١) بداية الخلق:

ورد في البابين السابقين الأول والثاني من سفر التكوين للكتاب المقدس قولان

---

(١) القرآن الكريم ٥: ١٣.
(٢) القرآن الكريم ٤: ٨٢.
(٣) القرآن الكريم ٢: ٧٩.

http://kotob.has.it/

متناقضان في موضوع بداية الخلق ونشأته حيث لا يمكن التوفيق بينهما؛ فهما مختلفان من ناحية الأسلوب والمحتوى إلى حد كبير[١]. فجاءت في السفر الأول بعد ذكر خلق الحيوانات العبارة التالية: «قال الله نخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا»[٢]. ولكن القصة الثانية تخبرنا بأن الله خلق آدم بعد خلق السماء والأرض «وقال الرب الإله ليس جيدًا أن يعيش آدم وحده... وخلق الرب الإله من التراب كل حيوانات البرية وكل الطيور التي تطير في الهواء فأحضرها إلى آدم[٣]» والقارىء المحايد المتنور يستنتج من قراءة القصتين أن:

"One story tells that man was created before the animals, while another tells us that the animals were created before man".

«قصة تخبر بأن الإنسان خلق قبل الحيوانات وأخرى تخبرنا بأن الحيوانات خلقت قبل الإنسان»[٤].

يقول الكتاب المقدس الكاثوليكي مفسرًا للاختلاف الموجود بين السفر الثاني والسفر الأول:

"This account... comes from a different source and is composed in a very different style".

«ورد هذا القول .... عن رواية أخرى وهو مكون من أسلوب مختلف جدًّا»[٥].

ويقول المحققون الآخرون بصراحة أكثر:

"Different stories from different writers".

«قصص متباينة من كُتَّاب مختلفين»[٦]. و

"The two stories cannot come from the same hand".

«لا يمكن أن تكون القصتان مكتوبتين بيد واحدة»[٧].

---

(١) H.H. Rowley (editor): A Companion to the Bible, Edinburgh, 1963, p.28; R.E. Brown, etc. (editors): The Jerome Biblical Commentary, New York, 1968, vol. 1, p.12.

(٢) التكوين ١: ٢٤-٢٦.

(٣) التكوين ٢: ١٨-١٩.

(٤) George Barclay: The Making And Meaning of the Bible, p. 48.

(٥) Catholic Bible (RSV), p. 995.

(٦) George Barclay: op. cit., p.31.

(٧) G.A. Buttrick, etc. (editors): The Interpreter's Bible, vol. 1, p.465.

http://kotob.has.it/

(٢) عاصفة نوح عليه السلام:

وثمة تعارض في سفر التكوين في سرد وقائع هذه العاصفة فجاء في مكان أن نوحًا عليه السلام أُمر بأن «أحمل معك اثنين من كل نوح من الحيوانات في الفلك لاستبقائها». ولكن بعده بقليل يتغير الأمر ويقال له «من جميع البهائم الطاهرة خذ معك سبعة سبعة ذكرًا وأنثى ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين اثنين ذكرًا وأنثىٰ». وجاء بعده أنه عليه السلام أخذ من البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة اثنين اثنين ذكورًا وأناثًا[١]. فالعمل نفسه تكرر هنا وأن الروايات المتعارضة جمعت في مكان واحد[٢]. فالتعارض الذي وقع هنا أيضًا يشير إلى أن هذه الروايات جمعت من عدة طرق متباينة

(٣) تجسُّس كنعان:

وجاء في (سفر العدد) الذي يرد فيه حديث عن إرسال موسى عليه السلام أناسًا لمعرفة أحوال الكنعانين، فجاء في تقرير عن كنعان يقول: «أنها تفيض لبنا وعسلاً» وفي نفس الإصحاح يرد القول التالي عن الكنعانيين: «هي أرض تأكل سكانها»[٣].

يقول باحث معلقًا على تناقضات هذا الإصحاح والإصحاح التالي:

"We have two accounts of spying of Cannan combined".

«فهذان قولان وقعا في دفعتين مختلفتين جُمعا»[٤]،

ولكن جُمعا في موضع واحد (حتى ظهر التعارض).

(٤) أولاد عقيم:

وجاء في مكان من سفر (صموئيل الثاني) أنه «لم يكن لميكال بنت شاؤل ولد إلى يوم موتها» ولكن في إصحاح آخر من هذا السفر نفسه يأتي ذكر «بني ميكال ابنة شاؤل الخمسة الذين ولدتهم»[٥].

---

(١) التكوين ٦: ١٩، ٧: ٢، ٧: ٩ .

(٢) Dr. E. Sellier: Introduction to the Old Testament (English Translation, 1932), p. 28.

(٣) العدد ١٣: ٢٧، ١٣: ٣٢ .

(٤) A Companion to the Bible, p. 29.

(٥) صموئيل الثاني ٦: ٢٣، ٢١: ٨ .

http://kotob.has.it/

وهناك عدة تعارضات أخرى بين إصحاحات سفر (صموئيل). يقول تفسير بيك للكتاب المقدس معلقًا عليها:

"One of the editors...sems to have met difficulties in an attempted rearrangement of some of the material; finding no other convenient place for 21:7-14,24, he added them at the end as a kind of appendix".

«يبدو أن أحد المدونين. . . . واجهته المشكلات في ترتيب المواد فلم يجد مكانًا مناسبًا للآيات ٧ـ١٤ من الإصحاح ٢١ كما أنه حار في ترتيب الإصحاح ٢٤ فضم كل ذلك باعتبارها تكملة»[١].

٢ـ التشابه في الحوادث

يُراد بالتشابه في الحوادث أن تنسب حوادث ووقائع بعينها إلى أشخاص مختلفين وأماكن متغايرة.

١ـ زوجة من أخت من؟ ذكرنا في الباب السابق [انظر الهامش رقم ٢ ص١٨٣ وما يتعلق به من المباحث في المتن] أن قصة تقديم الزوجة على أنها أخت تنسب إلى إبراهيم وإسحاق في الكتاب المقدس بل إنها نُسبت إلى إبراهيم مرتين وإلى إسحاق مرة واحدة. فقد فعل ـ حسب هذه القصة ـ إبراهيم مرة في مصر ومرة أخرى في جرار وأما إسحاق فقد فعل هذا في جرار فقط[٢].

٢ـ نفي هاجر من البيت: يأتي ذكر إخراج زوجة إبراهيم هاجر [وحسب الكتاب المقدس: أمة إبراهيم] من البيت مرتين وذلك لأن زوجته الثانية سارة طلبت منه ذلك: فمرة أثناء الحمل وقبل ولادة إسماعيل ومرة ثانية بعد ولادة إسماعيل وإسحاق. وأما التفاصيل الأخرى لكلتا المرتين فهي متماثلة، ومن هذه التفاصيل على سبيل المثال: مجيء ملك إلى هاجر عند بئر الماء وتبشيره إياها بعظمة إسماعيل[٣].

٣ـ من الذي أعطى التسمية لبئر سبع؟ ورد في مكان أن الذي سمى مدينة بئر سبع هو إبراهيم وذلك بعد الاتفاق بينه وبين الملك أبيمالك على قضية بئر. ولكن هناك قول آخر

---

(١) Peake's Commentary, p. 292.

(٢) التكوين ١٢: ١١ وما بعدها، ٢٠: ١ وما بعدها، ٢٦: ٦ وما بعدها.

(٣) التكوين ١٦: ٤ وما بعدها، ٢١: ٨ وما بعدها.

http://kotob.has.it/

يخبرنا بأنه ثم ذلك نتيجة الاتفاق بين إسحاق وبين الملك أبيمالك[١].

٤، ٥ـ **يعقوب واسم قرية**: سمى الرب يعقوب إسرائيل مرتين، وسمى يعقوب مدينة لوز بيت إيل مرتين[٢]. يقول باحث مسيحي معلقًا على هذا الازدواج في الحوادث:

"It is more probable that these are variant traditions of single incidents than that the incidents were duplicated".

«أغلب الظن أنها روايات مختلفة عن حدث واحد، وليست أحداث تكررت»[٣].

٦ـ **خطبة يسوع**: وردت في الأصحاحين الأخير من سفر يسوع خطبة وداعية ليسوع الذي خلف موسى، ووردت هذه الخطبة بطريقتين مختلفتين[٤]، الأمر الذي يجرنا إلى استنباط النتيجة أن

"The book is a compilation from different sources".

«السفر مدون من طرق مختلفة»[٥].

٣ـ المفارقات التاريخية

تندرج تحت هذا العنوان تلك التناقضات التي تصرِّح بأن بعض أجزاء الكتاب المقدس أُلِّفت في الحقيقة متأخرة جدًا عن الزمن الذي يُدّعى فيه تأليفها أو تدوينها.

(٤ـ١) **تناقضات الأسفار الخمسة**: سبق أن قدمنا ثلاثة أمثلة من هذا النوع؛ فسفر التثنية يوحي بأنه ألف في عصر موسى [١ : ١، ٢ : ١ وغيرها] ولكن وفاته تذكر فيه. [٣٤ : ٥] وذكر ملوك أدوم قبل ظهور ملك إسرائيل [التكوين ٣٦ : ٣١ وما بعدها].

وذكر تسمية مدينة لاييش باسم دان رغم أنها سميت بهذا الأسم في العصور المتأخرة [التكوين ١٤ : ١٤، القضاة ١٨ : ٢٩] و تسمية قرية أربع باسم حبرون المتأخر زمنًا [التكوين ٣٥ : ٢٧، القضاة ١ : ١٠][٦].

---

(١) التكوين ٢١ : ٢٥ـ٣١، ٢٦ : ٢٥ـ٣٣ .

(٢) التكوين ٣٢ : ٢٨، ٣٥ : ١٠، ٢٨ : ١٩، ٣٥ : ١٥ .

(٣) A Companion to the Bible, p. 28.

(٤) يشوع: الإصحاح رقم ٢٣و٢٤ .

(٥) A Companion to the Bible, p.38.

(٦) انظر للتفصيل من هامش رقم ٢ ص: ٢٣٤ إلى هامش رقم ٢ ص: ٢٣٦ .

http://kotob.has.it/

(٥، ٦) **إلى هذا اليوم**: جاء في سفر يشوع بعد ذكر غلبة يشوع وبني إسرائيل على سكان جيعون ومصالحتهم معهم: «وجعلهم يشوع في ذلك اليوم محتطبي حطب ومستقي ماء للجماعة ولذبح الرب إلى هذا اليوم». فعبارة «إلى هذا اليوم، تثبت أن هذه العبارة أو القصة كلها أُلِّفت بعد حدوثها بمدة طويلة[١].

وكذلك الآية التالية تبرهن على أن هذا الحدث لم يكتب في زمن يشوع بل إنه سجل بعده بكثير: «وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذاه على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم»[٢].

يقول باحث مسيحي بعد ذكر الأمثلة المشابهة لهذه:

"All of these passages could be regarded as later glosses and additions".

«يجب أن تعتبر هذه الفقرات كلها زيادات وهوامش أضيفت متأخرة»[٣].

٤ـ القوانين المتناقضة

(١) **من يكون الكاهن؟** يقول سفر التثنية إن اللاويين أحق الناس بالخدمة والكهانة ولكن سفر الخروج يفيدها لبني هارون فقط[٤].

(٢) **يوم العيد**: أمر في سفر التثنية باحتفال عيد الخيام سبعة أيام ولكن سفر أحبار يجعله ثمانية أيام[٥].

(٣) **الأمة العبرانية**: أمر في سفر الخروج أن يعتق العبد العبراني بعد أن يخدم ست سنوات ولكن امرأته التي ولدت لا تعتق؛ وأما سفر التثنية فهو يأمر بعتق عبد عبراني أو أمة عبرانية بعد سبع سنوات[٦].

(٤) **ماعدد القرابين؟** أمر في سفر العدد بنو إسرائيل بتقديم القربان مرتين: مرَّة في الصباح ومرَّة ثانية في المساء. ولكن سفر حزقيال يخلو عن ذكر القربان في

---

(١) يشوع ٩ :٢٧ .
(٢) يشوع ١٥ :٦٣ .
(٣) A Companion to the Bible, p.27.
(٤) التثنية: ١٨ : ١ وما بعدها، الخروج ٢٨ :١ وما بعدها .
(٥) التثنية: ١٦ :١٥، الأحبار ٢٣ :٣٦ .
(٦) الخروج ٢١ :٢ـ٤، التثنية ١٥ :١٢ .

http://kotob.has.it/

المساء[١] وهذا بالإضافة إلى الخلافات الأخرى بين هذين السفرين في موضوع القربان والنذر.

(٥) منع في موضع سفر الخروج رسم جميع أنواع الصور ونحت الأصنام ولكن في مكان آخر وردت طريقة صنع «الصندوق المقدس» بكل تفاصيلها وجزئياتها[٢].

(٦) **الرؤية الإلهية**: وجاء في سفر الخروج عينه أن الإنسان لن يحيا (وهذا حسب القانون الفطري الطبيعي وليس حسب القانون الشرعي) بعد رؤية الله؛ ولكن هذا السفر نفسه يخبرنا بصعود موسى وهارون وسبعين شيخًا من بني إسرائيل إلى السماء ورؤيتهم لرب إسرائيل وأكلهم وشربهم[٣].

٥ـ الاختلافات في الأسماء والأعداد

الاختلافات في الأسماء والأعداد أكثر بما تحدثنا آنفًا عن التعارضات والأخطاء الأخرى باختصار شديد. وهذه الكثرة الهائلة تجعل الاختصار أصعب، فلذا نكتفي ببعض النماذج التي تدل على ضعف مؤلفي الكتاب المقدس في الذكاء والذاكرة والحساب كما أنها تشهد على الكتاب المقدس في شكله الحالي أنه لا يمكن أن يكون وحيًا من الله العليم الخبير.

(١) **نقص عمر إبراهيم بدلاً من أن يزيد**: المقارنة التالية بين الأقوال الثلاثة من سفر التكوين تقدم لنا تصورًا عجيبًا من مؤلفي الكتاب المقدس: «وعاش تارح سبعين سنةً ووَلَدَ أبرام وناحور وهاران[٤].

«وكانت أيام تارح ستين وخمس سنين...» تبين من هاتين الآيتين أن عمر إبراهيم كان مائة وخمسًا وثلاثين سنة [٢٠٥ - ٧٠=١٣٥].

نتقدم قليلاً ونقرأ في الإصحاح التالي أحوال إبراهيم بعد وفاة أبيه حيث أُمر بالذهاب من أرضه وبيت أبيه «وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران»[٥].

فكان عمر إبراهيم (وقت وفاة) أبيه مائة وخمسًا وثلاثين سنة فكيف نقصت ستين سنة

---

(١) العدد ٣٨: ٣ـ٤، حزقيال ٤٦: ١٣.
(٢) الخروج ٢٠: ٤، ٢٥: ١٨ـ٢٠.
(٣) الخروج ٣٣ـ٢٠، ٢٤: ٩ـ١١.
(٤) التكوين ١١: ٢٦، ١١: ٣٢.
(٥) التكوين ١٢: ٤.

http://kotob.has.it/

من عمره عند خروجه من حاران إلى كنعان؟ والجدير بالتسجيل هنا أن العهد الجديد أيضًا يشهد على أن خروج إبراهيم إلى كنعان كان بعد وفاة أبيه ولم يكن قبل ذلك[١].

(٢) الذين عاشوا أكثر من المدة التي حدّدها الرب:

حسب قولٍ لسفر التكوين حدد الرب عمر الإنسان مائة وعشرين سنة[٢]. ولكن آدم وبنوه عاشوا مئات السنين [التكوين: الإصحاح الخامس] ولنقبل أن هذا التحديد جاء في عصر نوح [وذلك لأنه ورد بعد ذكر آدم وبنيه وأعمارهم]؛ ولكنه رغم ذلك لا يكون صحيحًا. فقد عاش نوح (٩٥٠) سنة وابنه سام عاش (٦٠٠) سنة؛ وكذلك أولاده وأحفاده عاشوا أكثر من (١٢٠) سنة[٣] وأما في أيامنا فقد قل متوسط عمر الإنسان.

(٣) الابن أكبر من الأب:

ورد في إصحاح من سفر أخبار الأيام الثاني ذكر ملك يهوذا واسمه يهوذام فقد جاء عنه أنه «كان. . . ابن اثنتين وثلاثين سنة حين ملك، وملك ثماني سنين في أورشليم» [وقد تكررت هذه الآية في نهاية هذا الإصحاح]. ولكن الإصحاح التالي يخبرنا بأنه ملك سكان أورشليم أخذيا ابنه الأصغر وكان أخذيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك[٤].

فكان عمر الأب [٣٢ + ٨=٤٠] أربعين سنة عند وفاته وكان عمر ابنه الأصغر اثنتين وأربعين سنة حين تولى الحكم بعده مباشرة فكأنه ولد قبل أبيه بسنتين!

(٤) ثمانية أو ثمانية عشرة؟ يقول سفر الملوك الثاني: «كان يهو ياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك» ولكن سفر أخبار الأيام الثاني يكتشف أنه «كان يهو ياكين ابن ثماني سنين حين ملك»[٥] يقول تفسير بيك عن «ثماني سنين»: إنه خطأ واضح[٦].

(٥) أخ أوعمّ؟ يقول سفر أخبار الأيام الثاني: إن الملك نبوخذ ناصر أزال يهو ياكين من الملك وملك مكانه أخاه صدقيا. ولكن سفر الملوك يقول بأنه عين عمه عوضًا عنه[٧].

---

(١) أعمال الرسل ٧: ٤.
(٢) التكوين ٦: ٣.
(٣) التكوين ٩: ٢٩، ١١: ١٠-١١، ١١: ١٣.
(٤) أخبار الأيام الثاني ٢١: ٥، ٢١: ٢٠، ٢٢: ١-٢.
(٥) الملوك الثاني ٢٤: ٨ والأيام الثاني ٣٦: ٩.
(٦) Peake's Commentary, p.313.
(٧) الملوك الثاني ٢٤: ١٧ والأيام الثاني ٣٦: ١٠.

http://kotob.has.it/

(٦) **ملك يهوذا أو ملك إسرائيل؟** تحدثنا في الباب السابع [الهامش رقم ٦ ص١٦٩] أن اليهود افترقوا بعد وفاة سليمان فقامت لهم دولتا يهوذا وإسرائيل المستقلين؛ وأسفار العهد القديم، ولا سيما سفر الملوك والأيام، مليئة بأحوال ملوكهما الضرورية وغير الضرورية، [وهي في الحقيقة أحوال لتاريخ اليهود القومي]. وكان آحاز وفق سفر الملوك أحد ملوك يهوذا. ولذلك جاء في إصحاح من سفر الأيام أن آحاز بعد الهزيمة «دفع بيد ملك إسرائيل فضربه ضربة عظيمة». ولكن بعد سطور قليلة قدم آحاز هذا على أنه «ملك إسرائيل»[١].

ويرى تفسير بيك أن هناك أخطاء وتناقضات أخرى - بالإضافة إلى المذكور - أيضًا في ترجمة هذا الملك[٢].

(٧) **عدد المعالف:** جاء في سفر الملوك أن سليمان كان عنده أربعون ألف معلفة كما كان عنده اثنا عشر ألف فارس، ولكن سفر الأيام يقدر أربعة آلاف معلف واثنى عشر ألف فارس[٣].

(٨) **إحصاء النفوس:** جاء في العهد القديم مرتين أن داود قام بإحصاء بني إسرائيل فغضب منه الرب غضبًا شديدًا

"It is useless to ask why a census was sinful".

«فلا فائدة في أن نسأل علة كون الإحصاء إثمًا»[٤].

ولن نتعرض لهذه العلة العجيبة ونفضل التركيز على التناقض في ذكر الأعداد.

«فكان إسرائيل ثمانمائة ألف رجل بأس مستل السيف ورجال يهوذا خمسمائة ألف رجل ويقول سفر الأيام «كان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل . . . ويهوذا أربعمائة وسبعين ألف رجل[٥]. فلا بأس أن يذكر أربعمائة وسبعين ألف رجل وخمسمائة ألف رجلٍ على وجه التغريب ولكن كيف يصبح ثمانمائة ألف رجل ألف ألف ومائة ألف رجل؟.

(٩) **سنوات المجاعة:** فقرر الرب أن يعاقب داود على «جريمة» الإحصاء فعرض عليه ثلاث عقوبات وطلب منه أن يختار إحداها، وكان «الجوع» من بين هذه العقوبات. والأمر الذي

---

(١) الملوك الثاني ١٧ : ١ والأيام الثاني ٢٨ : ٥، ١٩ .

(٢) Peake's Commentary, P.321.

(٣) الملوك الأول ٤ : ٢٦ والأيام الثاني ٩ : ٢٥ .

(٤) Peake's Commentary, p. 293.

(٥) صموئيل الثاني ٢٤ : ٩، أخبار الأيام الأول ٢١ : ٥ .

http://kotob.has.it/

يهمنا من كل هذا هو أن مدة الجوع في مكان سبع سنوات بينما هذه المدة في مكان آخر ثلاث سنوات(١) .

فكل هذه التناقضات تعلن بصراحة أنها روايات إنسانية ولا علاقة لها بالوحي الإلهي .

كيف نشأت هذه التناقضات ؟

ظل العلماء المسيحيون [واليهود أيضًا] يعتبرون كل كلمة من الكتاب المقدس وحيًا إلٰهيًا قرونًا طويلة وظل الشعب يسلِّم بهذه العقيدة ولكن النهضة العلمية الأوربية وحركة الإصلاح في الديانة كشفت الغطاء عن العيون فبدأوا يقومون بدراسة الكتاب المقدس دراسة علمية(٢) . واكتشفت هذه الدراسات العلمية حوله أن قصص العهد القديم مجموعة من الحكايات والأساطير القديمة التي امتزجت أحيانًا بالأفكار الوثنية الشركية، كما أنها مجموعة من القصص الشعبية عن آبائهم والتي كانت تحكى وتروى وقت الليل حول نار المخيمات(٣) .

وسبب وجود كثيرة التناقضات المتنوعة في العهد القديم بالذات يرجع إلى أن نصوصها جمعت ودونت في عصور مختلفة وعلى أيدي أشخاص مختلفين

"The men who collected and copied the early stories did not always bother too much about the truth of history. At times they altered and exaggerated".

«والذين جمعوا القصص الأولى ونسخوها لم يبالوا في جميع الحالات بصحفها التاريخية، وأحيانًا غيروا هذه القصص وبالغوا فيها»(٤) .

"Sometimes the editors simply copied the stories as they were. Sometimes there were two stories and they were able to weave them into one. At other times they told the same story twice, with certain differences, as they were not sure which one to choose".

«وأحيانًا كان المدونون ينسخون القصص كما وجدوها . وفي بعض الأحايين

---

(١) صموئيل الثاني ٢٤:١٣ والأيام الأول ٢١:١٢ .
(٢) Maurice Bucaille: op. cit., pp. 32-33.
(٣) R.H. Horton: An Introduction to the Bible (London, 1974), BK.V, pp. 17-18.
(٤) Ibid.

http://kotob.has.it/

كانوا يجمعون روايتين [عن قصة واحدة] ويجعلونها قصة واحدة، وتارة كانوا يذكرون قصة واحدة مرتين الأمر الذي أدى إلى وجود التناقضات؛ ولكن عندما حاروا في اختيار الروايات ذكروها جميعًا»(١).

٦ـ الاختلافات الأسلوبية

وفي سبيل الدراسات العلمية خرجت مخطوطات العهد القديم من دائرة الكنيسة الضيقة إلى الباحثين المحققين. فتناولوها بالدراسة والبحث من ناحية الأسلوب وطريقة الكتابة، واستخرجوا بأدلة قاطعة بطلان دعوى الإلهام للكتاب المقدس.

فالبحوث والدراسات التي ظهرت منذ منتصف القرن السابع عشر حتى عصرنا هذا اضطرت الباحثين والدارسين على الإجماع والاتفاق إلى حد كبير بأن أسفار العهد القديم في الحقيقة من الكتابات العتيقة والروايات الشفهية. وهذا الاكتشاف العلمي لا يبرز تلك التناقضات المتوافرة في نصوص العهد القديم فحسب بل إنه يوضح لنا علة الاختلافات الأسلوبية التي نجدها عند كل من المدونين. ويمكن في ضوء الدراسة العميقة لأساليب المخطوطات القديمة تقسيم أهم مصادر العهد القديم الأولى إلى الأقسام التالية(٢):

بعد دراسة الأسلوب والمفردات اللفظية والتراكيب والفقرات استنتج الدارسون الخبراء أن جزءًا من قصص الكتاب أخذ من الحكايات الشعبية الشائعة في القرن التاسع قبل الميلاد في المملكة اليهودية الجنوبية يهوذا (Judah)؛ وجزءًا آخر منها يشتمل على تلك الحكايات الشائعة التي كانت منتشرة في المملكة اليهودية الشمالية إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد. ففي نصوص مملكة يهوذا يرد اسم الرب يهووا (Yahweh or Jehovah) وأما في نصوص مملكة إسرائيل فهو ألوهيم ولذلك وضع الباحثون الرموز للتفرقة بين هذه النصوص، فرمز ج [J ـ وأحيانًا y = ي] يشير إلى النوع الأول ورمز أ أو E يشير إلى النوع الثاني(٣).

وبعد مرور الوقت دخل شيء ثالث أي عُثر على سفر التثنية أثناء تصليح الهيكل وضم

---

(١) Ibid.

(٢) A Companion to the Bible, pp. 32-33;
Maurice Bucaille: op. cit., pp. 33-35;
R.H. Horton: op. cit., p.17;
E. Sellier: op. cit., pp. 23ff.

(٣) Jean Astruc's Conjectures on the Original Writings, 1753. Also see: M. Bucaille: op. cit., p. 32.

http://kotob.has.it/

هذا السفر إلى العهد القديم(١) ويشير الباحثون إليه برمز [D].

وثمة كتابات وروايات أخرى ضمت إلى العهد القديم وهي نشأت في العصر الذي يلي عصور الاضطهاد لبني إسرائيل أي نفيهم من فلسطين وأسرهم في بابل. وهذه الكتابات في الحقيقة مجموعة لتلك الشروح والتفاسير المقدسة التي قام بها كهنة اليهود وعلماؤهم ويشار إليها برمز [p] وأحيانًا برمز (٢)[S]. والتناقضات والأقوال المتعارضة التي توجد في الآيات المتقاربة في الترتيب أو الإصحاحات بعينها أو الإصحاحات المتتالية [مثل الاختلاف في ذكر بداية الخلق وذكر أحوال عاصفة نوح والاختلاف في الأنساب وما شابه ذلك] فهذه التناقضات ظهرت لأن الكتابات والروايات التي حصلت عن طريق هذه الرموز [J] و [E] أو [j] و [p]. جمعت وضمت إلى الكتاب(٣).

فالكتاب الذي ثبت عنه أنه مجموعة من الروايات الشعبية المتناقضة والكتابات التاريخية المتباينة والتي هي من نتاج العقول الإنسانية؛ فاعتبار هذا الكتاب وحيًا منزلاً من الله شيء لا قيمة له إنما هو تحكم وعصبية وتشويه الحقائق في ذلك.

---

(١) راجع الهوامش من رقم ٢-٦ ص: ١٩١ من الباب السابق.

(٢) A Companion to the Bible, p.31; M. Bucaille: op. cit., p. 33.

(٣) M. Bucaille: op. cit., pp. 34-35; R.H. Horton: op. cit., pp. 12-20.

http://kotob.has.it/

٧- تناقضات العهد الجديد واختلافاته

شأن العهد الجديد بهذا الصدد لا يختلف عن العهد القديم بل أكثر منه تناقضًا إلا أننا مضطرون في هذا الكتاب إلى الاكتفاء ببضع أمثلة تالية :

١ـ نسب المسيح:

رغم الإيمان بمعجزة ولادة المسيح دون أب، ينكر إنجيل متى وإنجيل لوقا نسب المسيح بدليل أن مريم ـ أم المسيح ـ كانت مخطوبة ليوسف ولكنها قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس. وكان المسيح يظن أنه ابن يوسف[١] لأجل ذلك، ولكن الأنساب[٢] التي وردت في هذين الإنجيلين على فرض يوسف أبًا للمسيح، مليئة بالأخطاء والاختلافات، الأمر الذي لا يزال يحير العلماء المسيحيين. انظر على سبيل المثال :

١ـ يرى متى أن اسم والد يوسف هو يعقوب ولكن لوقا يقول: كان اسمه عيلي[٣].

٢ـ اعتبر المسيح من سلالة داود في الإنجيلين ولكن إنجيل متى يقول: إنه من سلالة سليمان بن داود بينما لوقا يعتبره من سلالة ناثان بن داود[٤].

٣ـ ذكر متى ٤١ جيلاً من إبراهيم إلى المسيح ولكن لوقا ذكر ٧٧ جيلاً بينهما[٥].

٤ـ يذكر إنجيل متى اثنين وأربعين جيلاً [من إبراهيم إلى داود: ١٤ جيلاً من داود إلى سبي بابل، ١٤ جيلاً من سبي بابل إلى المسيح ١٤ جيلاً] ولكن الإحصاءات تثبت أنها ٤١ جيلاً [حيث نقص جيل عن المجموعة الأخيرة][٦].

٥ـ وإذا قورن النسبان الموجودان هنا بأنساب أجداد اليهود المذكورة في العهد القديم فإنهما يختلفان كثيرًا عنها أيضًا[٧]. فإنجيل متى، مثلاً ترك ثلاثة أسماء في المجموعة الثالثة يعلل بعض المفسرين المسيحيين هذه الظاهرة قائلين: لتبقى الأجيال ١٤ جيلاً

---

(١) متى ١:١٨، لوقا ٣:٢٣ .

(٢) متى ١:١ـ١٦، لوقا ٣: ٢٣ـ ٣٨ .

(٣) متى ١ـ ١٦، لوقا ٣:٢٣ .

(٤) متى ١:٦، لوقا ٣:٣١ .

(٥) متى ١:١-١٦ ولوقا ٣:٢٣-٣٨. وانظر أيضًا: M. Bucaille: op. cit., pp. 98-99.

(٦) المرجع السابق. وراجع للمزيد في هذا الموضوع: كتاب الفصل لابن حزم ٢:١٣ .

(٧) انظر: التكوين ٣٨:١٦ وما بعدها، الأيام الأول: الإصحاح رقم: ١، ٣، وروت ٤: ١٨ـ٢٠ .

http://kotob.has.it/

في كل مجموعة[١].

نظرًا إلى ضعف هذا التعليل وإلى عدم بقاء ١٤ جيلاً يرى بعض المفسرين أنه ليس لأجل العدد ١٤[٢] ولا لأجل خطأ الناسخ، بل هذا يرجع إلى أن كاتب الإنجيل اختلط عليه النطق العبراني الأصلي للأسماء: أحاز (Ahazia) عزيا (Uzziah/ Ozias) وعزريا (Azariah) فبدلاً أن يقول يورام ولد عزيا (Uzziah). كان عليه أن يقول: ولد يورام آخاز (Ahazia) وولد آخاز يوآش (Joash) وولد يوآش أمصيا (Amazia) وولد أمصيا عزريا (Azariah)[٣].

يقول مفسر الكتاب المقدس وهو بيك (Peake) [وشعور الضيق بهذه الاختلافات واضح في قوله].

"The geneologies warn us not to worship the letter of the Scripture".

«هذه الأنساب تحذرنا أن نتجنب عبارة النصوص المقدسة»[٤].

أي يجب ألا نصر على صحتها اللفظية. فكأنه يقر - بين السطور - بوفرة الأخطاء والتناقضات في هذه الأسفار والصحف المقدسة.

٢ـ السفر إلى مصر وقتل الصبيان:

جاء في إنجيل متى أن الملك هيرودس - بعد ولادة المسيح - قتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم - مسقط رأس المسيح - وفي كل تخومها من ابن سنتين؛ وذلك لكي لا يصير منهم ملكًا ليهود ولكن يوسف أخذ الصبي - بإشارة في الحلم - وأمه وهرب إلى مصر، ورجعوا إلى أرض إسرائيل بعد موت هيرودس[٥]. ولكن الأناجيل الأخرى والكتب التاريخية القديمة مثل تاريخ يوسيفاس (Josephus) وغيره، لا تصدق هذا القول[٦]. والذي ورد في إنجيل لوقا يعارض هذا القول، فهو يخبر بصراحة أن المسيح جيء به إلى أورشليم بعد ولادته بثمانية

---

(١) خزانة الأسرار (تفسير إنجيل متى)، طبعة لدهيانة (الهند)، ١٨٧٥م، ص: ٧.

(٢) وربما جعل متى ١٤ جيلاً في المجموعات الثلاثة ليكون حفظها سهلاً وبالإضافة إلى ذلك اسم داود العبراني الأصل يساوي عدد ١٤. انظر: تفسير بيك ص: ٧٠١.

(٣) متى ١: ٨، الأيام الأول ٣: ١٠، ١١. وانظر: تفسير بيك، النص السابق.

(٤) بيك: النص السابق.

(٥) متى ٢: ١٣-٢١.

(٦) خزانة الأسرار (تفسير إنجيل متى)، ص ٢٦.

http://kotob.has.it/

أيام ورحب به هناك رجل بار وامرأة عابدة وباركا فيه لأنهما عرفاه. وكان أبواه ينهيان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح إلى أن أصبح المسيح ابن اثنتي عشرة سنة[(١)].

وقد أشار متى إلى نصين من العهد القديم لإثبات سفر المسيح إلى مصر وقتل الصبيان ويقول تفسير بيك معلقًا عليه:

"It looks as though St. Matthew made the incident fit the quotation".

«يبدو أن متى طبق [سفر مصر] على نصوص العهد القديم»[(٢)].

٣ـ إيليا أو إلياس وغذاؤه:

كان اليهود ينتظرون عودة إلياس إلى جانب ظهور المسيح[(٣)]. وجاء في إنجيل يوحنا أن يوحنا المعمدان سئل وقيل له: إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. ولكن في إنجيل متى اعتبر يوحنا المعمدان إيليا[(٤)]، ويقول متى: إن يوحنا لم يكن يأكل ويشرب ولكنه في مكان آخر وإنجيل مرقس يذكران أن طعامه كان جرادًا وعسلاً برّيًا[(٥)].

٤ ـ مولد المسيح ودعوته:

يقول لوقا إن المسيح بعد أن جُرِّب من إبليس بدأ يعلم في منطقة الجليل الذي كان وطنه؛ ومرة اشتكى من بني جلدته قائلاً: ليس نبي مقبولاً في وطنه[(٦)]. ولكن يوحنا يجعل اليهودية وطن المسيح[(٧)].

ويذكر القول نفسه «ليس لنبي كرامة في وطنه» ثم يكتب عن ذهاب المسيح من اليهودية وسفره إلى الجليل حيث وجد قبولاً حسنًا[(٨)].

---

(١) لوقا ٢: ٢١ـ٤٣.
(٢) تفسير بيك، ص: ٧٠٢.
(٣) ملاخي ٤: ٥.
(٤) يوحنا ١: ١٩ـ٢١، متى ١١: ١٤، ١٧: ١٢-١٣.
(٥) متى ١١: ١٨، ٣: ٤ مرقس ١: ٦.
(٦) لوقا ٤: ١٤ـ٢٤.
(٧) كان الروم قد قسموا فلسطين إلى أربعة مناطق في عصر المسيح؛ وكانت الجليل واليهودية إقليمان مستقلان. انظر: قاموس الكتاب ص: ٨٣٦.
(٨) يوحنا ٤: ٣، ٤٣ـ٤٥.

http://kotob.has.it/

٥ ـ الشهادة صادقة أم كاذبة؟:

ورد القول التالي للمسيح في إنجيل يوحنا: «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقًا». ولكن القول المعارض له أيضًا يوجد في نفس الإنجيل: «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق»(١).

٦ـ أسماء الحواريين:

لا تتفق الأناجيل على أسماء حواري المسيح المشهورين. يذكر لوقا اسم أحدهم كما يلي: يهوذا بن يعقوب (Judas, the son of James)، ولكن هذا الاسم معدوم في الإنجيلين متى ومرقس ويرد بدلاً منه الاسم الآتي: تدّاؤس (Thaddaeus) (٢).

٧ـ وصايا المسيح للرسل:

(١) يخبر إنجيل متى أن المسيح أوصى الحواريين قائلاً بعد أن جعلهم تلامذة له: «إلى طريق أممٍ لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحريّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». وقال مرة عن نفسه أيضًا: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». ولكن متى نفسه يخبرنا بأنه قال لهم بعد القيام من الأموات: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم». وحسب إنجيل مرقس قال لهم: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها»(٣). [وستأتي المناقشة لقضية التحريف لدى متى ومرقس في الأوراق القادمة].

(٢) يقول متى: عندما أرسل المسيح التلاميذ قال لهم أيضًا: «لا تقتنوا . . . تزودًا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا». ولكن الوصية التي ذكرها مرقس مختلفة حيث يقول: «وأوصاهم ألا يحملوا شيئًا للطريق غير عصا فقط . . . بل يكونوا مشدودين النعال ولا يلبسوا ثوبين»(٤). فالآية الأولى تمنع من أخذ الأحذية والعصا والثانية تجيز ذلك؛ ويقول المفسرون المسيحيون: إن المنع كان عن نوع خاص غال من الأحذية(٥). ولكن

---

(١) يوحنا ٥: ٣١، ٨: ١٤.
(٢) لوقا ٦: ١٤ـ١٦، متى ١٠: ٢ـ٤، مرقس ٣: ١٤ـ ١٩.
(٣) متى ١٠: ٥ـ٦، ١٥: ٢٤، ٢٨: ١٩، مرقس: ١٦: ١٥.
(٤) متى ١٠: ١٠، لوقا ٩: ٣، مرقس ٦: ٨.
(٥) خزانة الأسرار (تفسير إنجيل متى)، ص: ١٦٣.

http://kotob.has.it/

هذا التفسير يقوم على افتراض بحت. وأما أخذ العصا وعدمه فقد فسروه بأنه منع عن أخذ العصا العادية وأمر بأخذ العصا الغالية الخاصة بالأساقفة[١].

(٣) نصوص الأناجيل تشهد على أنه لم يتحقق ما تنبأ به المسيح عن عودته مرة أخرى وقت القيام فالمسيح قال وفق متى: «الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان». ثم قال: «الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول». وقال أيضًا وبأسلوب مؤكد: «الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيًا في ملكوته»[٢].

ولأجل هذه النبؤات ظل المسيحيون في العصور الأولى ينتظرون مجيء المسيح مرة أخرى كما يظهر ذلك أيضًا من عبارات إنجيل يوحنا[٣]. ولكن المسيح لم يأت في الجيل نفسه ولا في حياة التلاميذ ولم يأت حتى بعد مضي عشرين قرنًا. وقد لجأ مفسرو الكتاب المقدس هنا أيضًا إلى تأويلات مضحكة، فاعتبروا خراب أورشليم في سنة ٧٠ تقريبًا غضب المسيح على اليهود[٤]. ولكن العبارة القائلة: «حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته» لا تتحمل هذه التأويلات المتعسفة، لأن هذه النبوءة لا تُخبر عن انهدام مدينة بل إنها تشير إلى قيام الملكوت الظاهري للمسيح ووجود التلاميذ في ذلك الوقت؛ وثمة نبوءة أخرى مذكورة في إنجيل متى وهي تجلسون أنتم ـ أي التلاميذ ـ أيضًا على اثني عشر كرسيًا وتدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر[٥].

فكل هذه النبوءات الصريحة ترفض رفضًا باتًا بأن يراد بها خراب أورشليم أو الملكوت الروحاني.

٨ـ الدلالة على الخائن والموت:

تنبأ المسيح ـ وفق إنجيل متى ـ أمام التلاميذ حيث قال: «الحق أقول لكم إن واحدًا

---

(١) تفسير بيك، ص: ٧٠٩.

(٢) متى ١٠: ٢٣، ٢٤: ٣٤ـ٣٥، ١٦: ٢٨.

(٣) يوحنا ٢١: ٢١ـ٢٣. وانظر أيضًا: Bernard M. Allen: The Story Behind the Gospels (London, 1926). pp. 4-5.

(٤) خزانة الأسرار ص: ٢٩٥.

(٥) متى ١٩: ٢٨.

http://kotob.has.it/

منكم يسلمني فأجاب يهوذا الإسخريوطي وقال: هل أنا هو ياسيدي؟ فقال المسيح: «أنت قلت». ولكن إنجيل يوحنا يروي أنه قال دالاً على هذا الخائن: «هو ذاك الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه» ثم «غمس اللقمة وأعطاها يهوذا سمعان الإسخريوطي»(١).

واختلفت أقوال العهد الجديد بصدد موت يهوذا الخائن أيضًا، يقول متى إنه بعد أن أسلم المسيح لليهود ندم وردَّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ . . . وطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه». فأخذ رؤساء الكهنة الفضة واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء وسمى هذا الحقل حقل الدَّم. ولكن أعمال الرسل تروي قصة أخرى عن موت يهوذا وتسمية هذا الحقل، وهي على لسان بطرس حيث يقول: «إن هذا تملك حقلاً من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها . . ودعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دَمَخ أي حقل دم»(٢).

يقول باحث مسيحي معلقًا على هذا التعارض الواضح:

"It is clear that (the different) accounts stem from different traditions".

«هذا الأمر واضح جدًّا أنها أقوال مختلفة جمعت عن مصادر مختلفة(٣)

وهذه الروايات في الحقيقة تشتمل على التصورات الشعبية للشخصية يهوذا ولا تقوم على حقائق(٤).

٩ـ الدلالة على المسيح للقبض عليه:

جاء في إنجيل متى أن يهوذا الخائن، أحد الاثني عشر، كان قد اتفق مع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب قائلاً: «الذي أقبله هوهو ـ أمسكوه» وبهذا تم القبض على المسيح. ولكن إنجيل يوحنا يروي أنه حينما رآهم المسيح يأتون «قال لهم من تطلبون؟» ثم أخبرهم بنفسه أنه هو يسوع الناصري(٥).

١٠ـ إنكار بطرس:

تقول الأناجيل إن بطرس أنكر معرفته وإيمانه بالمسيح بعد القبض عليه، وكان المسيح

---

(١) متى ٢٦: ٢١ـ٢٥، يوحنا ١٣: ٢١ـ٢٦ .
(٢) متى ٢٧: ٣ـ ٨، أعمال الرسل ١: ١٥ـ٢٠ .
(٣) The "Anglican Theological Review," Illinois, March, 1974, p. 45.
(٤) R.E. Brown, etc. (editors): The Jerome Biblical Commentary, New Jersey, 1968, vol. 1, p. 12.
(٥) متى ٢٦: ٤٧-٤٩ يوحنا ١٨: ٣ـ ٨ .

http://kotob.has.it/

قد تنبأ بذلك حيث قال، كما ورد في إنجيل متى: «الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكر في ثلاث مرات» ولكن تفاصيل هذه القصة أيضًا لا تخلو عن الاختلافات. فيقول إنجيل متى ولوقا: إن الديك صاح بعد أن أنكر ثلاث مرات، ولكن إنجيل مرقس يرى أنه صاح مرة بعد الإنكار ثم مرة ثانية بعد الإنكار الثاني ومرة ثالثة بعد الإنكار الثالث[(١)].

١١ـ التناقضات في ذكر المعجزات:

(١) يذكر مرقس أن رجلاً أصم ومُقعد شفي بمعجزة المسيح؛ ولكن إنجيل متى يبالغ ويجعل منه أفراد كثيرين حيث يقول: «جاء إليه جموع كثيرة معهم عرج وعمي وخرس وشل وآخرون كثيرون وطرحوهم عند قدمي يسوع فشفاهم[(٢)].

ويتضح من السياق أنها روايتان متناقضتان لصفة واحدة، بدليل أن كلا الإنجيلين يرويها على أنها حدثت بعد انصراف المسيح من صور وصيدار وخروجه إلى جانب بحر الجليل. ثم إنهما كليهما يذكران معجزة الطعام بعدها مباشرة.

(٢) «على الجانب الآخر يذكر مرقس ولوقا أن رجلاً مجنونًا [الذي كان فيه شياطين] شفي بمعجزة المسيح، ولكن متى يذكر رجلين اثنين وبذلك حول متى رجلاً أعمى واحدًا إلى رجلين أعميين[(٣)].

(٣) يقول مرقس ضمن معجزة إحياء ابنة الرئيس أن هذا الرئيس قال: «ابنتي الصغيرة على آخر نسمةٍ»، ولكن يذكر متى أنه قال: «ابنتي الآن ماتت»[(٤)].

(٤) يذكر متى ومرقس أن المسيح عندما لم يجد شيئًا من شجرة التين دعا عليها قائلاً: «لا يأكل أحدٌ منك ثمرًا بعد إلى الأبد». ثم يختلفان فيما بينهما فيذكر مرقس أن التينة يبست في الصباح التالي ولكن متى يقول: فيبست التينة في الحال[(٥)].

١٢ـ قصة سكب الطيب على المسيح:

تذكر الأناجيل الأربعة أن امرأة سكبت الطيب على رأس المسيح قبيل القبض عليه.

---

(١) متى ٢٦: ٣٤ وما بعدها لوقا ٢٢: ٥٤ـ٦٢، مرقس ١٤: ٦٦ـ٧٢.
(٢) متى ١٥: ٢١ـ ٣٩، مرقس ٧: ٣١ـ٣٧، ٨: ١ـ ٨.
(٣) مرقس ٥: ٢، لوقا ٨: ٢٧، متى ٨: ٢٨، متى ٢٠: ٢٩ـ٣٤، مرقس ١٠: ٤٦ـ٥٢.
(٤) مرقس ٥: ٢٣، متى ٩: ١٨.
(٥) مرقس ١١: ١٢ـ٢١، متى ٢١: ١٨ـ٢٠.

http://kotob.has.it/

ولكنها (أي الأناجيل) تختلف اختلافًا كبيرًا في تفاصيلها، الأمر الذي يدل على أنها نُسجت أيضًا من روايات ولا تمت بأي صلة إلى الوحي والإلهام، ويمكننا أن نقسم هذه التناقضات المتعددة في هذه القصة إلى أربعة أقسام وهي:

(١) أين حدث ذلك؟ يرى متى ومرقس أنها حدثت في بيت سمعان الأبرص، ويقول لوقا: إنها حدثت في بيت أحد الفريسيين اليهود؛ ولكن يوحنا يقول: إنها حدثت في بيت لعازر [الذي أحياه المسيح بمعجزة].

(٢) من كانت هذه المرأة؟ يقول متى ومرقس: «امرأة» أي شخصية غير معلومة، ويقول لوقا: «امرأة خاطئة»؛ ولكن يوحنا يرى أنها كانت أخت لعازر مريم الخادمة المخلصة للمسيح.

(٣) ماذا فعلت تلك المرأة؟ يذكر متى ومرقس أنها سكبت الطيب على رأس المسيح، ويقول لوقا ويوحنا: إنها دهنت قدمي يسوع وقبلتهما ومسحت قدميه بشعرها.

(٤) ردَّ فعل الحضور: يقول متى إن التلاميذ لما رأوا ذلك اغتاظوا، ويقول مرقس: وكان قوم [أي التلاميذ وغيرهم] مغتاظين - ولكن لوقا يخبر عن مشاعر الفريسيين الذي دعا يسوع، فهو اعتبر ذلك أمرًا لا يليق بالنبي. وأما يوحنا فهو يذكر أن يهوذا الإسخريوطي فقط اعترض على هذا[١].

١٣- الحوادث التي تروى عما حدث بعد القبض على المسيح إلى صلبه المزعوم:

كيان العقائد المسيحية يعتمد - إلى حد كبير - على الحوادث التي حدثت للمسيح بعد القبض عليه، ولكن الأناجيل لا تخلو هنا أيضًا من التناقض والاختلاف. وقد ذكرنا بعض هذه التناقضات في الباب السابق مثل:

(١) من الذي حمل الصليب؟ المسيح نفسه أو شخص اسمه سمعان.

(٢) هل كان اليهود على علم بقيام المسيح من الأموات؟ أم كان التلاميذ أنفسهم لا يعرفون ذلك؟ ويمكن مراجعتها في الباب السابق[٢]. ومن هذه الأمثلة أيضًا ما يروى أن المسيح أكل طعامه الأخير وفق الأناجيل المتوافقة قبل القبض عليه؛ ولكن يوحنا يقول: هذا

---

(١) متى ٢٦: ٦-١٠، مرقس ١٤: ٣-٦، لوقا ٧: ٣٦-٥٠، يوحنا ١٢: ١-٦.

(٢) انظر البحث المتعلق بالهوامش: رقم ٨ ص: ١٥٣ و ١-٥ ص: ١٥٤ و١، ٢ ص: ١٥٥ من الباب السادس.

http://kotob.has.it/

كان بعد القبض عليه[١]. وكثرة التناقضات وعدم الانسجام في رواية محاكمة المسيح في المجلس الأعلى لليهود تجعل وقوع هذا الحادث أمرًا مشكوكًا فيه لدى عديد من الباحثين المسيحيين[٢].

١٤ـ قيام المسيح من الأموات:

في الباب السابق قد ألقينا ضوءًا على الأمور التالية وهي:

(١) كم مدة مُكث المسيح في القبر حسب الأناجيل؟ ثلاثة أيام وثلاث ليال أو ليلتين ويوم؟

(٢) هل رأت مريم المجدلية فقط منظر قيام المسيح؟ أم نساء أخريات أيضًا رأينه؟

(٣) كم ملكًا كان عند القبر؟ واحدًا أم اثنين؟

(٤) ماذا سمعت النساء من الملك أو الملائكة ثم ماذا فعلن بعد ذلك.

(٥) من الذي رأى المسيح بعد قيامه وأين رآه؟

ووضحنا هناك التناقضات المتوافرة في رواية هذه الأمور مما يُغني عن إعادتها هنا[٣].

١٥ـ رؤيا بولس:

ناقشنا في الباب الثالث رؤيا بولس [الهوامش رقم٦، ٧ص١٤] التي أسس عليها رسالته وقدم من خلالها المسيحية الجديدة. فبولس أيضًا وقع في التناقضات في بيان هذه الأشياء، فهو يقول في موضع: «الذين كانوا معي نظروا . . . ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني». ولكنه في مكان آخر يقول عكس ذلك: «وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا يرون أحدًا»[٤].

يقول أحد المفسرين المسيحيين ـ كعادتهم عمومًا ـ مبررًا لهذا التناقض:

"It was Paul's voice that his companions heard".

«الصوت الذي سمعه أصحابه كان صوت بولس»[٥].

---

(١) Peake's Commentary, p. 762.

(٢) Journal of Ecumenical Studies, Philadalphia, vol. 10, no. 1 (1973), pp. 78-79; Edward Loshe: History of the Sufferings And Death of Jesus Christ, Philadalphia, 1967, pp. 79-80.

(٣) انظر البحث المتعلق بالهوامش: ٤، ٥ ص: ١٥٦ و ص: ١٥٧-١٦١ كله.

(٤) أعمال الرسل ٢٢:٩، ٩:٧.

(٥) F.F. Bruce: New International Commentary on the New Testament, The Book of Acts, London, 1965, p. 197.

http://kotob.has.it/

رغم أن بولس يقول: «إن أصحابه كانوا يسمعون الصوت ولا يرون أحدًا» أي أنهم لم ينظروا الشخص الذي سمعوا صوته. فهل يجوز أن يقال إنه كان صوت بولس لحل هذه المعضلة؟

٨- تعارضات العهد الجديد الأساسية مع العهد القديم

بالإضافة إلى التناقضات الداخلية في العهدين الجديد والقديم هناك أمور عديدة يتعارضان فيها فيما بينهما، وهذا مع ملاحظة الادعاء بأنهما وجهان اثنان من صورة واحدة. ونحن سنقتصر على ذكر بضعة أمور أساسية تتجلى فيها هذه التعارضات:

(١) نسخ التعاليم الجديدة:

برغم إعلان المسيح الواضح الذي ذكره إنجيل متى والذي قال فيه: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء»[1]. فبرغم هذا الإعلان نرى أن تعاليم الأناجيل وبولس نقضت عديدًا من تعاليم الكتب اليهودية المقدسة؛ فمن ذلك مثلاً: ماذكرناه في فصل بعنوان «القوانين المتناقضة» بهذا الباب من أن المسيحيين لا يعملون منذ العصور الأولى بأحكام العهد القديم المتعلقة بالكهانة والعيد والعبودية والقربان [انظر الهوامش ٤-٦ ص: ٢٢٩ و١ ص: ٢٣٠].

(٢) التثليث بدلاً من التوحيد:

ومن أكبر الفروق بين تعاليم العهد الجديد وتعاليم العهد القديم أن نصوص الأول، ولا سيما رسائل بولس والآيات المحرَّفة للأناجيل [سيأتي ذكرها قريبًا إن شاء الله]، تحمل بذورًا قوية للعقيدة التي عرفت في القرون المتأخرة بعقيدة التثليث. وبهذا نشأ خلاف كبير بين تعاليم العهدين القديم والجديد من ناحية، وظهر تناقض شديد في نصوص العهد الجديد من ناحية أخرى حيث نصَّت بعض آياته على عقيدة التوحيد وبعضها الأخرى تُعتبر أسسًا لعقيدة التثليث.

يرجى مراجعة الفصول: الكتاب المقدس والتوحيد، التغيير في التوحيد بشرية عيسى ورسالته والمعجزات والعيدية للباب الخامس، وذلك لمزيد من التفاصيل في موضوع التناقض الموجود في نصوص العهد الجديد بشأن عقيدتي التوحيد والتثليث.

---

(١) متى ٥:١٧ .

http://kotob.has.it/

(٣) تصور الخلاص:

هناك فرق جوهري بين تعاليم العهدين القديم والجديد في أمر الخلاص والنجاة. فالعهد القديم يخلو تمامًا عن فكرة الكفارة كما أنه يخلو من تصور التثليث، ولكن العهد الجديد يقدم «كفارة المسيح» وسيلة للنجاة ومن هنا نشأ تعارض مزدوج مع العهد القديم. فالعهد الجديد رغم صلته القوية بالعهد القديم يقدم تصورًا يتناقض مع العهد القديم ولا ينسجم مع تعاليمه. ومن جانب آخر هناك نصوص في العهد الجديد تدل على التصور القديم الأصلي [أي وسيلة النجاة هو العمل والتوبة وليس الكفارة].

وقد فصلنا القول في هذين الأمرين في الباب السادس في فصلين: أحدهما بعنوان: تصور النجاة في العهد القديم وآخرهما بعنوان: النجاة والعهد الجديد(١).

وتتفرع من هذين الأمرين قضايا وعقائد أخرى تتعارض فيما بينهما مثل: التناقض في تصور الرحمة الإلهية والقدرة الإلهية، هل تقتصر العقوبة على الآثم أو تشمل ذريته أيضًا. وقد ناقشناها في الفصل بعنوان: تحليل عقيدة الكفارة من الباب السادس أيضًا(٢).

(٤) التهاون بالشريعة:

ومن التناقضات أيضًا ما يتعلق بجانب آخر من موضوع النجاة ووسيلتها، فالعهد القديم يعطي أهمية كبيرة للناموس والأحكام الشرعية ويعتبر الذين ينصرفون عنها ملعونين(٣). ولكن العهد الجديد، ولا سيما بولس، قلل أهمية الوصايا والأحكام لدرجة أنها تبدو معدومة في تعاليم عيسىٰ. وقد فصلنا القول في هذا الموضوع أيضًا في فصل من الباب السادس بعنوان: النجاة والعهد الجديد(٤).

(٥) الرحمة والمحبة أو العنف والانتقام؟:

يدّعي المسيحيون أن النصرانية ديانة الأمن والحب. ولكن العهد الجديد لا يخلو من التناقض في هذه الناحية أيضًا، فهو يتعارض مع العهد القديم من جانب حيث ورد فيه

---

(١) انظر البحث المتعلق بالهوامش: ١-٧ ص: ١٣٠ و ١-٥ ص: ١٣١ من الباب السادس.

(٢) انظر البحث المتعلق بالهوامش: ص: ١٤٣ ومابعده من الباب السادس.

(٣) التثنية ٢٨: ١٥ ومابعدها.

(٤) انظر الهامش ص: ١٣٣ ومابعده من الباب السادس.

http://kotob.has.it/

«وعينًا بعين وسنًّا بسن ويدًا بيدٍ ورجلاً برجلٍ . . . »[١] وأما العهد الجديد فهو يأمر بعكس ذلك تمامًا حيث يقول: «وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشرَّ بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا»[٢]. ومن جانب آخر يرد في العهد الجديد قول يناقض هذا الأمر الأخير وهذا القول ينسب إلى المسيح حيث قال: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا»[٣].

٩- الأخطاء في الأقوال المنقولة من العهد القديم إلى العهد الجديد

لن نتعرض هنا لما ورد في العهد القديم من النبوءات ونحو ذلك التي يقول فيها كُتَّاب العهد الجديد ولوَّوها لتخدم أغراضهم [ستأتي مناقشتها إن شاء الله ضمن التحريفات]. بل إننا سنقتصر هنا على ذكر الاختلافات التي نتجت عن عملية النقل، وبألفاظ أخرى هي أمثلة للإشارات الخاطئة المأخوذة من العهد القديم التي ارتكبها كتاب العهد الجديد.

(١) اعتبر زكريا في إنجيل متى ابنًا لتبرخيا، مع أن العهد القديم يقول إنه كان ابنًا ليهوياداع الكاهن[٤].

والجدير بالذكر هنا أن قاله بعض المسيحيين في تفسير هذا الخطأ من أن برخيا ويهوياداع اسمان لشخص واحد؛ فهذا التفسير مجرد افتراض وتخمين وليس دليلاً تاريخيًا[٥].

(٢) يذكر العهد الجديد أن التلاميذ حينما ابتدأوا يقطفون السنابل يوم السبت اتهمهم الفريسيون بعدم احترام السبت، فقال لهم المسيح مجيبًا ومستدلاً بقصة داود حين احتاج وجاع فدخل بيت الله في أيام أبياتار رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة الذي لا يحل أكله إلا للكهنة . ولكن العهد القديم يخبر بأن هذه القصة حدثت في زمن أحيملك الكاهن. ولا يمكن هنا أن تقبل الحيلة القائلة بأنهما اسمان لشخص واحد وذلك لأن أبياتار كان ابنًا لأحيملك[٦].

---

(١) هذا من أوامر العهد القديم الشرعية. انظر: الخروج ٢١: ٢٤، التثنية ١٩: ٢١ ، الأحبار ٢٤ـ٢٠.
(٢) وهذا من أوامر العهد الجديد. انظر: متى ٥: ٣٨، ٣٩ .
(٣) متى ١٠: ٣٤، ٥: ٩ .
(٤) متى ٢٣: ٣٥، أخبار الأيام الثاني ٢٤: ٢٠ .
(٥) خزانة الأسرار، ص: ٤٠٧ .
(٦) مرقس ٢: ٢٣ـ ٢٦، صموئيل الأول ٢١: ١ـ٦، ٢٢: ٢٠ .

http://kotob.has.it/

(٣) جاء في أعمال الرسل، ضمن الخطبة التي خطب بها استيفانوس (Stephens) الشهيد المسيحي الأول أمام الكهنة والشيوخ: «نزل يعقوب إلى مصر ومات هو وآباؤنا ونقلوا إلى شكيم ووضعوا في القبر الذي اشتراه إبراهيم بثمن فضة من بني حمور[(١)].

وقول استيفانوس «المملوء إيمانًا وقوة» والذي ينقله كاتب أعمال الرسل «الملهم»[(٢)] فقوله هذا مليء بالأخطاء التاريخية؛ فيعقوب دفن في حقل المكفيلة وليس في حقل شكيم[(٣)]. ولم يشتر إبراهيم قطعة من الأرض للقبر من بني حمور في شكيم بل إنه اشترى حقل المكفيلة والمغارة المجاورة لهذا الغرض من بني حث[(٤)]؛ وأما قطعة الحقل بشكيم فقد اشتراها يعقوب نفسه من بني حمور ليجعلها مذبحًا وليس للقبر[(٥)].

١٠- اختلافات إنجيل يوحنا من الأناجيل الأخرى

في القرن التاسع عشر درس باحث مسيحي ألماني ـ وهو ديويد ستراس (David Strauss) ـ نصوص الأناجيل دراسة عميقة شاملة، وفي ضوء هذه الدراسة أثبت في كتابه «حياة يسوع» أن الإنجيل الرابع يختلف عن الأناجيل الأخرى اختلافًا جذريًا. وأيده الباحثون المتأخرون أيضًا موضحين الجوانب الأخرى لهذه الاختلافات ولذلك نجد في العصر الحاضر أن الدارسين يقسمون الأناجيل الأربعة إلى مجموعتين، المجموعة الأولى تضم الأناجيل الثلاثة [متى، مرقس، لوقا] التي تسمى الأناجيل المتوافقة أو الإزائية ـ والمجموعة الثانية هي نصوص الإنجيل الرابع [يوحنا].

رغم أن الأناجيل الإزائية أيضًا تختلف [كما اتضح فيما سبق من المقارنات] فيما بينها اختلافًا شديدًا. فإن الإنجيل الرابع يتباين عن الأناجيل الثلاثة في الأسلوب وسرد الوقائع والأحداث وذكر بعض الأفكار والعقائد المبالغ فيه لدرجة أن عديدًا من الدارسين المسحيين اضطروا إلى القول بأن الأناجيل الثلاثة الأولى إن صحت نصوصها فإن نصوص الإنجيل الرابع لا تصل إلى درجة الصحة؛ وإن صحّ الإنجيل الرابع فإن الثلاثة الأولى

---

(١) أعمال الرسل ٧: ١٥، ١٦.
(٢) السابق ٦: ٨، ١٥.
(٣) التكوين ٥٠: ١٣.
(٤) التكوين ٢٣: ١٣ـ ١٨.
(٥) السابق ٣٣: ١٨ـ٢٠.

http://kotob.has.it/

تصبح مشكوك فيها . تقول دائرة المعارف الكويتية في هذا الصدد :

"The first three Gospels resemble one another in both language and content. The Gospel of John is different, in many respects, from the first three Gospels".

«الأناجيل الثلاثة الأولى متشابهة في اللغة والمحتوى وأما إنجيل يوحنا فهو يختلف عنها في جوانب عديدة»[١] .

وقد حذفت من إنجيل يوحنا بعض الأحداث المذكورة في الأناجيل الأخرى كما أن أشياء جديدة زيدت فيه . وأقوال المسيح فيه مختلفة وأسلوبه مختلف كذلك ؛ فأقواله في هذا الإنجيل لا تتسم بصفة الإيجاز والاختصار ، عكس الأناجيل الأخرى ، كما أنها لا تدل على التعاليم الأخلاقية المؤثرة ولا تلح على الآخرة «ملكوت السموات» ؛ فهي بدلا من ذلك تشتمل على فقرات الجدل الطويلة ، على لسان المسيح أو من إضافة كاتب الإنجيل نفسه ، والتي هي ملامح واضحة للفلسفة اليونانية والغنوصية[٢] .

تقول دائرة المعارف البريطانية :

"The Gospel of John has very little in common with any of the other Gospels".

«قلما يتفق إنجيل يوحنا مع الأناجيل الأخرى»[٣] .

وتقول أيضًا :

"The Gospel according to St. John stands apart".

«إنجيل يوحنا منفرد عن الأناجيل الأخرى» .

وهو يفسر الوقائع بطريقة خاصة به . . . و

"(Its) discourses have no parallels in the Synoptic Gospels".

«ليس لمناقشاته مثيل في الأناجيل المتوافقة»[٤] .

---

(١) Collier's Encyclopaedia, vol. 9, p. 200.

(٢) Funk's Encyclopaedia, vol. 16, p.5908; Renan's Life of Jesus, p.17; Herbert Muller: Uses of the Past, p.89; C.F. Potter: The Lost Years of Jesus Revealed, p. 24.

(٣) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p.574.

(٤) Ibid., vol. 10, pp. 594-595; A.M. Hunter: Introducing the New Testament, p. 61.

http://kotob.has.it/

ويقول باحث مسيحي آخر:

"The fourth Gospel is so different from the Synoptics in structure, contents and theological outlook, it cannot be treated with them".

«الإنجيل الرابع يختلف عن الأناجيل المتوافقة في كيانه ومحتواه وأفكاره وعقائده لدرجة أننا لا يمكننا أن نعالجه مع الأناجيل الأخرى»(١).

ويختلف إنجيل يوحنا عن الأناجيل الأخرى في الترتيب الزمني لبعض الأحداث أيضًا. فقد ذكرت الأناجيل المتوافقة - على سبيل المثال - في بيان أحداث الأسبوع الأخير من حياة المسيح الأرضية أنه دخل الهيكل عبر قوته وسلطته، ووبخ البائعين والمشترين هناك، ولكن يوحنا يذكر هذه الأحداث - خطأ منه أو يريد أن يثبت السلطة للمسيح منذ البداية - من الجهود التبليغية الأولى(٢). وكذلك يظهر إنجيل يوحنا أن أورشليم كانت مركزًا لدعوته مع أن الأناجيل الأخرى تذكر أن منطقة الجليل كانت مركز الدعوة، وكان المسيح يذهب إلى أورشليم خلال ذلك أحيانًا(٣).

تلقي باحثة نصرانية الضوء على عبارات يوحنا المنطقية الجدلية الطويلة قائلة:

"The breach between the Jews and the Christians was, by the time that this Gospel was written, complete and believed to be irreprable".

«وفي العصر الذي ألف فيه هذا الإنجيل، كانت الفروق الدينية بين اليهود والنصارى قد اتسعت وكان يعتقد أن الفريقين لن يلتقيا»(٤).

ولذلك نرى مؤلف إنجيل يوحنا يستخدم أسلوبًا عنيفًا ضد جميع اليهود، بينما الآخرون من مؤلفي الأناجيل الباقية لا يستخدمون لغة شديدة إلا ضد الطبقات المعينة [الفريسيين الصدوقيين] من اليهود.

ويرى هارنيك قائلاً:

"The author of the fourth Gospel acted with sovereign freedom, transposed events and put them in a strange light. He drew up the

---

(١) R.H. Fuller: A Critical Introduction to the New Testament, p.168.

(٢) Encyclo. Brit. (1962), vol. 13, p.14.

(٣) F.G. Bratton: A History of the Bible, p. 140.

(٤) Irene Allen: The Early Church And The New Testament, p. 192; New Catholic Encyclopaedia, vol. 7, pp. 1083-1084.

http://kotob.has.it/

discussions himself, and illustrated great thoughts with imaginary situations".

«تصرف مؤلف الإنجيل الرابع بكل حرية دون أي قيد؛ فغير ترتيب الأحداث وألقى الأضواء على بعضها بطريقة غريبة؛ يصطنع المناقشات [المنسوبة إلى المسيح] بنفسه ويلجأ إلى الأحداث المفترضة للتعبير عن أفكاره العظيمة»(١).

تعترف دائرة المعارف الكاثوليكية أيضًا قائلة:

"Jesus speaks so differently in John from the way he speaks in the Synoptics".

«أسلوع يسوع في إنجيل يوحنا مختلف عن أسلوبه في الأناجيل المتوافقة»(٢).

ويقول رينان وهو كاتب سيرة المسيح المشهور:

"It puts into the mouth of Jesus discussions of which the tone, the style, the treatment and the doctrines, have nothing in common with the logia given us by the Synoptics".

«هذا [إنجيل يوحنا] يجري على لسان يسوع أقوالاً لا تشبه أقواله الواردة في الأناجيل المتوافقة، فهي تختلف عنها في الأسلوب والإلقاء والمبادىء»(٣).

ويقول مؤلف شهير آخر:

"The speeches in the Fourth Gospel... are so different from those in the Synoptics, and so like the comments of the Fourth Evangelist himself, that both cannot be equally reliable as record of what Jesus said".

«كلمات يسوع الواردة في الإنجيل الرابع مختلفة عن كلماته في الأناجيل المتوافقة وقريبة إلى تعليقات مؤلف هذا الإنجيل، لدرجة أنها [أي الأناجيل المتوافقة وإنجيل يوحنا لايلتقيان في الأسلوب وعرض الحقائق] لا يمكن أن يعتبر مسجلاً موثوقًا به لأقوال المسيح وكلماته»(٤).

يقول أحد مؤرخي الكنيسة الأفاضل ـ وهو سمرويل ـ مقدمًا مثالاً مهمًا لتعارض

---

(١) Adolf Harnack: What is Christianity, p. 20.

(٢) New Catholic Encyclopaedia, vol. 7, p. 1082.

(٣) Ernest Renan: Life of Jesus, p. 16.

(٤) C.J. Cadoux: Life of Jesus, p. 16.

http://kotob.has.it/

نصوص إنجيل يوحنا مع الأناجيل الأخرى:

"In the Synoptics, our Lord hardly alludes at all to his own claims, and does not admit his Messiahship till close on the end of the Ministry. In the Fourth Gospel, he claims from the first the titles of Son of God and Son of Man, and bases his whole teaching on these claims".

«ادعاءات يسوع ربنا عن نفسه في الأناجيل المتوافقة تكاد تكون معدومة، فإنه لم يعلن عن كونه مسيحًا موعودًا إلا في الأيام الأخيرة من حياته. ولكن الإنجيل الرابع يقدم المسيح وهو يدعي منذ البداية أنه ابن الله وابن الإنسان، ويؤسس جميع تعاليمه على هذه الادعاءات»(١).

سنذكر أمثلة أخرى لاختلافات إنجيل يوحنا عن الأناجيل الأخرى في مبحث «التحريفات» أيضًا إن شاء الله؛ وأما النتيجة التي تخلص إليها من كل ما مضى فهي كما يلي وبألفاظ دائرة المعارف الأمريكية.

"If the Synoptics are accepted as authentic, the unauthenticity of John must follow".

«إن سُلِّم بصحة الأناجيل المتوافقة فإن هذا يعني ثبوت عدم صحة إنجيل يوحنا»(٢).

خلاصة القول في تناقضات الكتاب المقدس الوفيرة

قدّمنا جزءًا فقط من تناقضات الكتاب التي لا تعد ولا تحصى. والحقيقة أن هذه التناقضات الكثيرة حيَّرت العلماء والمفكرين المسيحيين وحاولوا أن يقدِّموا حلولاً لهذه المعضلات دون فائدة. ففي معظم الحالات يغضون الطرف عن هذه التناقضات، وأحيانًا يسلمون بوجودها ويفضلون السكوت. وهناك من ـ لأجل العاطفة الدينية المحضة ـ يتصدى لتقديم التأويلات والتبريرات. فقد جاء في كتاب ألف لإثبات نصوص الكتاب على أنها وحي منزل من الله ـ

"Such variations are evidence that there was no collusion among the Bible writers".

---

(١) D.C. Somervell: A Short History of Our Religion, p.108.
(٢) Encyclopaedia Americana (1959), vol. 3, p.73.

http://kotob.has.it/

«وهذه الفروق والاختلافات [في نصوص الكتاب] تثبت عدم وجود المؤامرة بين كُتَّاب الكتاب المقدس»(١).

هذا الكلام يعني أنه كلما زاد الاختلاف والتضاد في أقوال الرواة أو الشهود على قضية فإنهما يدلان على صدقهم، وذلك لأنهم لم يتآمروا لذلك!! فهذا معيار مدهش للغاية مقبول الشهادة ومتفرد عن المعايير المتداولة في محاكم الدنيا كلها. والحق هو ما يقوله الكاتب نفسه في موضع آخر من كتابه هذا:

"For any book to win one's confidence, it must be consistent within itself. Particularly must this be true of the Bible, if it is to measure up to the claim that it is the word of God".

«لا يمكن لأي كتاب أن يحظىء بدرجة الصحة والوثوق إلا وهو ينسجم في محتوياته ونصوصه. وهذا هو المعيار الذي يجب أن يطبق على الكتاب المقدس»(٢).

وعلى أية حال فإن قول هذا المؤلف الذي يدل في ظنه على حكمة التناقض، يثبت أن مؤلف الكتاب المقدس ليس إله العالمين، بل إنه من عمل عديد من المؤلفين ولذلك نرى معظم العلماء المسيحيين يعترفون بهذه الحقيقة رغم أنوفهم. يقول مؤلف نصراني:

"So many different minds are represented in the pages of the New Testament, so many writers with differing personalities and points of view".

«صفحات العهد الجديد [والأجزاء الأخرى من الكتاب] نتاج للعقول المختلفة العديدة ولمؤلفين كثيرين كانوا مختلفين في أفكارهم واتجاهاتهم النظرية»(٣).

يقول مؤرخ شهير ول ديورانت:

"It is clear that there are many contradictions between one Gospel and another, many dubious statements of history...".

«إنه لمن الواضح أن الأناجيل تتباين وتتعارض كما أن رواياتها الكثيرة مشكوك

---

(١) Is the Bible Really the Word of God? (Watch Tower Bible & Tract Society), New York, 1969, p. 89.

(٢) Ibid., p.82.

(٣) William Neil: The Bible Story, London, 1975, p.215. Also see: 'Interpretation' - A Journal of Bible Theology, Virginia, vol. 37 (July 1983), p. 20.

http://kotob.has.it/

فيها من الناحية التاريخية»[١].

وهكذا يقول باحث آخر:

"There are no grounds whatever for saying that the Bible is free from historical and literal errors. Errors and inconsistencies there are...".

«لا دليل ولا برهان لقولنا إن الكتاب المقدس خال من الأخطاء النصية والتاريخية . . . فإنه يوجد فيه أخطاء وتناقضات دون شك»[٢].

لم تحير هذه الأخطاء والتناقضات والتعارضات العلماء المسيحيين في العصر الحديث فحسب، بل إنها ظلت تحدث المشاكل الفكرية والعقيدة للمسيحيين المفكرين على مرّ العصور. ولذلك نرى أوغسطين يضطر إلى أن يقول رغم أنه من أعظم مؤيدي العقائد المسيحية:

"I should not believe in the Gospel if I had not the authority of the Church for so doing".

«لو لم تجبرني شهادة الكنيسة على الإيمان بالأناجيل لما آمنت بها»[٣].

مع أنه لو تعمق قليلاً وأعمل فكره لوجد أن شهادة الكنيسة نفسها تقوم على نصوص الأناجيل والكتاب، فكيف يمكن لها أن تصير شهادة عليه؟

والحقيقة هي تلك التي يقولها طامس بين (Thomas Paine)، إذا تخلصنا من قيود العاطفة والتعصب فهو يقول:

"Revelation is necessarily out of the question with respect to these books... because of the disagreement of the writers".

«لأجل كثرة المؤلفين أصبح كون أسفار الكتاب المقدس وحيًا وكلامًا إلهيًا، أمرًا لا علاقة له بصلب الموضوع»[٤].

---

(١) Will Durant: The Story of Civilization (New York, 1957), vol. 3, p.557.

(٢) A Companion to the Bible, pp. 5-7.

(٣) Herbert Muller: Uses of the Past, p.89.

(٤) Thomas Paine: The Age of Reason, p.19.

http://kotob.has.it/

تحريفات الكتاب المقدس وتغييراته

يثبت مما سبق من ذكر التناقضات الكثيرة أن أسفار الكتاب المقدس لم تعد كلامًا إلهيًّا بعد أن أُدخل فيها الكلام الإنساني الكثير. بل إنه يجب أن نقول في ضوء الأخطاء والاختلافات والتعارضات التي مضى ذكرها، إن أسفار الكتاب هو كلام بشري، وقد تكون بقيت فيه آثار لكلام الرَّب الذي أثر في صورة الروايات الشفهية. وما التحريف إلا أن يبدل كلام الرب أو أقحم فيه كلام غيره أو قدِّم كلام بشري على أنه كلام إلهي. وفي هذا البحث نقدم أمثلة وبراهين للتحريفات والتغييرات التي حدثت في نصوص الكتاب المقدس.

كما أن العلماء المسيحيين الأصوليين يتحينون التسليم بوجود التناقضات في الكتاب المقدس بصراحة كذلك، بل بشدة أكثر، ينكرون وجود التحريف فيه. لكن الحقائق تفرض نفسها بقوة بحيث لا يمكن الرد والإنكار، الأمر الذي جعل كثيرًا من الباحثين المسيحيين يعترفون بوقوع التحريف في الكتاب المقدس.

في بداية هذا الباب مر ذكر محاولة تلبيس العلماء المسيحيين في موقف القرآن الكريم من حدوث التحريف في الكتاب المقدس. ونود أن نذكر هنا نوعًا آخر من محاولتهم في هذا الصدد. فسَّر بعض المسيحيين موقف القرآن من التحريف في الكتب المقدسة لدى المسيحيين قائلين: «إن النبي ﷺ لم يكن يعترض على أهل الكتاب لعدم وجود الصحف السماوية أو لأنهم بدَّلوا في نصوصها». «بل كان الاعتراض أنهم وقعوا في التحريف المعنوي والتأويل الفاسد». «فكان الاعتراض حسب هذا الرأي، أن أهل الكتاب وعلماءه يكتمون الحق رغم وجوده لديهم وعلمهم به». «ويفسرون الآيات الإلهية تفسيرًا خاطئًا ومُضِلاً وذلك طمعًا في الثمن القليل»[١]. يمكن أن يعتبر هذا التغيير لموقف القرآن من الكتب السماوية القديمة محاولة فاشلة «التحريف المعنوي» ولكنها ـ أي هذه المحاولة ـ لا تقدر على أن تكتم موقف القرآن الحقيقي بهذا الصدد، فقد اتهم القرآن أهل الكتاب بكتمان الحق قائلا: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢] كما أنه اتهمهم بالتحريف أيضًا حيث يقول: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

---

(١) John Wijngaards: Are the Gospels Reliable? (Urdu Translation), Delhi, p.11.

(٢) القرآن الكريم ٢ : ٤٢ .

http://kotob.has.it/

لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[١].

بل إن الآية الأولى أيضًا تمنع من الخلط بين الحق والباطل إلى جانب منعها عن كتمان الحق الأمر الذي يدل دلالة واضحة على حدوث الخلط بين الكلام الرباني والكلام الإنساني. والحقيقة أن أهل الكتاب ارتكبوا كتمان الحق والتأويل الفاسد والتحريف المعنوي كما أنهم ارتكبوا حذف الكلام الإلهي والزيادة فيه أو تبديله؛ ويتضح ذلك من المناقشة التالية:

د. التحريفات والتغييرات في العهد القديم

حذف الأسفار والآيات: تظهر البراهين الداخلية في الكتاب المقدس المتداول الآن أن عددًا كبيرًا من أجزائه قد تلفت. ولن نتحدث هنا عن الاختلافات بين الفرق المسيحية في موضوع صحة النصوص وعدمها، فقد سبق الحديث عنها في الأبواب السابقة تحت عنوان «الأبوكريفا». بل نقدم من الكتاب المقدس تلك النصوص التي تدلنا على تلف الأجزاء وضياعها.

يوجد في سفر التثنية ذكر لسفر مقدس بعنوان: «كتاب حروب الرَّب» مع الإشارة ولكنه الآن معدوم في الكتاب المقدس. وجاء في سفر صموئيل وسفر يشوع ذكر «كتاب ياشر» ولكن هذا الكتاب غير موجود الآن. وورد في سفر الملوك ذكر ثلاثة آلاف مثل: و «ألف وخمس أناشيد لسليمان» رغم أن الأمثال والأناشيد المنسوبة إلى سليمان والموجودة في الكتاب المقدس لا تبلغ هذا العدد[٢].

يقول أخبار الأيام: «وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في سفر أخبار صموئيل الرائي وأخبار ناتان النبي وأخبار جاد الرائي. ولكن السفرين الأخيرين معدومان الآن، وأما السفر الأول فهو لا يشتمل على جميع أمور داود «الأولى والأخيرة».

وقد ورد في هذا السفر نفسه ذكره لأخبار شمعيا النبي وكتاب عيدو الرَّائي، وكلاهما لا يوجد في الكتاب المقدس الآن. وكذلك ورد ذكر الأسفار المتضمنة «أمور سليمان الأخرى» ولكنها أيضًا لا وجود لها. والتي بها بقية أمور حزقيًا وإشعياء» أيضًا لا توجد الآن[٣].

---

(١) القرآن الكريم ٢: ٧٩.

(٢) العدد ٢١: ١٤، صموئيل الثاني ١: ١٨، يشوع ١٠: ١٣، الملوك الأول ٤: ٣٢.

(٣) الأيام الأول ٢٩: ٢٩، الأيام الثاني ١٢: ١٥، ١٣: ٢٢، ٩: ٢٩، ٣٢: ٣٢، ٣٥: ٢٦-٢٧.

http://kotob.has.it/

وثمة إشارات في الكتاب إلى أسفار أخرى ولكنها أيضًا لا وجود لها[١] . ومعنى هذا أن أشياء كثيرة بل أسفار كثيرة بأكملها حذفت من الكتاب المقدس . وسواء حذفت عمدًا أو ضاعت لعامل الزمن فإن النتيجة واحدة وهي أن الكتاب المقدس بجميع أسفاره لا يوجد بالصورة التي نزل بها ، فقد حدث التبديل فيه .

٢ـ التحريفات الناتجة عن المتون المختلفة والترجمات

ذكرنا في الباب السابع أن علماء اليهود ـ من القرن السادس الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي ـ قاموا بالفصل بين الكلمات الملتصقة في المتن العبراني للعهد القديم ، وأضافوا إليها الحركات وحروف العلة والإعراب . ولأجل هذه العلمية تغير المتن المتداول الآن عن المتن القديم الأصلي في مواضع كثيرة ، وفي أماكن أخرى غير عمدًا . تقول دائرة المعارف البريطانية : وقد مضى ذكر هذا القول .

"It is obvious that the text has been tampered with in some places".

«من الواضح أن كثيرًا من المواضع قد دخل التغيير على متنها»[٢] .

وكذلك قام مدونو الكتاب المقدس الحالي بتغييرات متعمدة وتحريفات ، وذلك حين ترجموه عن النسخة العبرانية القديمة ؛ وهذه الترجمة تعرف بالترجمة السبعونية :

"A study of the Septuagint also reveals many passages in which the translators purposely paraphrased the text or changed its meaning when the original was either embarrassing to them or unclear".

«الاطلاع على الترجمة السبعونية يظهر أيضًا أن المترجمين قسموا تفسيراتهم وشروحهم إلى الفقرات الكثيرة وبهذا غيروا المعاني . وفعلوا كل هذا إمّا لأن المتن كان محيِّرا أو لأنه كان غامض الدلالة»[٣] .

فقد غير المترجمون في الترجمة السبعونية ، في العبارات التي تقدم الإله إنسانًا[٤] . والترجمة اللاتينية أيضًا أحدثت تحريفات عديدة ، الأمر الذي أجبر على إخراج فهرس

---

(١) Encyclo. Americana, vol. 3, p.614; Bratton's History of the Bible, p.85.

(٢) انظر الهامش : ١-٣ ص : ٢١٢ من الباب السابع وما يتعلق به .

(٣) Encyclo. Brit. (1973), vol. 3, p.577.

(٤) Ibid.

http://kotob.has.it/

تصحيح الأخطاء في القرون الوسطى الذي كان يهدف إلى تصحيح العبارات المحرَّفة[١]؛ ولكن الأخطاء الناتجة عن الترجمة اللاتينية شاعت وتداولها الناس. ولذلك يقول الباحثون:

"We cannot always regard the Vulgate as sound evidence for Hebrew readings at that time".

«لا يمكننا أن نعتبر ولْجيت (ترجمة لاتينية شائعة) للكتاب ترجمة صحيحة للمتن العبراني في جميع الحالات[٢].

تظل الترجمات الجديدة أيضًا مثل الترجمات القديمة، تحدث التحريفات. وأمثلتها كثيرة جدًا، ولكننا نقدم ثلاثة أمثلة فقط.

ينسب معظم المزامير الواردة في سفر المزامير من العهد القديم إلى داود عليه السلام، وجاء في أحد المزامير:

«ليت من صهيون خلاص إسرائيل عند رد الرب أسرى شعبه يبتهج يعقوب ويفرح إسرائيل»[٣].

وهذه الآية دليل على الإشارة الخاطئة من حيث الزمن [وقد ناقشنا مثل هذه الآيات فيما سبق أيضًا]. فإن كان هذا المزمور من عمل داود فمن أين جاء ذكر الأزمنة المتأخرة، والمعلوم أن سبي يهود كان بعد داود بعصور متأخرة. ولكن على أية حال لا نقدم هذه الآية لهذا الغرض، بل نقدمها دليلاً على حدوث التحريف الناتج عن الترجمات. وهذه الآية مازالت على صورتها في الكتاب المقدس البروتستانتي، ولكن الترجمات الإنجليزية والأردية تصرفت فيها وغيرتها كما يلي:

"O that deliverance for Israel would come out of Zion! When the Lord restores the fortunes of his people, Jacob shall rejoice, Israel shall be glad".

«ليت تكون نجاة إسرائيل من صهيون حين يغير الرَّب شعبه، ويكون يعقوب مسرورًا وإسرائيل فرحان[٤].

---

(١) Concise Oxford Dictionary of the Church, p. 132.

(٢) A Companion to the Bible, p. 158.

(٣) المزامير ١٤: ٧. انظر: الكتاب البروتستانتي الأردي، لاهور، ١٩٨٥م، ص: ٥٣٤.
Authorized Version (Gideons), 1961, p.526.

(٤) الكتاب المقدس الكاثوليكي الإنجليزي، ص: ٤٩٦، والكتاب المقدس الأردي، روم، ١٩٥٨م، ص: ٦٧٨.

http://kotob.has.it/

فهذا التصرف دليل واضح على التحريف المنبعث عن الترجمات.

والمثال الثاني لهذا النوع من التحريفات هو ما اشتركت فيه الترجمات البروتستانتية الجديدة والكاثوليكية معًا. والآية التي حرِّف فيها هي تلك الآية التي كان يستدل بها العلماء المسلمون على مجيء نبينا محمد ﷺ. تقول الآية: «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى مع عشرة آلاف قدوسي وكانت في يمنه شريعة لهم»[(١)].

يقول العلامة الشهير محمد إبراهيم مير في كتابه القيم: «ذلك النبي ورسول العهد» ـ وقد درس الموضوع دراسة تاريخية وافية ـ معلقًا على هذه الآية: كان مع الرسول عشرة آلاف صحابي يوم فتح مكة، وأعطى للناس الشريعة التي تتضمن الأحكام والقوانين المدنية إلى جانب الأحكام الأخلاقية. والنبوءة الموجودة في هذه الآية لا تنطبق إلا على سيدنا محمد ﷺ[(٢)].

ولكن الآن تصرف في الكتاب المقدس البروتستانتي، وحلَّت فيه كلمات «آلاف قدوسي» بدلاً من «عشرة آلاف قدوسي». وأما في الكتاب الكاثوليكي فقد حذف منه عدد القدوسين وذكر الشريعة واكتفى بالعبارة التالية:

«وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه خرجت نار مشتعلة»[(٣)].

والمثال الثالث للتحريفات الناشئة عن الترجمات هو سفر مزمور رقم ٨٤، فقد جاء فيه ذكر بكة صراحة، وهو اسم آخر لمكة[(٤)]. ولكن الآن بدل هذا الاسم ووضع مكانه «وادي البكاء»[(٥)].

٣ـ الأمثلة المختلفة للتحريف

(١) **حفيد موسى**: في المخطوطات القديمة لسفر القضاة نُسبت الردَّة وعبادة الأصنام إلى حفيد موسى يهوناثان. واعتبرت هذه النسبة في العصور المتأخرة إهانة لموسى وآله؛ ولذلك حرِّف فيه، وجعل هذا الشخص حفيدًا لرجل غير مشهور وهو منسى بدلاً من موسى النبي. وظل هذا التحريف موجودًا في طبعات الكتاب المقدس مدة طويلة، ولكن نظرًا

---

(١) التثنية ٣٣: ٢ (الكتاب المقدس المطبوع بلدهيانة)، ١٩٠٨م، ص: ٢٢٠.

(٢) مولانا محمد إبراهيم مير: ذلك النبي ورسول العهد بالأردية، سيالكوت، ١٩٤٤م، ص: ١٤١ـ١٤٢.

(٣) الكتاب البروتستانتي الأردي، ص: ٢٠١، الكتاب الكاثوليكي الأردي ص: ٢٥١.

(٤) القرآن الكريم ٣: ٩٦.

(٥) الكتاب البروتستانتي الأردي، ص: ٥٧٧، الكتاب الكاثوليكي الأردي، ص: ٧٣٩، المزامير ٨٤: ٦، ٧.

http://kotob.has.it/

للنقد الشديد لهذا التحريف من قبل العلماء المسلمين ومن قبل الباحثين المسيحيين أنفسهم حذف هذا التحريف بحيث أعيد موسى مكان مَنَسَّى[١].

(٢) الافتراء على سليمان: اتهم في سفر الملوك بأن سليمان في شيخوخته مال إلى عبادة الأصنام تحت تأثير زوجاته المشركات[٢]. ولكن سفر الأيام الذي يشتمل على أحوال سليمان المفصلة يخلو تمامًا عن هذه التهمة[٣]. والسبب في ذلك أن سفر الملوك يتألف من تلك الروايات التي كانت تشيع في مملكة إسرائيل [التي قامت ضد المملكة اليهودية]. ومؤسس هذه المملكة يربعام (Jeroboam) خرج على سليمان وكان يعبد الأصنام فاتهم أتباعه سليمان بعبادة الأصنام[٤]، حقدًا له منهم فهذا مثال واضح للتحريف الهادف.

وإن اعتبرت التهمة الموجودة في سفر الملوك صحيحة [والعياذ بالله]، فإنه دليل على ذلك النوع من التحريف الذي رأيناه آنفًا من جعل موسى منسَّى. فالتحريف في كلتا الحالتين يثبت ثبوتًا بارزًا، إمَّا في سفر الملوك أو سفر الأيام.

(٣) الافتراء على داود: وكذلك اتهم داود في سفر صموئيل بالفاحشة وبالقتل خداعًا[٥]، ولكن سفر الأيام خال عن هذه التهمة أيضًا[٦]. والسبب هو الذي قلناه آنفًا من أن هذه القصص المفتراة من عمل أعداء داود وآل داود، فهؤلاء وضعوا هذه القصص الغريبة وأقحموها بقدر إمكانهم في الكتاب المقدس. والباحثون مجمعون على أن سفر صموئيل الذي يحتوي على هذا الافتراء، مبني على روايات ومخطوطات يستحيل معرفتها، وفيه آيات مقحمة[٧].

(٤) التحريف في القوانين:

كان الزواج من نساء الأمم الأخرى مسموحًا به في قوانين بني إسرائيل، فقد تزوج كل من موسى وداود وسليمان وغيرهم أيضًا من نساء الأمم الأخرى[٨]؛ وكان كل ذلك قبل

---

(١) القضاة ١٨ : ٣٠. وراجع لمعرفة الفرق بين موسى ومَنَسَّى: الكتاب المقدس، طبعة لدهيانة، ١٩٠٨م، ص: ٢٨٢، والكتاب المقدس، طبعة لاهور، ١٩٨٥م، ص: ٢٥٠.

(٢) الملوك الأول ١١ : ٤ـ٨.

(٣) Robert Lee: The Outlined Bible, Glasgow, 1962, p.18.

(٤) John Davis: Dictionary of the Bible, London, 1972, pp. 359,384.

(٥) صموئيل الثاني ١١ : ٢ وما بعدها.

(٦) The Outlined Bible, p.17.

(٧) Davis' Dictionary of the Bible, pp. 716,719,720.

(٨) العدد ١٢ : ١، أخبار الأيام الأول ٣ : ١ وما بعدها والملوك الأول ١١ : ١ وما بعدها، روت ١ : ٤.

http://kotob.has.it/

القرن العاشر قبل الميلاد[١]. ولكن حينما ألحت الحاجة الاجتماعية على التغيير في هذه الأحكام [من القرن التاسع إلى السابع قبل الميلاد] وأراد كهنة اليهود أن يمنعوا من الزواج من نساء الأمم الأخرى، تصرفوا في نصوص الكتاب نفسها وحرَّفوا في عباراتها. فلذلك نرى أن سفرا التثنية والخروج اللذين ألفا[٢] تبين القرن التاسع والقرن السابع ومن السابع إلى القرن الخامس قبل الميلاد يمنعان من هذا الزواج. ثم ضم هذا التغيير إلى سفر الملوك أيضًا وذلك بصدد ذكر زواج سلميان[٣]. وجاء هذا التغيير بفضل جهود عزرا وأتباعه الذي كان يخالف هذه الظاهرة والذي له باع طويل في وضع الأحكام الواردة في سفر التثنية[٤].

التحريفات في العهد الجديد

لا يمكن الإحاطة بكثرة التحريفات الموجودة في العهد الجديد، ونحن مضطرون إلى الاكتفاء بعدد قليل من الأمثلة.

١- إشارات العهد الجديد المحرّفة

لسنا بصدد ذكر التحريفات التي تمت على مر العصور وفي نُسخ العهد الجديد المتأخرة [سنذكرها أيضًا إن شاء الله]، بل إننا نود هنا أن نلفت الأنظار إلى التحريفات التي تمت على أيدي كتاب الأناجيل أنفسهم والتي تتمثل في عباراتهم المنقولة عن العهد القديم؛ فهم نقلوا هذه العبارات تأييدًا لعقائدهم عن المسيح ولكنهم للأسف الشديد تصرَّفوا فيها أيضًا حسب رغباتهم. والجدير بالذكر أن المقارنة بين هذه العبارات المنقولة والعبارات الأصلية لم تكن سهلة في القديم وذلك لعدم توافر العهدين كما هو الأمر الآن، ولأن النَّاس لم يكونوا يحسون بحاجة إلى هذه المقارنات. ولكن الدراسات المتعلقة بالمقارنات الحديثة أشارت إلى عديد من المواضع التي حرف فيها تحريفًا واضحًا.

(١) مسقط رأس المسيح:

جاء في إنجيل متى، بعد ذكر بيت لحم مكان ولادة المسيح «لأنه هكذا مكتوب بالنبي

---

(١) Davis' Dictionary, pp. 139-140.
(٢) Concise Oxford Dictionary of the Church, pp. 150,186.
(٣) الخروج ٣٤: ١٦، التثنية ٧: ١-٣، الملوك الأول ١١: ٢.
(٤) عزرا ١٠: ١١ وما بعدها، ٧: ١٤. انظر أيضًا: Davis' Dictionary, p.238.

http://kotob.has.it/

وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبرٌ يرعى شعبي إسرائيل»[١] ولا توجد هذه العبارة بهذه الصيغة في النسخ العبرانية القديمة للعهد القديم ولا في النسخة السبعونية[٢]. بل إن التبديل في هذه العبارة يرجع إلى التصرّف الذي قام به كاتب إنجيل متى والذي يمس حدود التحريف. فالعبارة الأصلية هي كما يلي: «أما أنت يابيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطًا على إسرائيل»[٣].

(٢) هجرة إلى مصر:

ويخبرنا هذا الإنجيل نفسه، محدثًا عن أحداث طفولة المسيح، بأنه حين أراد هيرودس الملك قتل المسيح الصبي هرب به يوسف إلى مصر وأمه مريم معهما ومكثوا هناك إلى وفاة هيرودوس «لكي يتم ما قيل من الرَّب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني»[٤]. وعبارة العهد القديم التي حُرف فيها هنا هي كما يلي:

«ولما كان إسرائيل غلامًا أحببته ومن مصر دعوت ابني»[٥]. فهذه العبارة أولاً تحدِّث عن قصة مضت [خروج بني إسرائيل من مصر في عصر موسى] في الأزمنة الغابرة ولا تنبأ بالزمن المستقبل، وثانيًا يُراد «بابني» بني إسرائيل الأمة المقربة ولا يراد به المسيح الآتي[٦].

وقد اعترف الباحثون المسيحيون، رغم أنوفهم، بأن كلمات العهد القديم لم تغير[٧] فيها هنا فحسب بل تصرِّف في المعنى أيضًا، حتى الأحداث المتصلة بهذا الموضوع التي يرويها إنجيل متى ولا ترويها الأناجيل الأخرى كما أنها لم توجد لدى المؤرخين القدامى أيضًا [مثل جوزيفوس[٨]]، مثل محاولة هيرودس لقتل المسيح وهجرته إلى مصر وقتل كثير من الصبيان. فكل هذه الأحداث جعلت بعض الباحثين يقول:

---

(١) متى ٢: ٦.

(٢) Peake's Commentary, pp. 702,1184.

(٣) ميخا ٥: ٢.

(٤) متى ٢: ١٥.

(٥) هوشع ١١: ١.

(٦) الخروج ٤: ٢٢. دُعي في هذا السفر أيضًا إسرائيل (الأمة الإسرائيلية) بابن الله البكر.

(٧) Bratton: History of the Bible, p. 135.

(٨) See: Flavius Josephus: Antiquities, p. 609.

http://kotob.has.it/

"It looks as though Matthew made the incident fit the quotation".

«يبدو أن متى اخترع الموقف كله لتنطبق عليه هذه العبارة»[١].

فكأن مجال التحريف هنا لم يتقيد بعبارة فحسب، بل تعدَّى إلى القصة كلها التي اخترعت لجعل أحوال عيسى في طفولته مماثلة لأحوال موسى الأولى.

(٣) التحريف في النسب:

في الحقيقة كاتب إنجيل متى ماهر في التحريفات، فالنسب الذي سجله للمسيح في إنجيله يشتمل على تحريف كبير، بصرف النظر عن الأخطاء الأخرى، حيث حذف[٢] الاسم الوارد بين يوشيا (Josiah) ويكنيا (Joconiah) وهو يهوياقيم (Johoiakim). والسبب في هذا التحريف أن يهوياقيم أحرق كلمة الرب وعوقب على ذلك بأن «لا يكون له جالسٌ على كرسي داود»[٣] فحذف مؤلف هذا الإنجيل يهوياقيم من نسب المسيح ليجعله وارثًا لداود.

(٤) المسيح الناصري:

بالإضافة إلى التحريف في ذكر مكان ولادة المسيح ونسبه وهجرته المزعومة إلى مصر، يقع مؤلف إنجيل متى في تحريف آخر وهو يتمثل في نقل عبارة للعهد القديم وربطها بمدينة الناصرة مسكن المسيح المعروف. يقول: «وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي ينم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصريًا»[٤].

يقول مفسرو الكتاب المقدس: لا يوجد نص في العهد القديم يدل على كون المسيح الموعود ناصريًا أو على مكثه في هذه المدينة. كل ما هنالك أن بعض أسفار العهد القديم [إشعيا وإرميا] تسمى المبيع الآتي فرعًا لآل داود، وكلمة نصر استعملت في العهد القديم لتدل على معنى الفرع[٥]. فلا يوجد هنا ذكر لمدينة الناصرة ولا كون المسيح الآتي ناصريًا؛ ولكن مؤلف هذا الإنجيل حمل «نصر» على مدينة الناصرة، ومن هنا نسب محرفًا كون المسيح ناصريًا إلى الأنبياء السابقين.

---

(١) Peake's Commentary, p. 702.

(٢) متى ١ : ١١ . وانظر الملوك الثاني ٢٣ : ٣٤ دليلاً على الحذف.

(٣) إرميا ٣٦ : ٣٠ .

(٤) متى : ٢ : ٢٣ .

(٥) Peake's Commentary, p. 702.

http://kotob.has.it/

(٥) الكتاب القائل عظم لا يكسر منه:

ولمؤلف إنجيل يوحنا أيضًا مثل مؤلف إنجيل متى، باع طويل في هذا المجال أي التحريف في عبارات العهد القديم وتطبيقها على أحوال المسيح ونكتفي بتقديم نموذج واحد من الأمثلة الوفيرة.

يقول صاحب هذا الإنجيل ضمن أحداث صلب المسيح المزعوم، إن العسكر كسروا ساقي الشخصين المصلوبين مع المسيح ولما جاءوا إليه «لم يكسروا ساقية لأنهم رأوه قد مات». ثم يقول بعد سطور: «هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه»(١).

فهذه العبارات توحي بأن «الكتاب القائل» هذا عن المسيح وليس لغيره، وهو موجود في العهد القديم أيضًا. وهذا الإيحاء غير صحيح وذلك لأن النص الذي أخذ منه «الكتاب القائل» المذكور، لا يذكر صلب المسيح الآتي ومصائبه بل إنه يذكر عكس ذلك تمامًا انظر ماذا يقول:

«عينا الرب نحو الصديقين وأدناه إلى صراخهم... أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم... كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب يحفظ جميع عظامه؛ واحد منها لا ينكسر»(٢) فإن كان هذا النص عن المسيح الآتي فكنا نجده ينجو عن الصلب إلى جانب نجاته عن كسر العظام. وهذا النص في الحقيقة لا يدل إلا على نجاة الصديقين الشاملة وحفاظهم الكلي الذي يضمن لهم الرَّب. والغريب في هذا التحريف أن الجزء الأخير فقط يؤخذ ويطبق على المسيح ويتجاهل الأجزاء الباقية، ولكن رغم كل ذلك لم تنجح المحاولة؛ فهذا الجزء المقطوع عن السياق الذي يظن أنه نبوءة عن المسيح، لا ينطبق عليه أيضًا. فصاحب الإنجيل نفسه يخبرنا بعد ذكر عدم كسر ساقي المسيح قائلاً: «لكن واحدًا من العسكر طعن جنبه بحربةٍ وللوقت خرج دم وماء»(٣). وهنا إمَّا أن نقول إن الضلع [حسب الترجمة الأردية لإنجيل يوحنا] ليس عظمًا والحربة جرحت الجنب فقط دون الضِلع [وعلى أية حال فما هي المعجزة والعياذ بالله ـ في أن يصلب المسيح صلبًا

---

(١) يوحنا ١٩: ٣١ـ٣٦.

(٢) المزامير ٣٤: ١٥ـ٢٠.

(٣) يوحنا ١٩: ٣٤.

ويموت ذليلاً، ثم يُطعن جنبه أو ضلعه بحربة وتسلم ساقاه عن الكسر؟] أو أن نُسلم بأن مؤلف إنجيل يوحنا قطع عبارة من العهد القديم عن سياقها وطبقها على المسيح.

٢ـ التحريفات الداخلية بين الأناجيل

كما أن الأناجيل وقعت في التبديل والتحريف خلال نقل العبارات من العهد القديم، كذلك لم تَسْلَم من التحريف أثناء أخذ الاقتباسات فيما بينها.

قد أجمع الباحثون والنقاد الدارسون على أن إنجيل مرقس أسبق الأناجيل تأليفًا وعلى أن إنجيلي متى ولوقا ينقلان عنه كثيرًا[١]. ولكنهما يغيران في العبارات المنقولة عن إنجيل مرقس [الذي هو الآخر يتضمن عديدًا من الروايات الشائعة والقصص المخترعة]. وفيما يلي بضعة أمثلة لهذه التبديلات:

(١) **الآية السماوية**: يقول إنجيل مرقس حين طلب الفريسيون من المسيح «آية من السماء» أجاب قائلاً: «لماذا يطلب هذا الجيل آيةً ـ الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية»[٢].

وأصبح هذا القول على يد لوقا كما يلي: «هذا الجيل شرير يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضًا لهذا الجيل... برجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان وهوذا أعظم من يونان ههنا»[٣].

ولكن إنجيل متى يضيف إليه إضافات أخرى حيث يرد فيه هذا القول كما يلي: «جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال»[٤].

فأضاف إنجيل متى، في ضوء آية ويونان النبي من ناحية وفي ضوء حوت المسيح المزعوم وقيامه من الأموات من ناحية أخرى، إضافات حيث ربط مكث يونان النبي في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ببقاء المسيح المزعوم في القبر ثلاثة أيام وثلاثة ليال.

ثمة شهادة خارجية إلى جانب شهادة داخلية [بمقارنة نصوص الأناجيل] أيضًا لهذا

---

(١) B.M.Allen: The Story Behind the Gospels, p.4; Concise Oxford Dictionary of the Church, p. 322.

(٢) مرقس ٨: ١٢.

(٣) لوقا ١١: ٢٩ـ٣٢.

(٤) متى ١٢: ٣٩، ٤٠.

http://kotob.has.it/

التحريف وهي أن المسيح لم يمكث في القبر ثلاثة أيام وثلاثة ليال، وقد وضحنا في الباب السادس أن المسيح حسب نصوص الأناجيل نفسها، لم يبق في قلب الأرض أكثر من يوم وليلتين [انظر الهوامش رقم ٢، ٣ ص١٥٧ من الباب السادس].

(٢) المساكين أو المساكين بالروح ؟

يقول لوقا في ذكر خطبة الجبل المشهورة: «ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال: طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون»(١).

وفي العصر الذي ألف فيه إنجيل متى [والمعلوم أنه ألف بعد إنجيل لوقا أي بين ٨٠ ـ ١٠٠](٢) كان الأغنياء من اليهود بدأوا يميلون إلى الديانة النصرانية. ولذلك نراه يتصرف في العبارة المذكورة حيث جعل المساكين «المساكين بالروح» وحول «الجياع» إلى «الجياع والعطاش إلى ....»(٣) وفعل كل ذلك لكي لا تعتبر المسيحية دين المساكين والجائعين فقط.

(٣) حذف الضعف:

حذف كُتَّاب الأناجيل الآخرون تلك العبارات من إنجيل مرقس الأساسي التي تدل على ضعف المسيح والتي لم تعجبهم. فإنجيل مرقس، على سبيل المثال، يخبرنا بأن أقارب المسيح اعتبروه في مرحلة من مراحل حياته، فاقد الوعي(٤) أي أصبحت حالته العقلية والروحانية غير متزنة(٥).

وأما الأناجيل المتوافقة الأخرى فقد ذكرت الأحداث والمواقف التي جعلت أقارب المسيح يعتبرونه «فاقد الوعي» [انظر مثلاً متى الأصحاح الرابع عشر ولوقا في آخر الأصحاح الرابع]. ولكنها حذفت تلك العبارات التي دلت على أن أقاربه اعتبروه مجنونًا أو فاقد الوعي(٦).

---

(١) لوقا ٦: ٢٠، ٢١.

(٢) Concise Oxford Dictionary of the Church, pp. 311, 328.

(٣) متى ٥: ٣ـ٦.

(٤) مرقس ٣: ٢١.

(٥) Peake's Commentary, p. 685.

(٦) B.M.Allen: The Story Behind the Gospels, p.7.

http://kotob.has.it/

(٤) حذف معجزة:

كذلك يروي إنجيل مرقس أن المسيح وضع أصابعه في أذني رجل أصم وأعقد و «تفل ولمس لسانه» فعاد صحيحًا، وتفل في عيني رجل أعمى ووضع يديه عليه فأصبح صحيحًا[١]. يقول بيك في تفسير هذه المواقف:

"Mt. Omits this story, perhaps because the methods employed ... savour of magic".

«حذف متى هذه القصة وربما لأن الوسائل التي اتخذها [المسيح للشفاء] تشبه وسائل السحر».

وثمة باحثون مسيحيون آخرون أيضًا اعترفوا بوجود التحريف في هذا الموضع[٢].

(٥) كتمان مظاهر العبدية:

كلمات إنجيل مرقس وعباراته التي كانت تدل على بشرية المسيح، فقد صرِّف في هذه الكلمات في الأناجيل الأخرى ولا سيما في إنجيل متى. يروي إنجيل مرقس على سبيل المثال، أن المسيح حين سأل التلاميذ عن نفسه أجاب بطرس قائلاً: «أنت المسيح» ولكن متى أضاف إلى ذلك بعض الجوانب قائلاً وأنت هو المسيح ابن الله الحي[٣].

(٦) ثمن المثمّن:

يعتبر إنجيل متى عادة أنسب الأناجيل للمواعظ والخطب في الكنائس[٤].

وهو أكثر الأناجيل الأربعة تصرُّفًا وتحريفًا في نقل العبارات من العهد القديم ومن الأناجيل الأخرى [وإن كان إنجيل يوحنا أكثر شهرة في تغيير هوية المسيح الصحيحة وتعاليمه كما وضحنا ذلك في المقارنات بينه وبين الأناجيل المتوافقة]. ونذكرها مثالاً لهذا النوع من التحريف الذي ارتكبه صاحب هذا الإنجيل.

جاء في إنجيل متى أن يهوذا الإسخريوطي أخذ من رؤساء الكهنة ثلاثين من الفضة

---

(١) مرقس ٧: ٣٢_٣٥، ٨: ٢٣_٢٥.

(٢) Peake's Commentary, p. 690; The Story Behind the Gospels, p. 6.

(٣) مرقس ٨: ٢٩، متى ١٦: ١٦.

(٤) Concise Oxford Dictionary of the Church, p.328.

http://kotob.has.it/

رشوة على أن يُسَلِّم المسيح لهم ولكن بعد أن فعل ذلك ندم وطرح الفضة في الهيكل وانصرف، واشترى بها رؤساء الكهنة حقل الفخاري مقبرة للغرباء [وقد ذكرنا هذا ضمن تناقضات العهد الجديد]. يقول متى معلقًا على هذا: «وحينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه وأعطوها عن حقل الفخاري كما أمرني الرب»[١].

فأولاً، الإشارة إلى إرميا خاطئة في هذا القول. جاء في موضع من سفر إرميا كلام شبه فيه بناء بيوت إسرائيل وهدمها على يد الرَّب بالطين في يد الفخاري، أي أن الرب يبني ويهدم كما يشاء. وفي موضع آخر من هذا السفر يوجد ذكر شراء حقل[٢] [ليس حقل الفخاري]. وكانت في ذهن متى فكرة عن هذه العبارات الواردة في موقفين مختلفين، فجعلهما موقفًا واحدًا وربطه بقصة الإسخريوطي رغم أن عبارة سفر زكريا التالية أنسب لهذا الربط[٣].

«فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة. فقال لي الرب ألقها إلى الفخاري. . فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب»[٤]. فالإشارة إلى إرميا بدلاً من زكريا دليلٌ قوي آخر في نفسها على أن هذا الإنجيل كلام إنساني وليس كلام الله العليم الخبير. فهذه نتيجة ضمنية، ونحن هنا بصدد مناقشة التحريفات والشيء الأصلي الذي نريد أن نوضحه هنا هو أن الكلام المذكور في سفر زكريا لا ينطبق على أحوال يهوذا التلميذ. فإنجيل متى يقول: «فأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه»؛ ولكن في سفر زكريا لم يثمن شخص. وانتهز إنجيل متى التشابه الجزئي الموجود بين القصتين [ذكر النقد أو الفضة والفخاري والمقدس والهيكل أو بيت الرب]، وغض النظر عن أن ذكر الرشوة أو ثمن الدم معدوم في سفر زكريا، بل يوجد فيه ذكر أجرة رعاية الغنم المباركة. وأمَّا إلقاء الفضة فإن لم يكن لأجل الندامة بل كان بأمر الرب؛ ثم إنه ألقى الفضة إلى الفخاري لم يطرح لشراء حقل الفخاري مقبرة للغرباء. والجمع بين عبارتين كل منهما تنبعث عن سياق مباين وتدل على معاني مختلفة؛ فالجمع بينهما ومحالة تطبيقهما على موقف مختلف بقوله: «وحينئذٍ

---

(١) متى ٢٦: ١٤ـ١٦، ٢٧: ٣ـ١٠.
(٢) إرميا ١٨: ١ـ ٨، ٣٢: ٦ـ ١٤.
(٣) Peake's Commentary, p. 722; J.C. Fenton: St. Matthew (Penguin Books), 1963, p.432.
(٤) زكريا ١١: ١٢ـ١٣.

http://kotob.has.it/

تم ما قيل . . . » مثال مخيف للتحريف يدل على الخيانة(١) .

وثانيًا حين يروي إنجيل مرقس قصة خيانة يهوذا [وإنجيل لوقا معه] يكتفي بقوله إن كهنة اليهود وشيوخهم «وعدوه أن يعطوه فضة(٢)» ولم يشر إلى إرميا أو زكريا كما أنه لم يذكر عدد الثلاثين . وأما إنجيل متى فقد زاد عدد الثلاثين لتقرب قصة يهوذا شابهًا إلى ما ورد في سفر زكريا . وإن كان استنتاجنا هذا يقوم على الحقائق العلمية فإنه يعترف به الباحثون والمفسرون المسيحيون أيضًا . يقول بيك في تفسيره :

"Mt....alone tells us that Judas received thirty pieces of silver. This is due to Zech. 11:12f".

«إنجيل متى فقط يخبرنا بأن يهوذا أخذ الثلاثين من الفضة . وهذا [أي ذكر العدد] وجد لأجل سفر زكريا ١١ : ١٢ وما بعدها»(٣) .

(٧) إنجيل يوحنا المحرّف:

مضى الحديث عن الفروق بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى في هذا الباب تحت عنوان تناقضات الكتاب المقدس . وهذه الفروق متميزة وجوهرية لدرجة أن العديد من الباحثين المسيحيين سلّموا بالتهمة القائلة إن صاحب هذا الإنجيل حرّف في شخصية المسيح وأحواله وتعاليمه . وقد مضى قول الباحث الألماني هارنيك بأن هذا الإنجيل يجري على لسان المسيح عبارات موضوعة . وترى دائرة المعارف الكاثوليكية أن مؤلف الإنجيل كتب هذه الحوارات المختلفة عن بقية الأناجيل تحت تأثير خارجي ، وترى أيضًا أن :

"There are indications of more than one hand in the Gospel".

«هناك آثار تدل على وجود أكثر من يد في تأليف هذا الإنجيل»(٤)

ويقول بوركت :

---

(١) والإشارة إلى زكريا في الحقيقة مثال لزعيم ديني (وقد ذكر المفسرون اسم هذا الزعيم الكاهن وهو أويناس - Onias -) ينس عن الافتراق في أمته وطلب الإجازة والأجرة منهم ثم ألقى المبلغ إلى الفخاري العامل في بيت الرب يظهر يأسه وغضب الرب وحطم عصوي «فضل واتحاد» له وانطلق. انظر: زكريا ١١ : ٤ـ١٤ وتفسير بيك ص: ٥٨١ .

(٢) مرقس ١٤ : ١١ ، لوقا ٢٢ : ٥ .

(٣) Peake's Commentary, p.721.

(٤) New Catholic Encyclopaedia, pp. 1080,1082.

http://kotob.has.it/

"It is quite inconceivable that the historical Jesus of the Synoptic Gospels could have argued and quibbled with opponents,as He is represented to have done in the Fourth Gospel".

«لايمكن التصور أن مسيح الأناجيل المتوافقة التاريخي يظهر في الإنجيل الرابع، وهو يجادل أعداءه ويخوض معهم في المناقشات»(١).

يوجد في الأناجيل المتوافقة في معظم الحالات إلحاح على الحب وصفاء القلب والتوكل على الله والرغبة عن الدنيا؛ ولكن إنجيل يوحنا يصرف النظر عن هذه الأمور ويركز جموده على «العلاقة الخاصة بين المسيح والرب» وعلى إثبات رتبة المسيح الفريدة. ولذلك يقول الدارسون المسيحيون:

"Clearly, the Fourth Gospel gives us a different idea of the teaching of Jesus from what we get in the Synoptic Gospels".

«إنه لمن الواضح أن الإنجيل الرابع يختلف عن الأناجيل المتوافقة في تعاليم المسيح التي يقدمها لنا»(٢).

فتعاليم المسيح في هذا الإنجيل مختلفة كما أن طريقة تقديمها مختلفة أيضًا. وحقًّا تقول دائرة المعارف الأميركية (ج ١٣، ص٧٣) من أن أحدهما - الأناجيل المتوافقة أو إنجيل يوحنا - يعتبر صحيحًا. وبصرف النظر عن التحريفات الجزئية، إما أن يكون الإنجيل الرابع محرَّفًا بأكمله أو أن الأناجيل الأخرى محرَّفة بأكملها.

٣- التحريفات الناتجة عن الترجمات والمخطوطات المختلفة

المخطوطات القديمة والترجمات القديمة والحديثة أيضًا أنتجت، مثل العهد القديم، عددًا كثيرًا من التحريفات في العهد الجديد. وأحد الأسباب الأساسية لهذه الظاهرة أن الأناجيل والرسائل المختلفة باللغات المختلفة ظلت متداولة مدة طويلة، ثم أعطت الكنيسة لبعض منها درجة الصحة والوثوق [راجع الباب السابق للتفاصيل]. ورغم ذلك ظلت المتون والنصوص الموثوقة لدى الكنيسة تمر بأنواع من التصرفات والتحريفات عصورًا(٣). والمراحل التي مرّت بها وثائق العهد الجديد والكتاب المقدس بأجمعه

---

(١) F.C. Burkitt: The Gospel History And Its Transmission (London, 1911), p. 228.

(٢) George Barclay: The Making And Meaning of the Bible (London), 1937, p. 141.

(٣) G.B. Caird: Saint Luke (Penguin Books), 1963, p.32.

http://kotob.has.it/

تختلف عن تاريخ تدوين القرآن الكريم. فالقرآن الكريم موَّحد منذ البداية؛ وقام أبو بكر وعثمان رضي الله عنهما بدور كبير يتمثل في جمع القرآن وتدوينه وفي منع تأثير لهجات القبائل الأخرى في قراءته. ويوجد الاهتمام الشديد منذ البداية بالنص العربي إلى جانب الاهتمام بترجماته إلى اللغات الأخرى، كما أن ظاهرة حفظ القرآن الكريم ظاهرة منتشرة ظلت تساعد على تصحيح أخطاء في النص المكتوب. وقد اهتم المسلمون بحفظ الحديث النبوي الشريف أكثر من اهتمامهم بنفوسهم ـ فكيف بحفظ القرآن الكريم. وأوجد المحدثون علومًا عديدة لصحة الرواة والمتون والأسانيد لدرجة أن يستحيل كتمان الخطأ في متن حديث نبوي شريف. وأما أسفار العهد الجديد الموجودة لدينا بعكس القرآن الكريم والحديث الشريف، فقد بقيت فترة طويلة محرومةً من أي اهتمام رسمي أو ديني، كما أن طبعها ونشرها لم يكن في يد سلطة مركزية؛ وبالإضافة إلى ذلك لم يوجد الاهتمام بحفظ نصوصه في القلوب. وكان الأمر يقتصر على النساخ، وهؤلاء كانوا يغيرون في النصوص بطريقة متعمدة الأمر الذي وصل عدد قراءات العهد الجديد الاختلافية ـ إلى جانب العهد القديم ـ إلى الآف ألف [انظر الفصل بعنوان «المخطوطات القديمة للكتاب المقدس والكتاب المقدس الحالي في الباب السابق وخاصة في الهوامش»]. فالقياس يقول: إن هذه الكثرة في القراءات كانت نتيجة أخطاء النساخ اللاإرادية ولكن عددًا معقولاً منها يندرج تحت التحريف والتغيير الإرادي والباحثون من المسيحيين يعترفون بهذا رغم أنوفهم يقول تفسير مشهور:

"A copyist would sometimes put in not what was in the text, but what he thought ought to be in it.He would trust a fickle memory, or he would make the text accord with the views of the school to which he belonged".

«والناسخ لم يكن ينسخ الموجود فعلاً بل كان يكتب ما يظنه في رأيه صحيحًا؛ وكان يعتمد في ذلك على ذاكرته الضعيفة، وكان يجعل النص موافقًا لأفكار المدرسة [الفرقة] التي ينتمي إليها»(١).

يقول باحث مسيحي آخر معترفًا:

"Copying in the first days was not accurate. We know that marginal notes and words between the lines were incorporated in the text".

---

(١) J.R.Dummelow: A Commentary on the Holy Bible, p.xvi.

http://kotob.has.it/

«كان النسخ في العصور الأولى غير صحيح. ونحن نعلم أن الهوامش والكلمات المكتوبة بين السطور، كانت تضم إلى النص»(١).

ويقول باحث آخر:

"There was no hesitation in altering it, or making addition to it, or in leaving out what did not suit the writer's purpose".

«لم يكن يتردد الناسخ في أن يترك ما يخالف غرضه أو يغير فيه أو يضيف إليه»(٢).

وتقول دائرة المعارف الأميركية بعد مناقشة الأخطاء بنوا عليها، معترفة بوجود التحريفات:

"More serious are the intentional changes introduced by scribes, and before them by owners of manuscripts".

«أخطر المتغيرات هي تلك التغييرات الإرادية المتعمدة التي قام بها الكاتبون والذين اقتنوا المخطوطات»(٣).

ويقول دارس آخر بعد التسليم بالتحريفات الإرادية في المخطوطات والترجمات:

"We cannot always be sure that our versions are accurate translations of the original manuscripts.Not only have the originals been lost, but some of the copies may contain errors".

«لا يمكننا أن نطمئن في جميع الأحوال إلى أن ترجمة نسخنا صحيحة للمخطوطات الأصلية. فلم تصنع المخطوطات الأصلية فحسب بل تحمل بعض النسخ المنقولة أخطاء أيضًا»(٤).

ويرى باحث مسيحي آخر من خلال المقارنة بين مئات المخطوطات المختلفة لإنجيل مرقس، فهو يرى أنه لا يوجد مخطوطتان تتفقان فيما بينهما اتفاقًا تامًا(٥).

والآن نقدم أمثلة للتحريفات الإرادية المتعمدة الناتجة عن المخطوطات والترجمات

---

(١) A Companion to the Bible, p. 163. Also see: Collier's Encyclopaedia, vol. 4, p.120.

(٢) T.G.Tucker: A History of the Christians in the Light of Modern Knowledge, London, p.320.

(٣) Encyclopaedia Americana, vol. 3, p.565.

(٤) R.H. Horton: What The Bible Is, And How It Was Written, p. 61.

(٥) F.C. Grant: The Gospels, Their Origin And Their Growth, London, 1957, p.80.

http://kotob.has.it/

للعهد الجديد.

(١) «ابن الله» يبدأ إنجيل مرقس الحالي بما يلي:

«بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله»(١). ولكن بعض المخطوطات القديمة والموثوقة بها لهذا الإنجيل يذكر الكلمات التالية:

«بدء إنجيل يسوع إنجيل»(٢). فـ«ابن الله» تحريف حيث أضيف إليه في العصور المتأخرة.

(٢،٣) هامش على «البركة» والدعاء:

حدث كثيرًا أن النساخ أثناء نسخ النص كتبوا من عندهم كلمات أو جملاً لشرح النص على الهوامش، ولكن هذه الكلمات أو الجمل انضمت إلى النص وأصبحت جزءًا من المتن. فإنجيل يوحنا، على سبيل المثال، يذكر بركة كانت الناس تأتي إليها للشقاء «لأن ملاكًا كان ينزل أحيانًا في البركة ويحرك الماء. فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من المرض الذي اعتراه(٣)». يقول العلماء المسيحيون عن هذه الكلمات:

"(they) are omitted by many ancient authorities".

«إنها محذوفة في كثير من المخطوطات الموثقة القديمة»(٤).

وكذلك تأتي الكلمات الآتية في الدعاء المسيحي المشهور «لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين» فهذه الكلمات لا توجد في أصح المخطوطات اليونانية(٥). ولذلك يبدو في أغلب الظن أن هذه الكلمات كانت في أول الأمر على الهوامش ثم أصبحت جزءًا من المتن.

والجدير بالذكر أن الآيتين المذكورتين آنفًا توجدان في نسخ الكتاب المقدس الحالي بين الأقواس المربعة أي أنها مشكوك فيها. ومن يدري أنها ستحذف منه «بإرشاد من الروح القدس» يومًا ما ـ وقد حذفت الآية الثانية بالفعل من الكتاب الكاثوليكي(٦)!

---

(١) مرقس ١:١ .

(٢) D.E. Nineham: Saint Mark (Penguin Books), 1963, p.56; Catholic Bible, p.32, footnote "a"; R.A. Cole: Tyndale Commentary on St. Mark, London, 1963, p. 56.

(٣) يوحنا ٥:٤ .

(٤) George Milligan: The New Testament And Its Transmission (London/Glasgow, 1932), p.21.

(٥) Ibid., p. 22.

(٦) الكتاب البروتستانتي الأردي، ص: ٩، ٨٦ والكتاب الكاثوليكي الأردي، ص: ١٠ .

http://kotob.has.it/

٤ـ التغييرات في المخطوطات القديمة:

ثمة أمثلة، بصرف النظر عن الاختلافات والتحريفات في المخطوطات العادية، تدل على التغييرات الجريئة في مخطوط محترم وموثوق به. فحين طبعت مثلاً صورة للمخطوط الواطيقاني ١٩٦٥م جاء فيها اعتراف المدونين قائلاً:

"The different hands that corrected and annotated the manuscripts over the centuries have not yet been definitely discerned."

«لم نعرف معرفة يقينية عن النُّساخ المختلفين الذين قاموا بالتصحيحات أو بالإضافات [في هذا المخطوط] عبر القرون».

وفي مخطوط مشهور آخر ـ وهو مخطوط بيزائي ـ قدم فيه نسب المسيح المذكور في إنجيل متى على أنه جزء من إنجيل لوقا، كما أن التغيرات تلاحظ في هذا النسب. وأيضًا في المخطوط الواطيقاني توجد تحريفات تحت تأثير المرقيون (Marcion) الملحد وعدو اليهود. فقد حذف[١] فيه لفظ «أولاً» الوارد في عبارة من رسالة بولس إلى أهل رومة [١ : ١٦] وهي: «لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني». وذلك لإضعاف فكرة تقدم اليهود على الإغريق.

٥ـ التحريفات المعنوية المتعمدة

وهناك تحريف إرادي متعمد في العهد الجديد المتداول حيث حرف بعض الألفاظ من النسخ القديمة عمدًا، وذلك لتقوية الأفكار الرائجة. ونقدم بعض الأمثلة في هذا الصدد:

(١) صالح أو صلاح؟

سأل شخص وفق إنجيل متى المسيح قائلاً: «أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فأجاب المسيح حسب الترجمات القديمة للعهد الجديد: «لماذا تدعوني صالحًا»؟ [وكان السائل قال له: «أيها المعلم الصالح»[٢]]. ولكن الترجمات الحديثة اعتبرت ذلك تواضعًا من المسيح [ولم يكن هذا التواضع مستساغًا في نظرهم]، وغيرت العبارة كما يلي: «لماذا تسألني عن الصلاح...»[٣].

---

(١) M.Bucaille: op. cit., pp.92-93; A Companion to the Bible, p.153.

(٢) خزانة الأسرار (تفسير متى)، ص: ٣٣٥، ٣٣٦ (متى ١٩ : ١٧).

(٣) George D'oyly: New Testament with Explanatory Notes, London, 1838 (Mt. 19:17).

http://kotob.has.it/

(٢) العلم بالآخرة:

يروي إنجيل متى وإنجيل مرقس أن المسيح قال عن الآخرة: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب»[١].

فلم يعجب عدم معرفة المسيح حقيقة الآخرة بعض النساخ والمترجمين، ولذلك حذفت الكلمات «ولا الابن» من المخطوطات القديمة الإنجيل متى[٢]. وفي الترجمة الحديثة للكتاب الكاثوليكي، وردت هذه العبارة هكذا: «وأنما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء إلا الأب».

ولكن عبارة مرقس حرف فيها تحريف معنوي بحيث علق عليها بالكلمات التالية: يعلم المسيح من حيث الرب كل شيء، ولكنه من حيث المعلم لا يعلم ذلك اليوم لأنه لا يناسب إظهار ذلك اليوم علينا[٣].

(٣) الأحكام أو التعاليم:

يقول بولس في إحدى رسائله: «اثبتوا إذًا أيها الإخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها سواءٌ كان بالكلام أم برسالتنا[٤]» في الترجمات القديمة كانت الأحكام بدلاً من التعاليم أي الروايات، ولكنها الآن استبدلت لتقليل أهمية الأحكام الشرعية[٥].

(٤) الإنسان وابن الله:

والأمثلة التي تحدثنا عنها في الباب السابق في موضوع الاختلافات بين المخطوطات المختلفة للكتاب المقدس، فبعض هذه الأمثلة أيضًا تندرج تحت التحريفات الإرادية. فقد قال الحاكم الرومي بيلاطس مثلاً عن المسيح: «إني بريٌّ من دم هذا البار» ولكن كلمة «البار» محذوفة في بعض المخطوطات، وذلك لإخفاء العبارات التي تدل على بشرية

---

(١) الكتاب البروتستانتي الأردي، ص: ٢٣، الكتاب الكاثوليكي، ص:٢٩ الكتاب الكاثوليكي الإنجليزي، ص:١٩ .

(٢) مرقس ١٣ : ٣٢، متى ٢٤ : ٣٦ .

(٣) تفسير بيك، ص: ٧٢٠، تفسير دملو، ص: ٧٣٧. ويذكر التفسير أن سبب هذا هو أن الكلمات كانت تسبب معضلة عقدية ولهذا جاز حذفها!

(٤) تسالونيكي (٢) ٢ : ١٥ .

(٥) J.R. Dore: Old Bibles, London, 1876, p. 96.

http://kotob.has.it/

المسيح. وكذلك ما يروى من ظهور «العلامات الرهيبة» بعد صلب المسيح وقول قائد المئة بأنه «حقًّا كان هذا الإنسان ابن الله». فهذا أيضًا مثال للتحريف الإرادي(١).

(٥) السجدة المحرفة:

يروي إنجيل لوقا أن التلاميذ بعد قيام المسيح من الأموات وقبل صعوده إلى السماء «سجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم». وظلت هذه العبارة تقدم دليلاً على أن التلاميذ كانوا يضعونه في درجة الألوهية. ولكن الدراسة الحديثة تكشف أن هذه العبارة لم تكن موجودة في كثير من المخطوطات القديمة الموثوقة بها. ولذلك يقول تفسير ضخم وحديث للكتاب المقدس:

"Omitted by Codex Bezae and its allies, and probably an interpolation".

«لا توجد [هذه الكلمات] في المخطوط البيزائي والمخطوطات الأخرى الكثيرة. وهي في الأغلب مقحمة لاستكمال النص»(٢).

٦- بعض التحريفات المهمة والمُسلّم بها في العهد الجديد

يعترف الباحثون المسيحيون ببعض التحريفات التي ذكرناها حتى الآن، وقد أشرنا إلى اعترافاتهم بها أيضًا. ولكننا نود هنا أن نذكر تلك المواضع من العهد الجديد التي أُجمِع على حدوث التحريف فيها جل الدارسين والباحثين المحدثين. فقد أجمعوا على أنها محرَّفة أو ظلت محرَّفة أي أنها بقيت تعتبر نصوصًا مقدسة للعهد الجديد؛ ولكنها الآن تُخرج من الكتاب بدليل الإلحاق أو التحريف فيها، مع أن عددًا معقولاً منها هو الذي يوفر الأسس المسيحية وعقائدها المتداولة.

مخطوط الملك جيمس ومراجعته:

يصرح المخطوط المنقح للكتاب المقدس الذي أعيد النظر فيه بأن عدة أماكن [أكثر من خمسين] من العهد الجديد حدث فيها التبديل والإضافة. وقبل أن نقدم أمثلة لهذه الأماكن نود أن نعرف هذا المخطوط:

طبع في إنجلترا سنة ١٦١١م مخطوط موثق (Authorized Version) ويعرف بمخطوط

---

(١) متى ٢٧: ٢٤ مرقس ١٥: ٣٩ — Encyclopaedia Biblica, c.4701.

(٢) لوقا ٢٤: ٥٢ — The Interpreter's Bible (New York, 1952), vol. 8, p.434;

http://kotob.has.it/

جيمس (King James' Version) أيضًا، وله أهمية كبيرة في تاريخ تدوين الكتاب المقدس وتصحيحه. ولكن المسيحيين أحسوا بحاجة التنقيح وإعادة النظر فيه في المؤتمر المسيحي الذي انعقد في القرن التاسع عشر، وقرَّروا أن تكون هذه المراجعة في ضوء الأبحاث الحديثة. وفي أمريكا أيضًا أحسَّ الناس بهذه الحاجة الماسَّة، فطبعوا نسخة أمريكية موثقة. ثم ظهرت حقائق تاريخية أخرى وجاءت الحفريات بمعلومات جديدة، ودعت إلى المراجعة وإعادة النظر. ولذلك طبع سنة ١٩٤٦م العهد الجديد وفي سنة ١٩٥٢م طبع الكتاب المقدس كله بعد المراجعة والتنقيح وإعادة النظر، الذي عُرف بالنسخة المنقحة الموثقة (Revised Standard Version) وفي سنة ١٩٦٦م قبلها المسيحيون الكاثوليكيون أيضًا[١].

وتتضمن هذه النسخة فهرس المواضع التي حرِّفت فيها أو أضيفت إليها عبارات لم تكن موجودة في النص الأصلي، وإن كانت بعضها أرجعت إلى الحالة السابقة في الطبعات الكاثوليكية[٢]. وهذا يعني أن عدد الآيات التي أخرجت من الطبعة البروتستانتية أكثر من الآيات التي أخرجت من الطبعة الكاثوليكية، وثمة اختلاف بين الطبعتين في تحديد الآيات المحرفة أو المعلقة. ونحن لا نعلم بطبيعة الحال أية الطبعتين حظيت «بإرشاد الروح القدس أو الإلهام الرباني».

وعلى أية حال نذكر بعض الأمثلة للأماكن التي حرف فيها أو ألحقت إليها العبارات التفسيرية:

(١) **الزاني أو الصالح؟**: «أقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا أو تزوج بأخرى يزني والذي يتزوج بمطلقة يزني»[٣]. ففي النسخة المنقحة حذفت الكلمات التي تحتها خط على أنها ملحقة [ولكنها أرجعت إلى الطبعة الكاثوليكية مرة أخرى]. فهل يعني هذا أن الذي يتزوج بمطلقة [التي طلقت بسبب آخر غير الزنا] يعتبر زانيًا حسب المخطوطات القديمة ولا يعتبر كذلك وفق النسخة الحديثة؟

(٢) **الحجر**: «من سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه»[٤]. وأخرجت هذه العبارة أيضًا على أنها ملحقة.

---

(١) The Catholic Bible (R.S.V.), p.v.
(٢) Ibid., pp. 254-259.
(٣) متى ١٩: ٩.
(٤) متى ٢١: ٤٤.

http://kotob.has.it/

(٣) الاعتماد على المال: «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله»[١]. الكلمات التي تحتها خط اعتبرت ملحقة في النسخة المنقحة.

(٤) المغفرة: «إن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السموات أيضًا زلاتكم»[٢]. وهذه العبارة حذفت من النسخة المنقحة، ولكنها مكتوبة بين الأقواس المربعة في النسخ الحديثة الأخرى. وهذا يعني أنها تحت المراجعة والنظر.

(٥) صياح الديك: «أنكر [بطرس] معرفة المسيح وخرج إلى الدهليز ـ فصاح الديك». حذفت الكلمات الأخيرة لخلاف موجود بين إنكار بطرس وعدد صياح الديك. وقد وضحنا ذلك في الباب السابق.

(٦) الإحصاء مع الأثمة: «فتم الكتاب القائل وأحصى مع أثمةٍ». هذه الآية أيضًا محذوفة من هذه النسخة، وهي تحت النظر في النسخ الأخرى[٣].

(٧) اثنا عشر آية كاملة: الجزء الأخير من إنجيل مرقس[٤]، وهو يشتمل على اثنى عشر آية، تعتبر لدى مدوني النسخة المنقحة وعند الباحثين الآخرين محرَّفًا أو ملحقًا. والجدير بالذكر أن هذا الجزء له أهمية بالغة في العقائد المسيحية لأنه يتحدث عن أحوال المسيح بعد قيامه من الأموات وظهوره لتلاميذه. وإن اعتبر هذا الجزء ملحقًا فإن كثيرًا من أسس الديانة المسيحية تسقط. وهو ما يقرره أبحاث الدارسين المسيحيين من أنها محرَّفة وملحقة[٥]. ولم تكن هذه الآيات موجودة في النسخ القديمة التي كان يستعملها الآباء أمثال جيروم (Jerome) يوسيبيوس (Eusebius) بل إنها زيادات حدثت في العصور المتأخرة[٦].

(٨) الجسم والدم: «وأخذ خبزًا وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكري. وكذلك الكأس أيضًا بعد العشاء قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم»[٧].

---

(١) مرقس ١٠ : ٢٤.
(٢) مرقس ١١ : ٢٦ - الكتاب البروتستانتي الأردي، ص: ٤٦.
(٣) مرقس ١٥ : ٢٨ - الكتاب البروتستانتي، ص: ٥٠.
(٤) مرقس ١٦ : ٩ـ٢٠.
(٥) R.A.Cole: Tyndale's Commentary on Mark, p.257; Hastings' Dictionary of the Bible, p. 142; Dummelow's Commentary, p. 732-733.
(٦) Bratton's History of the Bible, p.134.
(٧) لوقا ٢٢ : ١٩ـ٢٠.

http://kotob.has.it/

وهذه الآيات، وخاصة الكلمات التي تحتها خط تعتبر أساسًا للعقائد المسيحية، ولا سيما للطقوس مثل العشاء الرباني، ولكنها محرَّفة وملحقة حسب النسخة المنقحة، ولذلك حذفوها منها. ولكنها أرجعت إلى الطبعة الكاثوليكية، رغم أن المدونين سلَّموا بعدم وجودها في المخطوطات القديمة[١].

(٩) انهدام الأساس الذي قام عليه البناء:

الآيات التالية المذكورة في الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل لوقا ملحقة في نظر النسخة المنقحة للكتاب المقدس، رغم أنها تتعلق بعقائد الديانة المسيحية الأساسية، إذا أنها تشتمل على الأحداث التي ظهرت بعد قيام المسيح من الأموات وظهوره لتلاميذه وصعوده إلى السماء وكونه شريكًا للرب والإله.

«لم يجدن جسد الرب يسوع . . . ليس هو ههنا لكنه قام. . . فقام بطرس وركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة. . . وأصعد إلى السماء فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم»[٢].

وأما الطبعة الكاثوليكية للنسخة المنقحة، فإنها بعد أن سلمت بعدم وجود هذه الآيات في المخطوطات القديمة أبقتها فيها كما هي[٣]. وقد أكد الباحثون عن الآيتين الأخيرتين تأكيدًا على عدم وجودهما في الوثائق المعتمدة القديمة[٤].

(١٠) النساء اللاتي رأين المسيح بعد قيامه من الأموات: وقد اعترف الباحثون الآخرون إلى جانب مدوني النسخة المنقحة بعناصر الكذب والمبالغة والتحريف في الأحداث التي تروى في قيام المسيح من الأموات وظهوره للتلاميذ والنساء. تقول إحدى دوائر المعارف معلقة على ظهور المسيح لامرأتين في أورشليم:

"The appearance in Jerusalem to the two women is almost universally given up".

«وقصة ظهور المسيح للمرأتين في أورشليم قصة متروكة تقريبًا»[٥].

---

(١) Th Catholic Bible (R.S.V.), pp.80, 256.

(٢) لوقا ٢٤: ٣، ٦، ١٢، ٤٠، ٥١، ٥٢.

(٣) الطبعة المنقحة الكاثوليكية ص: ٨٤، ٨٥، ٢٥٦، ٢٥٧.

(٤) Dummelow's Commentary, p. 769.

(٥) متى ٢٨: ٩، ١٠ Encyclopaedia Biblica, c. 1878;

http://kotob.has.it/

(١١) **ابن الإنسان أو ابن الله؟** حذفت من إنجيل يوحنا الكلمات مثل «الوحيد» و«الذي في السماء» وأحيانًا كتب «ابن الإنسان» بدلا من «ابن الله» بدليل أنها كانت محرَّفة[١].

(١٢) **قصة الزانية:** اعتبرت قصة المرأة الزانية كلها المذكورة في إنجيل يوحنا، ملحقة في النسخة المنقحة بينما هي باقية في بقية الطبعات الحديثة، على أنها تحت النظر والإعادة[٢]. وقد اعتبر الباحثون والمفسرون الآخرون أيضًا هذه القصة ملحقة؛ فيقول بيك مثلاً في تفسيره:

"The well - known story of the woman taken in adultery has no claim to be regarded as part of the original text of this Gospel".

«قصة المرأة الزانية المشهورة والتي قبض عليها قصة لا تمت بصلة إلى المخطوطات الأصلية من هذا الإنجيل»[٣].

(١٣) **الآيات الأخيرة:** وكذلك الآيتان الأخيرتان من هذا الإنجيل ملحقتان عند كثير من الباحثين وهما[٤] «هذا هو التلميذ الذي شهد بهذا...» بل إن بعض الباحثين يقول: إن الأصحاح الأخير كله ملحق، والمخطوط الأصلي كان ينتهي عند الإصحاح الواحد والعشرين[٥].

(١٤) **وقد ضاع التثليث أيضًا:** ثمة عبارة في الرسالة المنسوبة إلى يوحنا، وقد كانت تقدم لإثبات التثليث من نصوص الكتاب المقدس حتى عصر قريب؛ ووردت هذه العبارة في الترجمات الأردية القديمة للكتاب الملك جيمس المقدس كما يلي:

الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم في الواحد[٦].

---

(١) يوحنا ١:١٤، ٣:١٣، ٣:١٦، ٩:٣٥.

(٢) يوحنا ٨:١-١١. النسخة الكاثوليكية المنقحة، ص:٢٥٧، الكتاب المقدس البروتستانتي الأردي، ص:٩٠، ٩١.

(٣) Peake's Commentary, p. 765; R.V.G. Tasker: Tyndale Commentary, on St. John, London, 1964, p. 110.

(٤) يوحنا ٢١: ٢٤، ٢٥

Tasker: op. cit., pp. 256-257; B.H. Streeter: The Four Gospels, p. 430;

(٥) George Barclay: op. cit., p.146.

(٦) Authorized Version (Gideons), p. 1089.

العهد الجديد، لجنة الترجمة البنارسية، ١٨٧٨م، ص:٣٢٨ (١- يوحنا ٥:٧-٨).

http://kotob.has.it/

ولكن الباحثين الآن يسلمون بأن الكلمات التي تحتها خط محرَّفة وملحقة، رغم أنها روح للعقائد المسيحية الحالية. يقول تفسير بيك:

"The words...are not part of the original text, but are unauthorized though early interpolation".

«هذه الكلمات . . . ليست جزءًا للمتن الأصلي بل إنها إضافة غير معتبرة حدثت في العصر الأول»(١).

ولكن مفسرًا آخر يرى أن هذه الإضافة في عصر متأخر حيث يقول:

"The words...do not occur in any Greek MS, version or quotation, before the fifteenth century".

«هذه الكلمات لم توجد في المخطوط الإغريقي قبل القرن الخامس عشر».

وهو يرى خلال دراسته أن أحد علماء النهضة العلمية وهو إيراسموس (Erasmus) نقل هذه الكلمات أول مرة من مخطوط لاتيني غير معروف، ونقلها في استحياء، ثم شاعت بين النصوص(٢). ولكنها الآن تعتبر ملحقة وقد حذفت بالفعل من بعض الطبعات الحديثة(٣)، وإن كانت باقية في الكتاب الكاثوليكي على أنها تحت النظر والإعادة. فهي محرَّفة دون شك ولكنها إن أخرجت من النصوص المقدسة سينهدم بناء عقيدة التثليث.

سقط التعميد أيضًا: قد تحدثنا في الباب الخامس، عن التحريف في الآية التالية الواردة في إنجيل متى [٢٨ : ١٩].

«عمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس».

صفوة القول في تحريفات الكتاب المقدس العديدة

هناك أمثلة كثيرة أخرى للتحريف في الكتاب المقدس(٤)، ولكننا نكتفي بهذه ونقول إن المناقشة السابقة وتحليل أمثلة التحريف تثبت أن الكتاب المقدس بجزئية العهد القديم

---

(١) Peake's Commentary, p. 920.

(٢) J.R.W. Scott: The Epistles of John, 1964, p.180.

(٣) الكتاب البروتستانتي الأردي، ص: ٢٣٨، الكتاب الكاثوليكي الأردي، ص ٣٢٣.

(٤) ناقش الحافظ ابن حزم من المتقدمين هذا الموضوع مناقشة جيدة، ومن المتأخرين عالج هذه القضية العلامة رحمة الله كيرانوي في كتابه «إظهار الحق».

http://kotob.has.it/

والعهد الجديد ظل موضع التحريف والإلحاق والإضافة منذ البداية. وهذه المناقشة تثبت أيضًا أن الآيات التي تقوم على أساسها أهم العقائد المسيحية محرّفة وملحقة. والمقارنات بين المخطوطات والنسخ القديمة والحديثة لا تحل المشكلة، بل تجعلها معضلة. ولذلك يقول باحث مسيحي:

"Careful comparison of the Bibles published recently with the first and other early versions will show great differences; but by whose authority these changes have been made, no one seems to know".

«النسخ التي طبعت حاليًا [قيل هذا الكلام في ١٨٧٦م] تختلف عن النسخ الأولى القديمة اختلافًا كبيرًا؛ ولكن لا أحد يعلم أساس هذه التغييرات ومصدرها»[١].

ومن نتائج هذه التغييرات والتعريفات والإلحاقات صعوبة تحديد جزء من الكتاب المقدس يمكن أن يقال عنه بكل ثقة إنه صحيح. وهذا الرأي أيضًا ليس لنا بل إنه جاء من الباحثين المسيحيين أنفسهم. وقد علق برنارد إيلن على الأناجيل الأربعة ولكن ينطبق على نصوص الكتاب المقدس بأجمعها.

"We have, therefore, no security that the narratives and the sayings as given in the Gospels necessarily represent what actually happened or what was actually said".

«لا يوجد لدينا برهان يضمن لنا أن ما وجد من الأحداث والأقوال في الأناجيل هي تلك التي حدثت أو قيلت فعلاً»[٢].

---

(١) J.R.Dore: op. cit., p.98.
(٢) B.M. Allen: op. cit., p.9.

http://kotob.has.it/

الباب التاسع

تعاليم الكتاب المقدس

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب التاسع

تعاليم الكتاب المقدس

في الباب الثاني من هذا الكتاب تعرضنا لتعاليم المسيح التي يرويها الكتاب المقدس لنا، والتي تتفق مع تعاليم الأنبياء الآخرين؛ ولذا من الممكن، أن يظن أن هذه التعاليم توجد في تلك النصوص والأجزاء التي ظلت محفوظة من التحريف. ولكن مجموعة التناقضات والتحريفات البشرية هذه والتي تُعرف «بالكتاب المقدس»، تحمل في ثناياها أشياء وأفكارًا لا تليق بالدين وأنظمته الأخلاقية الرفيعة، وسنقدم في هذا الباب بعض ملامح هذه الأفكار.

١- تصور الإله

حينما يسجد الإنسان ـ بصرف النظر عن الديانة التي يعتنقها ـ لربه وإلٰهه يعتقد أن إلٰهه المجيد والعظيم منزه عن الضعف البشري، وأنه منبع لجميع القدرات ومالكها. ومع ذلك هناك ديانات بدائية وثنية ترى وجود الآلهة الصغار إلى جانب إلٰه أكبر، وترى أيضًا أن الإلٰه يشبه الإنسان ويماثله[١]. ولكن الديانات الكبرى تنزه الإلٰه عن الصفات البشرية، كما أنها تنكر وجود شركاء في قدرته وعبوديته. والمسيحية أيضًا تدَّعي تصور الإلٰه العلي العظيم، ولكن عقائد المسيحية المتداولة لا تصدق هذا الادعاء. فقد أزالت المسيحية تصور التوحيد بعقيدة التثليث، وأما ما يتعلق بالتنزيه فإن نصوص الكتاب المقدس تبدو وكأنها لا تمت بصلة إلى ما يقدمه دين سماوي عظيم من تصور الإلٰه، بل إنها أقرب إلى الديانات البدائية، ولا تختلف في هذا الأمر عن معيار الوثنيين القدماء[٢]، فانظر الأمثلة التالية:

(١) يحتاج الإلٰه إلى استراحة:

يقول سفر التكوين: وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل «فاستراح في اليوم السابع»[٣]. وفي ترجمات بعض اللغات مثل الترجمات الأردية الحديثة حُرّفت هذه

---

(١) E.E.Idowu: op. cit. (African Traditional Religion), Introduction.

(٢) J.A. Farrar: Paganism And Christianity, Edinburgh, 1891, pp.2,3,5.

(٣) التكوين ٢: ٢.

http://kotob.has.it/

العبارة بقولهم: «وأنهى الله العمل الذي عمل في اليوم السابع وفرغ من العمل الذي عمل في اليوم السابع». فهذا التكرار تحصيل حاصل ولا معنى له، والصحيح هي تلك الترجمة الموجودة في نسخ الكتاب المقدس والتي مازالت باقية في الكتاب المقدس الكاثوليكي[١] [الإنجليزي والأردي]. فهذه الترجمة تعطي تصور الإله الذي يتعب ويكون في حاجة إلى استراحة.

(٢) المشي في الجنة عند هبوب ريح النهار :

والإله، حسب الكتاب المقدس، يمشي في الجنة إلى جانب الاستراحة، حيث يقول: «وَسمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار»؛ والإله بالإضافة إلى ذلك يتمتع «برائحة الرضا»[٢] أيضًا التي تخرج من القرابين.

(٣) حزن الإله وتأسفه :

حين رأى الرَّب شرَّ الإنسان «حزن . . . إنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه»؛ وكذلك ندم الرب على أن جعل شاؤل ملكًا، لأنه رجع من ورائه ولم يُقِم كلامه[٣]. فهذه العبارات كما أنها تدل على حزن الرب وندامته تؤكد أيضًا عن طريق غير مباشر أن الإله وسع كل شيء علمًا وأنه قدير.

(٤) الإله يُشْدَهُ من تقدم آدم ويكون غير ملمّ بالأحوال :

يخبرنا الكتاب المقدس بأنه حين أكل آدم من الشجرة المحرَّمة «قال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منَّا عارفًا الخير والشر [ولا ندري إن كانت الإشارة إلى الآلهة الكثيرين أو الملائكة]، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد»[٤]. فكأن الإله لا يريد أن يعرف الإنسان الخير والشر ويميز بينهما، كما أنه ـ حسب هذه النصوص ـ يُشْدَه من أمنية الإنسان للحياة الأبدية وصلاحيته لها.

وكذلك حين بدأ بنو آدم في بناء بُرج [وذلك في بابل] الذي «رأسه في السماء» «نزل

---

(١) الكتاب المقدس الكاثوليكي الأردي ص: ٢ والكتاب المقدس الإنجليزي (آر ـ ١ يس ـ وي)، ص: ٢.

(٢) التكوين ٣: ٨، ٨: ٢١ .

(٣) المرجع السابق ٦: ٦ ، صموئيل الأول ١٥: ١١، ٣٥ .

(٤) التكوين ٣: ٢٢ .

http://kotob.has.it/

الرب لينظر»[١]، وقال: «هوذا هم شعب واحد ولسان واحد لجميعهم . . . الآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلمَّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض»[٢]. فكأنَّ الإله يخاف من وحدة الناس!

(٥) **المصارعة بين الإله والإنسان**: يقول لنا الكتاب المقدس بأن الإله نزل ليلةً في صورة الإنسان وصارع يعقوب، وعجز عن التغلب عليه لدرجة أنه قال: «جاهدت مع الله والناس وقدرت». وظل الإله يطلب من يعقوب أن يخلي سبيله قائلاً: «أطلقني لأنه قد طلع الفجر». ولكن يعقوب لا يقبل ذلك قائلاً: «لا أطلقك إن لم تباركني». وهكذا أخذ يعقوب البركة منه[٣].

(٦) **عجز الإله وعدم قدرته**: الإله الذي يقدمه الكتاب المقدس يستطيع أن يسيطر على الضعفاء، ولكنه يعجز عن التغلب على الأقوياء. تأمل في النصوص التالية:

«كان الرب مع يهوذا فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد»[٤]. فالإله الذي لا يقدر على مركبات حديد كيف يقاوم قوة الدبابات والطيارات!!

(٧) **الإله يخدع**: ينسب الكتاب المقدس الخداع أيضًا إلى الرَّب [ونعوذ بالله من ذلك]، حيث يقول: «فقلت آه يا سيد الرب حقًّا إنك خداعًا خادعت هذا الشعب وأورشليم، قائلاً يكون لكم سلام وقد بلغ السيف النفس»[٥].

وثمة خداع غريب ينسب إلى الإله كذلك وهو ما ورد في قصة داود، حيث أمره الرب بإحصاء الناس. ثم غضب على ذلك، وعاقب داود عقابًا شديدًا، حيث جعل وباءً في إسرائيل[٦].

وكذلك نجد مثل هذا في قصة بلعام ـ أحد المقرّبين إلى الله ـ أنه حينما دعاه موآب ليلعن

---

(١) كأن الإله ينزل إلى الأرض لمعرفة الأشياء والأمور! وقد جاء مثل هذا في قصة مدينتي سدوم وعمورة، حيث يقول الكتاب المقدس: «قال الرَّب: إنَّ صراخ سدوم وعمورة قد كثر. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتي إليَّ وإلا فأعلم». انظر: التكوين ١٨: ٢٠، ٢١.

(٢) التكوين ١١: ١ـ ٩.

(٣) السابق ٣٢: ٢٤ـ٣٠.

(٤) القضاة ١: ١٩.

(٥) إرميا ٤: ١٠.

(٦) صموئيل الثاني ٢٤: ١ـ١٠. وقد مضى ذكره في الباب الثامن، انظر: الهامش رقم ٤ ص: ٢٣٢.

http://kotob.has.it/

بني إسرائيل، رجع بلعام إلى الرَّب للمشورة في هذا الأمر. «فأتى الله إلى بلعام ليلاً وقال له إن أتى الرجال ليدعوك فاذهب معهم». ولكنه عندما ذهب معهم بأمر ربه «حَمِيَ غضب الله لأنه منطلق»(١).

(٨) يغوي الإله عن طريق الأنبياء: ورد في الكتاب المقدس «أن الإله جعل روحَ كذبٍ في أفواه جميع الأنبياء ليُقتَلَ ملك إسرائيل أخآب على أيدي الأعداء. فتنبأ جميع الأنبياء بفوزه في الحرب حتى ينطلق إلى المعركة ويقتل هناك(٢).

(٩) ضعف الإله وغباوته: فيما يلي نصوص يبدو أنها تحمد الله تعالى حمدًا، ولكن عنصر الذم فيها أقوى لأن فيه نسبة السفاهة والضعف إلى الله:

«لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس»(٣).

(١٠) الإله يشدد ولا ينصف:

يدَّعي المسيحيون بكل فخر بأن إلههم يحب الناس ويرحمهم، ولذلك فدى «ابنه الوحيد» لإزالة الخطيئة.

وقد شرحنا التناقض الشديد في هذا الادعاء في المباحث السابقة التي تدور حول موضوع الكفارة. وهنا نريد أن نضيف إلى ما مضى أن الجزء الأول من هذا الادعاء [كون الإله رحيمًا وكريمًا] لا يثبت بأكمله من الكتاب المقدس الذي يخبرنا بأن الإله الرب قتل خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً، لأنهم نظروا إلى تابوت الرب(٤).

وورد في موضع آخر ذكر الإله بأنه «رحيم ورؤوف» ولكنه رغم ذلك «مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع»(٥).

والعهد الجديد أيضًا يخبرنا بأن المسيح اتهم المرائين الفقهاء الفريسيين في عصره «بدم جميع الصالحين» منذ دم هابيل إلى زكريا(٦). [وقد مضى في مناقشة موضوع الكفارة قول

---

(١) العدد ٢٢: ٢٠-٢٢.
(٢) الملوك الأول ٢٢: ٢٠-٢٣، أخبار الأيام الثاني ١٨: ١٩-٢٢.
(٣) ١- كورنثوس ١: ٢٥.
(٤) صموئيل الأول ٦: ١٩.
(٥) الخروج ٣٤: ٦-٧.
(٦) متى ٢٣: ٢٩-٣٦. وانظر لتفسير كلمة «الفريسي»: الهامش رقم ٥ ص: ٢٩٧.

http://kotob.has.it/

يعارض هذا القول تمامًا وهو: «النفس التي تخطىء هي تموت، الابن لايحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن»][١].

ومن أمثلة الظلم الإلٰهي ما ورد في الكتاب المقدس من سلوك الإلٰه مع عيسو ـ أخي يعقوب ـ فالإلٰه أبغضه، وجعل جباله خرابًا وميراثه لذئاب البرية، لأجل حبه ليعقوب؛ ولا نعرف سببًا آخر غيره من مطالعة نصوص الكتاب[٢].

فقدم الكتاب المقدس تصورًا سطحيًا مبنيًا على الجهل عن الله تعالى؛ وأما القرآن الكريم فهو يقدم تصورًا ساميًا للإلٰه، فهو واحد وقدير وغالب على كل شيء كما أنه رحيم وكريم وحكيم في جميع أعماله[٣].

٢ـ موقف الكتاب المقدس تجاه الأنبياء والصالحين

الصورة الذي يقدمه الكتاب المقدس عن الأنبياء والصالحين وآباء القوم (Patriarchs) صورة مشوهة وقبيحة في بعض الأحوال. والجدير بالملاحظة هنا أن اليهود والمسيحيين يعتبرون إبراهيم وبني يعقوب وداود من زعماء الدين وأبطالهم، ولا يعدونهم من الأنبياء المرسلين[٤].

فهناك قصص عجيبة عن هذه الشخصيات في الكتاب المقدس، ولاسيما في العهد القديم، وقد تنسب إليهم أعمال وأخلاق سيئة جدًا يستحيل للمسلم أن يذكرها. ولكننا نريد أن نكشف هذا الجانب من المسيحية أيضًا؛ ولذلك نذكر بعضها مضطرين، ليتضح المقياس الأخلاقي لدى المسيحية الحالية.

(١) النظرة الأساسية للأنبياء:

بصرف النظر عن حشد القصص والروايات التي تقدح في الأنبياء والمرسلين، فإن التصور الأساسي الذي يقدمه الكتاب المقدس عن هذه الشخصيات تصور ناقص للغاية.

فالأنبياء ـ وفق القرآن الكريم ـ هم عباد الله الصالحون الذين اصطفاهم ربهم وأنعم

---

(١) حزقيال ١٨ : ٢٠.

(٢) ملاخي ١ : ٢ـ٣.

(٣) انظر، على سبيل المثال القرآن الكريم ـ ٢ : ١٤٣، ٢ : ١٥٥، ٦ : ١٢، ٦ : ١٧، ٧ : ١٧، ١٨، ١٠ : ٣١، ٥٩ : ٢٢ـ٢٤، ٦٢ : ١، ٦٤ : ١، ١١٢ : ١ـ٤.

(٤) Davis' Dictionary of the Bible, p.599.

http://kotob.has.it/

عليهم[(١)]. ولكن العهد الجديد يسمي الحواريين وآباء الكنيسة الأولين رسلاً، وتؤخذ القرعة لاختيار الرسول الثاني عشر مكان يهوذا الإسخريوطي الخائن[(٢)]. وأما العهد القديم فإنه يعطي تصورًا أغرب من ذلك، فهو يعد كل كاهن نبيًا، [انظر الهامش رقم ٢ ص ٢٨٨] . فاقتحم «الروح الردي» شاؤل من قبل الله، وبدأ يتنبأ في البيت؛ وذات مرة بدأ شاؤل هذا يتنبأ عاريًا من الثياب. وفي موضع آخر نجد أن نبيًا يسمع نبيًا آخر كلام الرَّب المزيف، ويخدعه بهذا، ويوقعه في المصيبة والعذاب[(٣)].

(٢) نوح عليه السلام والخمر:

جاء في الكتاب المقدس في ذكر نوح بأنه كان «بارًا وكاملاً» في زمانه؛ ومع ذلك يقول الكتاب أنه: «شرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه» إلى أن أبصره ابنه حام[(٤)].

(٣) لوط وبناته:

يخبرنا الكتاب المقدس بأن ابنتي لوط سقتا أباهما خمرًا، ثم اضطجعت كل منهما مع أبيها [والعياذ بالله من ذلك]، فحبلتا من أبيهما، وولدت كل منهما ابنًا، أحدهما أبو الموابيين وثانيهما أبو عمون[(٥)]. وحقيقة هذه التهمة المخزية تكمن في الجملة الأخيرة، فكانت هناك عداوة شديدة بين بني إسرائيل والموابيين وبني عمون، وحدثت بينهم حروب طويلة[(٦)]؛ ولذلك زيف بنو إسرائيل أنساب أعدائهم، ولم يبالوا باتهام النبي لوط بهذا الفعل القبيح.

وثمة مبرر للفاحشة التي ارتكبتها ابنتا لوط وفق نصوص الكتاب المقدس، وهو أنه ليس في الأرض رجل يدخل عليهن بعد خراب سدوم وعمورة؛ مع أنه كما يقول ابن حزم: أن إبراهيم عليه السلام كان يسكن قريبًا من هذه المدن [والكتاب المقدس نفسه يقر بأنه شاهد هذا الخراب][(٧)].

---

(١) القرآن الكريم ٢٢:٧٥، ٢١:٢٦، ٦:٨٥ ١٩:٥٨.
(٢) أعمال الرسل ١:٢١ـ٢٦. وانظر أيضًا: متى ١٠:٢، لوقا، الإصحاح التاسع.
(٣) صموئيل الأول ١٨:١٠،١٩: ٢٤، الملوك الأول ١٣:١١ـ٢٦.
(٤) التكوين ٦:٩، ٩:٢٠ـ٢٢.
(٥) التكوين ١٩:٣٠ـ٣٨.
(٦) التثنية ٢٣:٣ـ٦، نحميا ١٣:١، القضاة ٣:١٢ـ٣٠، ١٠:٦،٩،١٨، صموئيل الأول ١١: ١ـ١١، ١٤:٤٧، صموئيل الثاني ٨:٢،١٢، ١٠: ١ـ١٩، الأيام الأول ١٨:٢،١١، الأيام الثاني ٢٠: ١ـ٣٠ وغيرها من الأماكن.
(٧) ابن حزم: الفصل ١:١٣٤، التكوين ١٩: ٢٧،٢٨.

http://kotob.has.it/

(٤) الافتراء المخزي على داود عليه السلام:

ذكرنا في الباب السابق باختصار ضمن التحريفات، افتراءً مخزيًا على داود عليه السلام. والقصة بأكملها شنيعة لدرجة أنها لاتليق بإنسان عادي فكيف تنسب إلى نبي مثل داود عليه السلام الذي وفق الكتاب المقدس، كان عبدًا مرضيًا عند الإله[١] (The man after God's own heart) . وقد وردت هذه القصة المخزية في إصحاح كامل[٢]، ونحن نقدم هنا خلاصتها مكرهين:

في المساء قام داود عن سريره . . . فرأى من أعلى السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة جدًّا . . . فأخذها ودخلت عليه فاضطجع معها وهي مطَهَّرة من طمثها، وحبلت المرأة . . . وكان زوجها أوريا الحثي في حرب مع الأعداء . . . فطلب داود أوريا الحثي ليخفي فعله هذا ولكنه لم ينزل إلى بيته، وذلك لحبه الشديد للقتال والجهاد، ففضل أن ينام على باب بيت الملك. وفي اليوم الثاني حاول داود مرة أخرى ودون فائدة أن يذهب أوريا إلى بيته ويضطجع مع زوجته. وفي الأخير كتب داود مكتوبًا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا، وكتب فيه: «اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت». فهكذا قُتل أوريا خداعًا واستطاع داود أن يخفي فعله. ثم ضم داود زوجته (بت سبع) إلى بيته وصارت له امرأة. فهذه القصة تحمل عدة تهم على داود: تهمة الزنا، وتهمة الخداع، وتهمة القتل، والحقيقة أنها نتيجة التحريف ومزج الكلام الإنساني في الكتاب المقدس: وهي افتراء على آل داود من أعدائهم؛ وقد وضحنا هذ الأمر قبل ذلك [الهوامش: ٥-٧ ص٢٦٠ من الباب الثامن].

ومما يؤسف له أن الكتاب المقدس يعدّ هذه المرأة (بت سبع) أم النبي سليمان عليه السلام[٣].

(٥) الفواحش المروية عن آل داود عليه السلام:

يقول الكتاب المقدس بأن أمنون، ابن داود أيضًا أحب امرأة وزنى بها، وقد فعل هذا مع ثامار أخته من الأب[٤]، وحقق غرضه عن طريق الكذب والخداع، فدعاها إلى البيت

---

(١) صموئيل الأول ١٣: ١٤ .
(٢) صموئيل الثاني: الإصحاح الحادي عشر .
(٣) الملوك الأول ١: ١١ .
(٤) كان أمنون ابن داود، وكانت ثامار بنته، ولكن من أزواج مختلفات. انظر: صموئيل الثاني٣: ٢-٣.

http://kotob.has.it/

وتمكن منها وقهرها واضطجع معها. ولما سمع داود عليه السلام بهذا «اغتاظ جدًّا» ولكن لم يعاقب أمنون لمدة سنتين، إلى أن قتله أبشام شقيق ثامار خداعًا[١].

(٦) طريقة تدفئة حضن داود !:

يقول الكتاب المقدس: «شاخ الملك داود وتقدم في الأيام وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ فقال له عبيده: ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك»، وهكذا نفذ الاقتراح وأحضرت فتاة جميلة وكانت حاضنة الملك[٢].

(٧) تهمة مخزية على سليمان: سبق ذكر هذه التهمة أيضًا في الباب السابق باختصار: يقول الكتاب المقدس بأن الملك سليمان «أحب الكثير من النساء مع بنت فرعون . . . وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري. فأمالت نساؤه قلبه. وفي زمان شيخوخة سليمان استمالت النساء قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه . . . وعمل سليمان الشرَّ في عيني الرَّب ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه»[٣].

ومؤلف هذا الجزء من الكتاب المقدس اعتبر داود، بفضل «كرمه» تابع الرب تمامًا وعدّ قلبه كاملاً مع الرب إلهه، ولكنه اتهم سليمان بتشجيع عبادة الأصنام[٤]. والمدهش أن هذه التهمة تنسب إلى الشخصية التي قال عنها الرب، كما ورد في الكتاب نفسه: «هو يكون لي ابنًا وأنا له أبًا»[٥].

(٨) تحقير علاقات القرابة المحترمة:

ثمة نصوص في الكتاب المقدس تلوّث العلاقات والأواصر المحترمة: مثل ما ذكرنا في قصة أمنون مع أخته. وأيضًا يقول الكتاب المقدس: إن زوجة إبراهيم سارة كانت أخته أي ابنة أبيه. والنص التالي يخدش علاقة العمة حيث يقول: «وأخذ [عمرام] عمته زوجة له، فولدت له هارون وموسى»[٦].

---

(١) صموئيل الثاني: الإصحاح الثالث عشر.
(٢) الملوك الأول ١:١-٤ .
(٣) المرجع السابق ١١:١-٦ .
(٤) السابق ١١:٧-٨. وأيضًا اتهم هارون بصنع معبود باطل في صورة عجل. انظر: الخروج٣٢:١-٦ .
(٥) الأيام الأول ١٧: ١٣ .
(٦) التكوين ٢٠:١٢، الخروج ٦:٢٠ .

http://kotob.has.it/

وجاء في قصة طويلة أن كنَّة يهوذا بن يعقوب تنكرت بزي العاهرة وفعلت الفاحشة مع حميها فحبلت وولدت توأمين. وهي فعلت هذا ـ كما تقول القصة ـ لأنها زُوجَت بأخي زوجها الأول بعد موته، والزوج الثاني لم يسمح لها بالإنجاب. وبعد موت الزوج الثاني وعد حموها يهوذا بزواجها من ابنه الثالث حين يكبر، ولكنه لم يعرف عهده. فأخذت من حميها خاتمه وعصابته وعصاه رهنًا إلى أن يعطيها ثمن الجماع وهو جدي المعزى. وعندما عرف يهوذا أن كنته حُبلى من الزنا أراد أن يحرقها. ولكنها أرسلت إليه خاتمه وعصابته قائلة: هذه من الرجل الذي أنا حبلى منه. فامتنع يهوذا من الإحراق[1]!

ويخبرنا الكتاب ـ بالإضافة إلى ما مضى ـ بأن رأوبين اضطجع مع بلهة سُرِّيَةِ أبيه. ونصب أبشالوم بن داود خيمة على السطح «ودخل إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل»[2].

(٩) نشاطات شمشون في الزنا:

هناك تفاصيل عن نشاطات شمشون ـ أحد أبطال الكتاب المقدس ـ في الحب وطموحاته في النساء[3]. وفي أحد المشاهد يظهر يعقوب وهو يحب راحيل ابنة خاله ويتخذ الحيل المختلفة للزواج منها[4].

(١٠) الاستغلال والخيانة: لا يذكر الكتاب المقدس أبطاله وأنبياءه فاحشين ومشركين فحسب، بل يذكر أنهم يستغلون الناس وينتهزون الفرص ويرتكبون الخيانات. فقد جاء في قصة طويلة أن ابن إسحاق البكر عيسو كانت له منزلة خاصة لبكوريته. ولكن أخاه الأصغر يعقوب أعطى له خبزًا وطبيخًا من العدس على أن يتنازل عن بكوريته ويترك المنزلة الخاصة لدى أبيه. وهكذا نرى أن النبي يستغل أخاه ويستفيد من جوعه الشديد. وكذلك حينما صار إسحاق ضريرًا خدع يعقوب بمساعدة أمه أباه إسحاق، وتظاهر أنه عيسو ليحصل على البركة منه، ونجح في هذه الخديعة وحصل على البركة[5].

---

(١) التكوين ٣٨: ٦ـ٣٠.

(٢) التكوين ٣٥: ٢٢، صموئيل الثاني ١٦: ٢٢.

(٣) القضاة: الإصحاح السادس عشر.

(٤) التكوين ٢٩: ١٠ـ٣٠.

(٥) التكوين ٢٥: ٢٩ـ٣٤، ٢٧: ٦ وما بعدها.

http://kotob.has.it/

٣ـ بذاءة الكتاب المقدس

القصص والروايات التي مضت تبرهن على بذاءة الكتاب المقدس، ولكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحدّ؛ فهناك وقائع وأمثال وأغنيات دينية تدل أيضًا على ذلك. ونقدم هنا بضعة أمثلة منها:

(١) في موضع شُبهت الرحمة الإلٰهية لإسرائيل وانصراف إسرائيل عن الرَّب الإله بامرأةٍ. ولا مشاحة في هذا التشبيه ذاته، ولكن الأسلوب والتراكيب والألفاظ المستعملة لبيان هذا التمثيل لا تليق بكتاب ديني. انظر على سبيل المثال:

«فربوتِ وكبرتِ وبلغتِ زينة الأزيان. نهد ثدياكِ ونبت شعرك... ورأيتكِ وإذا زمنكِ زمن الحب»[١].

فالكلمات التي تحتها خط تكفي لأداء المعنى، ولم تكن هناك حاجة إلى العبارات الأخرى التي لا دخل لها في تأدية المعنى إلا أنها تشبع الغريزة الجنسية.

(٢) وكذلك مثال المملكتين اليهوديتين، إسرائيل ويهوذا، وخروجهما على أوامر الله وميلهما إلى الشرك. فهنا نجد أنهما شبِّهتا بأختين عاهرتين، ولاغبار على التشبيه نفسه، ولكن الأسلوب المختار لهذا الغرض يخرج عن الحدود:

«كانتا امرأتين ابنتا أم واحدة وزنتا بمصر في صباهما. هناك دغدغت ثديهما، وهناك تزغزغت ترائب عذرتهما».

فالكلمات التي تحتها خط هنا أيضًا كافية للمعنى وأما الباقي فبذاءة لاغير. ولكن انظر ماذا يقول بعد ذلك:

«والكبيرة... عشقت محبيها أشور الأبطال... ضاجعوها في صباها وزغزغوا ترائب عذرتها وسكبوا عليها زناهم... وأختها أفسدت في عشقها أكثر منها وفي زناها أكثر من زنا أختها... وأتاها بنو بابل في مضجع الحب ونجسوها بزناهم فتنجست بهم... وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيهم كمني الخيل. وافتقدتِ رذيلة صباكِ بزغزغة المصريين ترائبكِ لأجل ثدي صباكِ»[٢].

---

(١) حزقيال ١٦: ٧، ٨.

(٢) المرجع السابق ٢٣: ٢ـ٢١. ولعل هذه اللغة «تليق» بذلك الرَّب الإلٰه الذي هو نفسه يعرِّى «عورة =

http://kotob.has.it/

(٣) يُنسب سفر نشيد الأنشاد إلى سليمان، وهو يتحدث ـ كما يرى المسيحيون ـ عن الاتصال الذي يستحيل التعبير عنه بين الرب وإسرائيل، أو المسيح والكنيسة، أو بين مريم العذراء والرب الإله[١]. وانظر أمثلة للأساليب المستخدمة للتعبير عن هذا «الاتصال الروحاني»:

ـ «ليقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر».

«ما أجمل خديك بسموطٍ»

ـ «صرة المر حبيبي لي، بين ثديي يبيت»

ـ «شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني»

ـ «في الليل على فراشي طلبت من تُحِبه نفسي، طلبته فما وجدته . . . وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي»

ـ «ها أنت جميلة ياحبيبتي، ها أنت جميلة. عيناك حمامتان من تحت نقابك . . . شفتاك كسلكة من القرمز وفمك حلو . . . ثدياك كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن».

ـ «دوائر فخذيك مثل الحلي صنعته يدي صناع، سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج. بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن، ثدياك كخشفتين توأمي ظبية، عنقك كبرج من عاجٍ . . . وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات. قامتك هذه شبيهة بالنخلة، وثدياك بالعناقيد . . . قلت إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها»

ـ «لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان . . . أنا سور وثدياي كبرجين»[٢].

ويضطر عدد كبير من العلماء المسيحيين إلى الاعتراف بأن هذه الآيات والنصوص لا تحمل في ثناياها أي درس مفيد أو تمثيل ذي مغزى. يقول أحد الدارسين:

"We cannot imagine a prophet or religious poet using this sensuous imagery in detail to express such relation".

«لا يمكننا أن نتوقع من نبي أو شاعر ديني أن يلجأ إلى هذه التشبيهات والأمثال الجنسية لتوضيح العلاقة (بين الرب ومريم، أو المسيح والكنيسة، أو بين الإله

= صهيون»، وحسب الترجمات القديمة: يعرِّي «الأجزاء المستورة». انظر: أشعياء ٣:١٧.

(١) الكتاب المقدس الكاثوليكي الأردي، ص:٨٣٨.

(٢) نشيد الأناشيد: ١:١، ١:١٠، ١:١٣، ٢:٦، ٣:١-٤، ٤:١-١١، ٧:١-٨، ٨:٨-١٠.

http://kotob.has.it/

وإسرائيل))»[١].

والحقيقة أنها أناشيد الحب والعشق التي كانت تتغنى بها فئة من اليهود العبرانيين[٢]. وإن اعتبرها مؤلفو الكتاب المقدس أمثالاً دينية فإننا مضطرون إلى أن نقول بأن غرائزهم الجنسية كانت أقوى وأغلب من الذوق الأخلاقي الديني.

(٤) جاء في الكتاب المقدس بأن داود حينما أتى بتابوت الرب إلى مدينة تنسب إليه [أورشليم] رقص رقصًا بفرحٍ إلى أن تعرَّى من اللباس الذي كان عليه [وهو آخود]. وانظر بماذا علَّقت ميكال بنت شاول الملك الأول لإسرائيل على هذه الحكاية المزعومة:

«فخرجت ميكال بنت شاول لاستقبال داود وقالت: ماكان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف اليوم في أعين إماء عبيده كما يتكشف أحد السفهاء».

والجدير بالذكر هنا أن ميكال هذه هي تلك الفتاة التي حين زفّت إلى داود طلب أبوها من داود إتيان مائة غلفة من الفلسطينيين أعداء الملك كمهرٍ؛ ولكن داود أتى بمائتي غلفة بدلاً من مائة![٣].

٤ ـ مستوى التعليم الأخلاقي في الكتاب المقدس

يمكننا في ضوء ما مضى أن ندرك المستوى الأخلاقي في نصوص الكتاب المقدس حيال الأنبياء والصالحين، مثل النصوص التي حملت تهمة الزنا وتهمة الخداع والقتل لداود عليه السلام، وعن بنات لوط عليه السلام بأنهما سقتا أباهما الخمر، وعن نوح عليه السلام أنه شرب الخمر وتعرى داخل خبائه إلى أنه أبصر ابنه حام. كيف نسب الزيف والألفاظ الركيكة الشنيعة لمثل أولئك المصطفين الأخيار، وكيف سُفَّ المل على بنت نبي وحليلة ابنه، وعمته خزيًا وإهانة. كيف كان إلمام بهذا الكتاب المقدس قصص وأساطير فصلت من غير ضرورة وهي تشتمل على أعمال الشرك وعبادة الأصنام. وهناك أغنيات تغنى بصفة العشق الفاضح وأعطيت رتبة في الدين. ونستطيع أن نحس الأثر الذي تتركه هذه النصوص على الذين يطالعونها. والغريب أننا لا نجد أي نوع من الاستنكار أو الرفض لهذه القصص والتهم في العهد الجديد على لسان عيسى عليه السلام. بل يصور لنا العهد الجديد أخلاقه بطريقة

---

(١) Peake's Commentary, p. 418.

(٢) Ibid., pp. 418-419; Bratton's History of the Bible, p. 96.

(٣) صموئيل الثاني ٦: ١٢ـ٢٠، صموئيل الأول ١٨: ٢٥ـ٢٧.

http://kotob.has.it/

عجيبة؛ حيث تصدر منه أعمال لا تمت بأي صلة لشخصيته ذي الخلق الرفيع. وفيما يلي أمثلة لذلك:

(١) عيسى واحترام الأم:

كان من أوامر العهد العتيق بأن «أكرم أباك وأمك»[١]. والعهد الجديد يخبرنا بأن عيسى يعامل أمه معاملة غير جيدة ويخاطبها قائلاً: «مالي ولكِ ياامرأة»[٢].

(٢) كلامه الشديد مع الناس والأصحاب:

يقول العهد الجديد بأن عيسى كان يعلّم الناس الخلق الرفيع وكان يقول لهم: «أقول لكم إن كلَّ من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه ياأحمق يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا جاهل يكون مستوجب نار جهنم»[٣].

ولكن عمله يتعارض هذا التعليم حسب ما جاء في العهد الجديد نفسه، فلمجرد أن علم أن تلاميذه لم يقدروا أن يشفوا الشخص المصاب بالصَّرع انفجر قائلاً: «أيها الجيل غير المؤمن الملتوي، إلى متى أكون معكم إلى متى أحتملكم»[٤].

وذات مرة ـ وذلك في مأدبة أحد الفريسيين ـ خاطب عيسى اليهود الفريسيين قائلاً:

«ياأغبياء» [وفي موضع آخر قال لهم: أيها الجهال والعُميان]؛ وتارة أخرى قال لهم: «أيها الحيات أولاد الأفاعي ويا أولاد الأفاعي»[٥].

(٣) الغضب دون سبب:

يقدم العهد الجديد عيسى وهو لا يغضب على الناس فحسب، بل يغتاظ من أشياء لا حياة

---

(١) الخروج ٢٠: ١٢.
(٢) يوحنا ٢: ٤.
(٣) متى ٥: ٢٢.
(٤) متى ١٧: ١٧.
(٥) لوقا ١١: ٣٧ـ٤٠، متى ٢٣: ١٧، ١٢: ٣٤، ٢٣: ٣٣. الفريسي: المعنى اللغوي لهذه الكلمة: المفصول. وهؤلاء كانوا فئة من اليهود يلتزمون بالروايات وظواهر الشريعة. وعكس هؤلاء كانوا صدوقيين، الذين كانوا مجموعة من الكهنة وكانوا ينكرون الروايات الواردة في غير الأسفار الصحيحة. انظر: الكتاب المقدس الكاثوليكي الأردي، ص (ض). وأنكروا أيضًا وجود الملائكة والأرواح والقيامة كما ورد في أعمال الرسل ٢٣: ٨.

http://kotob.has.it/

فيها ولا إرادة لها مثل شجرة. فيقول العهد الجديد: إنه جاع مرة «فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئًا. فلما جاء إليها لم يجد شيئًا إلا ورقًا لأنه لم يكن وقت نمو التين. فأجاب يسوع وقال لها: لا يأكل أحد منك ثمرًا بعد إلى الأبد»[١].

فالشجرة كانت بريئة ولم يكن وقت التين؛ ورغم ذلك [وفق الكتاب المقدس] اغتاظ المسيح عليها ودعا عليها دعاء يجعلها لا تثمر بعد ذلك أبدًا، ولا تفيد الآخرين مع أنهم غير مسئولين عن هذا!

(٤) التعصب القومي :

يخبر الكتاب المقدس أن المسيح سمح لامرأة يهودية عاهرة أن تقبّل قدميه، وأن تسكب عليهما طيبًا. ولكنه [أي الكتاب المقدس نفسه] يخبرنا أيضًا بأن امرأة كنعانية[٢] حين تقدمت وطلبت من المسيح أن يشفي ابنتها المصابة بالروح الخبيثة أجابها قائلاً: لم أُرسَل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. ولم يكتف المسيح بهذا، بل أضاف إلى ذلك قائلاً: «ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب»! وإن كانت هذه المرأة استطاعت أن تقنع المسيح بكلامها المنطقي حيث قالت: «والكلاب أيضًا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها». فرضي المسيح أن يشفي ابنتها[٣].

٥ ـ الكتاب المقدس والمستضعفون

ومن الأشياء التي تدل على رفعة الدين [أيّ دين] وسموّه في تعاليمه أنه يساعد المستضعفين والطبقات المضطهدة، ويوفر لهم حقوقًا تخرجهم من قعر المذلة وترفعهم في مجتمع إنساني. فينظر إلى الدين من هذه الزاوية، في ضوء الحقوق التي يعطيها مثلاً للنساء والعبيد والمساكين. وعندما نلقي نظرة على نصوص الكتاب المقدس بهذا الصدد، نجد أن تعاليمه لا ترتفع إلى المستوى الأعلى المنشود.

(١) وضع المرأة: يقول بولس في إحدى رسائله: «الرجل لم يُخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل». ويقول في رسالة أخرى: «لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط

---

(١) مرقس ١١: ١٢ـ١٤ .

(٢) ووفق إنجيل مرقس كانت هذه المرأة يونانية. فهذا مثال آخر للتناقض! انظر: مرقس ٧: ٢٦ .

(٣) متى ١٥: ٢٢ـ٢٨، مرقس ٧: ٢٥ـ٣٠ .

http://kotob.has.it/

على الرَّجل بل تكون في سكوت، لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء، وآدم لم يغو ولكن المرأة غوت فحصلت في التعدي»(١).

فالمرأة كأنها خلقت لكي تنقاد لأوامر الرجل في صمت، ثم هي التي تسببت في إغواء الرجل!

والتهاون بالمرأة واعتبارها ربقة الشيطان أدَّى إلى الرغبة عن الزواج في المسيحية وسُمِح به في ظروف معينة فقط، وقد ورد قول المسيح في الأناجيل:

«يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس من استطاع أن يقبل فليقبل»(٢)

وأما بولس فقد أجاز الزواج وقاية من الزنا، ولكنه قال: «حسن للرجل أن لا يمس امرأة». وقال أيضًا: «أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال؛ أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة . . . وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته . . . وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي زوجها . . . ولكن إن كان أحد يظن أنه يعمل بدون لياقة نحو عذرائه إذا تجاوزت الوقت وهكذا لزم أن يصبر فليفعل ما يريد، إنه لا يخطىء فليتزوجا. وأما من أقام راسخًا في قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على إرادته وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه فحسنًا يفعل. إذًا من تزوَّج فحسنًا يفعل ومن لا يتزوج يفعل أحسن. المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيًا؛ ولكن إن مات زوجها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد، في الربّ فقط. ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي»(٣).

واعتبر العالم المسيحي المشهور إيكويناس المرأة أرذل من العبد بدليل أن عبودية العبد ليست فطرية بينما المرأة مأمورة فطريًا من قبل الأب والابن والزوج(٤). ويعد المفسر المسيحي المعروف الآخر - وهو يوحنا فم الذهب (John Chrysostom) - المرأة «خطرًا أسريًا وسيئة مصوَّرة»(٥).

ومن نتائج هذه الأفكار عن المرأة والزواج أن المسيحيين الأوائل لم يبالوا، رغم كونهم متزوجين، بأداء حقوق الزوجية، واعتبروا هذا الأمر غير ضروري بل غير مناسب(٦)؛ ولا سيما بعد أن يصبح المسيحي أسقفًا، فكان من حسناته أن يعتزل امرأته، ثم صار من واجباته

---

(١) ١- كورنثوس١١: ٩، ١- تيموثاوس٢: ١٢-١٤ .
(٢) متى ١٩: ١٢ .
(٣) ١- كورنثوس ٧: ١، ٢٧، ٣٣-٣٤، ٣٦-٤٠ .
(٤) Thomas Acquinas: "Summa Theologica", XXXIX, 3.
(٥) Will Durant: The Story of Civilization...The Age of Faith (New York, 1950), p. 325.
(٦) Hans Leitzmann: The Beginnings of the Christian Church (London, 1955), p. 135.

http://kotob.has.it/

ـ إن كان متزوجًا وقبل أن يصبح أسقفًا ـ ألا يقترب من امرأته(١).

ثم وضعت بهذا الصدد قوانين مضحكة، بموجب هذه القوانين إذا أراد الأسقف أن يلتقى بزوجته لمشورة أسرية لإنسان آخر، وجب عليه أن يفعل ذلك في مكان فسيح وبحضور شهود. وأمر البابا هايلدبراند (Hildebrand) المسيحيين ألا يستمعوا إلى الأساقفة المتزوجين(٢) ولا يطيعوهم. وكانت هذه القوانين قيدًا ظالمًا للرجال والأساقفة، وإن كانوا قد أوجدوا حيلاً ملتوية لإشباع الرغبات، إلا أن هذه القوانين تركت آثارًا سيئة عميقة على النساء:

"Their wives, in immense number, were driven forth with hatred and with scorn; and many crimes and much intolerable suffering followed the disruption".

«فاحتقرن أزواجهن وأُكرهن على الخروج، وظهر عدد كبير ـ بسبب هذا الفصل بين الرجل والمرأة ـ من الجرائم والمصائب»(٣).

وتعدى بابا آخر ـ وهو أوربان الثاني (Urban II) ـ جميع الحدود في سبيل تنفيذ هذه القوانين غير الفطرية حيث

"Pope Urban II gave license to the nobles to reduce to slavery the wives whom priests had obstinately refused to abandon".

«أجاز للحكام أن يسترقوا نساء أولئك الأساقفة الذين رفضوا أن يتركوهن»(٤).

فكان من نتيجة الكراهية للمرأة والإلحاح الشديد على نشر هذه الكراهية أن ساء وضع المرأة، في القرون الوسطى وحتى الزمن القريب؛ فلم يكن لها قيمة ولا احترام في المجتمعات المسيحية. وكان من حق الزوج القانوني، حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، أن يبيع زوجته كما تباع الحيوانات(٥).

ومن أغرب التناقضات الكثيرة في الكتاب المقدس وفي الديانة المسيحية بأن هناك إصرارًا على التبتل والابتعاد عن النساء لدرجة أن النَّاس، ولا سيما الأساقفة المتزوجين، يطلب منهم

---

(١) W.E.H. Lecky: A History of European Morals (London, 1911), vol.2, p.329.

(٢) Ibid., p. 332.

(٣) H. C.Lea: An Historical Sketch of Sacredotal Celibacy, 1884, p.277.

(٤) Ibid., p. 333.

(٥) Cady Stanton: History of Women's Suffrage, vol.3, p.290 (quoted in Rationalist Encyclopaedia by J.McCabe, London, 1950, p.625).

http://kotob.has.it/

أن يتجنبوا نساءهم وألا يقتربوا منهن. ولكن في جانب آخر يوجد أمر يتعارض تمامًا مع هذا حيث يقول: «وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يكون زانيًا. والذي يتزوج بمطلقة يكون زانيًا»، «والذي جمعه الله لا يفرقه إنسان»[١]. ونتج عن قيد الطلاق الشديد القاسي الذي يتعارض مع الفطرة آثار شملت الناس عامة والنساء خاصة. ففتح هذا القيد طرقًا تشبه تلك الحيل والوسائل الملتوية التي فتحها تعليم الكتاب المقدس بهذا الصدد. فلم يكن بيد أحد الزوجين [في عصور الحكومة المسيحية الدينية وعند المسيحيين الكاثوليكيين الرومان حتى الآن] أن ينفصل زوج عن زوجته إلا بتهمة الزنا. وحين ثار المسيحيون والملحدون في العصر الحديث على هذه القيود وسموها الاضطهاد الشيطاني[٢]. صار الباب مفتوحًا على مصراعيه حيث لم يعد هناك أي ضابط يُرَاعَى في الطلاق أو التطليق.

(٢) أوضاع العبيد والعمال المساكين :

يخبرنا الكتاب المقدس أن نوحًا عليه السلام دعا على ابنه الصغير الذي رأى عورته: «ملعون كنعان . . . عبد العبيد يكون لإخوته»[٣]. فاتخذ أتباع الكتاب المقدس دعاء نوح على أحد أبنائه هذا، دليلاً على جواز الرق والعبودية. وأما ما يتعلق بالمعاملة مع العبيد، من الناحية العملية، ففيما يلي أمر من أوامر الكتاب المقدس المتناقضة ما معناه:

إن ضرب أحد عبده أو أمته بالعصا إلى أن مات فإنه يعاقب، وإن ظل المضروب حيًا يومين فإن المالك لا يعاقب لأن العبد والأمة ملكه[٤]!

ونصوص العهد الجديد تشهد على أن المسيح أيضًا لم يغير في هذه التعاليم القاسية

"There is no explicit condemnation of slavery in the teachings of our Lord".

«فلا يوجد أي لوم للرق في تعاليم سيدنا»[٥].

كان الرق ظاهرة شائعة في المملكة الرومانية وقت ظهور الديانة المسيحية، وكانت المعاملة مع العبيد سيئة جدًا في معظم الحالات؛ فلا عجب أن يقطَّع جسد العبيد لأجل متعة الضيوف، ويقدم لحمه للسمك الأليف، أو نرى العبيد يعملون في الحقول وهم

---

(١) متى ١٩: ٩، ١٩: ٦.
(٢) Bertrend Russel: Why I Am Not A Christian (London, 1976), p.28.
(٣) التكوين ٩: ٢٤، ٢٥.
(٤) الخروج ٢١: ٢٠، ٢١.
(٥) Encyclopaedia of Religion And Ethics (1920), vol. 11, p. 602.

http://kotob.has.it/

مقيدون بالسلاسل[١]. وأما التغيير الذي حدث لهذه الأوضاع المؤلمة فإنه يرجع إلى جهود فكرية للفلاسفة اليونانيين والرومان، ولا دخل فيه للعلماء المسيحيين[٢] الذين لم يُسهموا في هذه الجهود؛ بل إن

"The early Church never called slavery in question".

«الكنيسة البدائية لم تبال بالتأمّل في مسألة العبودية»[٣].

وذلك لأن العبودية لم تكن أمرًا يستحق النظر وإعمال الفكر[٤]. وعندما عرضت هذه القضية للمناقشة في القرون المتأخرة أيّد العلماء المسيحيون الرق. يقول أوغسطين (Augustine) [ت/ ٤٣٠م]: «العبودية ليست جريمة عند الرَّب، بل إن الله أنزلها عقوبة لذنب»[٥]. واعتبر أيكويناس (Thomas Acquinas) العبودية ثمرة من ثمار خطيئة آدم[٦].

يقول القديس أمبروز (St. Ambrose) وهو من الأساقفة المؤيدين بشدة للعبودية:

"Arguing that the slaves had an unusual advantage for the exercise of the Christian values of humility, patience and forgiveness of enemies, and that men cursed with original sin were not fit to govern themselves anyway".

«ومما يبرر العبودية أنها تعلم الإنسان التواضع والصبر والعفو عن الأعداء، وبذلك توفر فرصة الاتصاف بمزايا المسيحية هذه؛ ثم إنها (أي العبودية) ضرورية، لأن الإنسان لا يستحق أن يكون حرًّا وحاكمًا لنفسه بسبب الخطيئة الأزلية»[٧].

ومعنى هذا القول أن الفرد إذا كان مالكًا فإنه يحكم على نفسه وعلى عبيده، ولكنه إذا كان عبدًا فإنه يجب أن يعرف أنه لا يستحق الحرية والحكم، لأجل الخطيئة الأزلية، كما أنه يجب أن يتجنب التفكير في التخلص من الرق بل يعود نفسه على الصبر والعجز والعفو.

ولعل مالكي العبيد ـ والسيد أمبروز نفسه ـ لم يكونوا في حاجة إلى هذه الصفات

---

(١) W.E.H. Lecky: op. cit., vol. 1, p.321.
(٢) Ibid., pp. 324-325.
(٣) J.A.Farrar: Paganism And Christianity, p. 198; Emil Reich: The History of Civilization, London, 1908, p. 421.
(٤) Encyclopaedia Britannica (1962), vol. 20, p.778.
(٥) St. Augustine: The City of God, Bk. XIX, chap. XV.
(٦) Thomas Acquinas: "Summa Theologica", XCIV, 5.
(٧) Herbert Muller: Uses of the Past, p. 188.

http://kotob.has.it/

المتميزة، وإلا فقبلوا العبودية بكل سرور!!

يدعي الباحثون أنه حتى السنة ١٠٠٠م لم يذم أحد العبودية ولا البابا ولا المجامع الكنسية ولا أحد من العلماء المسيحيين. بل إن الكنيسة أجازت وشجعت على استرقاق المسلمين والأوربيين غير المسيحيين؛ وأعلن البابا ليو الأعظم أن أحدًا من العبيد لا يستحق أن يحتل منصبًا من مناصب الكنيسة

"Lest his vileness should pollute the sacred order".

«لكي لا ينجس العبد هذه السلسلة المقدَّسة».

وقام جريجوري الأول بوضع القوانين التي تمنع العبيد عن المصاهرة مع المسيحيين الأحرار وتبعدهم عن مناصب الكنيسة(١). وحين حلّ الانحطاط والاضمحلال بالرومان وحكامهم وضعفت سلطتهم على العبيد، لجأ المسيحيون إلى شكل آخر للرق. فجعلوا الناس أرقاء وكانوا مرتبطين بقطعة من الأرض، وكانوا يباعون إذا بيعت هذه القطعة. وكان لأصحاب الإقطاعيات سلطة استغلالهم ليل نهار ومعاقبتهم وتقطيع أعضائهم بل وقتلهم أيضًا، وكانت تفرض عليهم ضرائب متنوعة متعددة.

وللكنيسة مساهمة فعالة في تسيير هذا النظام الإقطاعي الظالم الذي ظل شائعًا قرونًا طويلة [حتى القرن الثامن عشر في بعض البلاد الأوربية وحتى سنة ١٨٦١م في روسيا]، حيث ملكت الكنيسة نفسها عددًا هائلاً من العبيد بالإضافة إلى الإقطاعات الواسعة. ولا فرق في هذا بين الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية الأرثوذكسية، فكلها كانت تملك الأراضي والعبيد(٢).

وهكذا تسرَّب نظام الرق إلى المجتمع المسيحي، وانتشر فيه انتشارًا واسعًا بحيث أصبح من عناصره الاجتماعية الأساسية، لدرجة أنه حين أُلغي هذا النظام تحت ضغط التغيرات الاقتصادية والثورة الصناعية، لجأ المسيحيون إلى طريقة أخرى فهجموا على الإفريقيين المساكين واستعبدوهم قهرًا، وحملوهم إلى بلادهم للعمل في بيوتهم وحقولهم ومصانعهم دون أجر(٣). وكان عدد العبيد خلال السنوات ١٦٨٠م- ١٧٨٦م في أمريكا وجزر الهند

---

(١) Will Durant: The Story of Civilization (1950), vol. 4, p.554; Joseph McCabe: The Social Record of Christianity, London, 1935, pp. 23-27.

(٢) J.McCabe: A Rationalist Encyclopaedia (London, 1950), pp. 513,536,537; Will Durant: op. cit., vol. 4, pp. 555,564,766,786.

(٣) Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 11, pp.608-609.

http://kotob.has.it/

الغربية فقط أكثر من مائة ألف. وخلال سنة واحدة فقط وهي ١٧٩٠م قبض قطاع الطريق من هولندا، وفرنسا وبريطانيا والبرتغال والدنمارك على أربعة وسبعين ألف إفريقي وأخذوهم أرقاء. وكانوا يحشرونهم في السفن مما أدى إلى موت عدد كبير في الطريق، وإصابة الكثيرين بأمراض مزمنة[١]. ولم تكن مساهمة الكنائس في هذا الفعل القبيح بأقل من مساهمة الآخرين؛ ففي القرن الثامن عشر كانت الكنائس المختلفة في أمريكا تملك ستمائة ألف عبد، ولم تخلِّ سبيلهم إلا بعد الحروب الشديدة وبعد أن أعتق الآخرون عبيدهم جميعًا[٢].

ورغم إعلان المسيح القائل: «تعالوا إليَّ ياجميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» [متى١١ :٢٨] لم تكن معاملة الكنائس البروتستانتية المُصلِحة، مع العبيد والفقراء والعمال المتعبين، مختلفة عن معاملة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لهم. فهذه الكنائس أيضًا ملكت عددًا كبيرًا من العبيد في العصر الذي جاء بعد النهضة العلمية والثورة الصناعية. بل إن الفقراء والعمال المساكين اضطهدوا وسلبت حقوقهم أكثر بعد حركة إصلاح الكنيسة[٣]. فحين ثار الفلاحون الألمان المظلومون ضد الإقطاعيين في زمن مؤسس هذه الحركة لوثر [ت/ ١٥٤٦]، ألَّف كُتَيِّبًا باسم «ضد الفلاحين القتلة» ("Against The Murderous Peasants") وحث فيه الإقطاعيين وأصحاب الثروة أن يقضوا على الفلاحين القاتلين وفئات اللصوص[٤].

وكذلك كتب وليام ولبرفورس ـ وهو أحد المصلحين المسيحيين من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كما أنه يشتهر بجهوده ضد العبودية ـ كتابًا بعنوان «الاستعراض العملي للنظام المسيحي» (Practical View of the System of Christianity) وجاء فيه: يجب أن يتجنب الفقراء والعمال المشاركة في النقابات العمالية لدفع الفقر وإزالة التخلف، لأن الحياة في الدنيا قصيرة ومتاعها لا يستحق أن يقاتل الإنسان للحصول عليه. وأضاف إلى ذلك قائلاً: إن الأغنياء يشترون الطمأنينة والمسرَّة بثمن غال، والدين يوفرهما للفقراء مجانًا. ثم إن ربقات الشيطان ووسائل الضلال في طريق الأغنياء كثيرة، لذلك من الأفضل

---

(١) Encyclopaedia Britannica (1962), vol. 20, p.780.

(٢) Rationalist Encyclopaedia, pp. 546-547.

(٣) Rationalist Encyclopaedia, p. 628, with reference to T.Rogers: Six Centuries of Work And Wages (2 vols.), 1884.

(٤) Robert Crossley: Luther And the Peasants' War (New York, 1974), pp.56,57; D.C. Somervell: A Short History of Our Religion, p. 215; Colin Wilson: A Criminal History of Mankind (London, 1985), p. 367.

http://kotob.has.it/

أن يظل الفقير فقيرًا.

والجدير بالذكر هنا أن ولبرفورس كان من أعضاء البرلمان الذين سدوا طريق النقابات العمالية في إنجلترا مدة ربع قرن، وبذلك ظل العمال يستغلون على أيدي الرأسماليين[١].

٦ـ تعاليم غير اجتماعية في الكتاب المقدس

تخالف كثير من تعاليم الكتاب المقدس الفطرة والعقل السليم، وآثار الجهل والبداوة واضحة فيها، حيث لا يمكن العمل بها في أي مجتمع، فما بالنا بالمجتمع الحديث ونظمه الجديدة.

سبق ذكر النصوص والأحكام المتعلقة بالزواج وآثارها السيئة التي تركتها في حياة النساء، وسنعود إليها بالتفصيل في الباب القادم إن شاء الله.

مما لا شك فيه أن هناك أقوالاً معزوة إلى عيسى جعلت بعض الناس لا يكره الزواج والمرأة فحسب، بل يثور على نظام الأسرة والمجتمع بأكمله. ومن مثل هذه الأقوال ما يُروى أنه قال: «إن جاء أحد إليَّ وهو لا يتباغض أباه وأمّه وزوجه وأولاده وإخوته وأخواته بل ونفسه، لا يكون تلميذًا لي»[٢]. ونسب إليه أيضًا ما يلي:

طلب أحد تلاميذه أن يسمح له بالذهاب لكي يدفن أباه فقال له يسوع: «اتبعني، ودع الأموات يدفنون الأموات»[٣].

فهذه الأقوال سببت الضعف في الوحدة الأساسية للمجتمع الإنساني وهي الأسرة.

يقول برتراندرسل في ضوء هذه الأقوال:

"Family affection was decried by Christ himself and by the bulk of his followers".

«فقد ذم المسيح نفسه ومعظم متبعيه المحبة الأسرية»[٤]

وفي الكتاب المقدس إصرار شديد، بالإضافة إلى ذلك، على الزهد في الدنيا وتركها: «فلا تبال بنفسك بأن تشغل بماذا نأكل وماذا نشرب وماذا نرتدي؛ والذي لا يترك أشياء

---

(١) D.C. Somervell: op. cit., p. 262.

(٢) لوقا ١٤:٢٦.

(٣) متى ٨:٢١ـ٢٢.

(٤) Bertrend Russel: Why I Am Not A Christian, p.26.

http://kotob.has.it/

الدنيا كلها لا يكون تلميذًا لي»[١]. وقال بولس: «الذين اتبعوا يسوع المسيح صلبوا جميع رغباتهم وآمالهم»[٢]. وقد ورد مثل هذا الغلو في النفس وفي التعامل الانفعالي بالمنكرات الموجودة في المجتمع، حيث يقول: و «لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا، ومن سخّرك ميلاً واحدًا فاذهب معه اثنين»[٣]. و «إن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم»[٤]. والجدير بالتنبيه أن تعاليم العهد القديم متضاربة تمامًا. فقد رأينا في نصوص العهد الجديد هذه أنها تقلل من أهمية الأسرة والمجتمع؛ وأما العهد القديم فتوجد فيه أحكام عن نظام الأسرة تعد مثالاً للغلو والشدة. وعلى سبيل المثال: «إن سكن إخوة معًا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصر امرأة الميت إلى خارجٍ لرجل أجنبي. بل أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة . . . والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت . . . وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه . . . فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه. فإن أصر وقال لا أرضى أن أتخذها، تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ، وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ، وتقول: هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه»[٥].

ومن الأحكام المخجلة التي لا يمكن العمل بها أن الرجل إذا تزوج امرأةً ودخل بها ثم أبغضها . . . وأشاع عنها اسمًا رديًا وقال هذه المرأة اتخذتها ولم أجد لها عذرةً، فماذا يفعل الأبوان تجاه هذه التهمة؟ الجواب: أن يأخذ الفتاة أبوها وأمها «ويخرجان علامة عذرتها إلى شيوخ المدينة إلى الباب ويقول أبو الفتاة للشيوخ . . . هذه علامة عذرة ابنتي، ويبسطان الثوب أمام شيوخ المدينة»[٦].

هل أحد مِن الآباء اليوم مستعد أن ينشر «علامة عذرة ابنته» أمام جموع الناس ؟ والعقل السليم ـ بصرف النظر عن هذه الأشياء ـ يتساءل ويقول: كيف يسمح الرجل الذي يتهم

---

(١) متى ٦: ٢٥، لوقا ١٤: ٣٣.
(٢) غلاطية ٥: ٢٤.
(٣) متى ٥: ٣٩ـ٤١.
(٤) متى ٥: ٢٩ـ٣٠.
(٥) التثنية ٢٥: ٥ـ٩.
(٦) التثنية ٢٢: ١٣ـ١٧.

http://kotob.has.it/

زوجته أن يأخذ الأبوان ـ أو حتى الفتاة نفسها ـ الثوب الذي عليه علامة العذرة؟ فهذه التعاليم غير الفطرية وغير الاجتماعية، التي تتسم بالغلو والإفراط أو التفريط انعكست في سلوك الناس أيضًا. فظهر عدد كبير من الناس الذين خرجوا على جميع الحدود الفطرية والأخلاقية والاجتماعية من جانب؛ ومن جانب آخر وجدت فئات من الناس الذين تزهدوا تمامًا في الدنيا، ورغبوا عن العلاقات الإنسانية، وكرهوا تحمل المسئوليات، واختاروا الرهبانية. ولكن القليل منهم استطاعوا أن يتمسكوا بالرهبانية ويعملوا بمقتضياتها.

فمن هذه الفئات هناك من فسَّر أقوال المسيح في الزواج والمرأة تفسيرًا حقيقيًّا، وحملها على المعنى الحقيقي وحاول أن يعمل بها. ومن هؤلاء قسيس مسيحي مشهور هو أوريجان (Origen) [ت/ ٢٥٤] الذي اختصىٰ، عاملاً بالقول المنسوب إلى المسيح الذي يدعو إلى قطع الأعضاء التي تحض على الإثم والذنب(١).

وفي مقابل هذا السلوك الشاذ كانت بيوت الرهبان، في معظم الأحوال، منبع المنكرات، الأمر الذي سنفصل القول فيه في الباب القادم إن شاء الله. ولكن الشيء الذي نريد أن نؤكد عليه هنا هو أن الرهبانية ظاهرة غير اجتماعية [وبالتالي غير إنسانية]. وربما ساهمت في التزكية الروحانية لبعض الأفراد، ولكنها ظاهرة ضارَّة جدًّا للحياة الإنسانية الاجتماعية والأخلاقية، فهي تدَّعي أنها تعلم بني آدم الإنسانية، وتجعلهم أحسن الناس [أو أحسن المسيحيين على الأقل]. ولكنها أنتجت أناسًا تكره بني آدم، وتفر من المسئوليات الاجتماعية والأقرباء والأحباء. فبعض منهم كانوا يرتعون مثل الحيوانات، والبعض الآخر أخرجوا الحيوانات الوحشية من مآويها وسكنوا بها وتبنَّوا عادات هذه الحيوانات. ومجموعة أخرى وجدت القمة الروحانية في السهر وعدم الأكل أيَّامًا كثيرة، فسهروا ليالي عديدة، وسكتوا أعوامًا طويلة، فلم ينطقوا بكلمة. ومنهم من لبس السلاسل الثقيلة وحملوا عليهم أثقالاً، أو ربطوا أنفسهم بالحبال وصعدوا إلى المنارات الشامخة حيث المكان ضيق لا يتسع إلا للجلوس فقط، فقضوا هناك ثلاثين عامًا فأكثر. ومنهم من وقف سنين طويلة دون جلوس [يروى عن راهب أنه وقف أربعين عامًا، ويروى عن آخر أنه وقف ٥٠ عامًا]، أو جلس للنوم فقط(٢).

---

(١) Oxford History of the Christian Church, p. 992.

(٢) Edward Gibbon: Decline And Fall of the Roman Empire (London, 1854), vol.4, pp. 319-320; Will Durant: Story of Civilization (The Age of Faith), p.59.

http://kotob.has.it/

وحقًّا قال أحد خبراء الأنثربولوجيا ـ وهو فَرَازر (Frazer) ـ عن هؤلاء الرهبان «الممتازين»:

"In their anxiety to save their own souls and souls of others, they were content to leave the material world, which they identified with the principle of evil, to perish around them".

«وظلوا أثناء تفكرهم في إنقاذ أرواحهم وأرواح غيرهم مطمئنين حينما كانوا يشاهدون الحياة الدنيا المادية، التي كانوا يعدونها أصل الخطيئة، تهلك حولهم»(١).

ويقول مؤلف آخر في توضيح هذه الفكرة:

"Those who fled to the cell or cloister contributed little to the spiritual elevation of the Church or spiritual welfare of the masses".

«الناس الذين فروا إلى الصومعات لم يسهموا في التطوير الروحاني للكنيسة أو في تزكية روح الشعب»(٢).

٧ـ القسوة والسفك في الكتاب المقدس

يغض القسيسون الطرق عن الحقائق السالفة الذكر، ويحاولون ـ دون استحياء ـ أن يقدموا الكتاب المقدس والديانة المسيحية وكأنها ديانة الثقافة والحضارة الرفيعتين، وديانة التقدم الاجتماعي وحرية الإنسان وعظمة المرأة؛ كما أنهم يحاولون، أمام غير العارفين بالحقيقة، أن يقدموا المسيحية بوصفها ديانة الأمن والسلام والحب والمودة، مركزين على قول الكتاب المقدس الآتي: «ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة»(٣).

ثم إن الديانة المسيحية، بحسب ما يقولون، علمت الرومانيين الوحوش الأمن وجعلتهم متحضرين، وإن كانت حروب الرومانيين استمرت بعد ظهور المسيحية أيضًا. وأما توقف المسرحيات المشحونة بالسفك من مسارحهم فإنه لا يرجع إلى جهود المسيحيين، بل إنه حدث هذا لأجل الانحطاط في ظروفهم الاقتصادية والمادية(٤).

وعلى أية حال فإن عددًا كبيرًا من آيات الكتاب المقدس إلى جانب حقائق التاريخ

---

(١) J.G. Frazer: The Golden Bough, pt. iv, vol. 1 (London, 1914), p.300.

(٢) H.Muller: Uses of the Past, p. 189.

(٣) رسالة يوحنا الأولى ٤: ٨ . وانظر أيضًا ٤: ١٦ .

(٤) J.A.Farrar: Paganism And Christianity, p. 205.

http://kotob.has.it/

الموثقة لا تصدق هذا الادعاء أيضًا. فإننا نجد أن أبطال الكتاب وقديسيه انغمسوا في الحروب للأغراض الدينية والقومية، وكانت معاملتهم مع الأعداء معاملة قاسية جدًا. وذلك لأن النصوص تدعوهم إلى هذا، يقول العهد القديم: «متى . . . دفعهم [أعداءَكَ] الربُّ إلهك أمامك وضربتَهم فإنك تحرمهم لا تقطع لهم عهدًا ولا تشفق عليهم»(١). ويقول أيضًا: «حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح . . . وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها؛ وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بالسيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك . . . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلٰهك نصيبًا فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريمًا(٢)[وقد وردت أسماء ست أمم قديمة مجاورة لإسرائيل].

والكتاب المقدس يخبرنا بأن أحد الأنبياء، وهو صموئيل، أمر الملك شاول المعاصر له أن يقتل الأطفال والمواشي إلى جانب قتل الرجال والنساء. فقال له: «يقول رب الجنود . . . الآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولاتعف عنهم، بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً رضيعًا، بقرًا وغنمًا، جملاً وحمارًا»(٣).

فهذا الأمر العسكري المتميز في تاريخ الأمم والديانات مازال موجودًا بكل حروفه ونقاطه على صفحات العهد القديم الذي يعد وحيًا منزلاً [عند المسيحيين الأصوليين] من الله!

وإلى جانب هذه الأوامر الشديدة القاسية هناك وقائع في الكتاب تحكي عن تنفيذ هذه الأوامر. فقد أرسل موسى ـ على سبيل المثال ـ اثني عشر ألف جندي لقتال مديان «فتجندوا على مديان كما أمر الرَّب وقتلوا كل ذكر . . . وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم . . . وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار». ولكن الكتاب المقدس يقول: إن موسى لم يرض بهذا وغضب عليهم قائلاً: «اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها. لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات»(٤).

---

(١) التثنية ٧: ٢، ١٦.
(٢) التثنية ٢٠: ١٠ـ١٧.
(٣) صموئيل الأول ١٥: ٢ـ٣.
(٤) العدد ٣١: ٧ـ١٧.

http://kotob.has.it/

وكذلك جاء عن داود أنه «ضرب الأرض [أرض عدوه] ولم يستبق رجلاً ولا امرأة»[١].

هذه الأوامر والأحكام كانت عن الأعداء، وأما من يذنب أو يشرك ويرتكب الكفر من الأتباع فماذا يكون العقاب؟ يقول العهد القديم مجيبًا على ذلك: «من ذبح لآلهة غير الرَّب وحده يهلك». و «إذا وجد في وسطك رجل وامراة... يعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو لكل من جند السماء... وأُخبِرتَ وسَمِعتَ وفحصت جيدًا وإذا الأمر صحيح أكيد... فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة... وارجمه بالحجارة حتى يموت»[٢]. وأما ما يتعلق بنصوص العهد الجديد فإن علماء المسيحية يتجاهلون، خلال بحثهم عن الآيات التي تدل على الأمن والسلام [مثل: أحبوا أعداءكم: لوقا ٦: ٣٥ وغيرها]، فهم يتجاهلون أن العهد الجديد لم يغير في تعاليم العهد القديم بهذا الصدد. والقول التالي المنسوب إلى المسيح يؤكد صحة هذه الأحكام القاسية عندهم حيث يقول:

«لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا، فإني جئت لأفرِّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها»[٣].

٨ ـ آثار القساوة: عدم التسامح، والعنف والاضطهاد

وبسبب هذه التعاليم العنيفة القاسية نرى تاريخ المسيحيين مليئًا بالظلم والطغيان، والحروب الطويلة، وعدم التسامح، ليس مع الأعداء فحسب؛ بل فيما بينهم أيضًا. فتاريخ الفرق المسيحية المختلفة مشحون بالاضطهاد الديني، وفيما يلي أمثلة من هذا التاريخ المظلم الطويل:

سبق أن ذكرنا في الباب الرابع أن المسيحيين في الأدوار الأولى ظلوا تحت اضطهاد الملوك الرومان وظلمهم، إلى أن جاء عهد الملك قسطنطين، وتبنى سياسة التسامح معهم، حتى اعتنق نفسه المسيحية. وكان من المتوقع في ضوء الظروف القاسية التي عاشوا فيها أن يتسامح المسيحيون مع أتباع الديانات الأخرى، وأن يلجأوا إلى البراهين والموعظة الحسنة لنشر ديانتهم.

ولكن التاريخ يخبرنا أن المسيحيين الذين يتهمون الآخرين وبالأخص المسلمين بنشر الدين بالسيف، كان سلوكهم يخالف أفكارهم المزعومة. فبعد عصر قسطنطين بقليل من

---

(١) صموئيل الأول ٢٧: ٩.

(٢) الخروج ٢٢: ٢٠، التثنية ١٧: ٢ـ٥.

(٣) متى ١٠: ٣٤،٣٥.

http://kotob.has.it/

الزمن أعد المسيحيون وثيقة مزيفة باسمه أُجيز فيها العنف مع المشركين والملاحدة. فقضوا خلال القرن التالي، تحت هذا الشعار، على أتباع الديانات الأخرى بأجمعهم، وعلى الذين اختلفوا مع الكنيسة المركزية[١]. يقول هربرت مولر متحدثًا عن الخطوات التي اتخذها الملوك المتأثرين بالمسيحية بهذا الصدد: أمر الملك الرومي ثيودوسيس بإغلاق معابد الديانات الأخرى، وقرر أن المسيحية الكاثوليكية هي الديانة الشرعية الوحيدة، وسلب جميع الحقوق المدنية من المجانين الذين لم يتفقوا مع أفكار المسيحية الكاثوليكية. ويقول مولر مضيفًا إلى ذلك:

"When Theodosius deprived heretics of civil rights, religious orthodoxy became the price of citizenship for the first time in history".

«حين سلب ثيودوسيس الحقوق المدنية من الملاحدة، تعيَّن لأوَّل مرَّة في التاريخ أن صحة العقيدة الدينية ثمن للحقوق المدنية».

وكان البابا ليو الثاني عشر يرى أن التسامح الديني انصراف عن الدين الحق، وقد استخدم المخبرين الرسميين وقبض بمساعدتهم على المنصرفين عن العقائد وملأ بهم سجونه[٢].

وبعد أن انتهى المسيحيون من المشركين والملاحدة توجهوا إلى اليهود تحت شعار ثأر دم المسيح، واستندوا في ذلك إلى إحدى آيات الأناجيل التي قالها اليهود المعاصرون للمسيح حين رأوا أن الحاكم الرومي بيلاطس يتردد في صلبه، حيث قالوا: «دمه علينا وعلى أولادنا»[٣]. و

"With the triumph of Christianity, the childern of Israel had to repay his sufferings a millionfold".

«بعد غلبة المسيحيين كوفيء بنو إسرائيل أكثر من مصائب المسيح بمئات الآلاف»[٤].

فالذين يتهمون المسلمين في عصرنا هذا بالتعصب وعدم التسامح الديني، كانت حالتهم لقرون طويلة تقضي بأن

---

(١) Rationalist Encyclopaedia, p.442.

(٢) Herbert Muller: op. cit., pp. 86-87; Cambridge Modern History (1907), vol. 10, p. 152.

(٣) متى ٢٧ : ٢٥ .

(٤) Herbert Muller: op. cit., p. 91.

http://kotob.has.it/

"The Church held the Jew to be a being deprived by the guilt of his ancestors of all the natural rights, save that of existence".

«اليهودي في رأي الكنيسة لا يستحق أي حرية إلا حرية الحياة، وذلك للخطيئة التي اقترفها أجداده في القديم».

وقد سخط البابا إسطيفان السادس في نحو سنة [٨٩٠م] على أن للمسيحيين صلات مع «أعداء الرَّب هؤلاء»، وعلى أنهم يسمحون لهم أن يملكوا الأراضي. ففي ظل هذا التفكير قتل اليهود مرات، وسلبت ممتلكاتهم، وأجبروا على الخروج من بيوتهم[١]. يقول البابا الشهير هائيلد براند (Hilderband) مشجعًا الحكام المسيحيين على قتل الملحدين والمشركين واليهود:

"Cursed be he that refraineth his sword from blood".

«الذي يمنع سيفه من قتل هؤلاء فهو ملعون»[٢].

وبعد القضاء على اليهود جاء دور المسلمين. وإن كانت الحروب بين المسلمين والمسيحيين قد حدثت في الشام ومصر في العصور الأولى، ولكن المعركة الحقيقية بين الإسلام والمسيحية بدأت في شكل الحروب التي عرفت بالحروب الصليبية التي استمرت طوال القرن الثاني عشر بأكمله تقريبًا. ويتفق المؤرخون المحايدون والمسيحيون أنفسهم على أمرين: أحدهما أن المسيحيين هم الذين أشعلوا نار الحرب[٣]، وثانيهما أن المسلمين عاملوا المسيحيين بالتسامح والمرونة حين سيطروا عليهم، ولكن المسيحيين، في حالات غلبتهم، ظلموا المسلمين واليهود وسكبوا عليهم جميع أشكال الاضطهاد[٤]. فعندما سيطروا على أورشليم [١٠٩٩م] قتل المسيحيون الأطفال والنساء وسفكوا الكثير من الدماء، حتى صار المشي صعبًا في حارات المدينة وشوارعها[٥].

ويقول باحث مسيحي آخر مصورًا تلك المناظر:

"The crusaders rushed through the streets and into the houses and mosques, killing all that they met, men, women and children alike".

---

(١) H. C. Lea: A History of the Inquisition in Spain (New York, 1906), vol. 1, pp. 81, 115.

(٢) Rationalist Encyclopaedia, p. 270.

(٣) Concise Oxford Dictionary of the Church, p. 137.

(٤) A.S.Lane-Poole: Saladin (London, 1920), pp. 205f.

(٥) H.C.Wickersham: A History of the Church, p. 172.

http://kotob.has.it/

«كان المجاهدون المسيحيون يتفقدون البيوت والمساجد والحارات، ويقتلون كل من عثروا عليه من الرجال والنساء والأطفال».

ويضيف هذا المؤلف نفسه بعد ذلك قائلاً: أوى اليهود إلى هيكلهم الكبير وظنوا أنهم سينجون في معبدهم، ولكن

"The building was set on fire, and they were all burnt alive".

«أحرقت هذه العمارة فاحترقوا فيها»(١).

ولكن المسلمين حين استردوا أورشليم تحت قيادة صلاح الدين بعد تسعين سنة، عاملوا المهزومين معاملة تطابق التعاليم الإسلامية السمحة. فقد نجا كثير من الناس بدفع مبلغ الفدية البسيط، وأمهل الفقراء أربعين يومًا لدفع هذا المبلغ، وأطلق سراح الكثيرين دون دفع أي مبلغ(٢).

الاحتساب:

ومن الحيل التي استغلها المسيحيون لاضطهاد المسلمين واليهود والذين اختلفوا مع الكنيسة هو ما عُرف بالاحتساب الديني. فباسم هذه الحيلة قتل كثير من الأبرياء، الأمر الذي يعد صفحة مظلمة ليس في تاريخ المسيحية فحسب بل في تاريخ الإنسانية جمعاء. وقد بدأ استغلال هذه الحيلة رسميًا في القرن الثاني عشر، ثم استعملت ضد أولئك المصلحين المسيحيين الذين سعوا لبعض الحريات الدينية والمدنية؛ فقاومتهم الكنيسة مقاومة شديدة، ومنعتهم بكل قوة وعنف، يقول المؤرخ المشهور جِبَن:

"The Church of Rome defended by voilence the empire which she had acquired by fraud".

«حَمَتِ الكنيسة الرومانية مملكتها بالعنف، المملكة التي حصلت عليها بخداع»(٣).

أصدر البابا لوسيس الثالث (Lucius III) أمرًا سنة ١١٨٥م بأن الأساقفة وحكام الكنيسة

---

(١) A. Steven Runciman: A History of the Crusades (Cambridge University Press), 1962, vol. 1, pp. 286-287.

(٢) Philip. K. Hitti: Syria... A Short History (New York, 1961), p. 173.

(٣) J. M. Robertson (editor): Gibbon on Christianity (chap. 15 and 16 of the Decline And Fall), Thinker's Library (London, 1936), p. 135

و «المملكة التي حصلت عليها بخداع»: سيأتي توضيح هذه العبارة في الباب القادم.

http://kotob.has.it/

يتحملون مسئولية البحث عن الذين يُشك في عقيدتهم، والذين لا يُخلصون للكنيسة، وبالتالي يقبض عليهم ويعاقبون(١).

وبعض الباباوات وحكام الكنيسة شجعوا عامة الناس على البحث عن الملاحدة والوشاية بهم؛ فالذي يفعل ذلك يعطى له ثلث ممتلكات الملحد، والثلث الثاني يذهب للكنيسة، والثلث الأخير يأخذه الحاكم المحلي. وكانت النتيجة الطبيعية اضطهاد الكثير من الأبرياء بتهمة الإلحاد، وتوزيع ممتلكاتهم بين الطامعين. وشاعت هذه الظاهرة في أوساط المسيحيين لدرجة أنهم بدأوا يتهمون الموتى بعد وفاتهم بالإلحاد لمصادرة ممتلكاتهم(٢)!

قال رفيعو المستوى من حكام الكنيسة في بداية المحاسبة الدينية إن الأفراد المتهمين يعاقبون أشد العقوبات غير سفك دمائهم إلا أنه أوّل هذا الحكم في عهد البابا الجريجوري التاسع بأن الإحراق بالنار لا يفضي إلى سفك الدم، لذا ينبغي أن يحرق مجرمو العقيدة مربوطين بالخشب(٣). وهكذا أحرق آلاف من الناس بالنار؛ وأما الذين سجنوا في السراديب الغليظة المتعفنة الضيقة المظلمة وماتوا فيها فلا يمكن حصرهم(٤).

ولقد كان عدد النصارى المهلكين المقتولين بتهم في السنوات القليلة أيام المحاسبة الداخلية أكثر بكثير من عهد الملوك الرومان الصابئين الذين ظلموا النصارى وشددوا عليهم قراب ثلاثة قرون معروفة بالظلم والجور على النصارى(٥). وقد جاوز عدد الهالكين من النصارى الملحدين (المخالفين للكنيسة الرومية) مائة ألف نصراني في البلد الواحد (هولندا)(٦)؛ كما أنه غيّب عن سجلات الكنيسة الرومانية السرية عدد المصابين والمقتولين بسبب المحاسبة المزعومة في المناطق الأخرى(٧)؛ إلا أن أعداد المحاسبة الأسبانية موجودة، وهذه المحاسبة بدأها الحكام الأسبانيون النصارى: فردينند وأزابيلا سنة ١٤٧٤م ببركة دعاء البابا سكستس الرابع، وكان هدف هذه المحاسبة المسلمين واليهود والنصارى الملحدين(٨). وجاء في تقرير

---

(١) Will Durant: op. cit. (The Age of Faith), p. 779.

(٢) E. Vacandard: The Inquisition (New York), 1908, p. 203.

(٣) Ibid., p. 178.

(٤) Will Durant. op. cit., p. 783.

(٥) J.M.Robertson: op. cit., p. 135.

(٦) Ibid.

(٧) Rationalist Encyclopaedia, p. 316, quoting Dr. Ludwig Pastor's History of the Popes.

(٨) Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 7, p. 330.

http://kotob.has.it/

أحد الأمناء المعتمدين في مهمة المحاسبة أن عدد المقتولين في هذه المحاسبة يجاوز ٣٤١ ألف شخص، كما أجبر مئات الآلاف من المسلمين واليهود على قبول دين النصرانية[١]. ولقد اعترف المؤرخون النصارى أن المسلمين جوزوا مقابل مناصحتهم للنصارى ورفقهم بهم في القرون الماضية، أشد العقاب، حيث أُحرقوا وهم أحياء، وقُتلوا بطريقة عشوائية، واستعبد أطفالهم[٢].

ولقد أوذي الذين ألقوا في محاكم المحاسبة قبل الإعلان الرسمي للعقاب، بأشد العذاب، كل ذلك بحجة التفتيش والتحقيق، حيث كان يلقى مئات منهم في السراديب الضيقة المظلمة المنتنة الغليظة المليئة بالحشرات والعقارب؛ وأوذوا واضطروا إلى الجوع، وملك موظفو محاكم المحاسبة جميع ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة فور إلقاء القبض عليهم[٣].

وكما سبق فإن الاحتساب الديني هذا لم يكن خاصًا لأتباع الديانات الأخرى فحسب، وإنما أصيب به الكثير من المسيحيين أيضًا. فقد كانت الفرقة الألبجنزية في فرنسا الجنوبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر لا تؤمن بصلب المسيح وقيامه من الأموات، فأمر البابا انونسنت الثالث بالجهاد ضدهم، فقتل أكثر من مائة ألف فرد ودمرت العديد من القرى. وأجبر المسيحيون الكاثوليكيون أتباع الفرق الأخرى في بعض الأماكن على قبول عقيدتهم، وفي بعض الأماكن قتلوا سكان القرية كلهم، وفيهم إخوانهم الكاثوليكيون، وقالوا «فالذي تكون عقيدته صحيحة سيعرفه الرَّب نفسه»[٤]. وفي حين كان الناس يحتفلون في فرنسا نفسها بيوم القديس بارثولومو (St. Bartholomew) في سنة ١٥٧٢م هجمت الجيوش الحكومية والشعب الكاثوليكي في ظلام الليل على البروتستانتيين وقتلوا آلاف الناس[٥]. ووصلت شدة الظلم والقسوة إلى

"Babies were thrown out of windows and tossed into the river".

«أنهم رموا الأطفال في النهر من النوافذ»[٦].

---

(١) Rationalist Encyclopaedia, p. 318; Encyclopaedia Britannica (1973), vol. 12, p. 27.

(٢) H.C.Wickersham: op. cit., p. 232.

(٣) H.C.Lea: History of the Inquisition in Spain, vol. 1, p. 211.

(٤) H.C.Lea: A History of the Inquisition in the Middle Ages (New York, 1888), chaps. III, IV; Concise Oxford Dictionary of the Church, p. 13; Will Durant: op. cit., vol.4, pp. 774-775.

(٥) W. Walker: History of the Church (1949), p. 435.

(٦) Colin Wilson: A Criminal History of Mankind (London, 1985), p. 377.

http://kotob.has.it/

وتشتهر إنجلترا بالمشاجرات والحروب بين الفرق المسيحية المختلفة، كما تشتهر بدور الملكة ميري ثيودور [ت/١٥٥٨م] في القيام بهذه الأعمال، وإحراقها كثيرًا من زعماء البروتستانت، وأيضًا مصائب الكاثوليكيين في عصر الملكة اليزبات الأولى[١] [ت/١٦٠٣م].

ففي عصر الملكة ميري ثيودور التي تعرفت بـ «ميري سافكة الدم» أحرق ثلاثمائة مسيحي بروتستانتي، واشتهر زوجها الملك فلب أيضًا من بين الذين اضطهدوا البروتستانتيين[٢].

وبالإضافة إلى هذه المشاجرات والاضطهادات حدثت حروب بين الفرق المسيحية أيضًا، ومن أشهرها الحرب التي وقعت في أوربا الوسطى بين البروتستانتيين والكاثوليكيين في القرن السابع عشر، والتي استمرت ثلاثين عامًا [١٦١٨ـ ١٦٤٨م]. وقد قتل فيها مئات الآلاف، وطُرد الكثيرون من البيوت، ووقعوا في مصائب شتى، وكل ذلك حدث باسم الدين[٣]. والسلطة الحقيقية خلال هذه المغامرات والحروب كانت في أيدي حكام الكنيسة ومسئوليها حيث تمتعوا بالسلطة الشاملة،

"The power of the Inquistitor was great".

«وكانت سلطة المحتسب عظيمة جدًا»[٤].

فكان من حق المحتسب الديني أن يشك في عقيدة أي شخص دون بيّنة، وكان يحاول انتزاع اعتراف الشخص بالمنسوب إليه من التهم، ولهذا

"Torture was used to extort confessions".

«كان يُعذب عذابًا شديدًا[٥]».

وكان من الصعب جدًا على المتهمين أن يأتوا بمن يشهد لهم؛ وذلك لأن الشهود كانوا يخافون من تهمة الإلحاد[٦]، والذي يتكلم مع المتهم بالإلحاد يعتبر مشكوكًا في

---

(١) Oxford Dictionary of the Church (1958), pp. 446, 447, 870.
(٢) Colin Wilson: op. cit., pp. 373-374.
(٣) The Cambridge Modern History (1934), vol. 4, pp. 417-423.
(٤) Encyclo. Brit. (1973), vol. 12, p. 271.
(٥) The Shorter Cambridge Medieval History (1952), vol.2. p. 679.
(٦) Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 7, pp. 330-332.

http://kotob.has.it/

عقيدته[1]. والمدهش أن عقائد الأموات أيضًا كانت عرضة للفحص. فإن ثبتت الجريمة كان القبر يحفر وتخرج الجثة وتضرب بالسوط وتحرق العظام، وتسلب ممتلكاتهم وتوزَّع بين المحتسبين والشهود والكنيسة[2]!!

فمظاهر الظلم والإهانة الإنسانية هذه، والتي تقشعر من ذكرها الأبدان جزء لا يتجزأ من تاريخ المسيحية. ولكن العجب كل العجب أن الدعاة المسيحيين لا يذكرونها حتى ولو بإشارة؛ بل إنهم يهاجمون المسلمين لأخطائهم البسيطة. وعلى أية حال فيما يلي أمثلة للطرق المختلفة التي استخدمها المسيحيون للتعذيب:

* خمش اللحم من أجساد الأحياء بالملاقط، وإجلاس الناس على الحديد المُسَخن في النار.
* إخراج الأجساد الحية نصف المشوية من النار، وتركها حتى تموت رويدًا رويدًا.
* تعليق الرجال والنساء بشعورهم على المداخن، وإشعال النار في الأفران من تحتهم حتى يموتوا خنقًا بالدخان.
* الإحراق على نار هادئة حتى يزيد العذاب ويطول.
* تعرية الأجساد بأكملها وخزها بالإبر.
* وضع العسل على الأجساد العارية، وتعليقها أو ربطها حتى تلتصق بها الحشرات وتلدغها إلى أن تموت.
* نفخ بطون الرجال والنساء بالمنفاخ إلى أن تتضخم وتنفجر.
* تعرية النساء أمام جموع الناس.
* ربط الأمهات المرضعات أمام أطفالهن حتى يموتوا من الجوع.
* قطع ثدي النساء وبالأخص الراهبات.
* قطع ذكور الرجال، وإجبارهم على أن يمسكوها بأيديهم ويمشوا بها في الطريق.
* جمع النساء والرجال في مكان واحد من السجن، وإلباس بعض الناس نوعًا خاصًا من السلاسل والأنكال لسنوات طويلة. ولم تكن تخلع في أي حال من الأحوال.
* الربط بالحبال والغمس مرارًا في الآبار.
* الضرب بالعصا المكسوة بالإبر الحديدية.

---

(١) Shorter Cambridge Medieval History, vol. 2, p. 679.

(٢) Rationalist Encyclopaedia, p. 319; Encyclopaedia of Religion And Ethics, vol. 7, p. 334.

http://kotob.has.it/

* قطع الأعضاء المختلفة مثل الأنف والأذن واحدًا تلو الآخر وخلال عدة أيام(١).

وقد اضطر الباحثون في ضوء أمثلة الظلم والاضطهاد والتعذيب هذه إلى أن يقولوا:

"Christianity has the distinction among the historic religions of having inflicted torture and death upon those who rejected it, in incomparably greater volume than any other".

«تمتاز المسيحية، بين الديانات التاريخية، بأنها قتلت منكريها وشدَّدت عليهم من حيث الكم والكيف لدرجة أنه لا يمكن أن تتنافس معها أي ديانة أخرى»(٢).

فتاريخ العنف والإكراه وعدم التسامح مع أتباع الديانات أو الفرق المسيحية الأخرى تاريخ يمتد عبر القرون العديدة، واستمر هذا التاريخ حتى الزمن الماضي القريب. يقول الفيلسوف المسيحي جان لوك ـ وهو من القرن السابع عشر ـ معلقًا على هذا التاريخ، وبالأخص على وضع المسيحية في القرن السادس عشر:

"A sanguinary, murderous religion... putting to the sword anything that offered resistance to it".

«هي ديانة سفاكة وقتَّالة، وتتعامل بالسيف مع كل من يقاومها»(٣).

وقد وافق المؤرخ الفاضل توينبي ـ رغم كونه مؤيدًا للمسيحية ـ لوك في رأيه هذا، وناقش هذه القضية ذاكرًا أمثلة الاضطهاد المسيحي ليس من القرن السادس عشر فحسب، بل من العصور الأخرى كذلك، فهو يقول مثلاً متحدثًا عن سكان الميكسيك القدماء بأنهم:

"had been converted to Christianity by force, and had never been given freedom to reject it".

«أكرهوا على اعتناق المسيحية ولم تكن لهم الحرية لرفضها»(٤).

وكذلك حدث في أمريكا أن السكان الأصليين أجبروا على قبول المسيحية، وخاصة

---

(١) H.C. Wickersham: op. cit., pp. 224-225; Rationalist Encyclopaedia, pp. 587,588; J.McCabe: Social Record of Christianity, pp. 66,117; Colin Wilson: op. cit., p. 374.

(٢) Rationalist Encyclopaedia, p. 441.

(٣) انظر: الهامش التالي. ولا يمكن للمسيحيين أن يردوا رأي لوك بدليل أنه فيلسوف حرّ في فكره الملحد؛ وذلك لأنه ألف في الدفاع عن الديانة المسيحية أيضًا. انظر:
Concise Oxford Dictionary of the Church, pp. 306-307.

(٤) Arnold Toynbee: An Historian's Approach to Religion, Oxford, 1957, pp. 159,163.

http://kotob.has.it/

على أيدي المستعمرين الأسبان وأجبروا على بناء الكنائس والصوامع رغم أنفهم[١].

٩ـ الكتاب المقدس والعلم والحضارة

من أكاذيب العلماء والمبشرين المسيحيين أن نصوص الكتاب والمسيحية نشرت الثقافة والعلم والحضارة في العالم. والحقيقة عكس ذلك تمامًا. فأما موقف العهد القديم بهذا الصدد فقد فصلنا القول ـ في السطور السالفة ـ عن أحكامه الهمجية المتخلفة. وليس هناك فرق بينه وبين العهد الجديد؛ فقد ذكرنا موقفه إزاء الأمراض العادية في الباب السابع، حيث يرى أن سبب هذه الأمراض هو دخول «الشياطين» في المرضى؛ ويضاف إلى ما مضى أن سفر اللاّويين من العهد القديم يتحدث عن أحكام البرص والأبرص تتصف بالبداوة والوهم. فانظر ماذا يقول:

«الأبرص الذي فيه الضربة تكون ثيابه مشقوقة ورأسه يكون مكشوفًا، ويغطي شاربيه وينادي نجس نجس». وإذا برىء المريض من البرص «يأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد في إناء خزف على ماء حي. أما العصفور الحي فيأخذه مع خشب الأرز والقرمز والزوفا ويغمسها مع العصفور الحي في دم العصفور المذبوح على الماء الحي». و «إذا الضربة في حيطان البيت نقر ضاربة إلى الخضرة أو إلى الحمرة ومنظرها أعمق من الحائط . . . ويقشر البيت ويطين . . . فإن رجعت الضربة في البيت . . . فهي برص مفسد في البيت . . . فيهدم البيت . . . وإن برئت الضربة يأخذ [الكاهن] عصفورين وخشب أرز وقرمزًا زوفا لتطهير البيت».

وكذلك من أحكام الحيض أن كل من مس الحائض يكون نجسًا وكل من مس فراشها يكون نجسًا، وأن تقدم ذبيحة لتكفير سيل الدم النجس[٢].

فالكتاب المقدس، في الواقع، لا يهتم بالعلم والمعرفة اللذين هما اللبنة الأولى للحضارة والتمدن؛ والقرآن الكريم يقول لنا: إن العلم والمعرفة دليل جوهري لعظمة الإنسان. فقد علَّم اللهُ آدمَ الأسماء كلها، كما أنه (أي القرآن الكريم) يبدأ بتأكيد شديد على القراءة والتعلم[٣]. بينما العهد القديم يخبرنا بأن الرب الإله لم يحب معرفة آدم الأشياء منذ

---

(١) J.L.Hurlburt: The Story of the Christian Church, p. 194.

(٢) اللاويين ١٣: ٤٥، ١٤: ٤ـ٧، ١٤: ٣٣ـ٥٣، ١٥: ١٩ـ٣٠.

(٣) القرآن الكريم ٢: ٣١ـ٣٤، ٩٦: ١ـ٥.

http://kotob.has.it/

البداية[١]. ويقول لنا العهد الجديد بأن المسيح كان يريد أن يصبح الناس «مثل الأولاد»[٢]. ويقول برتراند رَسَل بأن الأولاد الصغار لا يقدرون على فهم العلوم ولا يكونون في حاجة إليها. ولذلك كان التعلم لدى الكنيسة أمرًا غير ضروري، بل يؤدي إلى الذنوب؛ وذلك لأن العلم:

"It may lead to pride of intellect, and hence to a questioning of Christian dogma".

«يدعو إلى التفاخر بالعقل، وبالتالي يؤدي إلى التساؤلات حول العقائد المسيحية».

فقد كتب البابا جريجوري الأعظم [ت/ ٦٠٤م] إلى أحد الأساقفة قائلاً:

"A report has reached us, which we cannot mention without a blush, that thou expoundest grammar to certain friends".

«وصلنا تقرير، ونحن نستحي أن نشير إليه، يقول أنك تعلم بعض أصدقائك قواعد اللغة».

وأجبر البابا الأسقفَ على أن يمتنع عن «هذا العمل الشيطاني المخيف المكروه»[٣]. وسبب كره المسيحيين للعلم والمعرفة واستغنائهم عنهما في العصور الأولى يرجع إلى شيء أساسي آخر وهو «التعليم الأخيري» (Eschatological) في العهد الجديد، بأن الدنيا على وشك الانتهاء والانقضاء. يقول المسيح كما يروي الكتاب المقدس: «الحق أقول لكم إن من القيام هٰهنا قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوةٍ»[٤].

من أين يتأتى الوقت للعلم والثقافة في حالة الإيمان بحدوث القيامة القريب جدًّا؟ لكن الأساقفة والقسيسين المسيحيين وجدوا الفرصة لإحراق آلاف من المكتبات الإغريقية والرومانية التي كانت تشتمل على ملايين من الكتب القيمة؛ وكانت من بين هذه المكتبات المحرقة مكتبة الإسكندرية العظمى التي اخترعت قصة مزيفة عن حرقها في العصور المتأخرة، قيل فيها: إن المسلمين العرب، الذين جاءوا بعد ثلاثة قرون، أحرقوا هذه المكتبة!

والواقع التاريخي أن في عصور ازدهار المسيحية [من أواخر القرن الرابع الميلادي إلى القرن

---

(١) التكوين ٣: ٢٢.

(٢) متى ١٨: ٣.

(٣) Bertrend Russel: op. cit., pp. 19,35; W.Lecky: op. cit., vol. 2, p.115; Pope Gregory's Letter (Migne Collection), XI, 54, quoted by J. McCabe: Social Record of Christianity, p. 32.

(٤) مرقس ٩: ١. وانظر أيضًا: متى ١٦: ٢٨.

http://kotob.has.it/

الرابع عشر الميلادي] أي ألف سنة تقريبًا، لم توجد في العالم المسيحي مكتبة واحدة اشتملت على عشرة آلاف كتاب. ولم يكن أحد من الرهبان في القديس جال (St. Gall) ـ بيت الرهبان الأكبر، في فرنسا ـ حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي يعرف القراءة والكتابة؛ بينما العرب والمسلمون الأسبان المعاصرون لهم، كانوا مثقفين ثقافة عالية، وكانوا يقتنون العديد من المكتبات التي لا حصر لها، وكانت تضم ملايين الكتب[١]. كما كانت لديهم مئات من الجامعات والمؤسسات العلمية التي كانت أساس النهضة العلمية (Renaissance) في أوربا:

"It was under the influence of the Arabian and Moorish revival of culture and not in the fifteenth century that the real Renaissance took place. Spain, not Italy, was the cradle of the rebirth of Europe".

«لم تنشأ النهضة العلمية في القرن الخامس عشر، بل نشأت في حضن النشاط الثقافي والحضاري للعرب والمسلمين الأسبان. ومنبع النهضة الأوربية ليس إيطاليا بل هو أسبانيا». ولم تتعلم أوربا حب العلم والبحث وطرق الملاحظة والفحص العملية من الإغريق بل تعلموها من المسلمين[٢].

يقول وليام ليكي، أحد المعجبين بالديانة المسيحية، في ضوء «عصور المسيحية» (Christian Millenium) أي الألف سنة التي سبقت النهضة الأوربية:

"One of the most contemptible in history".

«يعتبر هذا العصر من أسوأ العصور في التاريخ الإنساني».

وثقافة ذلك العصر

"No justification of the common boast about the regeneration of society by the Church".

«لا تدل على جواز الدعوى الفخرية المعروفة القائلة بأن الكنيسة المسيحية جددت تعمير الخدمات الإنسانية الاجتماعية»[٣].

والذي فعلته الكنيسة مع الفلكيين أمثال برونو (Bruno) [ت/ ١٦٠٠م] وجاليليو

---

(١) Social Record of Christianity, pp. 32-33.
(٢) Robert Briffault: The Making of Humanity, London, 1919 (Lahore, 1980), pp. 188, 191 (chap.5).
(٣) W.Lecky: op. cit., vol.2, pp.6-7.

http://kotob.has.it/

(Galileo) [ت/ ١٦٤٦] دليل قوي على موقفها من العلم والمعرفة والحضارة والتمدن. فكان ذنبهم أنهم أيدوا فكرة مؤسس علم الفلك الجديد كوبر نيكوس (Copernicus). وهذه الفكرة تجعل الشمس مركزًا للنظام الشمسي بدلاً من الأرض. ففي عقوبة هذه «الجريمة» أُحرق برونو حيًا، وأما جاليليو كبير السن فقد عُذِّب عذابًا وأُكره على أن يبرىء نفسه من «فكرة الكفر» هذه[١].

يعتبر عصر ازدهار المسيحية أو العصر الذهبي للمسيحية ما يجمع المؤرخون المسيحيون كلهم تقريبًا على تسميته بالقرون المظلمة. وهذا العصر لم يكن عصر العلم والثقافة، بل كان عصر عداوة المعرفة والثقافة، وعصر الوهم والجهل؛ ولم يكن عصر إكرام العلماء والباحثين، بل كان عصر إهانتهم وإذلالهم، وسيطرة أهل الكنيسة الجهلاء على أفكارهم العلمية. ولم يكن برونو وجاليليو وأمثالهما ضحايا هذا العصر فحسب؛ بل إن أصحاب الكنيسة وسَّعوا دائرة السخط على عامة الناس ومسئولي المجامع المدنية والمحاكم. فأحرقوا كل من أرادوا قائلين بأنه عرَّاف، واستمر هذا حتى بعد حركة الإصلاح الديني والنهضة العلمية على أيدي المسيحيين البروتستانت[٢].

فهل يمكن أن يتقدم العلم والثقافة في هذه البيئة التي يعد فيها الإنسان «عرافًا»، ويُضيَّق فيها على العلماء والمولعين بالثقافة والمعرفة والحضارة؟

يتطلب ظهور الحضارة والتمدن ونموهما التحرر من الوهم والتخلف الفكري، ويحتاج تطور العلم والحكمة إلى الذوق الرفيع. ولكن المسيحيين ظلوا ـ عامتهم وخاصتهم ـ بعيدين عن هذه الخصائص طوال عصر المسيحية «الذهبي»؛ فكان النَّاس غير مدركين أهمية العناصر الأساسية للتحضر مثل النظافة، فما بالنا عن لطافة الذوق الرفيع!

فظل الملوك الكبار وزعماء المسيحية العظماء، قرونًا طويلة، لا يعرفون أهمية الاغتسال، وكانت القصور الكبيرة بدون حمامات. فحين تعلم العالَمُ المسيحي التحضرَ من العرب والمسلمين الأسبان، أو بعد النهضة العلمية، عرفوا كيف تكون النظافة في المدن والمساكن والبيوت، وكيف تطهَّر الأجساد وتزين[٣]. وإلا فكانوا يعدون، قبل

(١) Oxford Dictionary of the Church, pp. 203,341,536,537.
(٢) Rationalist Encyclopaedia, pp. 622-623, with reference to H.C. Lea: Materials Toward a History of Witchcraft (3 vols., 1939), and White: Warfare of Science with Theology (1876); Colin Wilson: op. cit., p. 387.
(٣) Rationalist Encyclopaedia, pp. 50-51.

http://kotob.has.it/

ذلك، النظافة ضد التدين وحب الإله؛ وكان مما يشتهر بين بعض الطبقات، ألا يغسل الإنسان وجهه ورجليه أبدًا[١].

فعدم المبالاة بالنظافة والصحة والاستغناء عن العلم والحكمة، والتخلف الفكري وإذلال أهل العلم والثقافة، كل هذه العوامل وغيرها أنتجت الظروف السيئة التي لم تتمكن فيها المسيحية والكنيسة من أن تحافظ على الحضارتين الإغريقية والرومانية؛ كما أنها أخفقت في إنشاء السبل الأخرى للتمدن. وأما ما يوجد في العالم المسيحي اليوم من الحضارة والثقافة المزعومتين فإنهما يوجدان بفضل الخروج على المسيحية، والثورة على الظلام الكنسي.

١٠ـ هل يقدم الكتاب المقدس ديانة عالمية ؟

لا يستحق الكتاب المقدس أن يعتبر كتابًا عالميًا، نظرًا لما فيه من نقص في تصور الإله والأنبياء، ونظرًا لمقياس التعليم الأخلاقي الرديء، ونظرًا لما فيه من بذاءة وإهانة للنساء والعمال والفقراء، ونظرًا للتعاليم الهمجية غير الاجتماعية، والعنف والسفك، ومحاربة العلم والحضارة؛ كما أن المسيحية لا تستحق أن تعد ديانة كونية. وأما انتشارها الواسع فإنه يرجع إلى الحوادث التاريخية السياسية وشدة الملوك وإشرافهم، وإلى جهل الناس في القرون المظلمة. ثم إن موقف الكتاب المقدس أيضًا لا يختلف عما نقوله من أن المسيحية لم تظهر لأن تكون ديانة كونية شاملة.

فالعهد القديم كله يخاطب بني إسرائيل، ويذكر الإله دائمًا بقوله: إله إسرائيل ورب إسرائيل[٢]. ويخبرنا العهد الجديد بأن عيسى عليه السلام كان إسرائيليًا ولم يُرسل إلا لبني إسرائيل. يقول: «لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». وإنه فوق ذلك لم يقبل أن يشفي غير بني إسرائيل؛ وذلك حين جاءت إليه امرأة كنعانية تطلب منه الشفاء لابنتها المصابة بالشياطين، أجابها المسيح بالقول المذكور آنفًا، وأضاف إلى ذلك بقوله: «ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب»[٣].

---

(١) Will Durant: The Age of Faith, p.59; W.Lecky: op. cit., vol. 2, p.109.

(٢) انظر: صموئيل الأول ٢٥: ٣٢، الملوك الأول ١: ٤٨، الأيام الأول ١٦: ٣٦، الأيام الثاني ٦: ٤، وغيرها من الأماكن.

(٣) متى ١٥: ٢٢، ٢٤، ٢٦. وكان الكنعانيون سكان فلسطين قبل مجيء بني إسرائيل هناك. انظر: Concise Oxford Dictionary of the Church, p. 86

http://kotob.has.it/

ومن الوصايا التي أعطاها المسيح لتلاميذه الاثني عشر: «إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»[١]. فغض المبشرون المسيحيون الطرف عن هذه الوصايا التي تحدد الدعوة المسيحية في بني إسرائيل، وحاولوا محاولات لإثبات أن المسيحية ديانة كونية شاملة، مستندين في ذلك إلى ما قاله عيسى عليه السلام [بعد «قيامه من الأموات»] للتلاميذ: «اذهبوا إلى جميع الأمم وتلمذوهم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس»[٢]. ولكن هذه الآية لا تعارض الأحكام سالفة الذكر فحسب، بل إن الباحثين أجمعوا على كونها محرَّفة ومزيفة [انظر الباب الخامس الهامش رقم ٢ ص: ١٢١]. وأما الآية الواردة في هذا المعنى نفسه في إنجيل مرقس [وهي: قال لهم اذهبوا إلى جميع الخلق وادعو الناس إلى الإنجيل][٣]، والتي هي أساس للآية الموجودة في إنجيل متى، فإنها أيضًا محرَّفة وملحقة في العصور المتأخرة، الأمر الذي وضحناه في الباب الثامن [الهوامش ٥، ٦ ص: ٢٧٨].

ويضاف إلى ذلك أن المسيح قال: «لا يكون التلميذ أكبر من معلمه»[٤]. فكيف يمكن أن يكون المسيح «لبيت إسرائيل» فقط ويرسل تلاميذه وأتباعه إلى جميع الناس والأمم؟

ثم إنه يثبت من قول آخر للمسيح أن إرساله وتلاميذه إلى الإسرائيليين لا يتمدد في حياته، بل يكون هذا إلى أن تقترب الساعة، فهو يقول:

«أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر». ويؤكده قول آخر وهو: «لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان»[٥].

فالوصايا واضحة جدًا بأن يذهب التلاميذ إلى إسرائيل فقط، وألا يذهبوا إلى أمم أخرى غيرها؛ وأخبروا أيضًا بأنهم يتجولون مدن إسرائيل ويدينون أسباطها حتى مجيء المسيح

---

(١) متى ١٠: ٥ـ ٦ . والسامريون: هم أولاد أناس ليس لليهود ولا يدينون بدين. أسكنهم الأشوريون فلسطين بعد تسلطهم على اليهود في القرن الثامن قبل ميلاد المسيح . انظر:
Concise Oxford Dictionary of the Church, p. 457.

(٢) متى ٢٨: ١٩ .

(٣) مرقس ١٦: ١٥ .

(٤) متى ١٠: ٢٤ .

(٥) متى ١٩: ٢٨، ١٠: ٢٣

http://kotob.has.it/

الثاني. وأما الآيات والنصوص التي تقدم في تأييد عالمية الديانة المسيحية، فقد ثبت علميًّا بأنها مزيفة حيث لا أهمية لها.

ومن البراهين التي تثبت أن الديانة المسيحية ظهرت لإسرائيل فقط ما نراه من تمسك التلاميذ بالوصايا التي تركها لهم المسيح بهذا الصدد؛ فلم يكونوا «يكلمون أحدًا بالكلمة إلا اليهود فقط»(١). وعندما علموا أن بطرس ذهب إلى غير الإسرائيليين وغير المختونين وأكل معهم وشرب، اعترضوا عليه لهذه المخالفة. ولم يستند بطرس إلى أي قول من أقوال المسيح لإزالة الاعتراض؛ بل أسمعهم الرؤيا غير الواضحة، وقال لهم: إنه ذهب بوصية الروح [مخالفًا وصايا المسيح الصريحة] إلى بيت غير إسرائيل، مع أن بطرس كان في البداية يبدأ خطبته التبشيرية قائلاً: «أيها اليهود وأيها الإسرائيليون»(٢).

وحين بدأ كل من بولس وبرنابا الدعوة للمسيحية، كانوا يتكلمون بالكلمة في معابد اليهود ويخاطبونهم فقط(٣). ولكنهم حينما رأوا إقبال بعض الناس غير اليهود عليهم بدأوا رويدًا رويدًا [بولس وبطرس ثم التلاميذ الآخرون وآباء الكنيسة كلهم] يدعوهم أيضًا إلى المسيحية. وفي البداية اشترطوا عليهم العمل بالتقاليد والعادات اليهودية، ولكنهم بمضي الوقت ولأجل جلب عدد أكبر من الناس ألغوا هذه القيود(٤).

فيتضح مما مضى أن المسيحية:

أ ـ حسب تعاليمها،

ب ـ ووفق إرادة عيسى ونيته،

جـ ـ وفي ضوء نشاطات الحواريين الأولى للدعوة،

لم تكن ديانة كونية شاملة. ولكن بعض الحواريين عندما رأوا ميل غير الإسرائيليين إليهم أخذوا يبشرونهم، مخالفين في ذلك وصايا المسيح الصريحة. ثم لعبت تحريفات بولس في الديانة المسيحية دورًا جعلتها تنتشر في الأمم الأخرى. وحين أقبل الملوك

---

(١) أعمال الرسل ١١: ١٩. علمًا بأن ١١: ١٩ وما بعدها من كتاب أعمال الرسل يتعلق بالباب الثامن من هذا الكتاب (انظر: تفسير بيك، ص: ٧٨٩). والآيات الأولى من باب الحادي عشر (سيأتي ذكرها) تبين قصة ما قبله.

(٢) أعمال الرسل ١١: ١ـ١٨، ٢: ١٤، ٢: ٢٢.

(٣) أعمال الرسل ١٣: ٥، ١٧.

(٤) أعمال الرسل ١٥: ١ وما بعدها.

http://kotob.has.it/

الرومان على المسيحية البولسية شاعت في العالم، رغم أنها لم تكن تصلح لهذا الشيوع والانتشار؛ ولكنها مع ذلك لم تقدر على توفير حضارة محترمة. وعندما دخل العالم في عصر الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي، كان من الصدفة أن المناطق التي استفادت من هذا التقدم كانت في معظمها آهلة بسكان مسيحيين. وقد زعم المبشرون أن هذا التطور والازدهار والتقدم كان بفضل الديانة المسيحية، مع أن الحقيقة هي أن الكنيسة ظلت تحارب العلوم والفنون لقرون طويلة؛ ولم يتحقق هذا التقدم الحضاري إلا بعد انقضاء غلبة الكنيسة وتحرر العلم والثقافة من قيود المسيحية وأغلالها.

وأما انتشار المسيحية في البلاد والأمم الأخرى بعد الثورة الصناعية والتقدم الأوربي، فإنه أيضًا لا يرجع إلى الديانة المسيحية نفسها؛ بل هو نتيجة للتقدم الاقتصادي للأمم الأوربية واستعمارهم، وقوة وسائلهم المالية والإعلامية.

http://kotob.has.it/

الباب العاشر

آثار التعاليم الأخلاقية للكتاب المقدس

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الباب العاشر

اثار التعاليم الأخلاقية للكتاب المقدس

في الباب السابق تم استعراض آثار تعاليم «الكتاب المقدس» التي تتعارض مع طبيعة المجتمع، وتحضّ على قهر المستضعفين والنساء والعبيد، وتكره العلم والحضارة، وتنشر جراثيم القسوة وسفك الدماء.

كما ذكرنا بالإضافة إلى ذلك في نفس الباب عناصر التعاليم الأخلاقية للكتاب المقدس المليئة بالبذاءة والفحش. وهنا في هذا الباب نقوم باستعراض تلك الآثار التي تركتها هذه التعاليم في نفوس أتباع المسيحية وفي سلوكهم الأخلاقي. وأحسن طريقة لاستعراض هذا الأمر ـ في رأينا ـ أن ندرس الحياة الأخلاقية العملية لتلك الشخصيات التي تعد من كبار زعماء الديانة المسيحية، وهؤلاء هم الذين ادَّعوا تطبيق التعاليم المسيحية في سلوكهم وفي حياتهم أكثر من عامة المسيحيين؛ ونقصد بهم الأساقفة والرهبان والراهبات، ونقصد بهم أيضًا أولئك الباباوات والكرادلة وغيرهم ممن كانوا يُعدّون من زعماء العالم المسيحي بأجمعه قبل حدوث الفصل بين الكنائس.

١ـ وضع الأساقفة الأخلاقي في أزمنة السيطرة المسيحية

في القرون الوسطى والعصور المظلمة التي هي عصور ازدهار المسيحية وسيطرتها، وُجد عدد من الأساقفة وخدّام الكنيسة الصالحين، ولاشك في ذلك؛ لكن أغلبية هؤلاء كانوا منغمسين في الفسق والفواحش. يقول أحد خبراء شئون الكنيسة التاريخية وهو – لِي (Lea) ـ متحدثًا عن أحوال الأساقفة ومسئولي الكنيسة في القرنين السابع والثامن:

"The crowd of turbulent and worldly ecclesiastics, whose only aim was the justification of the senses or success of criminal ambition".

«كان هؤلاء الأساقفة حشدًا من عبدة الدنيا والفسقة، الذين لا يسعون إلا إلى إشباع الغرائز الجسدية وتحقيق آمال فاجرة»[١].

---

(١) H.C. Lea: An Historical Sketch of Sacredotal Celibacy in the Christian Church, Boston, 1884, p.126.

http://kotob.has.it/

ويقول أحد أساقفة إيطاليا من القرن العاشر مبينًا أحوال الكنيسة آنذاك:

"if he were to enforce the canons against unchaste people administering ecclesiastical rites, no one would be left in the Church except the boys; and if he were to observe the canons against the bastards, these also must be excluded".

«لو قام بتطبيق القوانين الأخلاقية بروحها على القائمين بأداء الطقوس الكنسية، لما بقي في الكنيسة سوى الأولاد فقط؛ وإن قام بتطبيق القوانين المتعلقة بأولاد الزنا لوجب إخراج هؤلاء الأولاد أيضًا من الكنيسة»(١).

فهذا القول يصور أوضاع الكنيسة في ذلك العصر، حتى ولو سلمنا بوجود المبالغة فيه. فإذا انتشرت الرذائل إلى هذه الدرجة فإنه يصعب اتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ القوانين على كل فاسق. ولكن الكنيسة كانت تضطر إلى معاقبة من ساءت سمعته واشتهر بمغامراته بين الناس. ومن أمثلة ذلك أن أحد الأساقفة، في القرن الثالث عشر، أنجب خمسة وستين ولد الزنا، فعزلته الكنيسة عن منصبه(٢).

ووجود محظية وولد الزنا ـ قبل هذا ـ عند المتكلم والقديس المشهور أوغسطين [ت/ ٤٣٠] لم يكن سرًّا، فقد سمى عابد الإله هذا ولدَه من الزنا هدية الله(٣)!

وكثر عدد أولاد الزنا للأساقفة في أيام ازدهار المسيحية لدرجة أن المعنى اللغوي للفظ المستعمل للدلالة على ابن الزنا في اللغة الألمانية القديمة [Pfaffenkina] يعني «ابن الأسقف»(٤).

وبدعة الاعتراف بين يدي الكاهن التي أجازتها الكنيسة أيضًا أسهمت في انتشار الفواحش إسهامًا كبيرًا. فكانت العادة [وهي مازالت موجودة لدى المسحيين الكاثوليكيين] أن يذهب المذنب إلى الأسقف مرّة في أسبوع أو شهر أو سنة، ويعترف أمامه بذنوبه تفصيلاً ثم يأخذ منه البركة، وبهذا يغفر له جميع الذنوب(٥). فقد شجعت هذه العادة الناس على ارتكاب المنكرات والفواحش من ناحية، وملأت جيوب الأساقفة وخزائن

---

(١) W.E.H. Lecky: History of European Morals (1911), vol. 2, p.330.

(٢) H.C.Lea: op. cit., p. 336.

(٣) W.Lecky: op. cit., p. 332, footnote.

(٤) H.C.Lea: op. cit., p. 336.

(٥) Oxford Dictionary of the Church, pp. 7-8 ('Absolution'); Rationalist Encyclopaedia, pp. 110-111.

http://kotob.has.it/

الكنيسة بالأموال الهائلة من ناحية أخرى [كانت هناك رسوم معينة لمغفرة بعض الذنوب]. ومن ناحية ثالثة انتهز الأساقفة فرص الاعتراف هذه [ولاسيما اعترافات النساء]. فاستغلوها لإشباع غرائزهم الجنسية. وكانت في الكنائس أماكن خاصة للاعتراف ينفرد فيها الأسقف بالشخص المعترف، وهكذا حدثت منكرات وأنواع مختلفة من الفسق التي استمرت حتى القرن التاسع عشر(١).

ومن أهم العوامل التي جرّت الأساقفة إلى الفواحش القيود الشديدة على زواجهم [انظر الباب السابق، الهوامش: ١-٤ ص: ٣٠٠] فالقيود غير الفطرية من ناحية وعقائد الكفارة والاعتراف من ناحية أخرى جعلتهم ينغمسون في الذنوب.

ورغم أن قصة انغماس الأساقفة في المنكرات قصة قديمة إلا أن تسجيلها التاريخي بدأ حسب ما وصلنا من المعلومات، في القرن الثامن حين رُفعت شكوى إلى البابا زكري (Zachary) بأن معظم شمامسة الكنيسة ومن يساويهم في المناصب لديهم أربع أو خمس محظيات(٢).

وبمرور الزمن وصل الأمر إلى درجة أن الناس بدأوا يفكرون في الطرق التي يحمون بها بناتهم وزوجاتهم من أيدي الأساقفة. فقد كان الناس يصرون في معظم المناطق على أن يتمتع الأسقف الذي لم يسمح له بالزواج من قبل الكنيسة بعدد من المحظيات، وذلك لكي لا يتعدى إلى بيوتهم ونسائهم(٣). فسعد الأساقفة بهذا الاقتراح، وانتهزوا هذه الفرصة، وأكثروا من المحظيات لدرجة أن حكام الكنيسة أصدروا رخصة رسمية لإقامة المحظيات عند الأساقفة، وجعلوا لها رسومًا مالية كانت تسمى كالاجيوم (Calagium)، واستمر العمل بهذه الطريقة قرونًا(٤). وكان لمحظية الأسقف احترام في الحفلات والاجتماعات الشعبية يضاهي احترام الزوجة(٥).

وأصدر البابا الإسكندر الثالث [١١٥٩م] قوانين صارمة تمنع الأساقفة من الزواج، ولكنه رغم ذلك أمر ممثليه ألا يتعرَّضوا لوجود محظية أو محظيتين لدى أسقف حتى تسلم نساء منطقته من يديه(٦). ولكن كل هذه الوسائل أخفقت في منع الأساقفة من التعدي على

---

(١) H.C.Lea: op. cit., pp. 350,352,534,634-635.

(٢) H.C.Lea: A History of Auricular Confession and Indulgences in the Latin Church (Philadalphia, 1886), vol. 1, p.46.

(٣) W. Lecky: op. cit., p. 333; H.C.Williams: The Historian's History of the World (London, 1908), vol. 8, p.634; Will Durant: op. cit., vol. 4, p.542.

(٤) H.C.Lea: Sacredotal Celibacy, pp. 257, 278,389.

(٥) H.C.Lea: History of the Inquisition in Spain (New York, 1906), vol.1, p.394.

(٦) H.C.Lea: Sacredotal Celibacy, pp. 320,388.

http://kotob.has.it/

النساء، إذ لم يتركوا نساء أتباعهم وبناتهم إلى جانب محظياتهم[١].

ولم تكن أمهات الأساقفة وأخواتهم أنفسهم بعيدين عن أيديهم، فما بالنا بالنساء الآخريات وبناتهن. يقول مؤلف كتاب «تاريخ خلق أوربا» مصورًا هذه الحالة السيئة:

"...that inveterate prevalance of incest among the clergy, which rendered it necessary again and again to issue the most stringent enactments that priests should not be permitted to live with their mothers and sisters".

«مضاجعة المحرمات من النساء كانت قد انتشرت وتوسعت لدرجة أن عددًا من القوانين قد صدرت مرارًا، لمنع الأساقفة من أن يسكنوا مع أمهاتهم وأخواتهم»[٢].

وقد طبقت هذه القوانين الشديدة بكثرة خلال الفترة التي تتراوح بين القرن السادس والقرن الثاني عشر. ولكن الكنيسة حينما رأت أنها أخفقت في منع المنكرات وبدأت تتهاون في الأمر رويدًا رويدًا إلى أن صارت غرامة مضاجعة المحرمات من النساء خمسة شلنات فقط[٣]! وقرّر مجمع بالي الذي انعقد في ١٤٣١م بأن

"The clergy were all fornicators".

«جميع رجال الدين المسيحي منغمسون في الزنا»[٤].

ووجدت في القرن الخامس عشر في لندن بيوت دعارة خاصّة للأساقفة ورجال الدين. وكانت في فرنسا والروم، خلال القرن السادس عشر، آلاف من النساء العاهرات واللوطيين لخدمة رجال الدين المسيحيين[٥]. وكان التمتع بالمحظيات والتجارة بمناصب الكنيسة عادة رائجة ومنتشرة في كنائس أوربا كلها[٦].

فماذا يتوقع في هذه الظروف أن يتعلمه الشعب وعامة الناس من زعماء الدين؟ واعترف البابا الإسكندر الرابع في ١٢٥٩م في أحد رسالاته الرسمية (Bull) بأن الأساقفة يخربون الأخلاق بدلاً من إصلاحها[٧]. وقال البابا جريجوري العاشر مخاطبًا رجال الدين الذين

---

(١) Ibid.
(٢) W. Lecky: op. cit., p.231; H.C. Lea: op. cit., p. 138.
(٣) J.McCabe: The Bible in Europe (London, 1907), pp. 200,206.
(٤) H.C.Lea: Sacredotal Celibacy, p.383.
(٥) Rationalist Encyclopaedia, p. 468; Cambridge Modern History (1907), vol.1, p. 672.
(٦) Crane Brinton: Civilization in the West, 1973, p. 179.
(٧) H.C.Lea: Sacredotal Celibacy, p. 350.

http://kotob.has.it/

شاركوا في مجمع ليونز الثاني:

"You are the ruin of the world".

«أنتم مدمِّرو أخلاق العالم»(١).

وقد أثرت أخلاق زعماء الدين وأعمالهم السيئة بالفعل في سلوك الشعب، وانعكست في حياتهم وعلى أساليب معيشتهم؛ فشاعت الفواحش والمنكرات واللواط بشكل خطير في جميع أنحاء فرنسا وإنجلترا في القرن الحادي عشر. ولم يكن من العيب أن تتاجر النساء الزائرات للأماكن المقدسة بأعراضهن، وذلك للحصول على مصاريف السفر والرحلة.

وإرسال العاهرات بعدد هائل إلى فلسطين «لخدمة» المجاهدين المسيحيين المنغمسين في الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر، كان أمرًا لابد منه(٢).

ولم تستطع حركة الإصلاح الديني المعروف أن تحدث تغييرًا في الأوضاع الأخلاقية هذه، بل إن

"Indeed the Lutheran movement, after the first enthusiasm was over, lowered rather than raised the moral tone of those whom it influenced".

«الواقع أن حركة لوثر، بعد أن فتر حماسها الأول، هبطت بالمستوى الأخلاقي لدى أتباعه بدلاً من أن تسمو به».

والسبب في ذلك أن الحركة هذه بعد أن هدمت قيود الحياة الأخلاقية لم تتمكن من تقديم البديل(٣)؛ فكانت نتيجة ذلك أن انغمس الأساقفة البروتستانتيون أيضًا في المنكرات رغم أنه أجيز لهم الزواج(٤).

يقول مؤرخ الكنيسة (Lea) عن هذه الظروف الأخلاقية السيئة للكنيسة التي سيطرت مدة قرون، بأنه ليست هناك ديانة أخرى تنافس الديانة المسيحية في أمور المنكرات والفواحش والتمتع بالمحظيات؛ ولذلك يجب أن نستحيي في أن نعيب المسلمين وغيرهم في قضية تعدد الزواج(٥). وبعد أن يذكر الأحوال بالتفصيل يقول معترفًا:

---

(١) Ibid., p. 353.
(٢) Rationalist Encyclopaedia, p. 467.
(٣) D.C. Somervell: op. cit., p. 217.
(٤) H.C. Lea: Sacredotal Celibacy, pp. 427,428,494.
(٥) Ibid., p. 629.

http://kotob.has.it/

"Records of the middle ages are full of the evidence that indiscriminate license of the worst kind prevailed through every kind of heirarchy".

«السجل التاريخي للقرون الوسطى يشهد شهادة قوية على أن حكام الكنيسة كلهم، بصرف النظر عن مناصبهم، كانوا منهمكين في أقبح أنواع الفسق».

كما أنه

"universal and prevailing vice of the Church throughout Christiandom".

«يشهد على كون الكنائس في العالم المسيحي كلها غارقة في الفجور إلى أذنيها»[١].

٢ـ الحياة الأخلاقية للرهبان والراهبات

لم يستطع الرهبان والراهبات ممن تجردوا عن الدنيا وما فيها عاملين في ذلك بأقوال مروية عن عيسى عليه السلام، والتي تتسم بالغلو والمبالغة [ومضى ذكرها في الباب السابق]، أن يتمسكوا بمقتضيات هذه الأقوال إلا عدد قليل منهم. وأما أغلبيتهم فقد سقطوا ـ كرد فعل لهذا السلوك غير الفطري ـ في قعر الرداءة والشر. وما أحسن ما قاله القرآن الكريم بهذا الصدد: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، ويخبرنا القرآن الكريم قائلاً: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[٢]. ونسجل فيما يلي تعليقًا على شيوع هذه الرهبانية لأحد المفكرين:

"The history of Christian monasticism... during the 1,000 years of the Church's complete domination of Europe, is the most sordid chapter in the history of civilized religions... at least four-fifths of the monasteries of Europe during the 1,000 years were corrupt... a monastery was generally a nursery of sloth, sensuality and vice".

«تاريخ الرهبانية المسيحية (ألف سنة) خلال سيطرة الكنيسة التامّة على أوربا جزء مظلم من تاريخ الديانات المتحضرة . . . فكانت ثمانون في المائة من الأديرة، أثناء الألف سنة هذه، بيوت فسق وفجور . . . وكانت جميع الأديرة مأوى للمتعة والشهوانية والرذائل»[٣].

---

(١) Ibid., pp. 341,333.

(٢) القرآن الكريم ٥٧: ٢٧ .

(٣) Rationalist Encyclopaedia, pp. 398-399.

http://kotob.has.it/

بالإضافة إلى ذلك كان اللواط منتشرًا في هذه الأديرة[١]. ويشهد أحد الباحثين الثقات على أن معظم الرهبان كانوا يقضون أوقاتهم في الأكل واللهو واللعب[٢]. وأما بالنسبة لأديرة الراهبات فإنها لم تختلف عن مثيلاتها. يقول ليكي:

"The writers of the middle ages are full of accounts of nunneries that were like brothels, of the vast multitudes of the infanticides within their walls".

«كتابات مؤلفي القرون الوسطى مليئة بأحوال أديرة الراهبات التي كانت تشبه بيوت الدعارة، وقد أكثروا من ذكر قتل الأطفال المولودين في هذه الأديرة»[٣].

ويقول كولتون في كتاب آخر مستشهدًا بأقوال المعاصرين:

"Many convents of men and women differ little from public brothels".

«لم تختلف أديرة الرهبان والراهبات المتعددة كثيرًا عن بيوت الدعارة العامة»[٤].

وقد قرّر المجمع الكنسي الأعلى في القرن الثامن بأن أديرة الراهبات «في وضع شيوع الرذائل العام»؛ ورأى المجمع الآخر بأن محاولات إصلاحها قد أخفقت إخفاقًا تامًّا. وكان الواقع أن

"Nunneries were brothels and to take the veil was simply another mode of becoming a public prostitute".

«أديرة الراهبات تحولت إلى بيوت الدعارة، كما كان التحجب [الخاص للراهبات] وسيلة أخرى للتَّعَهُّر».

وقد اعترف البابا انوسنت الثالث بأن كثيرًا من أديرة الراهبات تسببت في تلويث الأخلاق في المنطقة المحيطة بها[٥].

وكانت بعض هذه الأديرة تُستعمل لإشباع الغرائز الجنسية لأهل الكنيسة أنفسهم. ولكن بعضها الآخر أخذ هوية بيوت الدعارة العامة، حيث كان يديرها الرهبان والراهبات معًا،

---

(١) W.Lecky: op. cit., p. 331.

(٢) G.G.Coulton: Life in the Middle Ages (Cambridge, 1930), vol. 1, p. 354.

(٣) W.Lecky: op. cit., p. 331.

(٤) G.G.Coulton: Five Centuries of Religion (Cambridge, 1923), vol.2, p.399.

(٥) H.C.Lea: Sacredotal Celibacy, pp. 164,165,166,264,389.

http://kotob.has.it/

وأحيانًا كبار رجال الكنيسة، والبابا أيضًا؛ وكانوا يقدمون فتيات الكاتدرالية (Cathedral girls) هدية للحكام الكبار.

وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك ضرائب على «بيوت الدعارة المقدسة» بإذن البابا وعلمه. ففي عصر البابا سكتس الرابع (Sixtus IV) الذي عرف بكونه «مصلحًا متشددًا» بين الكاثوليكيين، كان يتم تحصيل مبلغ عشرة آلاف جنيه إنجليزي ضريبة سنوية من هذه البيوت[١]. فكان ـ كما ذكرنا ـ كبار الكنيسة يشرفون على هذه «البيوت المقدسة»، ولم يكونوا يتورعون عن استخدام الرذائل الأخلاقية كوسيلة لجلب الأموال لصالح الكنيسة.

وظل عدد الرهبان والراهبات الفسقة في تزايد في كل العصور، واشتهرت بعض الأديرة بالسمعة السيئة[٢]؛ كما أن بعض الرهبان سجل اسمه في التاريخ بهذه الوسيلة. فقد ثبت رسميًا عن الراهب ـ وهو رئيس (أيبوت ـ Abbot) لدير مشهور بأسبانيا في القرن الثاني عشر ـ أنه امتلك سبعين محظية. وفي هذا العصر نفسه كان لرئيس الدير المشهور في إنجلترا سبعة عشر ولد زنا في قرية واحدة[٣]. وكان حال أحد رؤساء الدير الآخر في القرن الخامس بأنه

"No one was safe from his lust".

«لم تسلم امرأة واحدة من نساء المنطقة من شهوانيته»[٤].

وكانت الرذائل الأخلاقية الأخرى أيضًا، إلى جانب الفواحش، شائعة في أوساط الرهبان؛ واشتهر طمعهم وخداعهم ونفاقهم في عصر مبكر أي في عصر أوغسطين [ت/ ٤٣٠م] والقديس جيروم [ت/ ٤٢٠][٥].

فخلاصة القول أن الأديرة المسيحية الكثيرة ظلت في كل عصر أماكن للفسق والرذائل الأخلاقية الأخرى. ويخبرنا الرجل المثقف الذي قضى سنوات طويلة في دير جديد لزمن ماضٍ قريب بأن الأديرة منابع الأنانية والشهوانية والكسل والنهم. وكانت لبعض زملائه علاقات مع عدد من النساء، وعرف من خلال احتكاكه معهم في علاقات محرَّمة. ورأى أن معظم القيود الأخلاقية التي تعرض أمام الشعب منفذة ومعمول بها في داخل الدير، لكن

---

(١) Stow's Survey of London, and Hale's Precedents And Proceedings in Criminal Law (1847), etc., quoted in Rationalist Encyclopaedia, p. 468.

(٢) W.Lecky: op. cit., p.329.

(٣) H.C.Lea: op. cit., pp. 281,308.

(٤) G.G.Coulton: op. cit., vol. 4, p.377.

(٥) Rationalist Encyclopaedia, p.398.

http://kotob.has.it/

الحقيقية كانت عكس ذلك فلم يكن يعمل بها أو يهتم بتنفيذها(١).

٣ـ أخلاق زعماء العالم المسيحي [الكرادلة والباباوات](٢) وسلوكهم

بصرف النظر عن الضعف البشري الذي يمكن أن يوجد في كل فرد، إذا وجد الباحث المحايد أن عددًا كبيرًا من زعماء الدين ورجاله الذين يتقلدون المناصب الجليلة أيضًا والذين يدَّعون الزهد في الدنيا وما فيها، إذا وجدهم الباحث ينغمسون في الأمراض الأخلاقية الفاضحة، بل في أشد المنكرات وأقبح أشكال الفجور، ولا يقتصر هذا على عصر معين بل يصدق على مر العصور الطويلة، فإنه يستنتج من ذلك أن تعاليم ديانة هؤلاء وكتبهم المقدسة لا تخلو من النقصان والغلو. فظل عدد كبير من الباباوات والزعماء الكبار ـ إلى جانب الأساقفة وحكام الكنيسة ـ في تاريخ المسيحية يتصف بأرذل الأخلاق والسلوك.

وقبل أن نتحدث عن مغامرات الباباوات، نرى من اللازم أن نوضح أن بابا الروم الآن [بعد حركة إصلاح الكنيسة] زعيم للمسيحيين الكاثوليكيين فقط [ولا شك أنهم أكثر الفرق المسيحية عددًا]، ورغم ذلك فالأمثلة التي سنقدمها هي من تلك العصور التي كان فيها البابا والكرادلة زعماء للمسيحيين جميعًا دون خلاف(٣).

هذا، وإن زعماء الفرق المسيحية الأخرى أيضًا ـ على أية حال ـ ليسوا مستثنين مما مضى من الأوضاع والظروف، ولذلك سوف يرد ذكرهم كذلك في أماكن مناسبة.

بداية البابوية :

لم يكن أحد، بعد عصر الرسل وحواريي عيسى عليه السلام، يعتبر زعيمًا للمسيحيين، وإن كان الأساقفة في بعض المراكز المسيحية يحتلون المناصب. وأما الفكرة الملوكية

---

(١) J.McCabe: Twelve Years in a Monastery (London, 1930), p. 234; J. McCabe: The Popes And Their Church, pp.158,162.

(٢) يطلق كلمة «البابا» على أكبر أساقفة الروم، أي زعيم المسيحيين الكاثوليكيين. وكان البابا يعتبر زعيمًا لجميع العالم المسيحي قبل حركة الإصلاح. ويليه في المنصب الكاردينال [الأسقف الأعظم]، والبابا هو الذي يعين الكرادلة. والأسقف يكون زعيمًا لمنطقة معينة ويرأس عددًا من القسيسين، بينما رئيس الأساقفة يكون زعيمًا لعدد من الأساقفة. انظر: قاموس الكتاب، ص: ٨٢٤.
American People's Encyclopaedia, 2:316, 4:767, 6:826, 13:736-737; Concise Oxford Dictionary of the Church, pp. 90,96, etc;
ولمزيد من المعلومات، راجع متن هذا الباب تحت عنوان «بداية البابوية».

(٣) Oxford Dictionary of the Church, p. 1091.

http://kotob.has.it/

(Inperial Theory) للرئاسة فقد وُجدت بعد اعتناق قسطنطين المسيحية، أي اعترف بزعامة الملك الرومي الدينية، وكذلك اعترف بزعامة الأساقفة الكبار في روما والقسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية وأورشليم[١]. وبمرور الزمن بدأت الكنيسة الرومانية وزعيمها يحتلان مكانة أكبر، وأسهمت في ذلك بعض الأحداث التاريخية [مثل كون الروم عاصمةً، ثم بعد كون القسطنطينية عاصمة بدأت الكنيسة الرومانية تتحرر من قيود الملك وتتقوى أركانها]. أضف إلى ذلك أن الكنيسة الرومانية اعتمدت على ادعاءات وتزويرات [مثل الادِّعاء بأن الرسول بطرس مؤسس هذه الكنيسة، رغم أن مجيئه إلى روما لم يثبت تاريخيًا][٢]. وسنوضح هذه التزويرات فيما بعد.

وكان «الكاردينال» في البداية يطلق على أي أسقف ولاسيما من أساقفة الروم. وحين ازدادت سلطة الباباوات وقوتهم في حوالي القرن الثامن، أحسوا بحاجتهم الماسة إلى المساعدين؛ فأوجدوا منصب الكاردينال أو الأسقف الأعظم. ويسكن الكرادلة عادةً في مقر البابوية الرئيس فاتيكان أو في الروم، وهم يساعدون البابا في شئون الكنيسة والأمور الإدارية، ومن مسئولياتهم انتخاب البابا الجديد من بينهم[٣].

يُعَد البابا، وفق العقائد المسيحية، خليفةً للمسيح ويعدُّ الكرادلة خلفاء للرسل والحواريين، كما أنهم يعدون شيوخ سبعين لأمة موسى عليه السلام[٤]. ولكن الذي يصوره التاريخ من أعمالهم وأخلاقهم لا يليق بهذه المكانة الكبيرة وإليك بعض الأمثلة الآتية:

(١) الوثائق المزيَّفة

أعد القائمون على أمور الكنيسة الرومانية وثيقة منسوبة إلى الملك قسطنطين، وذلك بعد انحطاط الروم، وسمّوها: هبة قسطنطين (Donation of Constantine). وعيَّن الملك ـ وفق هذه الوثيقة ـ الأسقف الرومي رئيسًا أعلى لمستعمراته الأوربية يتولى شئونها الدينية والدنيوية[٥]. ثم ظهرت وثيقة أخرى وهي تُعرف الآن بـ«فتاوى الإيسيدور المزيفة»، وتنسب إلى قديس القرن السابع الإيسيدور (Isidore)، وتشتمل على قرارات أساقفة الروم

---

(١) D.C. Somervell: op. cit., p.153.

(٢) Rationalist Encyclopaedia, p. 427.

(٣) Oxford Dictionary of the Church, pp. 235-236 ('Cardinal').

(٤) Conciluim: The Roman Curia (Editors: P. Huizing and K. Walf), New York, 1979, p.5.

انظر لمزيد من التوضيح لكلمة البابا ومنصبه في الفصل الآتي: «حب المناصب والخداع والرشوة».

(٥) Edward Gibbon: Decline And Fall of the Roman Empire (1855), vol. 6, pp. 161-162.

http://kotob.has.it/

القدماء وأوامرهم وفتاواهم ورسائلهم، ومعظمها مزيفة. فقد اعتُبِرَ فيها الأساقفة أرفع من أن يحاكموا على أيدي الحكّام الدنيويين وفي محاكمهم الدنيوية؛ ولاسيما الأساقفة الرومان فلهم سلطات خاصة(١).

وظلت هذه الوثائق تعتبر مقدسة وصحيحة قرونًا طويلة، ولعبت دورًا كبيرًا في إعطاء السلطة الكبرى للكنيسة الرومانية وزعمائها. وبعد زمن، ليس بقليل، اجترأ الباحثون على أن يكشفوا عن حقيقتها، وأن يصرحوا بأنها مزيفة، وقدّموا بصدد ذلك أدلة لا يمكن ردها. فاللغة اللاتينية المستخدمة فيها، على سبيل المثال، لغة القرنين الثامن والتاسع، بينما يُدَّعَى أنها تشتمل على الأوامر والفتاوى من العصر الذي يتراوح بين القرن الثاني والقرن الرابع. ثم إن العبارات المقتبسة من الكتاب المقدس المذكورة في هذه الوثائق أُخذت من الترجمة اللاتينية المشهورة بـ «وَلْجيت» التي لم تعدَّ قبل سنة ٤٠٠م. وبالإضافة إلى ذلك هناك رسائل في هذه الوثائق منسوبة إلى شخصيات القرن الثاني، وهي موجهة إلى الشخصيات التي عاشت في القرنين الرابع والخامس(٢). فالبديهي أن هذا التزييف لم يتم إلا على أيدي كبار الكنيسة الذين اعتمدوا على الكذب والخديعة، ليكسبوا السلطة الدنيوية والروحانية.

(٢) حب المناصب والخداع والرشوة

لا أحد يعتبر هذه الوثائق أصلية وصحيحة، وذلك بفضل الأدلة والبراهين التي أوردها الباحثون، ولكن هذه الوثائق المزيفة ظلت وسيلة لتقوية الكنيسة الرومانية ودعم نفوذها السياسي، حيث اختار أساقفتها لقب البابا [بمعنى الأب] لأنفسهم، رغم أن هذا اللقب كان يطلق على كل أسقف [وهو كذلك في الكنيسة الشرقية حتى الآن](٣).

وكان الزعماء الكنسيون بقسطنطينية، بادىء ذي بدء، يعتبرون أنفسهم مساوين لزعيم الكنيسة الرومانية. وكان قد تم الاتفاق على هذا في مجمع خلقيدونة (Chalcedon) المنعقد في ٤٥١م. ولكن تقرير هذا المجمع الذي أرسله الرومان، بإشارة من البابا ليو الأول [٤٤٠م] إلى فرنسا وغيرها، جاء فيها كذبًا أن أساقفة القسطنطينية الإغريق قد اعترفوا بزعامة الكنيسة الرومانية العالمية(٤).

---

(١) Concise Oxford Dictionary of the Church, pp. 189,265; Oxford Dictionary of the Church, p. 493.
(٢) J.L.Hurlburt: The Story of the Christian Church, pp. 109-110.
(٣) Rationalist Encyclopaedia, p. 426.
(٤) J. McCabe: The Popes And Their Church, p. 20.

http://kotob.has.it/

وعملية التزييف والتزوير هذه لم تنته إلى هذا الحد، فقد استمر فيها الباباوات الرومان لتوسيع سلطتهم الدنيوية ونفوذهم[١]. فقد أعدَّ البابا أسطيفان الثالث [٧٥٢م] وغيره وثائق مزيفة للحصول على المساعدة ضد أعدائهم من الملك الفرنسي ببين (Pipin or Pepin) [ت/ ٧٦٨م] وابنه شارليمان (Charlemagne) [ت/ ٨١٤] لامتلاك الإقطاعات عن طريقها. وقد أُرسِل إلى الملك ببين المتدين خطاب، على زعم أنه خطاب من الرسول بطرس الذي كتبه من الجنة للملك!

واستطاع البابا أسطيفان نتيجة هذا الخداع أن يحتل ثلاثًا وعشرين مدينة إيطالية مع القرى المجاورة لها[٢].

وهكذا أُسِّست سلطة البابا الرومي الدنيوية والروحانية على المكر والخداع، وظل الباباوات يمارسون هذه السلطة على أساس الكذب والخديعة. فاعتُبِر البابا في أول الأمر وارثًا لبطرس، ثم جعل نائب المسيح (Vicar of Christ). وقيل أيضًا: إنه بهذه الصفة معصوم عن الخطأ[٣].

وبناءً على هذه السلطة المادية والنفوذ الروحاني، حكم الباباوات الأقوياء على الملوك أيضًا. فقد عزل البابا جريجوري السابع [١٠٧٣م] الملك الألماني هينري الرابع [ت/ ١١٠٦] عن الملك، وذلك لأنه حاول الخروج عليه. فحرَّر البابا الشعب عن طاعته؛ فاضطرَّ الملك أن يطلب العفو منه. فذهب إليه حافيًا، لابسًا ثيابًا عادية، ويقال: إنه ظل واقفًا على باب قصر البابا ثلاثة أيام، ولم يرجع إلى الحكم إلا بعد العفو. وكذلك حين اجترأ ملك إنجلترا جون [ت/ ١٢١٦م] على الاختلاف في الرأي مع البابا أنوسنت الثالث [١١٩٨م]، أجبره البابا على أن يسلِّم إكليله لممثله، ثم يُعلن اتّباعه للبابا، ويسترد إكليله مرة أخرى. وقد قال هذا البابا نفسه بعد أن احتل المنصب:

> "The successor of Saint Peter stands midway between God and man, below God, above man; judge of all, judged of none".

---

(١) التواريخ المذكورة أمام أسماء الباباوات في هذا الفصل وغيره، تشير إلى تواريخ تمكنهم من هذا المنصب.

(٢) Rationalist Encyclopaedia, p. 431; The Popes And Their Church, p.25.

(٣) Colin Chapman: Christianity on Trial, pp. 32-33.

http://kotob.has.it/

«مكانة وارث القديس بطرس [البابا] بين الرَّب والناس، فهو تحت الإلٰه وفوق البشر، وهو يحكم الجميع ولا يحكم عليه أحد»[(١)].

زاد طمع باباوات القرون الوسطى في السلطة والأموال، كما ظهر صراع طويل بينهم وبين الملوك فيما يتعلق بامتلاك السلطات. وكان الباباوات ينتهزون جميع الفرص للحصول على الأموال، حتى إنهم كانوا لا يتورعون عن بيع المناصب الكنسية[(٢)].

وقد ارتكبت الجرائم المتنوعة، ومنها القتل في سبيل الحصول على منصب البابا.

وقد لجأ بعض النَّاس إلى أقبح صور الخداع للحصول على منصب البابا. فكان سيلتائن الخامس بابا الكنيسة الرومانية قبل بونيفاس الثامن، فخطط بونيفاس لأن يصبح بابا؛ وركَّب أنبوبة خفية في غرفة البابا سيلتائن، وبدأ يرسل عن طريقها «صوتًا سماويًّا» يلقنه الاعتزال عن المنصب، واستمر يفعل ذلك إلى أن اعتزل وتمكن بونيفاس من المنصب[(٣)].

وقد اعتمد بعض الباباوات - بالإضافة إلى القتل والخديعة - على الرشوة أيضًا لنيل هذا المنصب الجذاب. ادَّعت الكنيسة الرومانية [ومازالت تدَّعي] بأن «نور الروح القدس» يهدي الكرادلة في اختيار البابا[(٤)]. ولكن الذي حدث مرارًا - كما يخبرنا التاريخ - هو أن الكرادلة فضَّلوا لمعان الذهب على هذا النور المزعوم؛ وانتخبوا البابا الجديد بعد أن جلبوا الأموال منه رشوةً، أو على أنه سيمكنهم من مناصب جليلة ذات منافع مادية كبيرة. فقد انتخب البابا جون التاسع عشر (John XIX) [١٠٢٤م] بعد أخيه بينيديكت الثامن (Benedict VIII) [١٠١٢م] دون استحقاق، وبمخالفة لوائح الكنيسة [لم يكن جون أسقفًا عامًا، وأما الشرط الأساسي لانتخاب البابا أن يكون المرشح كاردينالا]؛ فقد دفع مبلغًا هائلاً للحصول على هذا المنصب. وكذلك اشتريت البابوية لبينيديكت التاسع [١٠٤٧م] على أساس الرشوة[(٥)]، وبنفس الحيلة أُنتخب الكاردينال الأسباني بورجيا (Borgia) البابا بعد وفاة انوسنت الثامن [١٢٨٤م]، ولم يكن من الإمكان أن يصبح البابا؛ وذلك لأن معظم الكرادلة الإيطاليين لم يكونوا يؤيدون انتخاب شخص غير إيطالي. ثم إنه (أي بورجيا)

---

(١) J.L. Hurlburt: op. cit., pp. 111-113; Concise Oxford Dictionary of the Church, pp. 223,261.

(٢) W. Lecky: op. cit., p. 330.

(٣) J.McCabe: The Popes And Their Church, p.53.

(٤) Ibid., p.21.

(٥) New Catholic Encyclopaedia, vol.7, p.1013; The Popes And Their Church, p. 38.

http://kotob.has.it/

"In the early days of the Church, (he) would not have been admitted even to the lowest rank of the clergy on account of his immoral life".

«لم يكن يستحق أن ينتخب لمنصب أصغر جدًا من مناصب الكنيسة في قرونها الأولى، وذلك لانهماكه في الأعمال اللاأخلاقية»(١).

ورغم ذلك كله، نال معظم أصوات الكرادلة على وعد منه بأن يمنحهم مناصب كنسية ذات منافع مالية وإقطاعات واسعة؛ فصار البابا واتخذ لنفسه لقب الإسكندر السادس(٢). تقول دائرة المعارف الكاثوليكية عنه، رغم أنها لا تذكر رذائل الباباوات إلا بأسلوب خفيف:

"He was elected Pope....not without employing a form of simony".

«انتخب البابا، ولم يتم ذلك إلا بعد اتخاذ أحد أشكال الرشوة»(٣).

وقد لعب هذا البابا دورًا أساسيًا في انتخاب انوسنت الثامن متقدِّمه، واشترى أصوات الكرادلة الآخرين على أن يعوضهم البابا بفضله وعطاياه(٤).

وحصل في تاريخ الكنيسة أيضًا أن انتخب عدد من الباباوات لم يعترف بانتخابهم بسبب الرشوة والخديعة والمكر، أو بسبب المشاجرات والقتل، وظهرت فكرة «معارض البابا» من الانتخابات المشكوكة في صحتها. فالبابا الذي كان يفوز وينتخب ـ بصرف النظر عن الوسائل والحيل التي اتخذها لهذا الغرض ـ يسلم بسلطته، وأما الذي كان يتمكن من هذا المنصب بتأييد عدد قليل من الناس دون غيرهم، أو فى أحوال الانتخابات المتنازع فيها، ولمدة قصيرة، ثم يعزل عن منصبه فهذا كان يسمى «معارض البابا».

فقد ظل «معارضو البابا» يحكمون أكثر من نصف قرن [٥٧ سنة] خلال فترة قرن واحد فقط، وذلك قبل انعقاد المجمع الليتيران (Leteran Council) الثالث [١١٧٩م](٥). فوجود «معارضي البابا» لهذه الفترة الطويلة يدل على دور الطمع والخديعة والخيانة وعدم الثقة الذي أثر في عملية انتخاب الباباوات.

---

(١) Dr. Ludwig Pastor: History of the Popes (English Translation), London, 1901, vol.6, pp. 381,385.
(٢) Ibid., pp. 382-384.
(٣) New Catholic Encyclopaedia, vol. 1, p.290.
(٤) L. Pastor: op. cit., vol. 4, p.137.
(٥) Chambers' Encyclopaedia (1967), vol.1, Article on 'Anti-Pope'.

http://kotob.has.it/

ونشأ انشقاق عظيم آخر نتيجة انتخاب أربن السادس وكليمنت السابع [والانشقاق العظيم الأول كان الفصل بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية سنة ١٠٥٤م، وقد تحدثنا عنه في الباب الرابع].

يسجل لنا التاريخ أن البابوات المتحاربين فيما بينهم كانوا يتبادلون السب واللعن، ولوحظت هذه الظاهرة حتى سنة ١٤١٧م. فصار المسيحيون الساذجون ـ بطبيعة الحال ـ متحيرين في هذا الأمر، فمن هو المؤيَّد «بالروح القدس» من هؤلاء البابوات المتشاجرين(١)! وقبل هذا الزمن، أي من ١٣٠٩م إلى ١٣٧٧م، كان البابوات يقيمون في إحدى مدن فرنسا وهي آوِغنان، وكانوا يتبعون ملك فرنسا بدلاً من ملك الروم، كما أنهم ظلوا ينوبون ملوكها (بدلاً من نيابة الروح القدس وبطرس أو المسيح)، وتسمى هذه الفترة من الزمن بأسر بابل(٢) [نسبة إلى أسر اليهود الذي بدأ في القرن السادس قبل الميلاد]. فلو كانت هذه أحوال ملوك الدنيا وحكامها لما كان لها تأثير سيء جدًا لهذه الدرجة. ولكنها، للأسف الشديد، أحوال زعماء العالم المسيحي الروحانيين ورجال الديانة المسيحية الكبار. فهذه الأحوال التي تنم عن انغماسهم في الكذب والخداع والمنازعات، وانغمارهم في التزييف والرشوة والارتشاء تبرهن على أن التعاليم المسيحية فشلت في إيجاد السلوك الحسن والأخلاق الرفيعة في شخصياتهم فشلاً تامًا.

(٣) طلب الدنيا والترف والطمع وحب المال

كيف نتوقع فوائد روحانية من هؤلاء البابوات والكرادلة الذين لم يمتنعوا عن المتاجرة بأكبر منصب في العالم المسيحي؟ وكان هدفهم الأعلى طلب الدنيا والترف. والمطالعة في طرق حياتهم وعيشهم توضح أنهم لم يكونوا أقل درجة في عبادة الدنيا وحب المال من الملوك والأمراء الرومان القدماء؛ وربما كانوا أعلى درجة منهم في هذه الأمور. يقول أحد مؤرخي البابوية الثقات ذاكرًا أخلاق كرادلة البابانوسنت السادس:

"The Cardinals lived lives of luxury, ill-befitting the princes of the Church".

«عاش الكرادلة حياة ترف ونعم، ولم تكن تناسبهم هذه الحياة»(٣).

---

(١) Ibid., The Popes And Their Church, p. 62.

(٢) Concise Oxford Dictionary of the Church, pp. 44-45.

(٣) L.Pastor: op. cit., vol. 4, pp. 139.

http://kotob.has.it/

وكان كثير منهم مولعين بلعب القمار لدرجة أنهم كانوا يربحون أو يخسرون آلافًا من النقود في ليلة واحدة. يقول المؤلف المذكور آنفًا:

"The power and greed of the Cardinals and the Curia developed with great rapidity under the rule of Sixtus, and the new Pope was helpless, even if he had wished, to put any barrier to their demands".

«زادت سلطة الكرادلة وكبار أعوان البابا وطمعهم في زمن البابا (سكتس)، ولم يكن في وسع البابا الجديد (أنوسنت الثامن) أن يرفض مطالباتهم حتى ولو تمنى لذلك»[١].

ولماذا يفكر البابا الجديد في رفض مطالباتهم؟ لقد كان همه الوحيد أن يزيد في ثروته المادية. ولأجل ذلك خلى سبيل الكرادلة ليفعلوا ما يشاءون، وانهمك هو نفسه في جلب الأموال وجمعها، فأوجد في سبيل ذلك المناصب الجديدة، ولم يقتنع بسكرتيرين أو ثلاثة بل عين ستة وعشرين سكرتيرًا لنفسه، وباع هذه المناصب بمبلغ يصل إلى آلاف الآلاف[٢].

ويعتبر (بيني دكت التاسع) من أبرز المشتغلين في بيع المناصب وشرائها؛ فقد باع منصب البابا نفسه، لأنه كان يريد أن يتزوج من حبيبته، واستعدَّ أن يترك البابوية لأجل ذلك. ولكنه جمع قبل أن يفعل ذلك أموالاً هائلة، فباع هذا المنصب لأحد أفراد أسرته الراغبين فيه؛ ثم رجع إليه فورًا حين لم يتمكن من الزواج[٣].

وكانت الحرب بين بابا الروم وأسقف القسطنطينية في أمر السلطة والنفوذ محتدمة، ولكن البابا جون التاسع عشر (John XIX) رضي أن يجعل أسقف القسطنطينية أسقفًا عالميًا مقابل مبلغ كبير[٤]. وكذلك وعد البابا الإسكندر السادس، قبل التمكن من هذا المنصب، أمام أعوانه بأنه لن يبيع المناصب. ولكنه حنث بوعده بعد نيل المنصب، وعين الكرادلة الجدد، وأخذ منهم آلافًا من الجنيهات الإنجليزية، ويقال أيضًا: إنه قتل اثنين من الكرادلة بالسم حتى يحصل على ثروتهما المادية. والبابا بونيفاس التاسع [١٣٨٩م] لم يبع

---

(١) Ibid., p.179.
(٢) Ibid., p.178.
(٣) H.C. Williams: The Historian's History of the World, vol. 8, p.590.
(٤) Encyclopaedia Britannica (1962), vol. 13, p.86; F.X. Funk: Manual of Church History (London, 1916), vol. 1, p.262.
J.McCabe: Crises in the History of the Papacy, New York, 1916, p. 140.

http://kotob.has.it/

المناصب فحسب بمشورة من الكاردينال كوسه (Cossa) [الذي هو الآخر أصبح البابا فيما بعد]، بل باع «التوقعات» و«الأفضليات» (Expectations and Preferences) كذلك.

وكان (كوسه) يقصد بالتوقعات - فهو واضع هذين المصطلحين - المناصب المتوقعة في المستقبل. ففي حالة مرض أحد كبار الكنيسة كانوا يبيعون منصبه لأحد المرشحين المتوقعين بمبلغ كبير من المال. ولكن حينما كان يدفع شخص آخر مبلغًا أكبر للمنصب نفسه كانوا يلغون «التوقع» ويعينون هذا الشخص تحت مسمى «الأفضليات». وكانت الحقيقة تظهر عند موت صاحب المنصب حيث يحوَّل هذا المنصب إلى الذي دفع مبلغًا أكبر بدلاً من الذي اشتراه في البداية.

وبالإضافة إلى ذلك فرض (كوسه) الضرائب على المقامرين والمتاجرين في الربا بدلاً من إصلاحهم ومنعه إياهم عن هذه القبائح، وفعل كل ذلك لجمع أموال الدنيا الفانية[١].

وقد اعترفت دائرة المعارف الكاثوليكية بأن البابا (جوليس الثالث) [١٥٥٠م]، بالإضافة إلى قصر البابا الشخصي، بنى فيلا شامخة لنفسه[٢]. ويروى أن كرادلة سكتس الرابع [١٤٧١م] كانوا مولعين بالحفلات والصيد ومسابقات المقامرة، ولذلك

"Rome became more famous for pleasure than for piety".

«صارت روما أكثر البلاد شهرة في الترف، بدلاً من أن تكون مشهورة في الصلاح والبر»[٣].

وكان البابا (ليو العاشر) من القرن السادس عشر، أبعد الناس عن الروحانية حيث رغب في الدنيا وأفراحها، وانغمس في جميع أشكال اللهو واللعب. ولذلك انعقدت مجالس الموسيقى، وقدمت المسرحيات الكوميدية كثيرًا في فاتيكان في عصره. وكان من عاداته الغريبة والمحبوبة لديه تقديم لحوم الحيوانات المحرَّمة [مثل القرد والغراب] في الحفلات، وكانت هذه اللحوم تطبخ حتى يأكلها الضيوف دون أن يعرفوها[٤].

يذكر التاريخ بأن (جوليس الثالث) [١٥٥٠م] أيضًا كان من المولعين بالحفلات الكبيرة

---

(١) J.McCabe: The Popes And Their Church, pp. 63-64, 74,77; Will Durant: The Story of Civilization, vol. 6, pp.9-10.

(٢) New Catholic Encyclopaedia, vol. 8, p. 55.

(٣) L. Pastor: op. cit., vol. 4, p.132.

(٤) Ibid., vol. 6, pp. 194,195.

http://kotob.has.it/

والصيد وعراكات الثيران والمسرحيات الرخيصة الرديئة المستوى ومجالس المقامرة. ومن بين مظاهر الاحتفال باليوم الذي تمكن فيه من السلطة البابوية كانت تقدَّم تماثيل مزيَّنة لآلهة الروم القديمة(١). وحين تولى الإسكندر السادس البابوية، مدحه الشعراء مدحًا جعله أعظم رتبة من الملك جولياس سيزر، كما أنهم جعلوه «إلٰها غير فانٍ»(٢).

ولم تكن أوضاع الكرادلة تختلف عن أوضاع الباباوات هذه. يقول الدكتور باستور متحدثًا عن كرادلة القرن الخامس عشر بأن القلة منهم فقط كانوا جيدين،

"But they were borne down by the worldly majority".

«ولكنهم ظلوا ضعفاء لا حول لهم ولا قوة بين الأغلبية الطامعة في الدنيا»(٣).

وكانوا يسكنون في القصور الشامخة ويقامرون وينغمسون في جميع ما ينهمك فيه الملوك، وكانت أموالهم لا تعد ولا تحصى، وكان بعضهم يقيم مأدبات تشبه الأحلام والمغامرات؛ والغريب أنه لم يكن أحد المشاركين فيها يجترىء على بيان تفاصيلها خوفًا من أن

"Lest he should be mocked as teller of fairy tales".

«يُتَّهم بقَصِّ الحكايات الخيالية فيستهزأ به»(٤).

وكان لكل كاردينال مئات من الخدام، بل الآلاف ممن يلبسون الملابس الحريرية من المناسبات وغيرها. فالخلاصة أن حياة هؤلاء الكرادلة لم تكن تليق بمكانتهم الروحانية(٥).

وخطَّط البابا سكتس للحصول على مائة ألف جنيه إنجليزي سنويًا، فعين أحد أبناء أخيه غير المؤهل كاردنيالاً. ولكنه حين مات بعد سنتين كان عليه دين نصف مليون جنيه إنجليزي. والسبب في ذلك أنه أسرف في شراء ملابسه، فكان حذاء حبيبته مزينا بالجواهر واللآلىء، وكانت مصاريفه على حفلات الترف والفرح هائلة جدًا(٦).

---

(١) M. Creighton: History of the Papacy, vol. 6, pp. 193,194.
(٢) L.Pastor: op. cit., vol. 13, pp.62-65.
(٣) Ibid., vol. 5, p.390.
(٤) Ibid., vol. 5, pp. 362,366,368,370.
(٥) Ibid.
(٦) J.W.Thompson: Economic And Social History of the Middle Ages (New York, 1928), pp.69-70.

http://kotob.has.it/

يشتهر البابا انوسنت الرابع [١٢٤٣] أيضًا بهذه المغامرات الدنيوية .

"He turned the whole power of the Church into a machine for extorting money by fair means or foul (mostly foul), from every corner of Christiandom".

«فقد استغل سلطة الكنيسة استغلالاً تامًا لجمع الأموال بطرق شرعية وغير شرعية [وفي أغلب الأحيان غير شرعية] من جميع أنحاء العالم المسيحي»(١) .

يقول مؤرخ الكنيسة الثقة [وهو متعاطف مع الديانة المسيحية] معلقًا على شخصية البابا بونيفاس التاسع :

"His ends were purely temporal, and he had no care for the higher interests of the Church".

«كانت أهدافه دنيوية خالصة، ولم يكن يبالي بفوائد الكنيسة»(٢) .

حتى إذا سئل في لحظات موته : كيف هو؟ قال مجيبًا :

"If I had more money, I should be well enough".

«إن تمكنت من مزيد من الثروة لأمكن لي أن أتحسن»(٣) .

وفرض كثير من الباباوات الضرائب على عامة الناس، ليعيشوا عيشة الترف وليوفروا للكرادلة وكبار أعوانهم هذه العيشة . يقول المؤرخ السابق في مكان آخر :

"Europe groaned under the exaction of papal tax-gatherers".

«كانت أوربا كلها تئن من نهب جامعي الضرائب البابويين»(٤) .

وحينما ضاق بهذه الظروف أحد الأساقفة الأسبان صرخ قائلاً :

"Wolves are in control of the Church and feed on the blood of the Christian flock".

---

(١) D.C.Somervell: op. cit., p. 169.
(٢) M. Creighton: History of the Papacy, vol. 1, pp. 182,183.
(٣) Ibid.
(٤) Ibid., vol. 1, p.26.

http://kotob.has.it/

«تتسلط على الكنيسة ذئاب، وطعامهم دماء الأغنام المسيحية»(١).

اخترع الباباوات وأعوانهم طرقًا أخرى - غير الضرائب والكفارات وبيع المناصب الكنسية - لامتصاص دماء الأغنام المسيحية. وقد جاء البابا جريجوري الأعظم [١٥٩٠م] بطريقة «روحانية» مدهشة لجلب الأموال ونهبها. فقد كان يقول للأغنياء بأن نهاية الدنيا قد حانت، ولا يمكن أن ينتقل إرثكم إلى الأجيال القادمة؛ ولذا من الأحسن أن تبيعوه للكنيسة بأسعار رخيصة [والكنيسة كانت تعني البابا نفسه]. فأصبح بفضل هذه الحيلة الفذة:

"He became the richest man and largest slave - holder in Europe".

«أغنى الناس في أوربا وأكبرهم في ملك العبيد»(٢).

وبيع صكوك الغفران أيضًا من الحيل التي استغلت لجلب الأموال من الناس، فكانت هناك غرامات وكفارات لمختلف الجرائم والذنوب؛ فمن يدفع غرامة معينة لذنب معين ينال صك الغفران. ورغم أن الكتّاب الكاثوليكيين يدّعون أن البابا لم يكن يشارك في هذه التجارة مباشرة، إلا أننا نجد أن هذه التجارة استمرَّت طوال عصر البابا ليو العاشر [١٥١٣م] والعصور السابقة. وهذه هي الظاهرة التي حضت لوثر على الثورة وبدء حركة الإصلاح. فقد احتج لوثر على بيع صكوك الغفران على أيدي ممثلي البابا ليو العاشر، وذلك لبناء الكنيسة المركزية بالروم وتزيينها(٣).

وكانت ظواهر جلب الأموال ونيل الجاه من الأسباب الرئيسة للحروب الصليبية أيضًا. فقد قال البابا اربن الثاني [١٠٨٨م] مشجعًا الأمراء والشجعان المسيحيين وفرسانهم في الحرب الصليبية الأولى:

"The wealth of your enemies will be yours, and you will despoil them of their treasures".

«ثروة أعدائكم تتحول إليكم، وتحرمونهم من خزائنهم».

وكان الدافع الثاني الرئيس لهذه الحروب، استخدام الجيوش التي تجمعت لمحاربة

---

(١) L. Pastor: op. cit., vol. 1, p.71.

(٢) J. McCabe: The Popes And Their Church, p. 24.

(٣) J.L. Hurlburt: op. cit., p.152; Colin Wilson: op. cit., p.364; Chambers' Encyclopaedia, vol. 6, p.130; Oxford Dictionary of the Church, p. 832 ('Luther'); Will Durant: op. cit., vol. 6, pp.22-23.

http://kotob.has.it/

المسلمين، ضد الكنيسة اليونانية والتغلب عليها(١).

فظل أصحاب الكنيسة الكبار يزيدون من ثروتهم وثروة الكنيسة [التي كانت في أيديهم أيضًا] بهذه الحيل والوسائل الخادعة. وفي القرن الثاني عشر قدرت ثروتهم ووجد أن ثلث أراضي ألمانيا وخمس أراضي إنجلترا ملك الكنيسة(٢).

وفي سنة ١٢٥٠م كان دخل البابا من الضرائب وما شابهها أكثر من دخل ملوك أوربا كلهم، بينما الأموال التي جمعت من إنجلترا فقط كانت تزيد ثلاث مرات على دخل ملك إنجلترا(٣). وفي القرن السادس عشر قدّر المجلس الأعلى ثروة الكنيسة فوجد أن نصف ثروة ألمانيا تملكها الكنيسة(٤).

فرفع مارتن لوثر وزعماء حركة الإصلاح الآخرون صوتًا ضد هذه الظواهر وحاولوا إزالتها؛ ولكن البابوات والكرادلة لم يبالوا بها حيث ظلوا، خلال هذه الحركة وبعدها، يجرون وراء الأموال والثروات الدنيوية:

"The luxurious Cardinals went on with pleasant life".

«الكرادلة المترفون ظلوا منغمسين في أفراح الدنيا ومسراتها» [رغم وجود حركة الإصلاح](٥).

(٤) الخيانة ومحاباة الأقارب

السيطرة والسلطة عن طريق الخديعة والرشوة وجمع الأموال عن طريق التزييف وما شابه ذلك من الحيل المذكورة آنفًا برهان قاطع على خيانة البابوات. ويخبرنا التاريخ بأن عددًا كبيرًا من البابوات استغلوا أشكالاً أخرى للخيانة؛ وهي تنم عن الإساءة في استعمال السلطة وحب الذات، كما أنها تتمثل في تشجيعهم على بيع الأشياء الدينية المزيفة، ومخالفة العهود، واقتراف محاباة الأقارب:

جعل البابا بونيفاس الثامن [١٢٩٤م] سنة ١٣٠٠م عام المهرجان، وأعلن أن كل من

---

(١) Cambridge Medieval History, vol. 4, p. 599; Pope Urban's Address in the Migne Collection, CLI, quoted in A Rationalist Encyclopaedia, p.125.

(٢) Will Durant: op. cit., vol. 4, p.766.

(٣) J.W.Thompson: op. cit., p. 692.

(٤) Will Durant: op. cit., vol. 6, p.17.

(٥) Cambridge Modern History, vol. 2, p.21.

http://kotob.has.it/

يزور الروم هذه السنة يغفر له ويستحق صك الغفران. فاندفع الناس الجهلة إليها، وقدَّموا نذورًا كثيرة جمعها موظفو الكنيسة بمساعدة المجرفات والمدمَّات. ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد، فقد بدأت تجارة الأشياء التذكارية الدينية. فبيعت قطرات دم المسيح المزيفة، وخشبه الذي صلب عليه ووتده المزعومان، و«أسنان لبنه المكذوب وثيابه»، و «ثياب مريم وشعرها»، و «خاتم زواجها»، وزجاجات صغيرة متعددة مليئة «بلبنها» وأشياء أخرى منسوبة إلى القديسين الآخرين. فبيعت هذه الأشياء آلاف المرات[١]، ولم يتفكر أحد كيف يُسفَّه الناس بالخيانة القاسية.

ثم أعلن البابا بونيفاس التاسع بأن الناس الذين يسكنون في مناطق بعيدة جدًّا إذا دفعوا أجر الذهاب إلى روما والإياب منها لمندوبي البابا، فلا يجب عليهم الحضور إلى روما، لأنهم يستحقون الغفران والبركة في بيوتهم[٢].

وكذلك احتفل البابا الإسكندر السادس بعام يوبيل، جمع فيه مبلغًا هائلاً من الأموال التي ذهبت في النهاية إلى خزائنه الشخصية أو الأسرية[٣].

ولم يهتم عدد كبير من الباباوات بعهودهم ومسئولياتهم الأخلاقية. فالبابا أنوسنت الثالث [١١٩٨م] الذي يعده المسيحيون البابا العظيم لأسباب كثيرة، اتفق مع أم الأمير الذي لم يصل إلى سن البلوغ ـ وهو فريدرك ـ على أن يكون وليًّا له مقابل ثلاثين ألف جنيهًا سنويًا. وبعد وفاة الملكة حدث أن الألمان والفرنسيين حملوا على مناطق فريدرك الطفل، فلم يتحرك هذا البابا ولم يدافع عنه، بل إنه شجع المهاجمين؛ وقال مبررًا عمله هذا:

"An oath of loyalty to an infant is not binding".

«الحلف للرضيع لا يوجب شيئًا»[٤].

ووعد البابا سكتس الرابع [١٤٧١م] وعدًا وثيقًا بأنه إذا سلم له بعض الأفراد المغضوبين فإنه سيخلي سبيل أحد أفراد الأسرة الذين عاونوا هؤلاء المغضوبين. ولكن حين تم له ذلك قتل هذا الفرد ـ واسمه أودوكولونا (Oddo Colonna) ـ أيضًا. فعلَّقت أمه الشقية على هذا القتل بعبارة بليغة جدًّا حيث قالت:

---

(١) J.McCabe: The Popes And Their Church, p.54.
(٢) Ibid., p.64.
(٣) Colin Wilson: op. cit., p.360.
(٤) Rationalist Encyclopaedia, p.316.

http://kotob.has.it/

"See the head of my son and the faith of Pope Sixtus".

«أيها الناس انظروا رأس ابني وإيمان البابا سكتس [فكلاهما قُطِعا]»[١].

وأما ما فعله البابا أنوسنت الثامن [١٤٨٤م] فهو لا يعد شيئًا إذا قورن بهذه الخيانات، حيث أنه وعد عند انتخابه بعدم تعيين الكرادلة الآخرين؛ ولكنه حين تمكن من السلطة البابوية عين خمسة من الكرادلة علنًا وثلاثة سرًّا. وكان أحدهم ولد الزنا والثاني ابن أربع عشرة سنة[٢]. وبهذا ارتكب جريمتين: جريمة مخالفة الوعد وجريمة استخدام السلطة غير المشروعه له.

ثمة أمثلة أخرى كثيرة لاستخدام الباباوات سلطاتهم استخدامًا ينافي القوانين الكنسية المسيحية. فقد ارتكب هذا البابا نفسه جُرمًا بالطمع وحب الذات في قضية الأمير جم (Djem) من التركيا. فعندما توفي السلطان محمد الثاني [١٤٨١م] وقعت بين ابنيه بايزيد وجم حرب على مسألة السلطة والملك، وانهزم جم في هذه الحرب وفرَّ إلى جزيرة رهوديس (Rhodes) ولجأ إلى الفرسان المسيحيين (Knights) بها. وأما بايزيد فقد قبل أن يدفع لهم خمسة وأربعين ألف جنيه سنويًا حتى يُبعد أخاه عن الملك، وجعل هؤلاء الفرسان الأمير جم أسيرًا بدلاً من أن يجعلوه ضيفًا. ورغب كثير من الحكام في هذا المبلغ الهائل، وكان حكام فرنسا وأسبانيا وهنغاريا من بين الراغبين الطامعين، ففاز به حكام فرنسا. ولكن لم يتمكن أحدهم من الحصول على ما للبابا من وسائل وسلطات. فوعد البابا هؤلاء الفرسان بأن يجعل رئيسهم الكاردينال من جانب، ومن جانب آخر وعد ملكة فرنسا بالنيابة ـ وهي أين ـ بأن يزيل العائق في طريق زواجها [كان أمراء فرنسا يريدون أن يزوجوها من أحد أقاربها، والقرابة عائق شرعي للزواج في المسيحية] على أن يسلِّم الأمير جم له. وفعلاً تحقق له ذلك. فهذا أسوأ مثال للخيانة التي ارتكبها الحكام والأمراء والكرادلة، ولاسيما البابا نفسه. يقول المؤرخ المسيحي كريتن معلقًا على ذلك:

"No incident displays in more lucid light the cynical corruption of the time...".

«لا يوجد حادث آخر غير هذا أدل على الوضع السيء المعيب لهذا العصر»[٣].

---

(١) M. Creighton: op. cit., vol. 4, p.115.

(٢) Ibid., vol. 4, pp.150-151.

(٣) Ibid., pp. 151-153; H.Jedin And J. Dolan (ed.): History of the Church (London, 1980), vol. 4, p. 549.

http://kotob.has.it/

والكرادلة الذين عينهم البابا سكتس الرابع، بصرف النظر عن محاباة الأقارب، مثال واضح من أمثلة استخدام السلطة الخائن. فقد كان أكثر هؤلاء الكرادلة عبدة الدنيا، تحرروا من القيود الأخلاقية، كما أنهم كانوا منغمسين في حياة اللهو واللعب؛ والبعض الآخر كان لهم عشيقات وأولاد زنا تعرفهم روما كلها معرفة جيدة[١].

فالواقع أن مظاهر الخيانة، واستخدام السلطة غير المشروع وبيع مناصب الكرادلة ومناصب الكنيسة الأخرى، ومنح الإقطاعات والمنافع المادية الأخرى للأفراد المقرَّبين ولا سيما الأصدقاء والأقرباء، هذه المظاهر لا تقتصر على عصر دون عصر، فقد وجدت في عصور كثير من الباباوات. قال أحد المسيحيين المتمسكين بالديانة حينما رأى زعماء الكنيسة يبيعون المناصب: إن الكنيسة

"(is) a harlot ....ready to sell her favours for coins".

«بنت هوى . . . ومستعدة لبيع نفسها لأجل نيل الطمأنينة»[٢].

كان الكرادلة وكبار مسئولي الكنيسة الذين دفعوا الرشوة لنيل مناصبهم، يستغلون هذه المناصب لكسب المنافع المادية بوسائل مشروعة وغير مشروعة؛ وقد كسبوا أضعاف المبالغ التي دفعوها رشوة. فكانوا ينتهزون جميع الفرص لجمع النذور من عامة الناس وأخذ الرشوة من الحكام الدنيويين لتحقيق أغراضهم. ولذلك أمكن للملوك، أمثال الملك هنري الثاني، أن يدَّعوا بأنهم يدفعون رواتب شهرية لكبار الكرادلة، بالإضافة إلى عامة الأساقفة، حتى يديروا أمور الكنيسة وفق أغراضهم[٣].

والباباوات في معظم الأحيان كانوا يعطون المناصب والمنافع [كما يفعل الحكام الدنيويون بالضبط] لأقربائهم دون مراعاة الشروط والقوانين. ولهذه الظاهرة أيضًا أمثلة كثيرة: جعل البابا ليو العاشر [١٥١٣م] أحد أصدقائه كاردينالا، لأنه كان يوفر للبابا المسرَّة والسعادة بمسرحياته الكوميدية. وإلى جانب ذلك شرَّف هذا البابا ابن عمه النَّغِل سيء السمعة بمنصب الكاردينال[٤]. وقد عيَّن إنوسنت الثامن أيضًا أحد أختانه غير

---

(١) J.McCabe: The Popes And Their Church, p. 69; Encyclopaedia Americana (1980), vol.24, p. 877; Jedin and Dolan's History of the Church, vol. 4, p.547.

(٢) G.G.Coulton: Five Centuries of Religion (Cambridge, 1923), vol. 2, p.411.

(٣) H. Milman: op. cit., vol. 5, p.139.

(٤) Ibid., vol. 5, p.78.

http://kotob.has.it/

المؤهل في منصب الكاردينال[١]. واشتهر آخرون كثيرون - غير هؤلاء - بمحاباة الأقرباء، مثل أربن الثامن وبونيفاس التاسع ومارتن الخامس (Martin V) وكيلكستوس الثالث (Calixtus III) [١٤٥٠م] وبيوس الثاني[٢] (Pius II).

جعل كيلكستوس الثالث ابني أخيه كاردينالين، وكان عمرهما حينذاك عشرين سنة، ولم يكونا يستحقان هذا المنصب من أي ناحية[٣]. وكان البابا جوليوس الثاني مشهورًا - حتى في أيام كونه كاردينالا - بتوفير المناصب ومنحها بالرشوة[٤]. وجعل البابا جوليوس الثالث [١٥٥٠م] فتىً كاردينالا وكان عمره إذ ذاك سبع عشرة سنة فقط، وقرَّبه إليه لدرجة أن الناس بدأوا يقولون علنًا: إنه ابن البابا النغل، أو ربما قرَّبه لإشباع رغباته. وقد تكون هذه التهم صحيحة؛ فقد أخذ البابا هذا الولد من السوق، وجعله أولاً خادمًا لشيبانزيه الأليف، ثم جعله متبنى لأخيه؛ ووفر له من قبل الكنيسة دخلاً شهريًا يصل إلى الآلاف إلى أن جعله كاردينالا[٥].

وتعترف دائرة المعارف الكاثوليكية بهذه الحقيقة رغم أنفها حيث تقول: «كان البابا جوليوس الثالث مصابًا بمحاباته الشديدة للأقارب»[٦].

وجعل البابا جون العاشر [٩١٤م] طفلاً أسقفا أعظم، وذلك لتحقيق غرضه من أحد الأمراء. وتقول دائرة المعارف الكاثوليكية نفسها: إن سن هذا الطفل كان خمس سنوات فقط[٧]! وحين عيّن الإسكندر السادس [١٤٩٢م] أخا لإحدى عشيقاته بمنصب الكاردينال، بدأ الرومان يطلقون عليه «الكاردينال بفضل التنورة التحتانية». وهذا الكاردينال صار البابا بال الثالث فيما بعد[٨].

وقد أنفق أربن الثامن [١٦٢٣م] الخزينة كلها على أقربائه وأفراد أسرته. واعترفت دائرة المعارف الكاثوليكية بمحاباته للأقارب[٩]، كما أنها تسلم بمحاباة جون الخامس عشر

---

(١) M. Creighton: op. cit., vol.4, p.139.
(٢) Ibid., vol.1, pp.105,160; vol. 4, pp.71-72.
(٣) Ibid., vol. 3, p.183.
(٤) Collier's Encyclopaedia (1978), vol. 13, p.665.
(٥) Ibid., vol. 13, pp. 69-71; The Popes And Their Church, p. 80.
(٦) New Catholic Encyclopaedia, vol. 8, p.55.
(٧) Ibid., vol. 7, p.1010.
(٨) The Popes And Their Church, pp. 74,79; Jedin and Dolan's History of the Church, vol. 4, pp.552-553.
(٩) Rationalist Encyclopaedia, pp. 583,599.

http://kotob.has.it/

[٩٨٥م] للأقارب بألفاظ تالية:

"His tendency to favour his relatives...".

«كان فيه ميل شديد إلى العطف على أقربائه»(١).

ويعد سكتس الرابع [١٤٧١م] أيضًا من الباباوات المشهورين بمحاباة الأقارب. يقول كريتن: عدد كبير من الباباوات يشتهر بمحاباة الأقارب غير المشروعة، ولكنه

"His (Sixtus') nepotism was unblushing".

«كان مصابًا بمحاباة الأقارب لدرجة مخزية».

وذلك لأنه

"disregarded all considerations of decorum".

«غضَّ النظر عن جميع القيود والقوانين».

وأنفق وسائل الكنيسة الرومانية على أعزائه وأقربائه، كما

"Sixtus had an upstart's desire to raise his family and spread the glory of his name".

«أنه كان مصابًا بأن يجعل اسمه واسم أسرته عظيمين»(٢).

وكذلك يقول باستور، مسلمًا بمحاباة البابا الإسكندر السادس [١٤٩٢م] الصريحة للأقارب:

"Alexander, like any secular prince, cared for nothing but the advancement of his family".

«لم يهتم الإسكندر، مثل أمير دنيوي، بأي شيء إلا بتطوير أسرته»(٣).

وكثير من الباباوات - حتى بعد حركة الإصلاح - ظلوا مصابين بهذا المرض، أي محاباة الأقارب. فهؤلاء استغلوا ثروة الكنيسة وأموالها وأنفقوها على أقربائهم، مثل بال الثالث

---

(١) New Catholic Encyclopaedia, vol. 7, p. 1012.

(٢) M. Creighton: op. cit., vol. 4, pp. 72, 123, 177. Also see: Jedin and Dolan's History of the Church, vol. 4, p. 544.

(٣) L. Pastor: op. cit., vol. 6, p. 139.

http://kotob.has.it/

[١٥٣٤م] وسكتس الخامس [١٥٨٥م] وكليمنت الثامن [١٥٩٢م] وأربن الثامن [١٦٢٣م][١].

ومن وراء بيع المناصب والرشوة والارتشاء وتجارة الدين، أن الأساقفة والكرادلة والباباوات صاروا أصحاب ثروات هائلة وإقطاعات واسعة[٢]. وكما حصل إلى جانب ذلك أن عامة المسيحيين وخاصتهم أصيبوا بحب المال وعبادة الدنيا، وابتعدوا عن الدين والأخلاق.

(٥) الظلم والقسوة وسفك الدماء

وجدت لدى الباباوات صفات أخرى غير التي مضى ذكرها؛ فقد تمكن كثير منهم من منصب البابا بالظلم والقتال، وسفك دماء أعدائهم خلال سلطتهم - كما ذكرنا ضمن حديثنا عن طمع الباباوات أن منصب البابا كان يتم الحصول عليه لعدة مرات من خلال عمليات القتل والإبادة. وشهد التاريخ جثث الموتى الكثيرة على أرض الكنيسة، كما أنه شهد الغالبين على الأمر يظلمون المغلوبين ومؤيديهم بكل وسائل الظلم والقهر. يقول أحد مؤرخي الكنيسة الثقات، وهو مل مان:

"The Papal See was won by crime and vacated by murder time after time".

«حُصِل على منصب البابا بالجرائم، وأخلي بالقتل عدة مرات»[٣].

فقد رفع أسقفان، بعد انتخاب البابا دماسيس [٣٦٦م] شكوى رسمية إلى البلاط الملكي بأنهم رأوا مائة وسبعا وثلاثين جثة [وحسب تقدير آخر مائة وستين جثة] على أرض الكنيسة خلال المشاجرات الانتخابية[٤].

وحين توفي الملك أوتو الثاني (Otto II) مؤيد البابا جون الرابع عشر [٩٨٣م] سقط جون في أيدي أعدائه، فعزلوه عن المنصب وعينوا بونيفاس السابع في منصب البابا، وألقوا جون في السجن.

"(He) died from either hunger or poison".

---

(١) The Popes And Their Church, p. 81; Collier's Encyclopaedia (1978), vol. 18, p. 504.

(٢) D.C. Somervell: op. cit., p. 165; Rationalist Encyclopaedia, p. 546.

(٣) Dean Milman (History of Latin Christianity), quoted by J.McCabe: The Bible in Europe (1907), p. 201.

(٤) The Migne Collection (vol. 13), quoted in A Rationalist Encyclopaedia, p. 130; Social Record of Christianity, p. 39; George Sale: Preliminary Discourse prefixed to the Translation of the Koran (London, undated), p. 26.

http://kotob.has.it/

«ومات هناك جوعًا أو بالسم»[١].

وقبل هذا تمكن جون الثالث عشر (John XIII) [٩٦٥م] من منصب البابا بتأييد الملك أوتو الأول؛ فثار الناس عليه وسجنوه وذهبوا به إلى خارج روما. يقول المؤلفون المسيحيون المتشددون بأن سبب الثورة هو أن جون كان يريد أن يحد من سلطة طبقة من الأمراء الرومان؛ ولكن المؤرخين المحايدين يخبروننا بأن السبب وراء ذلك كان طمع البابا ومحاباته للأقارب. فعلى أية حال نحن لا نناقش الآن أسباب الثورة، بل إننا نود أن نذكر ما فعله هذا البابا بأعدائه الذين أزاحوه عن منصبه، بعد عودته إلى المنصب مرَّة أخرى بعون الملك نفسه.

كان أحد زعماء أعدائه حاكم المدينة (Mayor)، ولكنه كان قد مات حينذاك. فأخرجت جثته من القبر وقطعت تقطيعًا؛ وقبض على خليفته وعلق بشعره، ثم عري جسمه وأجلس على حمار ومشوا به في جميع أرجاء المدينة[٢]. ورغم ذلك كله يعده المسيحيون الأصوليون «البابا الصالح» وذلك لأنه ظل بريئًا ـ عكس الباباوات الآخرين المعاصرين له ـ عن تهمة الفسق والزنا. تذكر دائرة المعارف الكاثوليكية قصة عزله عن المنصب ورجوعه إليه مرَّة أخرى، ولكنها غضت الطرف عن ذكر ما فعله مع الأعداء بعد ذلك[٣].

ومن أمثلة القسوة مايروى عن البابا إسطيفان السادس [٨٩٦م]. فقد تولى قبله البابا فارموسوس (Formosus) [٨٩١م] بتأييد الأمراء الألمان وعونهم؛ وأما إسطيفان فكان ينتمي إلى حزب الأمراء الإيطاليين. فحين تولى إسطيفان المنصب بمساعدتهم، أمر بإخراج جثة فارموسوس من القبر ووضعت على سرير البابوية وأجريت له محاكمة. فَقُطِّعَ عقابًا له، ثم سلمت الجثة لجموع من الناس حتى يجروها في الشوارع والحارات ويلقوا بها في البحر[٤].

وكذلك قبل أن يتولى البابا إسطيفان الثالث [٧٦٨م] هذا المنصب، اجتمع جماعة من الأساقفة والأمراء وانتخبوا الأسقف قسطنطين (Constantine) «ضد البابا» (Anti-Pope)، أي البابا غير الشرعي. وحين تمكن البابا إسطيفان من المنصب بعد حرب همجية، ألبس

---

(١) New Catholic Encyclopaedia, vol. 7, p.1012.

(٢) Rationalist Encyclopaedia, p.338.

(٣) New Catholic Encyclopaedia, vol. 7, p.1011.

(٤) Cambridge Medieval History (1924), vol. 3, p.67; Will Durant: op. cit., vol. 4, p.538; The Popes And Their Church, p. 32; Rationalist Encyclopaedia, p.511.

http://kotob.has.it/

قسطنطين ثيابًا نسائية وربط بأرجله أثقالاً، وأجلسه على الحصان وتجول به في المدينة كلها، ثم ألقى به في السجن. وهناك فقأ عينيه أحد مؤيدي البابا إسطيفان، وهو كريستوفر (Christopher) وابنه سيرجيوس (Sergius)؛ وقدِّم في هذه الحالة أمام مجمع الأساقفة فضربوه ورموا به.

ثم ماذا حدث له؟ يترك المؤرخون هذا الأمر ليتخيَّله القراء بأنفسهم.

وقد حُرم بيلي (Billy) أخو قسطنطين من عينيه، وقطع لسان أحد مؤيديه إلى جانب فقأ عينيه(١). وبعد مدة قليلة من الزمن، أحس البابا إسطيفان الثالث بأن كريستوفر وسرجيوس أخذا يتغلبان عليه بزعم أنهما عاونا البابا ضد أعدائه، وهكذا بدأ يخطط لمؤامرة ضدهما. وحينما علما بذلك استعدا للرد، ومن هنا انتهز البابا هذه الفرصة وأمر بفقأ عينيهما؛ وضرب كريستوفر ضربات شديدة حتى مات(٢).

وكذلك فعل باسكال الأول (Paschal I) [٨١٧م] مع أعدائه، رغم أنه يعد «قديسًا» من بين الباباوات، فقد فقأ عيني عدوَّيه قبل قتلهما. وحين رفعت الشكوى إلى الملك شارليمان أنكر عليه فعله هذا؛ ولكن لم يسمح لممثلي الملك أن يفحصوا القضية، الأمر الذي يدل على ارتكابه هذه الجريمة(٣).

يعد البابا جريجوري الخامس [٩٩٦م] أيضًا من «الباباوات الصالحين الأبرار»، فقد ثار الناس عليه أيضًا، ونُفي من روما لمدة من الزمن؛ وانتخبت مجموعة من الرومان جون السادس عشر (John XVI) البابا. ولكن جريجوري الخامس تغلب عليهم بعون الجيوش الملكية؛ ثم أمر بقطع أنف جون وأذنيه ولسانه وفقأ عينيه وأُجلس على ظهر الحمار وتجول به في المدينة كلها(٤).

والحروب التي حدثت بين أربن السادس [١٣٧٨م] وعدوّه البابا كليمنت السابع تشبه الحروب الهمجية بين الملكين الدنيويين اللذين لا يؤمنان بالله والآخرة. فقد قتل فيها الرجال والنساء والأطفال، وقطعت أعضاؤهم، ونهبت أموال الناس، واعتدي على النساء بجميع أشكال التعدي(٥).

---

(١) J. McCabe: The Popes And Their Church, pp. 25-26.
(٢) Ibid., p. 26.
(٣) Ibid., p.30.
(٤) Ibid., p.37; Encyclopaedia Britannica (1962), vol. 3, p.86; Will Durant: op. cit., vol. 4, p.539.
(٥) J.McCabe: The Popes And Their Church, p.62.

http://kotob.has.it/

وكذلك قُتِلَ بيني دكت السادس [٩٧٣م] مخنوقًا على أيدي مؤيدي جون الثالث عشر(١). وكثير من المؤرخين يعتبرون بونيفاس السابع مشاركًا في قتل البابا جون السابع(٢)، إلى جانب قتله بيني دكت السادس. وحين هجم أعضاء الحزب الألماني، بعد قتل بيني دكت، على نائبه [والذي كان آنذاك الكاردينال ويسمى بونيفيزيو (Bonifazio)] أخذ جزءًا كبيرًا من الخزانة البابوية وفرَّ به إلى القسطنطينية. يقول عنه مؤرخ معاصر له:

"A horrid monster surpassing all other mortals in wickedness".

«كان عفريتًا وحشيًا، وأسبق الناس إلى الرذائل»(٣).

وسيطر سرجيوس الثالث [وهو غير سرجيوس المذكور في ذكر إسطيفان الثالث] أيضًا على البابوية بقوة السيف(٤).

وسجن بونيفاس الثامن البابا سابقه سليستائن الخامس (Clestine V) في مكان ضيق جدًا إلى أن مات(٥). [وكان قد أجبره على الاستقالة من البابوية، وقتله خوفًا من رجوعه مرة ثانية]. وقد شارك البابا سكتس الرابع [١٤٧١م] أيضًا في خطة قتل مخالفيه

"which shocked even the blunted conscience of Italy".

«الأمر الذي أيقظ الضمير الميت لإيطاليا»(٦).

ويقول المؤرخون الذين عاشوا في عصر يقرب من زمن جوليس الثالث [١٥٠٣م]:

"A master of every type of cruelty".

«كان ماهرًا في جميع أنواع الظلم»(٧).

وعندما نرى الكثير من الباباوات منغمسين في الظلم والقسوة ندرك [كما ذكرنا في الباب السابق] سبب تأييدهم وتأييد الكنيسة لظاهرة الرق والعبودية والنظام الإقطاعي والظلم باسم الحسبة؛ كما أننا ندرك لماذا لم يؤيد لوثر الفلاحين المضطهدين ضد الأمراء

---

(١) Encyclopaedia Americana (1980), vol. 3, p.539.

(٢) Encyclopaedia Britannica (1962), vol. 3, p.849.

(٣) J.Mc Cabe: The Popes And Their Church, p. 36.

(٤) Ibid., p.33.

(٥) Will Durant: op. cit., vol. 4, pp. 811-812.

(٦) M.Creighton: History of the Papacy, vol. 4, p.133; Colin Wilson: op. cit., pp. 341f; Encyclopaedia Americana, vol. 24, p.877.

(٧) J. McCabe: The Popes And Their Church, p.78.

http://kotob.has.it/

الظالمين [راجع الباب السابق]، وندرك أيضًا عوامل معاونة الكنيسة الروسية الأرثوذكسية للملوك بدلاً من تأييدها للشعب المقهور المضطهد[١]، ولماذا ظل الباباوات يقفون ضد التسامح الديني ؟

فالواضح من دون شك أنهم اعتمدوا على الظلم والقسوة وسفك الدماء للحصول على السلطة، وغضوا الطرف، في هذا السبيل، عن جميع المبادىء الأخلاقية والإنسانية؛ فلم يوقفوا إلى نصرة المظلوم في أي جانب من جوانب الحياة.

(٦) الفسق والفساد الخلقي

يسجل التاريخ عددًا كبيرًا من الباباوات الذين قضوا حياتهم منهمكين ـ فوق المفاسد الأخلاقية الأخرى ـ بالفواحش والرذائل، أو أنهم غضوا الطرف عن مغامرات الكرادلة والأعوان الكبار الجنسية، وفي بعض الأحيان قاموا بالإشراف عليها.

تسلم دائرة المعارف الكاثوليكية ـ وهي لسان المسيحيين الأصوليين ـ بأن البابا جون العاشر [٩١٤م] تمكن من هذا المنصب بعون العائلة القوية؛ ولكن الدائرة تنكر وجود علاقة بين البابا وإحدى نساء هذه العائلة وهي ثيودورا (Theodora) [٢]، إلا أن الباحثين المعاصرين يخبرون بوجود علاقة جنسية لجون العاشر مع هذه المرأة؛ وذلك منذ كونه الأسقف الأعظم، فهذه هي المرأة التي أوصلته إلى هذا المنصب[٣]. ولم يقدم مؤلفو دائرة المعارف الكاثوليكية أي أدلة ترد شهادة المعاصرين هذه، بل إنهم اكتفوا بالعبارة التالية: «القياس لا يقبل هذا»!

وكذلك تسلم هذه الدائرة بأن جون الحادي عشر [٩٣١م]، حسب كتابات المعاصرين وسجل تراجم الباباوات الرسمي ـ ولد نتيجة للعلاقات بين سرجيوس الثالث [٩٠٤م] وبين امرأة عاهرة اسمها مروزيا(Marozia) . وبعد أن تسلم الدائرة بهذا تقول معلقةً:

"But this is open to question".

«ولكن هذا الأمر قابل للمناقشة»[٤].

---

(١) Rationalist Encyclopaedia, p.513.

(٢) New Catholic Encyclopaedia, vol. 7, p.1010.

(٣) Rationalist Encyclopaedia, p. 351, quoting contemporary writings, esp. by Bishop Liutprand; Encyclopaedia Britannica (1962), vol. 13, p.85.

(٤) New Catholic Encyclopaedia, vol. 7, p.1011.

http://kotob.has.it/

فالدائرة المذكورة هذه تعترف بأن جون الحادي عشر ولد من المرأة العاهرة هذه، ولكنها ترى من الإمكان أن يكون من الزوج الأول لهذه المرأة. فعلى أية حال إذا كان المؤرخون المعاصرون يتهمونه تهمة صريحة، فإنه لا يمكن ردها بالعبارات الضعيفة مثل «يمكن» أو «قابل للمناقشة».

والحقيقة أن الفترة من القرن العاشر التي نحن بصدد مناقشتها الآن، والتي نتحدث عن الباباوات الذين تمكنوا من السلطة فيها، هي فترة تغلبت فيها فئة من النساء العاهرات الفاحشات اللآتي كن من أسر لها باع طويل ونفوذ قوي في تسيير الأمور. وقد سمى المؤرخون المسيحيون سيطرة هؤلاء النساء: سلطة الفاجرات، وكانت أبرزهن مروزيا هذه وأمها ثيودورا التي تحدثنا عنها بصدد الكلام عن جون العاشر(١).

وفيما يلي تصوير لأحوال الباباوات الأخلاقية في عصر البابا سرجيوس الثالث:

"While Marozia was the mistress of the reigning Pope, her mother had a liaison with the fascinating Bishop of Ravenna, and when the brief reigns of Sergius' two successors were over, she and her husband secured the Papacy for this man (914)".

«كانت مروزيا محظية للبابا سرجيوس المسيطر، وأما أمها ثيودورا، فقد كانت لها علاقة مع الأسقف راونا الجذاب. وعندما انتهت عصور خليفتي سرجيوس الوجيزة، حاولت ثيودورا هذه مع زوجها سنة ٩١٤م من أجل الرجل [الأسقف راونا]، ومكنته من البابويه باسم البابا جون العاشر».

ثم في سنة ٩٢١م سعت مروزيا لابنها من البابا سرجيوس الثالث، ونجحت في نيل منصب له باسم جون الحادي عشر(٢) [كما كان لمروزيا دور كبير في سيطرة حبيبها البابا سرجيوس الثالث على السلطة البابوية](٣). ثم قتلت هذه المرأة زوجها، وزوَّجها ابنُها البابا من أحد أمراء فرنسا القاسي حيث قتل هو الآخر زوجته الأولى. ولكن ابن زوج مروزيا القتيل [وأخ البابا جون العاشر العلاتي] البيرك (Alberic) ثار على سلطة الأم القاتلة العاهرة فقُتِلت، وبهذا انتهى عصر «حكومة الفاجرات»(٤).

---

(١) Rationalist Encyclopaedia, pp. 510-511.

(٢) Encyclopaedia Britannica (1962), vol. 13, p.85.

(٣) Cambridge Medieval History (1924), vol. 3, p.67; Will Durant: op. cit., vol. 4, p.538.

(٤) Rationalist Encyclopaedia, p. 511.

http://kotob.has.it/

ولم تنته الأعمال اللاأخلاقية من حياة الباباوات بنهاية سلطة الفاجرات. فبعد أن تغلب البيرك على روما والبابوية، بدأ يخطط ليجعل ابنه أوكتاوين (Octavian) البابا، ونجح في تنفيذ هذه الخطة حيث نال ابنه هذا المنصب [٩٥٤ـ٩٥٥م] باسم البابا جون الثاني عشر[١]، وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عامًا، وكان يُعرف بالبابا الولد (Boy-Pope)[٢] أي الصبي. ففي عصره الذي امتد إلى تسع سنوات تقريبًا، ارتكب هذا البابا «خليفة بطرس والمسيح المقدس» بجميع أشكال الجرائم وأنواعها التي وجدت في ذلك الزمن. يقول المؤرخون: إن الجرائم التي ارتكبت في قصر هذا البابا لم ترتكب حتى في قصور الملوك الرومان المشركين القدماء؛ فمن الكذب والافتراء إلى القتل وسفك الدماء والقسوة، وإهانة الشعائر المقدسة، وشرب الخمر والمقامرة، وتعذيب المخالفين بصور شتى، والزنا ومضاجعة المحرمات [أي محظية الأب وابنة الأخ]، والزنا قهرًا مع النساء الوافدات إلى كنيسة بطرس القديس للعبادة، وغيرها كثير. فقد كان هذا البابا حسب كلمات أحد الكُتَاب القدماء:

"A monster of vice in the Papal chair".

«عفريت الفواحش جالسًا في سرير البابا»[٣].

فكانت أعمال جون الثاني عشر سيئة وصريحة لدرجة أن دائرة المعارف الكاثوليكية لم تستطع أن تنكرها؛ فهي تقول دون أن تخوض في التفاصيل:

"There is sufficient unbiased evidence to prove that he was unworthy of his office".

«هناك شواهد محايدة كافية تثبت أنه لم يكن مستحقًا لهذا المنصب»[٤].

[رغم أن البابا ينتخب بهدي إلهي حسب العقيدة المسيحية]. وعندما وصلت الشكاوى الكثيرة عن أعمال جون الثاني عشر إلى الملك الألماني أوتو الأول المستولي على أمور الروم، كوّن مجمعًا أعلى للبحث في هذه الشكاوى؛ وثبت من الفحص أن كثيرًا من التهم

---

(١) H.S. Williams (ed): The Historian's History of the World, vol. 8, p.584.

(٢) Funk And Wagnall's Encyclopaedia (1983), vol. 15, p.75.

(٣) H.Milman: History of Latin Christianity (New York, 1960), vol. 3, p.171; Cambridge Medieval History, vol. 3, p.455; The Historian's History, vol. 8, p. 504; The Popes And Their Church, p.35; Rationalist Encyclopaedia, p.538.

(٤) New Catholic Encyclopaedia, vol. 7, p.1011.

http://kotob.has.it/

صحيحة، واتضح أيضًا أن:

"John had turned the Leteran Palace into a brothel".

«البابا حوّل القصر البابوي إلى بيت للدعارة».

ولم يدافع البابا عن نفسه، فعُزل عن المنصب. ولكن حدث هذا بعد أن تعدت فواحش البابا ورذائله جميع الحدود، ولعب هو بعفة عدد لا يُحصى من الرومان(١).

وعلى أية حال لم تهبط عزيمة جون، فخرج من روما مؤقتًا. وعقب رجوع الملك من الروم عاد مرّة أخرى ووزّع أموالاً هائلة على مؤيديه ومخالفيه، واشترى أصواتهم ففاز بمنصب البابا مرة ثانية. وهذا يلقي الضوء على المستوى الأخلاقي الدنيء الذي وجد لدى سكان روما - مركز العالم المسيحي - وأمرائها وكرادلتها، حيث قبلوا الرجل المغمور في الفسق والفجور وجعلوه زعيمًا روحانيًا مرة أخرى(٢).

وأما جون فإنه قضى الأسابيع الأولى من عودته في قطع أنوف الأعداء وألسنتهم، ثم انغمس في حياة الفسق والفجور مثل عصره السابق. ولكنه بعد ثلاثة أشهر فقط مات [حسب قول دائرة المعارف الكاثوليكية] في ظروف مخزية(٣). ولم يوضح كتاب المسيحيين المخلصين هذا تلك الظروف التي مات فيها، رغم أن التاريخ يخبرنا بأن هذا البابا كان يتمتع بامرأة متزوجة في مكان مظلم في روما حيث علم بذلك زوجها أو أحد أقربائها فقتله(٤).

ورغم أن سجل أعمال الباباوات الذين جاءوا بعده ينم أيضًا عن انغماسهم البالغ في الرذائل، إلا أن بيني دكت التاسع [١٠٣٢م] يُعدّ أسبقهم فسقًا. يقول أحد الباباوات المتأخرين وهو فكتور الثاني [١٠٥٥م] شاهدًا على أخلاقه السيئة:

"They were so horrible that I shudder to tell them".

«كانت مخيفة جدًا وإنني أرتعش بمجرد ذكرها»(٥).

---

(١) Ibid.; Will Durant: The Age of Faith, p. 538; The Popes And Their Church, p.35.

(٢) H.Milman: op. cit., vol. 3, p. 178.

(٣) New Catholic Encyclopaedia, vol. 7, p.1011.

(٤) The Historian's History of the World, vol. 8, p.585.

(٥) Pope Victor's Dialogues (The Migne Collection) and other authorities, quoted in A Rationalist Encyclopaedia, p.512; The Popes And Their Church, p.38.

http://kotob.has.it/

ويقول كتاب تاريخ ثقة آخر:

"His pontificate was disgraced by every conceivable excess".

«توجد في عصره كل المفاسد المتصَّورة»(١).

ومن المفاسد التي ذكرها فكتور وسجلها المؤرخون المعاصرون: الزنا والقتل والفساد، ويذكر بعضهم أن هذا البابا كان يرغب في اللواط أيضًا. وعلى أية حال فقد تحمَّل مركز العالم المسيحي هذا البابا لمدة ثلاث عشرة سنة كاملة(٢).

ويعتبر بونيفاس الثامن [١٢٩٤م] أيضًا من سلسلة الباباوات الفسقة والفجرة البارزين. فهو ـ بالإضافة إلى انغماسه في المفاسد ـ وفَّر الفرص العديدة لزملائه وكرادلته أيضًا. وحين أجريت المحاكمة في عصر خليفته كليمنت الخامس على جثة بونيفاس الثامن شهد كبار الأساقفة والمحامون على أنه كان يستخف بعملية الزنا قائلاً:

"No more harm in it than rubbing your hands together".

«لا يزيد ضرره على أكثر من أن تدلك يديك»(٣).

وبألفاظ كاتب التاريخ الآخر:

"For him.....the moral code had little meaning".

«لم تكن الأخلاق تمثل لديه أي معنى»(٤).

وكان البابا جون الثالث والعشرون [١٤١٠م] من هؤلاء الباباوات «البارزين»، والذي عدّ «ضد البابا»، وَمُنح هذا العدد أي الثالث والعشرون للبابا جون الآخر، وذلك بعد قرون عديدة أي سنة ١٩٥٨م. ولم يحصل هذا إلا لأن مخالفي هذا البابا السياسيين استطاعوا أن يعزلوه من المنصب [بعد أن بقي في السلطة خمس سنوات وظل منغمسًا في الرذائل]؛ وإلا فإن أعمال جون الثاني عشر وغيره من الباباوات الفاسدين لم تكن أقل درجة منه. فهؤلاء لا يزالون يعدون من الباباوات، ولكنه يعتبر «ضد البابا» لعزله عن المنصب، وليس لأجل مغامراته في الفواحش والشهوات.

---

(١) The Historian's History of the World, vol. 8, p.590.
(٢) Rationalist Encyclopaedia, p. 64.
(٣) Ibid.
(٤) The Cambridge Medieval History, vol. 7, p.5

http://kotob.has.it/

وعلى أية حال فإن هذا البابا أيضًا كان ميَّالاً إلى الزنا ومضاجعة المحرَّمات[١] من النساء، وحينما أجريت محاكمته بعد عزله، اتهم بسبعين تهمة. ثم حذفت منها أسوأ التهم لأجل الحفاظ على سمعة جون والكنيسة، ولكنها رغم ذلك لم تقل عن أربع وخمسين تهمة، وهي أيضًا:

"They left him no sherd of virtue, no vestige of reputation".

«لم تترك له شيئًا يحفظ عليه سمعته»[٢].

«وشرف» هذا البابا ـ وفق ماقيل ـ «ببركته الخفية» أكثر من مائتي فتاة غير متزوجة وأرملة وراهبة[٣] وذلك في مدينة واحدة فقط. وبعد الفحص والتفتيش عدَّت حياته ـ قبل البابوية وبعدها ـ مكروهة وغير مقبولة. فلم يقدر البابا هذا على الدفاع عن نفسه، وقَبِل الاعتزال عن المنصب[٤].

ويتضح المستوى الخلقي لهؤلاء البابوات والكرادلة وزعماء الكنيسة عندما نعرف أن هذا الرجل الذي أصبح فيما بعد البابا الثالث والعشرين، كان في عصر سابقه بونيفاس التاسع صديقًا لزوجة أخيه، وكانت هذه العلاقة سرًّا مكشوفًا في روما كلها. «فعوقب» على هذا بأن عُيّن كاردينالاً وأرسل إلى بالوغنا (Balogna) خارج روما؛ وأرسلت المرأة ـ زوجة أخيه ـ إلى زوجها في نيبلز. وكان من نتائج هذه العقوبة ضياع عفة مائتي امرأة في بالوغنا، الأمر الذي أشرنا إليه آنفًا. فالواقع أن غض البصر عن الفواحش وترك العقاب الحقيقي عليها لم يكن قاصرًا على هذا البابا دون غيره، فقد كان من عادات البابوات بأنه حينما يعاقب الحكام أسقفًا، أن يتم العفو عنه[٥].

ويعد الإسكندر السادس [١٤٩٢م] أيضًا من البارزين في المفاسد والرذائل. كان هذا البابا يعرف ببورجيا (Borgia) الكاردينال قبل تمكنه من منصب البابوية، وكثرت فواحشه في أيام البابا بال الثاني [١٤٦٤م]، لدرجة أن البابا بال عاتبه بنفسه على ذلك، ولكن تركه دون عقاب؛ فظل بورجيا طول حياته منهمكًا في الرذائل، وبقي

---

(١) H.C.Lea: An Historical Sketch of Sacredotal Celibacy in the Christian Church (Boston, 1884), p.343.
(٢) M.Creighton: History of Papacy, vol. 1, p.34.
(٣) H.Milman: History of Latin Christianity (New York, 1866), vol. 7, pp.328f.
(٤) M.Creighton: op. cit., vol. 1, pp. 343-344; Encyclo. Brit. (1962), vol. 3, p.87; Funk And Wagnall's Encyclopaedia (1938), vol. 15, p.76.
(٥) H.C.Lea: op. cit., 343-344, 139, 140.

http://kotob.has.it/

"To the end of his days he remained the slave of the demon of sensuality".

«عبدًا لشيطان الشهوانية حتى أيامه الأخيرة»(١).

وفي أيام كان على منصب الكرادلة ولدت له إحدى محظياته المعروفة أربعة أولاد، كما كان له أولاد آخرون من النساء الأخريات. فقد حصل على جميع مناصبه بشكل انتهازي، وجعل جميع أولاده شرعيين، ووفّر لهم الإقطاعيات والمناصب الأميرية والمنافع الكنسية الأخرى. وأصدر البابا سكتس الرابع المتعاطف مع الإسكندر السادس وقت منحه منصبًا كنسيًا لأحد أبنائه وهو سيزربورجيا، فأصدر في هذا الوقت أمرًا يقضي بأن سيزر (ولد الزنا) لا يمنع من التمكن من المناصب الكنسية؛

"Because he was the son of cardinal and his mother was a married woman".

«وذلك لأنه ابن الكاردينال، وأمه امرأة متزوجة»(٢).

فكأن أولاد الكاردينال بالزنا، وأولاد المرأة المتزوجة الفاحشة من غير زوجها شرعيون طاهرون!!

والحقيقة إن هؤلاء الكرادلة والباباوات متساوون تقريبًا في الانغماس في الفواحش والرذائل. ولذلك يقول الدكتور باستور ـ والذي ألف كتابًا عن أحوال الباباوات في ٢٩ مجلدًا ـ متحدثًا عن أحوال أحد الكرادلة:

"He paid no more regard to his vow of celibacy than the majority of his colleagues".

«لم يكن يبالي، مثل زملائه، بما حلف به بأنه سيبقى أعزبًا»(٣).

أي أن أغلبية الكرادلة كانوا فسقة ولم يلتزموا بحياة العزوبية التي أقسموا على أن يعيشوها. وكان الباباوات يغضون النظر عن رذائلهم كما أنهم كانوا يشرفون عليها ويشاركونهم فيها أيضًا. فعندما تمكن بورجيا الكاردينال من الباباوية وصار البابا الإسكندر السادس، اشتدّت فواحشه وشهواته. يقول المؤرخون المعاصرون:

"Extraordinary orgies were held in the Vatican during his pontificate".

---

(١) L.Pastor: op. cit., vol. 5, pp.362-363.
(٢) Ibid., pp. 363-365.
(٣) Ibid., p. 369.

http://kotob.has.it/

«انعقدت مجالس الترف غير العادية في فاتيكان خلال بابويته»[١].

ولا يمكن وصف هذه المجالس غير العادية وصفًا مفصلاً، فهي تبدو وكأنها أحلام. وقد قام المؤلفون المسيحيون الثقات والكتاب المحايدون بنقل أحوال هذه المجالس وروايتها عن المعاصرين الذين شهدوها واشتركوا فيها. فكتب أحد معاصري الإسكندر، وهو بركارد (Burchard)، في مذكراته الشخصية أحوال أحد المجالس كالآتي:

بعد الأكل والشرب رقصت النساء العاريات، وفي نهاية المجلس وزّع البابا وابنته النغلة الفاسقة بأيديهما «المباركة» الجوائز على موظفي فاتيكان الذين دأبوا على مضاجعة العاهرات مرات كثيرة[٢]. وكان لابنة البابا الفاسقة هذه أصدقاء (وأزواج) كثيرون، وأبرزهم كان أخاها الشقيق سيزربورجيا الذي ذُكر آنفًا. وقصص حب الأخ والأخت وعلاقتهما الجنسية كانت شائعة على ألسنة الناس[٣]. وأما البابا نفسه فقد كان مولعًا بحب زوجة ابن عمه الشابة[٤]، كما أنه كان مولعًا بقراءة رسائل ابنه سيزر، التي سجل فيها تفاصيل مغامراته الجنسية[٥].

والمؤرخ الكاثوليكي الدكتور باستور يكرر ذكر موت الشعور الأخلاقي والشهوانية الشديدة والجرائم القبيحة لدى الإسكندر[٦]. وتشهد دائرة المعارف الكاثوليكية أيضًا على حياته المترفة رغم إيجازها في التعبير ولهدف معين[٧]. وكان أنوسنت الثامن [١٤٨٤م] الذي كان قبل الإسكندر السادس قد أنجب ولدين غير شرعيين قبل أن يتولى البابوية[٨]. فحين تولى منصب البابوية كان شيخًا كبير السن ولم يكن يقدر على الفواحش، ولكنه أطلق سراح أولاده وكرادلته للفسق والفجور. وكان أحد أولاده يتميز بالتعهر بالإضافة إلى المقامرة:

"When his eye fell upon a woman, she was not safe in her house at night. His servants forced the doors open for the Pope's son".

---

(١) Rationalist Encyclopaedia, p. 13.

(٢) The Popes And Their Church, p. 76.

(٣) Colin Wilson: op. cit., pp. 346-347, 352.

(٤) Ibid., p. 347.

(٥) Ibid., pp. 351-352.

(٦) L. Pastor: op. cit., vol. 6, pp. 138-140.

(٧) New Catholic Encyclopaedia, vol. 1, p. 291.

(٨) M. Creighton: op. cit., vol 4, pp. 138-139

http://kotob.has.it/

«فالمرأة التي تعجبه لم تكن تسلم من يديه؛ فكان خدامه يقتحمون بيتها باسم ابن البابا»[١].

وكان أنوسنت السادس يعلم أعمال الكاردينال بورجيا المذكور [الإسكندر السادس فيما بعد] القبيحة، كما أنه كان على علم تام بأن الكرادلة الآخرين منغمسون في أعمال الفسق، وأن لواحد منهم ثلاث بنات نغلات، وهو بالإضافة إلى ذلك يرتكب اللواط[٢].

ونتج عن إشراف البابا على هذا الكاردينال وتشجيعه له أنه أصبح البابا جوليوس الثاني [١٥٠٣م]، وهو يُعَّد واحدًا من «الباباوات العظماء»[٣]. واستمر هذا البابا أيضًا في أيامه يتعاطف مع الفاسقين. وقد اتهم أحد كرادلته ـ الذي أصبح البابا ليو العاشر [١٥١٣م] بعد ذلك ـ بارتكاب اللواط. فحين تولى هذا الأخير البابوية، جمع حوله الكرادلة الذين اشتهروا بأعمال الرذيلة[٤].

وهناك أحد الباباوات اشتهر برعايته للفجرة أكثر بكثير من انهماكه بنفسه في الفجور، وهو أربن السادس [١٣٧٨م].

"He said nothing when his favourite nephew tore nuns from their convents; rather he loaded the nephew with wealth and honours".

«كان أحد أبناء أخيه يعتدي على الراهبات ويذهب بهن من مراكزهن [للمضاجعة والزنا]؛ ولكن البابا ظل صامتًا على هذا، بل إنه أسبغ عليه العز والثروة»[٥].

وكان من المتوقع، بعد بداية حركة الإصلاح الديني، أن يحاول الكرادلة والباباوات إصلاح أخلاقهم وأعمالهم، لأن هذه الحركة كانت رد فعل لفواحشهم وفسقهم. ولكن البابا بال الثالث [١٥٣٤م] الذي عاصر لوثر [ت ١٥٤٦م] عندما كان كاردينالاً أنجب أربعة أولاد غير شرعيين على الأقل ولدوا في قصره الكاردينالي، غير أنه تمكن من منصب الكاردينال عن طريق علاقات أخته بالبابا الإسكندر السادس [الهامش رقم ٨ ص٣٥٣]. وقد اعترفت

---

(١) The Popes And Their Church, pp. 70-71.
(٢) Ibid., p. 71.
(٣) Historian's History of the World, pp. 647-648.
(٤) The Popes And Their Church, p. 78; American People'a Encyclopaedia, vol. 12, p.374.
(٥) The Popes And Their Church, p. 63.

http://kotob.has.it/

دائرة المعارف البريطانية بهذه العلاقات في طبعاتها القديمة، ولكن حذف ذكرها في طبعاته الجديدة(١). ولِمَ لا يكون ذلك؟ فقد جاز أن تغير في نصوص الكتاب المقدس حسب الظروف والأحوال، فلماذا لا يجوز أن يغيَّر في كتب الذين يؤمنون بهذا «الكتاب المقدس»؟

فحين تولى البابوية كان عمره سبعين سنة، فلم يقدر على أن يخوض هو نفسه في الفسق. لكنه رعى أبناء أخيه في أعمالهم الخبيثة، وجعلهم كرادلة رغم انهماكهم في الفواحش، كما أنه أعطى التسهيلات العديدة لأفراد أسرته(٢).

ولم يتأثر أيضًا البابا جوليوس الثالث [١٥٥٠م] بحركة الإصلاح. وقد ذكرنا عنه [انظر: الهامش رقم٥ ص٣٥٣] أنه جعل ابن سبع عشرة سنة الكاردينال، وتعاطف معه لدرجة أن الناس شكوا في علاقاته معه، وقالوا: إنه ابنه النغل أو يستغل لإشباع رغباته الجنسية. وقد اتهم مؤسس حركة الإصلاح لوثر نفسه من قِبل أعدائه. ويمكننا أن نغض البصر عن هذه التهم لعدم وجود شواهد يقينية، ولكن الصورة التي تقدمها حديث مائدته ورسائله المطبوعة تدل على أخلاقه السيئة(٣).

وزعماء المسيحية من القرن السابع عشر، أي بعد حركة الإصلاح بفترة مديدة أيضًا، لم يصلوا إلى المستوى الخلقي المنشود(٤). وأما الباباوات وكبار زعماء المسيحية الآخرون الذين جاءوا بعد هذا العصر، فإن أحوالهم وأعمالهم لم تظهر بكل تفاصيلها، ولكن ـ رغم ذلك ـ يمكننا أن نقول: إن أحوالهم وأعمالهم لن تكون مختلفة في معظم الأحيان عن أحوال السابقين.

---

(١) Encyclopaedia Britannica (1911), vol. 20, p.955; Encyclo. Brit. (1962), vol. 17, p.397.

(٢) American People's Encyclopaedia (1948), vol.15, p.386; The Popes And Their Church, p. 79.

(٣) J.Mc Cabe: The Social Record of Christianity, p. 87.

(٤) The Popes And Their Church, p. 81, quoting L.Von Ranke's 'The Popes of Rome' (English Translation, 1846).

http://kotob.has.it/

الخاتمة

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

الخاتمـــة

الأمر الذي يدل على العقلية المعقدة لدى الإنسان وعلى ضعفه، والذي يدل أيضًا على تمسك الإنسان العاطفي بعقيدته الصادقة أو غير الصادقة، هو ما نراه من أن الشعب المسيحي، بل وكثير من العلماء المسيحيين، لا يزالون يؤمنون بتقديس الأساقفة والباباوات، رغم معرفتهم التامة لأعمال كريهة ارتكبها هؤلاء الباباوات والكرادلة والرهبان والأساقفة، ورغم علمهم بطغيانهم وقسوتهم وخيانتهم وخداعاتهم وحبهم الشديد للدنيا.

فالمسيحيون مازالوا متمسكين بالديانة المسئولة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن فسادهم الخلقي والاجتماعي.

ويستغل المسيحيون المتشددون هذا الضعف العقلي والعاطفة القوية لدى الإنسان؛ ومازالوا يعدون البابوية والكنيسة مقدسة وصالحة بصفة عامة من حيث المجموع، ويعتبرونهما في «رعاية الروح القدس الخاصَّة»، رغم وجود سجل تاريخي موثق للأعمال الرذيلة لهؤلاء الزعماء ورجال الدين.

ويحاول هؤلاء أن يخفوا أعمال الباباوات ورجال الدين الفسقة عن عامة الناس وعن عيون ضمائرهم أنفسهم بقولهم:

"There were a few bad Popes".

«عدد قليل من الباباوات كانوا غير صالحين»[١].

والجميع يعلم أن أسماء معظم الباباوات الفسقة مازالت موجودة في قائمة خلفاء ونواب المسيح! وأسوأ من ذلك مايقوله بعض المفكرين المسيحيين مثل الدكتور باستور (Pastor)، من أن سلوك الزعيم الديني الشخصي ومستواه الخلقي أشياء مهمة، ولكن عدم كون رجل الدين صالحًا لا يؤثر في قداسة الدين نفسه الذي يدعو إليه ويمثله[٢].

فالواقع أنه إن كان فساد زعماء الدين ورجاله محدودًا وفي دائرة ضيقة لا يخرج عن

---

(١) The Popes And Their Church, pp. 22,37.

(٢) L.Pastor: op. cit., vol. 6, pp. 140-141.

http://kotob.has.it/

إطارهم الشخصي، فإن هذا الدليل صحيح. ولكن إذا شاع الفساد وتسربت الشهوات وشملت شمولاً واسعًا، فإن هذا يدل، دون ريب، على فساد أساس العقيدة والديانة. ولن نقوم بتعليق شامل على فساد زعماء المسيحيين من عندنا بل إننا نلجأ إلى شهادات الكتّاب المسيحيين أنفسهم:

جاء في كتاب التاريخ الثقة في العصر الحاضر ذكر أعمال زعماء الروم المسيحيين العالميين، وقال المصنف إن الروم:

"the most hideous sewer that ever offended the eyes of a man".

«كانت عاصفة الفساد الخلقي القبيح التي لم تشاهدها عيون الإنسان قط»(١).

ويقول مؤلف آخر:

"In point of historical fact, no other religion of which we have adequate knowledge....Brahamanism, Buddhism, Taoism, Zorastrianism, or Islam.... presents such a spectacle of corruption in its higher spiritual authorities and their election to office, as does the history of the Popes".

«هذه حقيقة تاريخية بأن الديانات التي نعلم بها علمًا كافيًا، مثل الهندوسية والبوذية والتاوية والزردشتية والإسلام، لانجد ديانة واحدة منها مصابة بالفساد الذي أصيبت به الديانة المسيحية في قضية فساد أخلاق زعمائها الكبار وانتخاب الباباوات؛ فتاريخ الباباوات مليء بهذا الفساد»(٢).

وانظر إلى التفاخر والتباهي بالادّعاءات والأوامر التالية التي كانت مدار إيمان عند جميع المسيحيين قبل انفصال الكنيستين الشرقية والغربية وقبل حركة الإصلاح الديني، وهي التي يؤمن بها الكاثوليكيون حتى اليوم:

"It is altogether necessary to salvation for every human being to be subject to the Bishop of Rome".

«يجب على كل إنسان أن يكون خاضعًا لأسقف روما حتى ينجو»(٣).

---

(١) Cambridge Modern History (1907), vol. 10, p.164; Rationalist Encyclopaedia, p.431.

(٢) Rationalist Encyclopaedia, p.429.

(٣) Pope Boniface VIII (1294), in Kidd's Documents, vol. 3, p.186, quoted by John Foster: Church History (London, 1974), vol. 2, p. 139.

http://kotob.has.it/

و:

"All should bow the knee to the Vicar of Christ".

«يجب أن يتلمذ الجميع أمام نائب المسيح»[١].

فالمقارنة بين هذه الادِّعاءات الشامخة وبين فساد الأخلاق العملية التي نجدها عند زعماء المسيحية تثبت بأن هناك فجوات أساسية في العقائد المسيحية نفسها. فالنصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام كانت تعلم التوحيد والإيمان بالآخرة، وبهذا كانت تضمن الإصلاح الخلقي العملي. ولكن حين تحول التوحيد إلى التثليث والتجسد، وعُدَّ عيسى عليه السلام إلٰهاً أو ابن الإلٰه بدلاً من رسول الله وزعيم الإصلاح، واعتبر صلبه المزعوم سبب نجاة الإنسانية، وانتهت أهمية الشريعة والعمل، وفضلت المناقشات المعقدة الفلسفية على الإصلاح العملي، وزيفت نصوص الكتاب المقدس بالكذب والتحريف، وأقحمت فيه جميع أنواع التناقضات والخلافات، ونسبت إلى الشخصيات المقدسة ـ والأنبياء من بينهم ـ أخلاق وأعمال رذيلة، فحين حدث كل ذلك انهدمت أسس الإصلاح كلها.

إذا كانت الكفارة تطهر الإنسان من «الخطيئة الأزلية» ولا تكون هناك حاجة بعد ذلك أيضًا إلى التمسك بالشريعة والعمل، والديانة كلها مصطنعة، وتبدو الشخصيات المقدسة الكبيرة منهمكة في الذنوب الكبيرة، ويوجد صكوك الغفران للمعاصي . . . فماذا يمنع الإنسان، في هذه الحالة، من أن يرتكب الرذائل، والجرائم الأخلاقية ويتهاون بالوقوع فيها؟

وأيضًا أسهمت القيود غير الفطرية إسهامًا كبيرًا في الفساد الخلقي. فلم يستطع الأساقفة والرهبان والكرادلة والباباوات، بعد انهدام الأسس الأخلاقية وسقوطها، أن يلتزموا بقيود الحياة التي أوجدوها لأنفسهم دون زواج. فشاهدت الناس نماذج سيئة جدًّا ومظاهر قبيحة للغاية في أوساط كبار المسيحيين وصغارهم. وجعلت هذه المظاهر كثيرًا منهم ينكرون الدين والأخلاق ويكرهونهما. فلنا أن نستنتج، في ضوء هذه الحقائق والأحوال، أن الفساد الخلقي الذي تسرب في أعمال الباباوات والرهبان وكبار زعماء المسيحية يرجع إلى الفساد في الأفكار والعقائد الدينية التي تمسك بها هؤلاء الناس.

---

(١) Pope Innocent III (1198), quoted by John Foster: op. cit., vol. 2, p. 137.

http://kotob.has.it/

وقد اتضح من الدراسة والتحليل في هذا الباب وفي الأبواب السابقة، أن هناك فرقًا شاسعًا بين المسيحية الحالية وحركة الإصلاح العملي التي قام بها النبي عيسى عليه السلام؛ فقد ابتعدت عقائد المسيحية وكتابها المقدس عن تعاليم المسيح الحقيقية وعن الوحي الذي أنزل الله سبحانه وتعالى عليه.

http://kotob.has.it/

الفهـــرس

http://kotob.has.it/

الفهـرس

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/

http://kotob.has.it/